مؤمن المحمدى

أنجال الزعماء

أسرار الحب والمال في بيوت الحكام العرب



أنجال الزعماء

أسرار الحب والمال فى
بيوت الحكام العرب

أنجال الزعماء..

أسرار الحب والمال فى بيوت الحكام العرب

تاليف:

مؤمن المحمدى

الإشراف العام

ياسر رمضان

الناشـــــر



للنشر والتوزيع

37 ش قصر النيل ـ القاهرة تليفون: 012 7717795

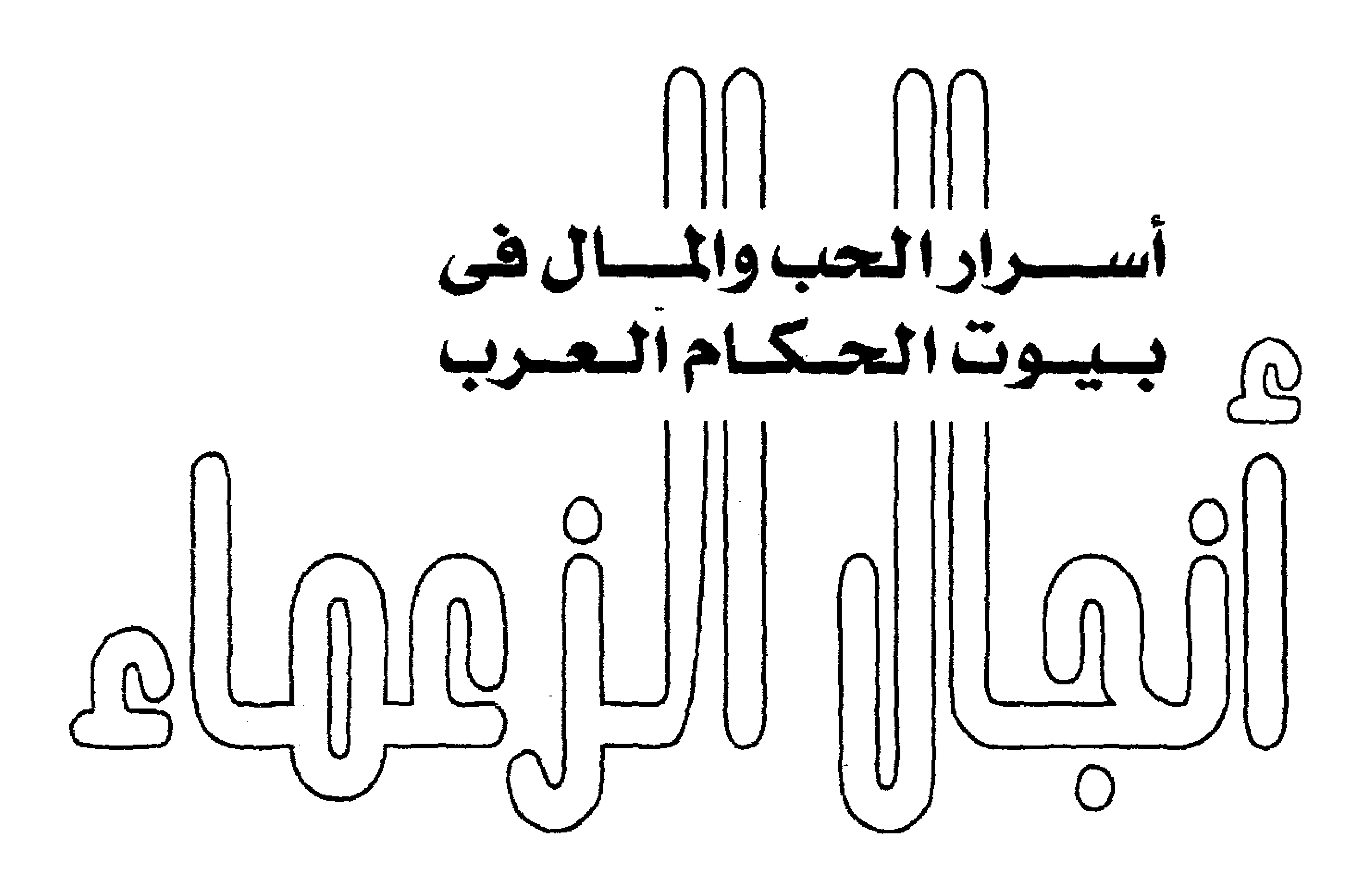
kenouz55@yahoo.com

التنفيذ الفنى



رقم الإيداع : 17277 / 2008

الترقيم الدولى : 5-63-5307-977



مؤمن المحمدى



إهداء

إلى ابنى حازم

قد لا يكون أبوك زعيما

قد لايستطيع أن يفعل من أجلك

كما فعل الزعماء لأبنائهم

لكنه..

يحبك بالدنيا وما فيها

□□

مقدمة

تقدم أحد الشباب لخطبة فتاة من عائلتى، وبينما كنا نتناقش حول الطلبات والترتيبات شعر العريس بأن الطلبات كثيرة إلى حد ما فقال: إيه يا جماعة، إنتو فاكرين إنى ابن الرئيس!!.

بعدها بيومين كنت أتصل بقريب لى يعمل موظفًا لأسأله حول استخراج أوراق ما، فأجابنى عن الإجراءات، فاتضح أن جزءا من تلك الإجراءات معقد، فطلبت منه أن يساعدنى فى استخراج تلك الأوراق واجتياز الإجراءات المعقدة فأجابنى: ليه؟ إنت فاكرنى ابن الرئيس!!

قفز فى ذهنى سؤال: لماذا يتعامل الناس فى البلاد العربية مع ابن الرئيس باعتباره قمة السلطة والثروة والنفوذ؟ يظنون أن معنى أن تكون ابن الزعيم هو تخلصك من مشكلاتك مدى الحياة، أن تكون ابن الزعيم فهذا معناه أن تنفتح أمامك الأبواب، وتتمهد أمامك الطرق، وتختفى منها العقبات.

فى أذهان الناس أن ابن الرئيس يتحول بمجرد تولى والده الحكم إلى صنف آخر من البشر مختلف عنا وعن طينتنا، صنف لا يعرف للألم مذاقا، ولا للأحزان لونا، ولا للخوف سبيلا.

لكن هل هذا صحيح؟

طبعا سيعتبر البعض هذا التساؤل من قبيل تساؤلات حسن الإمام فى أفلامه الميلودرامية المأساوية القديمة، وسيعتبرون أننى ألمح إلى أن أبناء الرؤساء غلابة مساكين، لا يعيشون حياتهم الطبيعية ولا يمارسون حرياتهم كغيرهم من الأبناء، وأنه مكتوب عليه أن يتحمل ضريبة كونه ابنا لحاكم البلاد.

غير أن تساؤلى فى الواقع هو تساؤل محض: كيف يعيش ابن الرئيس؟

قلت لنفسى: ولماذا لا أبحث عن الحقيقة؟ إذا كنت تمتلك فكرا وقدرة على البحث والكتابة، فلم لا تجد هذه الإجابة وتقدمها للقارئ الكريم؟

فبحثت عبر عدة شهور فى حياة أبناء الزعماء العرب، حتى كونت صورة ما، لن أدعى أنها الحقيقة. ولن أقول إنها الكلمة الختامية لكننى أعتبرها كلمة الافتتاح فى هذا الحقل.

ولا أكذبكم القول، لقد كانت لى جملة أثيرة لدى إعدادى لهذا الكتاب، جملة سمعتها منى زوجتى السيدة سارة شكرى التى أعتبرها شريكة لى فى تأليف الكتاب بسهرها، حرفيا، فى سبيل توفير جو مناسب للبحث، رغم أنها كانت طوال شهور تأليف الكتابة تحمل نجلى حازم قبل أن يأتى للحياة فى تلك الأيام.

كانت جملتى لزوجتى: الحمد لله على أنى لست ابن رئيس.

قبل أن تقرأ عزيزى القارئ أود أن أقول إننى لم أبحث فى حياة أبناء (كل) الرؤساء العرب، فهذا يحتاج إلى موسوعة كاملة، لكننى اخترت، (وهو اختيار شخصى) أبناء رؤساء مصر الأربعة، أبناء الأخ العقيد معمر القذافى، وأبناء الرئيس صدام حسين، وأبناء الرئيس الراحل حافظ الأسد، مع إطلالة على أبناء الشيخ زايد، والملك عبد الله.

ونؤكد على أن عدم تناولنا لحياة أبناء باقى الزعماء العرب ليس عن إهمال، لا قدر الله، بل ناتج لظروف مساحة الكتاب، فكما قلنا فإن البحث فى حياة أبناء كل الزعماء يحتاج إلى موسوعة كاملة دون مبالغة.

كما ننوه إلى أننا قدمنا أبناء الزعماء حسب الترتيب الأبجدى للزعماء، حتى لا نفضل أحدا على أحد، فنحن نعتز بكل الزعماء العرب، وبأبنائهم، بمن فى ذلك من نختلف من توجهاته، كما أن هذا الاختلاف لن يظهر على صفحات ذلك الكتاب، فنحن نبحث فى مسيرة الأبناء إنسانيا، وليس فى طريقة حكم الآباء.

وأخيرا نشدد على أننا لا نهدف من وراء هذا الكتاب أكثر من رصد إنسانى لحياة أبناء زعمائنا العرب، وإننى متأكد من أنك أيها القارئ الكريم، ستردد فى نهاية قراءتك لهذا الكتاب جملتى الأثيرة: الحمد لله على أننى لست ابن رئيس.

مؤمن المحمدى

القاهرة 2008

elmohmmady 97@yahoo.com
abbaseddaw.blogspot.com

1

أبناء الرئيس الراحل
أنور السادات
بنات إقبال
دراما الحياة والموت

«كان السادات مع بناته مزيجا من الدفء والحنان والفتور والجفاء فى آن واحد.. كان ساحرا فى كل الأحوال..!!»

السيدة إقبال ماضى
زوجة السادات الأولى

□□

رقية.. الحكيمة

«نذرت نفسى للدفاع عن والدى والتصدى
لأى هجوم يوجه إليه»



□□

■■

على عكس جميع أبناء السادات تبدو رقية حكيمة وسياسية وعلى درجة كبرى من حسن التعامل مع الحياة، إنها الكبرى. أنجبها أبوها من زوجته الأولى إقبال ماضى، التى كانت ابنة عمدة بلدتهم فى المنوفية، ثم طلقها ليتزوج السيدة جيهان السادات عام ١٩٤٩.

يمكنك أن ترى رقية كثيرا فى وسائل الإعلام، تتحدث فى كل شىء، وتدافع عما تراه حقوقها وتهاجم بكل شراسة من يختلف معها، ورغم ذلك فإنك لا ترى من خلال ذلك الظهور اللافت والمتكرر ظلالا من حياتها الشخصية، حتى زواجها من الدكتور أمين عفيفى وإنجابهما لابنها أشرف، ثم انهيار الزواج والدعوى التى قدمت باسم الابن ضد والده، لن تجد لأى من هذا مساحة فى تصريحات رقية السادات رغم تواجدها الكثيف فى كل وسائل الإعلام، إنها لا تلقى بالقنابل فى وجه أحد، هى فقط تتصرف بدافع من حرصها على كيان والدها وأسرته، تنتقى تماما كلماتها الخاصة بالمشاعر بينها وبين والدها، وكثيرا ما تتحدث عن حقوق وواجبات وصورة يجب أن تكون على أبهى ما يكون.

(رقية السادات).. الابنة الكبرى للرئيس الراحل محمد أنور السادات وكاتمة أسراره، لا تقل عنه دهاء ومكرا، حيث دبلوماسية الإجابة وخشية الوقوع فى فخاخ المصائد الإعلامية.تتحدث رقية فى حوار لها مع موقع ولاد البلد عن العلاقة بينها وبين أبيها فتقول: أولا فارق السن كان بسيطا بيننا ولم يتعد ٢٣ عاما، ولذلك فالعلاقة التى نشأت بينى وبين والدى كانت حميمة للغاية، وكأننى اخترته واختارنى، فالعلاقة ليست بنوة وفقط، وإنما كانت علاقة أخوة وصداقة، كما كان لى بمثابة الأخ والصديق والابن والحبيب، وكنت فى كثير من الأحيان أشعر بأننى أمه وتوأم روحه، حيث كان يجمعنا التصاق روحى عجيب.وتعترف بأن تلك العلاقة بين أبيها وباقى الشقيقات ربما لا يكون بنفس الدرجة؛ لأننى كنت الابنة الكبرى ومدللة زيادة عن اللزوم.. تستطيع أن تقول علاقتى بوالدى مختلفة بعض الشىء نظرا لأنه كان يجمعنا سويا

درجة عالية من التفاهم والحب، وعلاقتى بوالدى كانت (علاقة محسوبة)، ولذلك فأنا أحبه حبا شديدا .وعموما فإنها تصف العلاقة الأسرية كان يجمعها بيت السادات بالتفاهم الشديد»وفى نفس الوقت كل إخوتى وأخواتى وعددهم سبعة أبناء وبنات، كانوا يشعرون بقرب شديد من والدى، وهى نفس درجة القرب التى كنت أشعر بها، رغم مهام الرئيس الدائمة وانشغالاته والتى لم تنته».

ويتضح ذكاء رقية وكلماتها المحسوبة حين تتلقى سؤالا حول ذكرياتها مع أبيها فتجيب: كنت فى سن السادسة عندما اعتقل والدى فى معتقل أرميدان بسجن القلعة فى قضية مقتل أمين عثمان، وقتها قال لى أحد أقاربى أن والدك مسجون، فأخذت أبكى بكاء شديدا حتى زرته فى سجنه، وعندما وجدت التعذيب يطول كافة المساجين أصابنى الرعب، فطمأننى الضابط صلاح ذو الفقار وقتها، وقال لى إن والدى لا يعذب مثل باقى المساجين.

إنها تضرب عدة عصافير بحجر واحد، فتتهرب من سرد قصص شخصية عنها وأبيها، على عكس أخواتها كما سنرى، وتكسب سرد قصة سياسية تكسبها وتكسب اسم والدها صيتا، إنها محاور جيد تعرف ماذا تقول ومتى ولماذا؟ويتضح تماما ما هو معروف عنها بأنها الابنة الوحيدة للرئيس السادات التى تتصدى للدفاع عنه ومواجهة خصومه، هى بالذات من بين ٧ أبناء للرئيس الراحل! وعن ذلك تقول: عندما نشرت صورة لوالدى وهو فى المشرحة هذه الصورة أصابتنى بألم شديد ولا تزال تؤلمنى حتى الآن لأننى أعتبرها اغتيالا ثانيا لوالدى، وكان عشمى أن جمال أخى يتصدى لهذا لأنه امتداد لوالدى، وقد فزعت لعدم وجود دور لجمال، فقررت أن أتصدى حتى إذا وقفت بمفردى لأن هذا نوع من تحمل المسئولية تجاه والدى، فهذا الدور أقوم به لأننى الابنة الكبرى للسادات.

وشقيقاتى يعتبرن أن هذا الدور ليس جديداً علىّ لأننى طول عمرى وأنا أتحمل المسؤولية أيام والدى أما وأنه الآن فى رحاب الله فالمسئولية أكبر لأنه إذا كان على قيد الحياة فكان يستطيع الدفاع وصد هذا الهجوم أما الآن فهذه مسئولية أبنائه.

لكنها سرعان ما تستدرك بأن علاقتها بأخيها علاقة طيبة جدا كأخت بشقيقها، وتصفه بأنه أسد العائلة وأتعامل معه على انه ابنى لأن فارق السن كبير بينى وبينه.

كاتمة الأسرار

أنجب السادات ست بنات وولدا، وتبدو العلاقة بكل منهم على حدة علاقة مركبة، وكما كانت حياته السياسية عملا دراميا رفيع المستوى فإن علاقته بأنجاله كذلك. رقية ابنته التى نذرت نفسها للدفاع عن أبيها تقاطع ذكراه ترفض أن تذهب أمام النصب التذكارى كل عام فى السادس من أكتوبر لتستقبل من جاءوا لإحياء ذكرى الوالد. هذا الموقف الرافض يفتح الباب أمام هواة الصيد فى الماء العكر لينسجوا قصصا حول المشاعر الحقيقية للابنة الكبرى إلا أنها تقطع الطريق أما أولئك وهؤلاء فتعلن: أنا لا أقاطع ذكرى وفاته لكنى أرفض تلقى العزاء فى الشارع فهذا لا يليق بأنور السادات، ففى الذكرى ال ١٧ تحديدا (١٩٩٨) تكلمت مع جمال أخويا وقلت له ليس من اللائق أن نأخذ واجب العزاء فى الشارع، صحيح أنه نصب تذكارى لكن لا يصح أن يأتى الناس لتقديم واجب العزاء فى الشارع، وطلبت منه أن نفتح البيت لتلقى العزاء، ووعدنى انه فى السنة القادمة سوف يفعل هذا. إلا أن هذا لم يتم وبالتالى توقفت عن الذهاب فى شكل جماعى وأذهب بمفردى.

وتتساءل رقية: كيف أقاطع ذكرى والدى وأنا كنت كاتمة أسراره، حيث كان والدى يخصنى بأشياء كثيرة ليس من باب التفضيل ولكن لأن بيننا تفاهماً كبيراً فقد عشت معه فترات النضال والجهاد وكنت مسئولة عن أشقائى الصغار فى غيابه وأسرد لك حادثا عندما كلمته على جحود الناس قبل أن يُغتال بـ١٥ يوما كانت تبدو عليه علامات غريبة جدا وكان يشعر بدنو أجله ربما لأنه فى عام ١٩٨٠ صام ثلاثة أشهر رجب وشعبان ورمضان وكان دائم الصيام يومى الاثنين والخميس، فقبل أن يغتال قال لى إن الحقد متفش وإياك أن تعتقدى أننى بعد وفاتى سيكون هناك وفاء، وهذا حدث بالفعل فقد كانت لديه نظرة مستقبلية وفراسة حيث حدث ما حذرنى منه، الشىء الآخر أنه قال لى إنه لا يريد أن يدفن فى القاهرة وكان لدينا مدفن فى ميت أبو الكوم وكان يريد أن يدفن فى وادى الراحة وكان المفروض أنه يوم ٥ أكتوبر آخر مكالمة بينى وبينه وصانى أن أسجل العرض العسكرى وكانت هذه أول مرة يطلب منى هذا الطلب وعندما سألته قال لى سوف تكون هناك مفاجآت!.

وقبلها عندما كنت فى زيارة له فى البيت فى البلد تلقى مكالمة من الوزير حسب الله الكفراوى يخبره أن مدفن وادى الراحة جاهز (تقصد المدفن الذى بناه السادات لنفسه فى سيناء)، فأخبره أنه سوف يقوم بزيارته بعد انتهاء العرض العسكرى، وكان هذا المدفن يبعد حوالى ٢٥٠ مترا عن الاستراحة التى كان يفضل أن يمكث فيها فى جبل موسى.

أيضا ارتباطه هناك بالبدلة العسكرية، فكان يعتز بها جدا فعندما وقعت اتفاقية السلام في اليوم التالى كان فرح جمال أخويا وكنت عنده في بيت الجيزة كان فرحاناً جدا بتوقيع الاتفاقية لتجنيب الناس ويلات الحروب بالسلام الذى هو اسم من أسماء الله الحسنى، ولاحظت أنه مش مبسوط فسألته عن ذلك وقال لى إننى وقعت اتفاقية السلام ولن تكون هناك حروب وأنا كان نفسى أموت بالبدلة العسكرية وما تمناه حدث.

يا أهلا بالمعارك

مع رقية لن تستطيع أن تحصل على أسرار، حتى حياتها الأسرية وزواجها، كل هذه الأمور تبدو سرية مصفحة، كما أنها تبدو ليست بذات أهمية فى ظل المعارك التى تخوضها كل يوم الابنة الكبرى للرئيس الراحل. إنها تبدو وكأنها تبحث عما يمكن أن تقاضيه أو تعنفه أو ترد عليه. حتى إنها أرسلت رسالة غاضبة للسفير الأمريكى فى بدايات مايو الحالى ٢٠٠٨ تعقيبا على ما نشرته مجلة أمريكية عن والدها فلم يعجبها.

بنت عبد الناصر وبنت السادات

إن الحياة الخاصة لرقية السادات لا تكاد تظهر، أما معاركها فهى ملء السمع والأبصار وأشهرها ما خاضته من نزاعات مع ابنة الرئيس الراحل السابق لأبيها هدى جمال عبد الناصر، وهو ملف مثير، حيث تبدأ القصة بمكالمة هاتفية بين هدى عبدالناصر والإعلامى عمرو الليثى مقدم البرامج الشهير الذى سألها: تفسرى بإيه أنه فيه ٤ روايات مختلفة لهيكل عن وفاة عبد الناصر؟ وروى لها الروايات الأربع ثم سألها: انتى شايفة عبد الناصر مات ازاى؟ فقالت له: عندى إحساس أن عبد الناصر مات مقتولا! فقال لها: طيب ما رأيك أن نسجل هذا الكلام فى برنامج اختراق! كانت هدى عبد الناصر فى الساحل الشمالى واتفقت مع عمرو الليثى على التسجيل. وحضرت لمدة ٢٤ ساعة فقط لتسجيل الحوار وبدأ عمرو الليثى باستعراض روايات هيكل والتى كان منها أن عبد الناصر أصيب بأزمة قلبية بعد أن سمع نشرة أخبار الخامسة وكان فى البيت لكن الدكتور أحمد ثروت رفض أن يوقع على تقرير الوفاة الذى يقول أن ناصر مات بأزمة قلبية. وانتهى عمرو الليثى إلى أن ذلك يشير إلى وجود شبهة جنائية فى وفاة عبد الناصر. وذهب عمرو الليثى إلى منزل هدى عبد الناصر بالزمالك حيث تعيش وداخل المنزل وجد صور عبد الناصر تملأ الجدران وهناك صورة كبيرة للسيدة تحية عبد الناصر مع أولادها. وسألها: هل مات عبدالناصر مديونا؟ قالت له هدى

عبدالناصر: نعم مات مديونا وكانت عليه فلوس البيت الذى بناه لمنى لكى تتزوج فيه وساب فقط بوليصة تأمين بمبلغ ٢٥٠٠ جنيه وكان فى حصالته ٢٧٥ جنيها فقط. سألها عمرو الليثى بشكل مباشر: هل مات عبدالناصر مقتولا؟ وكانت إجابة هدى عبدالناصر المباشرة: أظن أنه مات مقتولا.. ليست لدى معلومات أو أدلة قوية لكن هناك عدة شواهد تشير إلى ذلكلسألها عمرو الليثى: ولماذا سكت طوال هذه المدة ٣٥ سنة كاملة؟ قالت له: لم أتحدث لأن لدى مجرد إحساس والفترة السابقة لوفاته لم يكن يقيم فى البيت وكان يقيم بشكل شبه دائم فى فندق هيلتون حيث عقد مؤتمر القمة العربية ووقتها لم تكن نعرف كيف يأكل وكيف يشرب قال لها عمرو الليثى: إذا كان عبد الناصر مات مقتولا.. فمن قتله؟ ردت عليه هدى عبد الناصر بمنتهى البساطة: أنور السادات!

يقول محامى رقية السادات فى دعواها: كانت الإجابة مذهلة. فقد اختار عبد الناصر بنفسه السادات نائبا لرئيس الجمهورية.. فلماذا يقتله السادات؟ قالت له هدى عبدالناصر: لقد عرفت أن السادات كان يقيم فى الغرفة المجاورة لعبدالناصر فى فندق هيلتون! رد عليها عمرو الليثى: لكن هذا ليس مبررا كافيا لهذا الاتهام الخطير؟ قالت له هدى عبدالناصر: بعد مرور خمسين سنة على الثورة تم الإفراج عن الوثائق الأمريكية الخاصة بثورة يوليو ٥٢ وأشارت الوثائق إلى أن السادات كان عميلا للمخابرات الأمريكية. وإذا كانت المخابرات الأمريكية تستهدف القضاء على عبد الناصر واغتياله فان السادات نفذ هذه المهمة لحسابها. واستنكر عمرو الليثى هذا الاتهام.. ففى لقاء سابق له مع جيهان السادات سألها عما يردده حسين الشافعى عن أن السادات كان عميلا للمخابرات الأمريكية وكان يتقاضى مقابل ذلك ٥ آلاف دولار شهريا. قالت له: هذا الكلام كذب وافتراء وغير صحيح! فقال لها: إذا كان هذا غير صحيح فلماذا لم تقاضى جريدة الواشنطن بوست الأمريكية التى قالت هذا الكلام؟ قالت له جيهان السادات: لم نر هذه الجريدة! وعاد عمرو الليثى ليقول لهدى عبد الناصر هل أنت متأكدة من هذا الاتهام؟ ردت عليه قائلة: ليس لدى دليل.. لكنها شكوك قوية!

وقد ننظر هنا للأمر باعتبار أن مقدم برامج شاطر هو عمرو الليثى أوقع مصدره أو ضيفه فى شرك الاعتراف بما يكنه ولا يرغب فى التصريح به، ورغم اعترافنا بالسبق والمهارة لليثى إلا أن الأمر بدا وكأنه مقصود من هدى التى لم تنف الكلام بل أكدته للصحف. هنا كان لابد من ظهور رقية التى نذرت نفسها وحياتها للدفاع عن أبيها الذى طلق والدتها وهى بعد طفلة. إلا أنها كامرأة شرقية صرف كان يهمها سمعة والدها أمام الناس، ولذلك فإن ردها كان قاسيا ،

لم تلجأ لعمرو الليثى تطلب الرد على هدى عبد الناصر، ولم تولول فى الصحف بكاء على سمعة والدها المغدورة المهدرة، ولم تذهب لطانط جيهان كما تحب أن تلقب السيدة جيهان السادات، ولا لأسد العائلة جمال السادات على حد تعبيرها، بل انتقلت على الفور للقضاء. وتقول عن ذلك فى حوار أجرته لصحيفة الراية القطرية:

لجأت للقضاء لسببين أولهما أن الرئيس الراحل أنور السادات هو أبى فكل إنسان ينظر إلى والده بمكانة خاصة بصرف النظر عن المنصب، وفى حياته لم أكن أعامل باعتبار أننى ابنة الرئيس، إطلاقا، لم تكن لى تعاملات فى هذا الإطار فأنا الابنة الكبرى لأنور السادات الذى أعتز أنه أبى بصرف النظر عن المنصب، ولكن لا أخفى أننى الآن فقط أتعامل كابنة للرئيس من منطلق أنه يجب أن أتصدى لأى هجوم ينال من سمعة وشرف وكرامة والدى.

فمن خلال الرؤية المجردة للأب، والكلام مازال لرقية، لن أسمح أن يهان والدى أو أن يشكك أحد فى وطنيته وولائه وانتمائه، السبب الثانى أن الرئيس جمال عبد الناصر زعيم والرئيس أنور السادات زعيم، وبالتالى فإن الأسماء حساسة، فأنا إذا كان عندى أى نقد للرئيس الراحل جمال عبد الناصر فأنا سوف أتوخى الحذر جدا عندما أتكلم، لأننا منتميان لحقبة تاريخية واحدة ومشاركة وطنية واحدة فلا يليق بى أن أهاجم عمى جمال الله يرحمه فى سياساته أو قراراته، أو غيره، بل بالعكس إذا تناول أحد أمامى سيرة الرئيس جمال عبد الناصر بشىء من السوء فلابد أن يكون لى رد فعل رافض تماما وعندما صرحت هدى عبد الناصر بتلك التصريحات فكان هذا أمر خطير جدا لأنها وجهت لوالدى اتهامات بالعمالة والخيانة، ثانيا: أنها اتهمت والدى بأنه قتل والدها بناء على إحساساتها، فلا أعتقد أن أى إحساسات فى الدنيا ليست مثبتة بأوراق أو موثقة بدلائل وبراهين تدفع صاحبها لأن يلقى الاتهامات جزافا على الآخرين، وبعدما أصرت هدى عبد الناصر على ما قالته فى برنامج تلفزيونى مع عمرو الليثى وفى مجلة الإذاعة والتلفزيون ومجلة روز اليوسف وقالت: نعم... أنور السادات قتل والدى بالسم وعملت سيناريو غريباً جداً، فى هذا الأمر أنا لا أستطيع الرد فى برنامج تلفزيونى أو تصريحات فى الجرائد، لم يكن أمامى سوى القضاء وذلك من واقع مسئوليتى عن تاريخ والدى وشرفه وكرامته ووطنيته.

وتضيف رقية: لا أعرف لماذا لم يتوقع أحد لجوئى للقضاء فما قمت به من منطلق كونى ابنة اتهم والدها بالعمالة والقتل، فالظروف هى التى تضطرنى إلى هذا من حرقتى على تاريخ

والدى وعلى وطنيته، أنا نفسى أشعر أن هناك أشياء غير متوقعة منى لكنها وليدة اللحظة أو صدمة الحدث.

وتبدو رقية فى معاركها تلك وحيدة، فمن الواضح أن عائلة السادات بعد رحيله أصبحت جزرا منعزلة، ولذلك فقد اعترفت بأنها لم تستشر أحدا من العائلة، بل إنها لم تفكر فى ذلك وفضلت أن تتحمل منفردة تبعات معركتها من أجل والدها. وتقول فى ذلك: أنا لم آخذ رأى أحد لأننى أعتبر أن والدى لا يزال على قيد الحياة.

وممكن أن يكون لدى أحد من أشقائى رأى مخالف إلى حد ما، وتضيف بدبلوماسية لكن هذا ليس معناه أنهم أقل حباً منى لوالدنا لكنها تركيبة شخصية وكل منا يدافع بطريقته لكنهم يعتبرون أننى المسئولة عن التصدى لأى هجوم، وذلك لأننى فى حياة والدنا رحمه الله كنت المسئولة عن كل صغيرة وكبيرة تخص أشقائى الأصغر منى، وإلى الآن أقوم بنفس الدور بل وبطريقة أكثر قوة، لأن رد الفعل عند إخوتى ليس بنفس درجة رد الفعل عندى، لأنه بالنسبة لى الأمور تأخذ أبعادا شديدة، أنظر لأى هجوم من منطلق الحرص على كرامتى وكرامة والدى لأن أنور السادات لا يستحق أن يحدث معه هذا، بل بالعكس كان من الضرورى أن تسير الأمور باتجاه العدل والإنصاف لتاريخ هذا الرجل العظيم الذى بهر العالم كله برؤيته الثاقبة واستباقه للأحداث، ومن هنا أنا آخذ القرار بشكل فورى.

وكانت المفاجأة قاسية على ابنة السادات عندما حصلت ابنة عبد الناصر على البراءة فقد قضت محكمة جنح بولاق ببراءة الدكتورة هدى جمال عبدالناصر من تهمة سب وقذف الرئيس الراحل أنور السادات فى الدعوى التى أقامتها ضدها رقية السادات. كانت رقية السادات قد طالبت بتعويض ٥ ملايين جنيه من هدى عبد الناصر لأنها اتهمت والدها بأنه وراء قتل جمال عبد الناصر.

كما أكدت المحكمة عدم اختصاصها بنظر الدعوى... وقالت إن قانون العقوبات يعنى فقط بالأحياء، وقذف الأموات لا عقاب عليه إلا إذا تناول القذف أقارب الميت أو ورثته الأحياء.

رفضت رقية الحكم، بل إنها رفضت القانون نفسه الذى حكم به القاضى، وخاضت حربا أخرى حتى انتصرت. وتقول عن الجولة الجديدة من المعركة: فى المرحلة الأولى من القضية أمام محكمة الجنايات صدر حكم ببراءة هدى عبد الناصر، بناء على مادة من القانون الفرنسى، والمحكمة فى حكمها طلبت منا أن نرفع قضية تعويض، وبالفعل قام المحامى د.

سمير صبرى برفع القضية التى صدر الحكم فيها لصالحنا والجميل فى هذا أن منطوق الحكم تعويض، ومضمونه كان عظيما لأن ما جاء فى حيثيات الحكم إدانة لهدى عبد الناصر، وهذا ما كان يهمنى، وشبه إدانة لحكم التبرئة وبالتالى فهذا من وجهة نظرى حكم تاريخى. لأن ملايين الدنيا لا تعوضنى الخوض فى سيرة والدى. وهى ترى أنها لا تتحدث عن الأموال ولا عن كسب القضية حتى إنها لا تهتم بما سيؤول إليه الأمر فى الاستئناف وعلى كلماتها فإن الاستئناف درجة إجرائية للتقاضى وما يهمنى ما جاء فى الحكم السابق.

حيث كانت محكمة شمال قد ألزمت الدكتورة هدى عبدالناصر بدفع تعويض قدره ١٠٠ ألف جنيه مصرى للسيدة رقية السادات على خلفية اتهامها لوالدها.

وذكرت المحكمة فى أسباب حكمها إن ادعاءات هدى عبدالناصر التى وردت فى الحوار تضمنت اتهامات غير صحيحة بحق السادات ولم تقدم دليلا واحدا عليها، بل انساقت وراء شائعات مغرضة استهدفت التطاول على الرئيس السابق والتشكيك فى سجله الوطنى وتاريخه ونقاء وطنيته، وهو ما أصاب المدعية بأضرار معنوية تستوجب تعويضها.

وبحسب صحيفة الرأى الكويتية قالت رقية السادات: إن الحكم الذى صدر لصالحها هو حكم أدبى ورد الاعتبار للرئيس الراحل السادات وأسرته، غير أنها أكدت أنها ستستأنف الحكم لمضاعفة مبلغ التعويض ليس بحثا عن المال ولكن حتى يكون مناسبا لمنزلة والدها.

وكشفت رقية أن هدى عبد الناصر حاولت التصالح معها قبل النطق بالحكم فى القضية وبعد محاولات عدة منها وافقت تقديرا للعلاقات الوطيدة التى كانت تجمع بين السادات وعبد الناصر. مشيرة إلى أنها قبلت التصالح مع هدى شرط أن تنشر اعتذارا عما بدر منها فى حق السادات فى صحف عدة إلا أن الأخيرة رفضت. وأعربت رقية عن دهشتها من التوقيت الذى اختارته هدى عبد الناصر للإساءة إلى والدها حيث كان يسبق احتفالات انتصارات أكتوبر المجيدة قبل ٣ سنوات.

وبحسب المصدر ذاته تساءلت لماذا انتظرت هدى عبد الناصر ٣٥ عاما على وفاة والدها و٢٧ عاما على وفاة الرئيس السادات ثم كالت له اتهامات خطيرة تنوعت بين تورطه فى قتل عبد الناصر وتخابره مع الولايات المتحدة الأميركية؟.

وقالت رقية: النقد مباح، ولا بد أن يكون هناك حيادية وعدم الخضوع للانتماءات الحزبية أو غيرها فلا يوجد إنسان، مهما كان موقعه، كبير على النقد. ولكن التجريح والنيل من الكرامة والوطنية هما اللذان لا أقبلهما.

معركة مع طنط

حين تم فتح هذا الملف كانت قد مرت ٢٥ عاما على رحيل الرئيس السادات إلا أن ما فعلته ابنته عاد باسمه ليتردد مرة أخرى.. ولكن فى ساحات القضاء!رقية.. الابنة الكبرى للرئيس الراحل أقامت دعوى أمام محكمة القضاء الإدارى ضد الحكومة ممثلة فى رئيس مجلس الشعب ورئيس مجلس الوزراء ووزير العدل ومحافظ الجيزة والسيدة جيهان السادات تطالب بحقها الشرعى من ميراث والدها المتمثل فى فيلا بالجيزة وأخرى بالإسكندرية فضلا عن معاشه الشهرى ومخصصاته المالية.كانت القضية هى الأولى من نوعها حول ميراث رئيس الدولة ومدى أحقية الحكومة فى التدخل لتوزيع الإرث على أفراد أسرته.وبعيدا عن الشق القضائى ومتاهات القانونيين فإن القضية فريدة لأن أطرافها غير تقليديين وموضوعها أيضا غير تقليدى.صاحبة الدعوى السيدة رقية السادات نجلة الزعيم الراحل، واختصمت فيها كبار القيادات الحكومية فى الدولة مثل رئيس مجلس الشعب ورئيس مجلس الوزراء ووزير العدل ومحافظ الجيزة.المحكمة مطالبة إذن بالنظر فى دستورية القرار الذى أصدره رئيس مجلس الشعب السابق صوفى أبو طالب بمنح ميراث الرئيس الراحل أنور السادات وجميع مخصصاته المالية لزوجته جيهان السادات وأبنائها وعدم دخول أبنائه من زوجته الأولى السيدة إقبال فى توزيع الميراث، وهو ما دفع رقية السادات لرفع دعواها والمطالبة بحقها الذى تراه مسلوبا.والبداية كانت عندما تقدمت رقية السادات بالطعن رقم ٢٧٩٩٦ أمام محكمة القضاء الإدارى ضد كل من وزير العدل ورئيس مجلس الوزراء ورئيس مجلس الشعب ومحافظ الجيزة بصفتهم وجيهان صفوت رءوف حرم الرئيس الراحل محمد أنور السادات تطالب فيه بوقف تنفيذ القرار الصادر من جهة الحكومة بالامتناع عن إعطائها حقها فى ميراث والدها الرئيس الراحل محمد أنور السادات وذلك فى الفيلا التى كان يقيم فيها بالجيزة وملحقاتها وأيضا حقها فى المعاش المقرر بموجب المادة الثالثة من القانون رقم ١٦٣ ل١٩٨١ والذى يبلغ ٢١ ألف جنيه.فى الجلسة الثانية تقدمت السيدة جيهان السادات بطلب انضمام إلى هيئة المدعى عليهم تطالب فيها برفض طعن رقية السادات إلا أن المحكمة رفضت تدخلها إلى أن قررت المحكمة تحويل الدعوى إلى المحكمة الدستورية العليا للفصل فى مدى دستورية القانون رقم ١٦٣ لسنة١٩٨١،ما هى قصة القانون رقم ١٦٣ ل١٩٨١ والذى تطالب السيدة رقية السادات بعدم دستوريته وتطالب بإلغائه لأنه يفرق بين أبناء السادات؟

تولى الدكتور صوفى أبوطالب رئيس مجلس الشعب فى هذا الوقت منصب رئيس الجمهورية بشكل مؤقت لحين إجراء استفتاء لتولى الرئيس محمد حسنى مبارك منصب رئيس الجمهورية، وتم إصدار هذا القانون والذى نص على اتخاذ الدولة جميع الإجراءات القانونية اللازمة لتملك المنزل الذى كان يقيم فيه المغفور له الرئيس الراحل محمد أنور السادات وملحقاته مع التنازل عنه لقرينته السيدة جيهان صفوت رءوف طيلة حياتها ثم من بعدها لأولادها منه طوال حياتهم وتعفى من جميع أنواع الضرائب والرسوم على أن تخصص بعد ذلك كمتحف ومزار تخلد به ذكرى الزعيم الراحل.

ثانيا: أن تتنازل الدولة عن ملكية الدار التى كان يقيم فيها الرئيس الراحل بالمعمورة بالإسكندرية وملحقاتها إلى السيدة قرينته طوال حياتها ثم لأولاده منها طوال حياتهم وتعفى من جميع أنواع الضرائب والرسوم على أن تخصص بعد ذلك كمتحف ومزار تخليدا لذكراه..

ثالثا: يقرر للسيدة جيهان السادات معاش مساو لما كان يتقاضاه الرئيس الراحل محمد أنور السادات من مرتب ومخصصات طوال حياتها ويؤول من بعدها لأولادها منه.رقية رفضت هذا الكلام وأقامت دعواها السابقة، وبدأت تتحدث عن أسباب دعواها قائلة: بعد وفاة والدى شهيدًا فى حادث المنصة.. تولى الدكتور صوفى أبو طالب منصب رئيس الجمهورية وذلك فى الفترة الانتقالية التى كانت فيما بين الرئيس محمد أنور السادات والسيد الرئيس محمد حسنى مبارك.. تم إصدار قانون بتمليك الفيلا التى كان يعيش فيها والدى مع السيدة جيهان بمنطقة الدقى.. لزوجته طوال حياتها وأولادها منه بعد وفاتها..كما نص القانون أيضا على إعطاء السيدة جيهان معاشا مساويا لما كان يتقاضاه أبى من مرتب ومخصصات طوال حياتها ولأولادها من بعدها.. ولكن المفاجأة التى عرفتها أخيرا كانت منذ أكثر من عام عندما تأكدت أن المعاش الذى تتقاضاه السيدة جيهان يبلغ ٢١ ألف جنيه فى الوقت الذى أتقاضى فيه معاشا ٢٧٦ جنيها.. إننى لا أستجدى أحدا ولا أشكو حالى للناس لكننى أطالب بحقى لأننى لن أحصل على مال من جيب أحد.. فهناك إعلام شرعى رقم ٨٠٩ لسنة ١٩٨٥ وراثات الدقى الصادر من محكمة الدقى للأحوال الشخصية يقول بالحرف الواحد: إنه تحقق للمحكمة وفاة السيد رئيس الجمهورية الراحل المرحوم أنور السادات بتاريخ ١٩٨١/١٠/٦ وانحسار إرثه الشرعى فى زوجته السيدة/ جيهان صفوت رءوف وفى أبنائه رقية وراوية وكاميليا ولبنى وجمال ونهى وجيهان..أى أن هذا الإعلام يثبت أننى من ورثة الرئيس الراحل محمد أنور السادات ويحق لى المطالبة بالمساواة مع أخوتى من السيدة جيهان السادات وأن

أحصل على جميع الحقوق والمزايا التى منحها لهم القانون رقم ١٦٣ لسنة١٩٨١, وتتساءل رقية: أنا أريد أن أعرف على أى أساس صدر هذا القانون الذى يفرق بين أبناء أسرة واحدة؟ أنا لست على خلاف مع أحد من إخوتى من والدى ولا حتى على خلاف مع السيدة جيهان فى شيء.. لكننى على خلاف مع الدولة التى رفضت أن تمنحنى حقى فقط.

وهنا نرى ملمحا مهما فى شخصية الابنة الكبرى للرئيس الداهية وهو ذكاؤها الفطرى الموروث، فرغم أن دعواها تلك تتوجه مباشرة وبطريقة آلية ضد السيدة جيهان السادات إلا أنها تصر على أن معركتها مع الدولة، فتقول:

أنا لم أوجه أى خصومة لطنط جيهان ولا شقيقاتى ولا أسمح لنفسى ولا تربية أنور السادات لى تسمح بأن أرفع قضية على طنط جيهان. وكل ما فعلته أننى أتضرر من قرار رئيس جمهورية مؤقت لأن البيت كان إيجاراً، استأجره والدى سنة ١٩٦٩ وهو نائب وكان يدفع الإيجار من راتبه الخاص سنويا وعندما حدث اغتيال والدى. الغريب والمؤسف أنه فى ٨ اكتوبر يصدر قرار بالتنازل عن ملكية البيت واستراحة المعمورة لطنط جيهان وأولادها منه وذلك قبل أن يدفن والدى وحقيقى أنا سكت فترة طويلة، وهذا مراعاة له لأنه لم يفرق بيننا إطلاقا فى حياته، فلا يجب أن يأتى رئيس جمهورية مؤقت ويشرع أنصبة ميراث.

أنا ومرات أبويا على ابن عمى

يقول المثل المصرى: أنا وأخويا على ابن عمى، وأنا وابن عمى على الغريب. إن هذا المثل هو خلاصة فكر هؤلاء الذين يقدسون الأسرة والعائلة وينظرون للحياة بمنظار أشبه ما يكون إلى القبلية، إن من يؤمنون بذلك التوجه ينكرون ذواتهم فهم جزء من أسرة أو عائلة ينتمون لها ويضعون الأولوية دائما لنصرتها. وكما ترى فإن المثل يوضح كيف يتخذ أصحاب هذه العقلية مواقفهم. إنهم يقفون بجوار الأخ إذا دخل فى خصومة مع ابن العم، ويناصرون ابن العم نفسه إذا اختلف مع الغريب.

وقراءة الأحداث تقول إن التطبيق الأمثل لهذا المنهج فى التفكير هو ما تفعله السيدة رقية السادات التى تتحدث كثيرا عن كل شيء لكنها لا تتحدث عن نفسها بل عن والدها وأسرتها وعائلتها، وعندما ترى أن إخوتها الأشقاء، الشقيقات على الأدق، لهم ما تراه حقوقا عند إخوتها غير الأشقاء لا تستنكف أن تذهب للقضاء من أجل استعادته، أما حين يكون الجانى هو ابن العم فلابد أن تقف بجوار الإخوة أشقاء أم غير أشقاء، وهو ما حدث فعلا فى قصة طلعت السادات.

طلعت السادات هو ابن عصمت السادات شقيق الرئيس الراحل أنور السادات، وهو النائب البرلمانى المعارض مؤخرا، وفى عام ٢٠٠٦ كانت ذكرى حرب أكتوبر على الأبواب، وكما نعلم فإنها أيضا ذكرى اغتيال الرئيس السادات وكان طلعت السادات يريد أن ينتهز فرصة الذكرى، قبلها بعام كان طلعت السادات قد تحدث عن أنه يشك فى تفاصيل وقائع اغتيال عمّه.. وأشار إلى ملاحظات عدة وملابسات تدعو إلى الشك فى أن هناك قوى وعناصر.. وشخصيات فى مواقع المسئولية.. ورجال أمن وحراسة، لم تقم بواجبها فى حماية الرئيس السادات لحظة وقوع الهجوم المسلّح الذى راح ضحيته.وعندما ردّد طلعت السادات هذا الكلام فى تصريحات صحفية، لم يهتم أحد بالأمر كما ينبغى.ويبدو أنه قرّر الا يسكت.. فقد طالب وقتها بإعادة فتح التحقيق فى وقائع اغتيال السادات من جديد.. واختار مناسبة ذكرى الاغتيال ليفجّر قنبلة جديدة.. وقدم حلقة سياسية لبرنامج القاهرة اليوم يفخر بها الإعلامى عمرو أديب من حيث السبق الصحفى. ولم يكتف بهذا الحديث التلفزيونى.. فأدلى بالكلام نفسه إلى صحيفة «الغد» التى كان كاتب هذه السطور يشغل منصب المحرر العام بها فى ذلك الوقت تحت رئاسة تحرير الصحفى اللامع أحمد فكرى، شكّك السادات فى أن هناك مؤامرة صمت حول مصرع عمّه.. وأن مسئولين كباراً يعرفون حقائق ما جرى ويتكتّمون.. وأكد أن رجال الحرس الخاص بالرئيس الراحل لم يتحركوا للدفاع عن حياته ومواجهة العناصر التى قامت بعملية الاغتيال.. والتى يعتقد طلعت السادات أنها استخدمت فى العملية، وأن أيادى أخرى خفيّة شاركت فى التخطيط والتنفيذ، من دون أن تظهر على مسرح الأحداث، ومن دون أن تواجه الاتهامات، بل وزاد إشعاله للموقف بالقول أن هذه العناصر، ومنها قيادات عسكرية، لم تعاقب على تقصيرها، بل إنها كوفئت وتمّت ترقيتها إلى مناصب أعلى!وعلى الرغم من أن الصحف الحكومية المصرية، وكذلك الإذاعة والتلفزيون، لم تشر من قريب أو بعيد إلى ما ردّده طلعت السادات عن اتهامات عبر الفضائية.. إلا أن الوجوم ساد.. ونشرت صحف عدة مستقلة ومعارضة ملخّصات لاتهامات النائب البرلمانى المعارض، ومطالباته بإعادة التحقيق فى وقائع مصرع الرئيس المصرى السابق «بطل الحرب والسلام»! وبدأت بعض الصحف الحكومية تعلّق على الأمر مضطرة، وكتب رئيس مجلس إدارة «روز اليوسف» كرم جبر، مقالاً طالب فيه برفع الحصانة البرلمانية عن طلعت السادات.وبعد أيام نشرت الصحف خبراً مفاده أن رئيس مجلس الشعب «البرلمان»، الدكتور أحمد فتحى سرور، قد وافق على رفع الحصانة عن النائب السادات، بناء على طلب وزير العدل الذى تلقّى طلباً بهذا المعنى من النائب العسكرى العام،

متهماً طلعت السادات «بإشاعة أكاذيب وإهانة القوّات المسلّحة»وعلى الرغم من أن ذلك اليوم كان يوم عطلة رسمية بمناسبة ذكرى انتصارات أكتوبر، وعلى الرغم أيضاً من أن المجلس فى عطلته الصيفية، فقد قرّر رئيس المجلس منفرداً رفع الحصانة وعندما تمّت مواجهة د. فتحى سرور رئيس البرلمان، بأن إجراء رفع الحصانة جاء متسرّعاً ولم يراع لائحة المجلس، قال مؤكّداً صحة القرار إنه لا يخالف اللائحة، وممارسة الاختصاصات الدستورية والقانونية تتم فى أى وقت، صباحاً ونهاراً وليلاً من دون التقيّد بيوم العمل أو الإجازة وعلى الفور عقد طلعت السادات مؤتمراً صحفياً فى مكتب المحاماة الذى يديره، تحدّث فيه إلى وكالات الأنباء العالمية والصحافة والتلفزيون، مؤكداً أنه يمارس حقّه كمواطن، وكنائب فى البرلمان، وليس بوصفه ابن شقيق الرئيس الراحل فقط.. وأكّد أنه لم ينطق بأى إساءة إلى القوّات المسلّحة، وأعلن أنه يعتبر المؤسسة العسكرية فى مصر رمزاً لشرف الأمّة وحاميها الشجاع، ولا يمكن أن يصدر منه ما يسىء إليها.. ولكنه يطالب بالتحقيق فى وقائع اغتيال الرجل الذى كان القائد الأعلى لهذه المؤسسة، والتحقيق فى مسئولية الأشخاص والقيادات التى كان عليها أن تحمى الرئيس من الاغتيال، وأنه ليس فى ذلك إهانة للمؤسسة العسكرية.أما عن إحالته على التحقيق والمحاكمة أمام القضاء العسكرى، فقد أعلن أن ذلك مخالف للدستور، فهو رجل سياسة ويعمل بالمحاماة وليس عسكرياً. وكان رد رئيس مجلس الشعب الدكتور سرور أنه نفى عدم دستورية المحاكمة، قائلاً: إن الجريمة التى طلب من أجلها رفع الحصانة هى جريمة عسكرية بحتة، لأن هناك ٣ معايير لتعريف الجريمة العسكرية، المعيار الأول: أن يكون الجانى عسكرياً، والثانى: أن يكون المجنى عليه عسكرياً، والثالث: أن يكون المكان الذى وقعت فيه الجريمة عسكرياً.. وفى حالتنا هذه فالمجنى عليه وهو القوّات المسلّحة... مؤسسة عسكريةاوبينما وقفت الصحف الحكومية موقف الاتهام والسخرية من الرجل الذى استطاع تحويل فرحة ذكرى النصر.. إلى جنازة.. وراح يكيل الاتهامات إلى النظام المصرى الحالى الذى تولّى السلطة منذ اغتيال السادات.فقالت «الأهرام» كبرى الصحف اليومية عن طلعت السادات، يوم ٨ أكتوبر ٢٠٠٦.. ومن دون إشارة إلى مطالبته بإعادة التحقيق فى اغتيال السادات واتهامه للقيادات الحالية، ولكن ضمن تحقيق صحفى عن «ضحايا الهوس الإعلامى».آخر ضحايا النجومية النائب طلعت السادات، الذى يعيش الآن أجواء رفع الحصانة البرلمانية، دخل السياسة ولم يجد قواعد اللعبة، استسلم للنجومية ولم يتق غدرها، أطلق الرصاص ولم يحدّد أعداءه، وظهر فى برنامج تلفزيونى منتصف الأسبوع يناقش ذكرى

اغتيال الرئيس السادات، وإذ به يكيل معلومات واتهامات للدول والجهات، بأنها وراء اغتيال السادات لخدمة مصالحها، إلا أنه يبدو أن الأحداث اختلطت فى ذهن النائب السادات، ولم يدرك أن تشكيكه فى اغتيال عمّه يختلف فى خطورته عن التشكيك فى الذمّة المالية لمسئول.. وأن ما قاله طوال السنوات الماضية فى كفّة، وما قاله حول اغتيال السادات فى كفّة أخرى، فزعم أن قنابل السادات لم تتوقّف منذ دخوله البرلمان، وبخاصة الدورة الأخيرة، إلا أن لغة الأضواء استدرجته لمنطقة شائكة ومرحلة غامضة.

جمال السادات يستنكر

ولأن الموضوع حساس وشائك فإن الدولة كانت تريد إبطال حجج طلعت فى أحاديثه تلك، وكانت الحجة الأولى لطلعت أنه ابن شقيق الرئيس الراحل، وفى تقديرنا الشخصى فإن هذا هو مربط الفرس بالنسبة لطلعت الذى كان مقربا للرئيس السادات جدا والذى خسر برحيله مقعدا مهما فى قلب دائرة السلطة فى دولة شديدة المركزية مثل مصر.

على أية حال فإن حجة السادات وهى قرابته من الرئيس الراحل كان لا بد من دحضها وهنا يأتى الموقف الذى لا يجوز فيه السكوت، وأصبح على جمال السادات ابن أنور السادات أن يتحدث فأصدر بياناً ندّد فيه بابن عمه طلعت، واستنكر ما ورد فيه، وأكد أن طلعت السادات لا يتحدّث باسم العائلة، وأنه لا يحق له الاتجار بذكرى واسم عمّه.ورد النائب المعارض على هذا البيان وقال لنا: «إننى لا أتحدّث باسم أسرة السادات، ولكن أتحدّث كنائب فى البرلمان، أتحدّث باسم الأمّة، أتحدّث باسم من انتخبونى وحمّلونى الأمانة، أما جمال فقد انشغل بمصالحه، ولا تنس أننى فى مطلع الشهر الماضى تقدّمت بطلب إحاطة فى مجلس الشعب إلى كل من رئيس الوزراء الدكتور أحمد نظيف ووزير الاتصالات د. طارق كامل ليردّوا حول ما يشاع ونشرته وكالات الأنباء عن حصول المهندس جمال أنور السادات على نسبة ٥٪ من أسهم شركة المحمول الثالثة، وهل هذا المبلغ الذى يتجاوز المليار جنيه مصرى من حصّة الشريك الأجنبى، أم المصرى؟ وهل دفع جمال السادات ثمن هذه الحصّة، ومن أين له ما يزيد على المليار جنيه، وبخاصة أن الرئيس السادات لم يترك ما يورث عنه؟!».

رقية تلقى بثقلها

يتضح منهج السيدة رقية السادات فى التفكير، وهو المنهج الذى شرحناه من خلال طريقة تدخلها فى أزمة ابن عمها طلعت السادات فقد قالت لـ الأهرام العربى: أولا هناك

فرق بين عائلة السادات وأسرة السادات، ونحن أسرة السادات المكونة من(٦) بنات وجمال والسيدة جيهان السادات، ونحن المسئولون عن تاريخ أنور السادات وسمعته وأى شىء يخصه ولا توجد بيننا خلافات، وإذا أسأنا فنحن نسىء للسادات، أما عائلة السادات فهى المكونة من: أعمامى وعماتى وأولادهم.

لاحظ التنظيم العائلى الشديد، ولا كأنها عالم فى الأنساب وأضافت رقية السادات: بخصوص عدم رد السيدة جيهان على هجوم طلعت السادات عليها وعدم تضامنها معه فى سجنه أقول: إن طلعت السادات يشكك فى نزاهة جمال (أخى)، ليس هذا فقط وإنما يتهمه أيضا بالعمالة وأنه باع دم أبيه، وهذا أسلوب نحن غير راضين عنه، فكيف تسأل السيدة جيهان السادات عنه بعد ذلك؟ وأضافت: أقول لطلعت السادات، أنت أسأت لنفسك و..اترك (أسرة) السادات فى حالها لأنها هى التى تمثل الرئيس السادات وأذكرك أن والدى أنور السادات كان يطلق على جمال الأسد لأنه وحيد على٦ بنات، ونحن فخورون به وتابعون له وهو الذى يتكلم بلساننا، وهو الامتداد لأنور السادات، ثم أردفت فى جملة ذات دلالة : والإساءة لجمال هى إساءة لعمك أنور السادات شخصيا.

ولم تتوقف رقية عند تلك التصريحات البسيطة فأدلت بتصريحات فى كافة وسائل الإعلام وظهرت فى برنامج «على نار هادئة» لتشن الهجمات ضد طلعت ولم تهدأ حتى تم سجنه، حيث اعترضت فيها على ما أسمته اختراعات ابن عمها، مؤكدة أن مثل هذا الكلام عيب ولا يصح، ومنتقدة ما وصفته باستغلال طلعت لاسم عمه فى معاركه السياسية. وأكدت رقية أنها تعرضت للابتزاز من ابن عمها اثناء قيامها برفع دعوى لابنها أشرف ضد أبيه وزوجها الدكتور أمين عفيفى، إلا أنها واجهت ذلك الابتزاز من طلعت ووصفته بالاسترزاق باسم أبيها. ولكن هل انتهى طلعت بعد عودته إلى الحياة السياسية من الابتزاز الذى وصفته به محكمة القيم، والإجابة أنه لم ينته بعد فمنذ عام تقريبا فى يوليو الماضى شنت رقية السادات هجوما ضاريا ضد طلعت بسبب استغلاله لاسم عمه فى معاركه السياسية وقالت: إن طلعت تاريخه ملوث مشيرة إلى شطبه من قوائم الموردين المتعهدين بعد قيام وزارة التموين بوقف التعامل معه عندما كان رئيسا للشركة العربية السويسرية للمشروعات والتنمية. كما أصدر جمال السادات بيانا يندد فيه بالخلط بين ابن عمه طلعت وبين شخصية الرئيس الراحل، وقال إن والده الراحل لم يترك توكيلا لابن عمه ولا لغيره بالتحدث نيابة عنه، ولهذا لا يجوز لأحد أن يتاجر باسمه أو يدعى صفة شخصية فى الحديث نيابة عنه.

وفى حوارها مع قناة المحور قالت رقية السادات إن ما نادى به طلعت السادات، من إجراء تحقيق دولى حول مقتل السادات، هو أمر ليس له حق فى المطالبة به وقانونا ليس له الحق فى ذلك طالما أننا نحن أبناؤه مازلنا على قيد الحياة.. مؤكدة أن طلعت يطالب بأشياء ليست مستساغة عقليا، وأنه يريد عمل فرقعه إعلامية يخدم بها مصالحه السياسية هو وشقيقه. لكن المؤسف أن يحاول خدمة مصالحه السياسية على حساب تاريخ الرئيس الراحل أنور السادات. واتهمت رقية السادات ابن عمها محمد أنور عصمت السادات شقيق طلعت بأنه قام بشراء بيت السادات فى ميت أبوالكوم من السيدة جيهان السادات وبالاعتداء على حقوق بنات السادات رقية وكاميليا وراوية، لأنه من المفترض أن يشترى المنزل من الورثة جميعهم، ولذلك فإنها قامت برفع دعوى قضائية لوقف عملية البيع من الأساس لأن الأمر بهذه الصورة هو متاجرة بتاريخ أنور السادات وهو ما لن تسمح به رقية وشقيقاتها.وكانت أسرة الرئيس الراحل محمد أنور السادات قد أكدت أن طلعت عصمت السادات لا يمثل أسرة الرئيس الراحل وليس متحدثا باسم العائلة.

وحول بيت ميت أبو الكوم المذكور والذى رفعت رقية دعوى لإبطال عملية بيعه لابن عمها قالت رقية: لقد تم بيع البيت تم دون أن أعرف، وبالتالى غضبت جدا. وكان لابد من موافقتى وموافقة راوية وكاميليا، وهذا لم يحدث. لذلك رفعت قضية على المشترى لأن هذا تاريخ أنور السادات وما كان يجب التفريط فيه، وجمال أخويا نفسه فى أحد البرامج التلفزيونية أعلن أسفه وندمه على موافقته على بيع البيت. وعندما رفعت القضية نما إلى علمى أن جهة خارجية تنوى شراءه، وللأسف أن من فعل ذلك هو ابن عمى. وأكاد أسمع لسان حالها وهى تضيف وعلى رأى المثل: أنا وأخويا على ابن عمى.. مش كده ولا إيه؟!!

حتى السفير الأمريكى

لم تتوقف معارك رقية السادات من أجل سيرة والدها عند حدود، ويبدو أنها تنفذ حرفيا مقولتها أنها نذرت نفسها تماما لتلك السيرة، ومما ساعد على ذلك أن والدها كان شخصية مثيرة للجدل، اختلف عليها ومعها كتاب ومفكرون ومؤرخون وساسة وزعماء. وفى السطور القادمة نستعرض ما فعلته رقية مع السفير الأمريكى.

نعم، لقد طالبت رقية السادات ابنة الرئيس الراحل أنور السادات فى رسالة عاجلة أرسلتها إلى السفيرة الأمريكية بالقاهرة، بالرد على التقرير الصادر مؤخرًا عن المخابرات الأمريكية، والذى اعتبرت أنه شوّه صورة والدها.

وأعربت فى رسالتها عن استيائها وغضبها الشديد من تقرير سى آى إيه، الذى تناولته وسائل الإعلام فى العالم العربى والغربى مؤخرًا، والذى تزامن مع احتفال مصر بعيد تحرير سيناء.

وكان موقع المخابرات الأمريكية الإليكترونى قد نشر أجزاء من تقرير يحمل عنوان: «السياسة الخارجية المصرية فى الثمانينيات»، كتب عام ١٩٨١ وبدأ رفع السرية عن أجزاء منه بداية من نهاية التسعينيات، أكد فيه أن الزعيم الراحل كان غاضبًا من تخلى تل أبيب وواشنطن عن تعهداتهما فى كامب ديفيد، وإن كان يشعر بتبدد آمال عريضة بمضى الوقت.

وأوضح التقرير أن السادات فكر أكثر من مرة فى قطع علاقته بإسرائيل قبل اغتياله بـ ٧ أشهر، وأنه كان يمكنه قطع علاقته بإسرائيل بعد انسحابها من سيناء الذى كان مقررًا الانتهاء منه فى يوم ٢٥ أبريل من عام ١٩٨٢م، وفقًا لاتفاقية كامب ديفيد المبرمة بين البلدين سنة ١٩٧٩م.

وشدد التقرير الذى أزعج نجلة الرئيس الراحل على أن السادات كان سيلقى بمسألة تطبيع العلاقات مع إسرائيل فى عرض البحر، إذا لم تظهر تل أبيب مرونة كافية تجاه القضية الفلسطينية، وأن يكون طريق السلام بين العرب وإسرائيل بعد ذلك عبر مصر، وليس من خلال اتصالات منفردة بين إسرائيل وواشنطن من جانب وأى دولة عربية أخرى من جانب آخر فى إشارة للأردن حينذاك.

وهيكل!!

ربما لم تقف رقية السادات أمام هيكل فى المحكمة، لم ترفع ضده دعوى كمادتها، ربما لأنها كانت بعد صغيرة حين أصدر هيكل كتابه الشهير خريف الغضب. إلا أنها لا تفوت فرصة دون أن تعرض بهيكل وبكتابه الذى كتب، وشهادته التى أدلى بها أمام التاريخ، إن صدقا أو زورا. وكانت رقية ترى أن ما كتبه هيكل عن والدها لا يخرج عن كونه حقداً شخصياً وتجريحاً وتجاوزاً، على حد تعبيراتها، وتقول رقية: لا يليق بكاتب كبير أن ينزلق فيما كتبه. فقد كان هيكل المستشار الأوحد للرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وعندما جاء والدى رئيساً للجمهورية توقع هيكل أن يكون المستشار الأوحد لوالدى، لكن والدى لم يكن قريبا من هيكل إلا بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر، وكان يريد أن يمارس نفس السلطات التى كان يمارسها أيام الرئيس جمال عبد الناصر. إلا أن والدى رفض ذلك ولم يأخذ هذه الفرصة، فأى كاتب إذا استعان بكتاب هيكل عن

والدى سيكشف هذا الحقد، وبالتالى تنتفى صفة الحيادية والمصداقية التى أشترط وجودها فى أى عمل يتناول حياة والدى وسيرته الذاتية بما له وما عليه.

دراما مذكرات رقية ودراما السينما

رقية لا تكف عن ذكر أنها تعد لمذكراتها التى ستقوم بنشرها قريبا، ولكن «قريب»ا هذا لا يأتى أبدا، ويوما بعد يوم وسنة وراء سنة تتكشف حقائق وأحداث جديدة بشكل يشكك فى قدرة أية مذكرات على إضافة الجديد. موقع أولاد البلد كان قد أجرى حوارا مطولا مع رقية، حيث تلقت سؤالا حول تلك المذكرات التى لا تنتهى أبدا. وهنا كشفت رقية عن أسرار، إن صحت، فإننا نتوقع أن تحدث تلك التفاصيل ضجة تكفى سنوات قادمة، حيث تقول رقية: أنا عازمة على كتابة مذكراتى بشكل مفصّل، أتعرض فيها إلى ما لم يعلمه الناس عنى وعن الرئيس الراحل أنور السادات.ليس صحيحا أن كل شىء عن والدى أصبح معروفا، ومذكراتى سوف تكشف المستور فى حياة الرئيس (وفى مماته)، وإلا كيف تكون مذكرات وهى لن تسرد جديدا؟، حياة الرئيس فيها الكثير مما لا يعلمه الناس، وقد بدأت فى كتابتها عندما استشهد الرئيس الراحل أنور السادات، ومازلت أدون فيها حتى هذا الوقت، وسوف تصدر قريبا فى السوق وأتوقع أن تُحدث ضجيجا فور صدورها.وتستطرد رقية: لا توجد مبالغة فى كلامى أو حديثى، فالمذكرات التى أكتبها بدأت فى تسجيلها منذ أكثر من ربع قرن، فهى ليست مرتبطة بشخصى، بقدر ما أنها مرتبطة فى المقام الأول بحياتى مع حياة الرئيس أنور السادات.والمذكرات سوف تحمل الكثير عن علاقات والدى بالقوى السياسية الموجودة آنذاك أو ما يسمى بالجبهة الداخلية، وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين، وفى القلب من هذه الجبهة المؤرخ محمد حسنين هيكل.كما أفرد فى هذه المذكرات جزءًا كبيرا عن الرئيس المؤمن فى تدينه وصومه الثلاثة أشهر الحرم، واعتكافه فى مسقط رأسه بميت أبو الكوم طوال شهر رمضان، وتسجيله للقرآن الكريم بصوته على شرائط كاسيت، علاوة عن الحديث عن انضمامه لإحدى شعب الإخوان.كما أعلنت أنها ستنشر معلومات جديدة عن علاقة والدها بالمذيعة همت مصطفى (همت يا بنتى) التى أشيع أنهما تزوجا عرفيا عند البعض ورسميا عند البعض الآخر وسرا عند الجميع (جميع من روجوا للشائعة) فتقول إن هذا غير صحيح على الإطلاق، فالرئيس لم يتزوج همت ومن قال ذلك عنه كان يقصد تشويهه، فهى كانت متزوجة آنذاك، فكيف لها أن تتزوج بآخر؟.

مهتمة رقية إذن بسيرة والدها وربما لا يشغلها سواها حاليا، ولذلك كانت حريصة على أن تدلى برأيها فى فيلم أيام السادات فشكرت بدبلوماسيتها صانعيه إلا أنها قللت من قيمة أحداث الفيلم، وهذا بطبيعة الحال لمن يجهز مذكرات منذ سبعة وعشرين عاما.

وترى رقية أن الفيلم لم يجسد سوى القليل القليل من حقيقة الرئيس، وتذكر أنها قالت للراحل أحمد زكى أنه من الجفاء أن ننقل حياة الزعيم فى أربعين عاما مختصرة فقط فى ثلاث ساعات، ولكنها تستدرك كعادتها: يحسب للفيلم أنه استطاع أن ينقل ما صنع الرئيس الراحل للشباب بعدما خلت الكتب المدرسية من سيرته، كما يحسب للفيلم نقل معاناة الرئيس طوال حياته حتى بعد الممات، غير أن الفيلم وقع فى محظور أنه قام بأداء تمثيلى لخطب الرئيس مما أفقده بعض الحيوية.

رقية لا تكتفى بإدلاء رأيها فى الأعمال الدرامية التى تتناول سيرة والدها وإنما تجعل من نفسها رقيبة على تلك الأعمال، وتهدد باستغلال إمكانيات وسلطات مجهولة لا تكشف عنها لإيقاف أى عمل درامى يتناول سيرة والدها. فتقول إنها إذا عرض عليها سيناريو أية أعمال عن السادات فإنها سوف تقرأ السيناريو بعين الابنة وبعين أنها شاهدة على عصر والد وحياته سواء فى فترات الكفاح أو الانتصارات، ثم تردف كعادتها ولست وحدى التى ترفض أو توافق فلابد من موافقة طنط جيهان وأشقائى أيضا. وإذا تم إنتاج مسلسل دون قراءتى للسيناريو فلن ألجأ للقضاء، بل سوف أوقف العمل فورا بدون قضية (وأنا لدى من الإمكانيات ما يجعلنى أفعل ذلك) فالرئيس أنور السادات شخصية تاريخية لابد أن يؤرخ له بكل حياد وموضوعية ولابد من آراء كل المحيطين به والاستعانة بالحقائق والمعلومات، وليس من الأهواء والأفكار المسبقة والحسابات الشخصية.

لم تكشف رقية عن تلك الإمكانيات التى ستوقف بها الأعمال الفنية دون قضاء!! لكن من الواضح تماما أنها كانت جادة فيما تقول.

حزب السادات

من المعروف أن أتباع عبد الناصر لهم حزب، بل ربما أكثر إذا اعتبرنا بتلك الأحزاب الرسمية التى تحمل اسما ناصريا أو ترفع صورة عبد الناصر وشعاراته، أما أنور السادات فليس له حزب، وربما هذا هو ما دفع طلعت السادات إلى تبنى فكرة إنشاء حزب ساداتى على غرار الحزب الناصرى، وهو ما تعارضه رقية!!

رقـيـة أنور السـادات ترفض أن يقوم طلعت السـادات بإنشـاء هـذا الحـزب لان هذا معناه تلقائيا أن ينفرد هو بالحديث باسم العائلة وهو ما دفعها للتصريح بأنها ترفض تماما هذا الكلام لأن طلعت ليس واجهة مشرفة لكى يعمل حزبا، هى قالت هذا، وتستمر: فالهدف هو المصالح الشخصية وليس تخليد اسم أنور السادات، وهذا غير مقبول منا جميعا حتى طنط جيهان ترفض. يشرفنى أن يكون هناك حزب باسم الرئيس السادات بشرط أن يكون خارج العائلة. ولكن إذا عرض على الانضمام لهذا الحزب سأقبل كعضوية شرفية فقط أما أن أكون عضوا عاملا فهذا مرفوض لأن المسألة بالنسبة لى مبدأ لأن والدى كان يرفض تماما أن يعمل أى منا بالسـياسة وأوصانا بهذا لأنه عانى من السـياسة وقتل بسببها ولكنى لا أستطيع أن أعمل بالسياسة على الرغم من الجينات الوراثية.

■■■

راويـــــة

العكس صحيح

«يا بابا وصيتى الوحيدة هى ماما وأولادى..
لو واحد منهم تعب ولا اتبهدل
من بعدى مش هسامحك

راوية السادات لأبيها
عقب تعرضها لحادث سيارة»



□□

■■

على عكس رقية التى تحدثنا عنها سابقا وكاميليا التى سنتحدث عنها لاحقا كانت راوية الابنة الوسطى للسادات من السيدة إقبال ماضى.

حملت السيدة إقبال فى ابنتها راوية قبيل إلقاء القبض على الرئيس فى قضية مقتل أمين عثمان وكان ميلادها عام ١٩٤٧، ومنذ اللحظة التى أنجبتها أمها وهى ملتصقة بها، ويبدو أنها قررت أن تنذر نفسها لأمها كما نذرت رقية حياتها لأبيها.

لم تكن السيدة إقبال رئيسا ولا زوجة لرئيس حتى، بل طليقة له، ولذلك فإن تلك السيدة الطيبة الضعيفة الأمية ليس لها خصوم ولا أعداء ولا من يتهمها بشىء، ومن ثم كان ارتباط راوية بها يستدعى أن تبقى دائما فى الظل.

إنها لا تظهر فى وسائل الإعلام، ولا فى المذكرات، ولا أمام القضاء، كما أنها لا تكتب المذكرات، ولم تفارق أمها وبالتالى لم تهاجر.

لم تتعامل راوية على الإطلاق باعتبارها ابنة للرئيس، وهى تفضل عدم الحديث عن هذا الأمر، وذات مرة كانت حاضرة لحفل عيد ميلاد أحد أقاربها، وحضره صحفى من مجلة تصدر بالخارج، فنشر بعض ما سمعه فى الحفل، وربما زودها حبتين، خاصة وأنه نسب الكلام للسيدة إقبال وقال إنها تتهم السادات بعدم الوفاء وتتهم هيكل بالكذب وما إلى ذلك.

هذا الحوار استدعى جدلا طويلا، غير أن أكثر ما أزعج رقية هو أن الحفل كان خاصا، وأن الصحفى لم يكن موجودا بصفته الصحفية، بل كان مدعوا كغيره من الضيوف، لم تناقش ما كتبته المجلة، كانت فقط تدافع عن خصوصيتها وعزلتها عن الأضواء.

تصورى الشخصى أنها لم تكن معنية بكل القضايا التى فجرها الحوار، لا يهمها هيكل ولا غيره، كان اهتمامها منصبا على أمها التى عاشت حياة ربما لا تستحقها. خاصة وأنها، الأم،

ابنة عمدة كان حاصلا على البكوية رسميا، وعاشت طفولتها مرفهة منعمة فى بيت يضج بالخدم والحشم.

إن هذه السيدة، راوية السادات، التى لم تتكل يوما على كونها ابنة رئيس الجمهورية وعكفت طوال حياتها على العمل والاعتماد على الذات والإيمان بأن الإنسان بعمله وأخلاقه كما أنها أيضا لم تتاجر يوما بوضعها كابنة للرئيس.وبحسب الصحفى أحمد فرغلى فإن معاش السيدة راوية السادات عن والدها لا يعدو ١٨٠جنيها.. أما حقهم فى مخصصات رئيس الجمهورية بعد وفاته فهى ١٠آلاف جنيه مخصصات الرئاسة.. ألفا جنيه من وسام نجمة سيناء.. وإنهم تقريبا لم يأخذوا نصيبهم من إرث السادات.. ومع ذلك لم ينشروا أى معلومات لا للفضائيات العربية ولا للجرائد الصفراء مع ما تعرضه من أموال طائلة ولكنهم فضلوا الحياة بكرامة عن المتاجرة بحياة والدهم..

ولا تكاد راوية تظهر فى حياة السادات، غير أن الواقع يقول إنها كانت تتألم لهذا الجفاء القائم وبحسب السيدة إقبال ماضى فإن هذا الجفاء دفع (راوية) إلى معاتبته بصراحة وجرأة.. وسألته لماذا لا يسأل عنها وعن شقيقتها بينما حضر حفل زفاف ابن إحسان عبد القدوس.. فى عز (الصراع مع إسرائيل) ربما.. كان ذلك الإحساس هو الدافع الأول وراء التحول الذى طرأ على تركيبة البنت إذ أصبحت أكثر اعتمادا على نفسها..!هكذا كان شعور البنات.. ربما لأنهن لسن زوجات.. ولأن الابنة لا تقبل بسهولة أن يذهب والدها لأى امرأة أخرى حتى لو كن أخوات لها..!وفى تقديرنا أن الرئيس الراحل لم يكن جافيا مع بناته بقدر أنه لم يكن يرغب فى وجع الدماغ، حتى إنها زوجها صغيرة مع أختها كاميليا عام ١٩٦١، سرعان ما انهار هذا الزواج ليعود فيزوجها من شاب سكندرى مجهول الهوية، وجد فى مصاهرة السادات فرصة للثراء، فقد تقدم نهاية ١٩٧٤ لخطبة ابنة الرئيس، ووافق السادات، وسافر الزوجان إلى روما لقضاء فترة شهر العسل، وعند العودة اكتشفت راوية أن الزوج لا يملك شقة للسكن فحل السادات تلك الأزمة، ولأنه مجرد مغامر طموح، بدأ يستغل اسم الرئيس السادات فى مناقصات وحصل على مشروعات كبيرة من الدولة، بحسب أحمد فكرى فى جريدة الدستور واستغل اسم الرئيس الذى بدأ نجوميته بعد حرب أكتوبر فى أوروبا، ولما علمت ابنة الرئيس هددته بإبلاغ والدها فاختفى تماماً حتى كلف السادات (عبده الدمرداش من الحرس الجمهورى) بإحضار العريس النصاب وأرغمه على طلاق ابنته.

إن راوية نموذج مثالى للمرأة المصرية المنكسرة حتى إنها فى يوم أصيبت فى حادث سيارة وكانت حالتها خطيرة وأجريت لها عملية دقيقة وبعد أن افاقت من التخدير طلبت رؤية والدها.. وظن الجميع أنها تقترب من النهاية، وكان الرئيس وقتها فى زيارة طويلة للجيش الثالث وعندما أخبروه عاد مسرعا بطائرته وحضر إلى (راوية) وقبلها بحنان وتحدثت إليه بصعوبة بالغة.. وقالت (بابا وصيتى الوحيدة هى ماما وأولادى.. لو واحد منهم تعب ولا اتبهدل من بعدى مش هسامحك) فصمت السادات قليلا وبدا متأثرا للغاية ثم داعبها قائلا: (هو عزرائيل هيقرب من الأشكال العفشة اللى زيك) فانفجر الحضور بالضحك.. ويومها داعبته السيدة إقبال قائلة (أنا شريكة لك فى نصر أكتوبر من ناحيتين الأولى وقوفى إلى جوارك كزوجة فى سنوات المحن.. والثانية دعائى لك على عرفات).. وبذكاء شديد قال لها: (إنت صاحبة النصر كله).

■■■

كـــامـــيـليـــا

«كاميليا قصتها حرقت قلبى»

السيدة تحية زوجة
الرئيس عبد الناصر
متوجهة بالحديث لأعضاء
مجلس قيادة الثورة



□□

■■

يـقولون إن آخر العنقود سكر معقود، وآخر العنقود كما هو معروف فى مصر هو أصغر الأنجال، وفى مصر كانت هناك عادة وهى الإنجاب الكثير للأطفال، كان من العادى أن يكون للرجل وزوجته سبعة أو ثمانية أطفال، وربما أكثر، ولذلك كان شعور الوالدين تجاه الطفل الأصغر متميزة ربما لأنه آخر قدرة للوالدين على الإنجاب، أو لأن فارق السن بين الوالدين والطفل يكون كبيرا جدا، وبالتالى فإن فرصة مشاهدة هذا الطفل يكبر ويتزوج وينجب تصبح أقل، صحيح أن الأعمار بيد الله لكن السن له أحكام. كما أن كثيرا من الأسر المصرية القديمة نجد الابن الأصغر بها أقل عمرا من ابن أخته أو أخيه أو فى نفس عمره. وبالتالى تصبح له نفس معزة الحفيد، وكما يقولون فى مصر إن أعز الولْد ولِد الولد. أى أن أكبر معزة هى معزة الأحفاد.

ولذلك كله فإن المثل المصرى يقول إن آخر العنقود سكر معقود، لكن هذا المثل لم يقل لنا هل يتضمن أيضا آخر العنقود لزوجة مطلقة، جاءت بعدها زوجة أخرى وليست أى زوجة، فنحن نتحدث هنا عن السيدة جيهان رؤوف صفوت الشهيرة باسم جيهان السادات.

نشك فى ذلك، فمن خلال مسيرة حياة السيدة كاميليا السادات سنجد أنها كانت معاناة ما بعدها معاناة. ربما كانت هى نفسها سكر معقود، أما حياتها فقد كانت أمر من الحنظل. غربة، وزيجات فاشلة من أزواج نصابين، وإفلاس، وتعرض للاغتصاب، وابنة وحيدة عاقة هجرتها وحيدة، وياله من مصير لابنة رئيس جمهورية كان يحب بتشبيه نفسه بالفرعون، ودنيا!!!!!.

كاميليا السادات كانت نجمة ثقافية واجتماعية متألقة أينما حلت بها الرحال بين الأمريكيين وفى الخارج، منذ تركت القاهرة فى ١٩٨١ لتتخرج من جامعة بوسطن بمادة الإعلام التى سبق أن درستها فى جامعة القاهرة.. كانت شهيرة ومحدثة لبقة ومحاضرة،

يدفعون لها ٢٠ وأحيانا ٣٠ ألف دولار عن المحاضرة الواحدة. وكانت أستاذة جامعية وداعية سلام بين العرب والإسرائيليين، أسست لدعوتها مركزا باسم والدها الرئيس المصرى الراحل قتيلا فى ١٩٨١ خلال عرض عسكرى بالقاهرة. إلا أن المركز بلا أى نشاط منذ سنوات، بل كل نشاط كان فى كاميليا تقلص وذوى، لأن مرضا عصبيا تبرعم فى خلايا دماغها فجأة قبل ١٠ سنوات، وعبث بها فشلها عن التناغم، ففقدت الكثير من مخزونها العقلى، وراحت تترنح من نوبات شبيهة بما يحدثه الصرع تقريبا «بس ما كانش صرع أبدا، إنما نوبات شبيهة» وفق تعبيرها فى حوار أجراه معها الصحفى كمال القبيسى لـ الشرق الأوسط بعد عودتها للقاهرة بعد ٢١ عاما أمضتها فى بوسطن، بولاية ماساتشوستس الأمريكية. نوبات الصرع حملت كاميليا إلى علاج مكلف، وإلى مستشفى خضعت فيه لعملية فى ١٩٩٣ بالمخ، لكنها لم تنجح كما ينبغى، لذلك واجهتها مضاعفات وصعوبات على كل صعيد، فابتعدت عن الناس، وخسرت البيت الذى كانت تملكه هناك، بعد أن رهنته لدفع تكاليف العلاج ولم تسدد ما اقترضت.

كاميليا مع أنها ليست غادة

ما الذى أوصل كاميليا إلى هذه الحالة، هل أصابتها لعنة الاسم، إننا نلاحظ أن هذا الاسم يقترن فى أذهاننا بالكوارث القدرية الكبرى، سواء من خلال الأعمال الدرامية أو السينمائية أو حتى الحقيقة. غادة الكاميليا، كاميليا بطلة فيلم حافية على جسر الذهب، كاميليا الأصلية الحقيقية (الممثلة الشهيرة التى راحت ضحية الملك فاروق كما يقال)، كاميليا فى فيلم أحلام هند وكاميليا. كلهن تعرضن لمحن قدرية تشبه لما حدث للسيدة كاميليا محمد أنور السادات.

«لقد تزوجت (جيهان) والدى حين كانت أمى حاملا فىّ» هكذا تبدأ كلمات كاميليا فى سرد قصة حياتها لمجلة كل العرب فى ٩ أكتوبر ١٩٨٥. وتستمر كاميليا قائلة:

لم أعرف أن جيهان هى زوجة أبى إلا حين بلغت العاشرة أى حين ذهبت لأعيش معها ومع أبى، وكانت أمى تردد ما يقوله أبى من أن (تانت جيهان) هى بمثابة الأم لنا جميعا كانت علاقتنا طيبة جدا لأنها لم تكن تسىء معاملتنا أبدا. انفصل أبى عن أمى أواخر عام ١٩٤٨... خرج أبى من السجن وبعد ذلك بشهرين أو بثلاثة شهور خطب (تانت جيهان) ثم طلق أمى بعد ذلك، أى إن الطلاق حدث قبل زواجه بجيهان !! ذهب أبى إلى أمى ليخبرها عن اعتزامه

الزواج بامرأة أخرى فقالت له : بعد تسع سنوات معك وأنت تدخل السجون والمعتقلات تأتى لتقول لى انك ستتزوج ؟فقال لها: إن هذا من حقه شرعا فقالت له: افعل ما يروق لك! إن أمى كأى أمراة مصرية تقبل بالنصيب والقسمة والمكتوب وتسلم أمرها لله ولذا فإنها قبلت!! الأمر المؤكد الذى عرفته من أمى هو أنها لم تطلب الطلاق!! أما لماذا طلقها أبى فذلك أمر فى علم الله والأمر المؤكد أيضا أن أمى حافظت على أبى بعد الطلاق. لقد علمتنا أن نحبه وحالت دون وجود أى إحساس بالمرارة فى قلوبنا مما حدث أما فى مذكراتها التى صدرت بعنوان (أبى وأنا) والتى قامت صحيفة الوفد بتقديمه وعرضه ابتداء من مارس ١٩٨٧ فقد كان أبرز ما قالته كاميليا هو:

فى صيف عام ١٩٤٨ تمت محاكمة أبى وأعلنت براءته وقبل نهاية العام أعلن أنور نبأ علاقته مع جيهان وأنه يريد أن يتزوجها مع الاحتفاظ بزوجته الأولى إقبال وبدأت المناقشات بينهما تتزايد حول رغبته فى الزواج من جيهان ورغم أنه كان بالإمكان التوصل إلى حل إلا أنه ظل بعيدا عن المنزل لمده أربعة شهور وبعدها جاء شخص لتبليغ إقبال نبأ الطلاق ويسلمها ورقتها الورغم كل الآلام والأحزان داخلها من هذا الزوج الذى تركها رغم ما فعلته من أجله، إلا أنها أخفت حزنها داخلها وكانت تتساءل عن السبب فيما حدث؟! لقد قالت لى فيما بعد إنها حقا لا تفهم لماذا طلقها أنور خاصة بعد أن تنازلت عن كبريائها ووافقت على زواجه بامرأة ثانية!! ورغم كل ما حدث فان إقبال أمى كانت تقضى وقتها فى الانتظار أن يعود إليها زوجها وحتى مع أنه لم يعد إلى أنها لم تتحدث يوما عنه بسوء، ولم تسمح لأحد بالتحدث عنه بسوء وكانت تملأ جدران المنزل بصوره فى كل حجرة!! وفى ١٠ يوليو ١٩٤٩ شعرت أمى بآلام الوضع.. وبجانبها كان الطبيب وعدد أخر من السيدات بينهن (حماتها) (ست البرين) وأخيرا جئت إلى الدنيا أنا كاميليا.

وتتذكر أمى تلك اللحظة وتقول أن هؤلاء السيدات اللاتى وقفن إلى جوارها ظهرت على وجوههن إمارات الهلع وأنها هى ذاتها نظرت للطفلة التى وضعتها منذ لحظة ما هذا هل جئت بقرد صغير.. لقد كنت شديدة السواد. وعندما حضر أبى ليرى طفلته الثالثة نظر إلى، ثم قال موجها حديثه إلى أمى قائلا : لماذا حملتها تسعه أشهر.. أنها تبدو وكأنها أخذت أكثر من حقها ولكنها تبدو قريبة الشبه لى !! وتقول كاميليا : كنت أنا الطفلة الوحيدة من بين أطفاله السبع التى ورثت لون بشرته الأسود ومن أهم وأخطر دلالات ما ترويه كاميليا السادات عن والدتها السيد إقبال القصة التالية : فى عام ١٩٧٢ عندما أدت فريضة الحج عادت إلينا لتقول : لقد

ذهبت إلى هناك لكى أعلن أمام الله إنى سامحت أنور وجيهان على ما فعلا بى وطلبت من الله أن يسامحهما وكانت تقول،أى إقبال، أنها تنتظر يوم القيامة يوم يقف كل رجل ومعه زوجته الأولى أمام الله للحساب وتقول إن هذه هى اللحظة التى سيكون قد عاد فيها أنور إليها، فى عام ١٩٦١ كانت أهم محطة فى حياة كاميليا، كانت فى السنة الثانية عشرة. كانت ما تزال طفلة وجاء من يطلب يدها من والدها!!

كان ضابطا وكان ابن لواء سابق بالجيش، اسمه عز الدين عطية. وتقول عنه ابنة الرئيس: لا أريد أن أذكر اسمه. هذا الاسم يزعجنى حقيقة، فقد عشت معه كأننى فى الجحيم، ورزقت منه ابنتى الوحيدة، إقبال.. عمرها الآن ٣٧ سنة، وتعيش فى بوسطن، وهى مدير عام لمكتب محاماة أكبر شركة تأمين، وتتقاضى أكثر من ٧٠ ألف دولار فى السنة، بس أنا ما شفتش منها ولا مليم.. تركتنى أواجه مصيرى بمفردى.

لا تملك كاميليا تفسيرا لموقف ابنتها تجاهها لكنها تعزى ذلك لعوامل الوراثة! فتقول: يا حبيبى، إنت ما تقدرش تتحكم بالأعمال الوراثية. دى أبوها مجنون، وكان حامل ماجستير بالإحباط.. كان بيضربنى، وأخوه كان مجنون ومات بالقميص، عايزنى أعمل إيه، دى قسمتى.عندما جاء ابن اللواء المحبط لطلب يدها، كانت شقيقتها الأكبر راوية قد تقدم لها عريس هى الأخرى، وربما أراد الأب أن يتخلص من وجع الدماغ فقرر أن يزوج البنتين مرة واحدة، لكن كانت هناك مشكلة وهى أن الابنة الصغرى لم تكن قد وصلت للسن القانونية بعد وهنا تبلغ الدراما ذروتها.

تزوير فى أوراق رسمية

تروى السيدة كاميليا محمد أنور السادات مأساتها، قالت تفاصيل مرعبة لو لم تشاهدها بنفسك وهى تقول ذلك عبر شاشة التليفزيون لما صدقت أن هذا الكلام يمكن أن يحدث إلا فى الأفلام والأحلام، عفوا نقصد الكوابيس، ومن خلال برنامج «الحقيقة» الذى قدمته قناة دريم وأداره الصحفى وائل الإبراشى انطلقت كاميليا:

بابا، أنور السادات، قال للمأذون إن شهادة ميلادى ضاعت وأن سنى مطابقة للسن القانونية، وعندما سأله المأذون عن هوية الشاهدين على هذا الكلام نظر عبد الناصر إلى السادات وقال له: جرى إيه يا أنور؟ هو فيه رئيسين فى البلد وأنا مش عارف؟ وهكذا عقد المأذون قران الصغيرة فى مشهد أقرب ما يكون لمشهد من فيلم الزوجة الثانية حين يقرر

العمدة أن الورق ورقنا والدفاتر دفاترنا وليس لأحد أن يسألنا. لقد زوروا فى أوراق رسمية لكى تتزوج المسكينة وتنهار طفولتها، على حد تعبيرها، مع رجل يعانى مشكلات نفسية، بحسب شهادتها.

وتروى كاميليا جانبا مؤثرا من قصة زواجها، فقد كان أعضاء مجلس قيادة الثورة مدعوين للغداء فى بيت الرئيس عبد الناصر، فهاجمتهم السيدة تحية زوجة الرئيس عبد الناصر على فعلتهم وقالت لهم:

والله أجيب لكم بوكس بوليس تشيلكم كلكم (أحضر لكم سيارة شرطة تلقى القبض عليكم جميعا)،كاميليا قصتها حارقة قلبى!!

تفسر الابنة المنساقة قسرا وقهرا «للقفص» موافقة والدها على ذلك الزواج بأنه كان نتيجة ضغط من السيدة جيهان السادات، بل اتهمتها باتهامات خطيرة إذ قالت: هى (جيهان) كانت تضغط عليه كما يبدو، باعتبار أن راتبه لم يكن يغطى مصاريفه العائلية، وأنت تستطيع استنتاج الباقى.هى ضغطت عليه، وكانت تقوم بأعمال سحر لتسيطر على عواطفه، وهذه كلها بشهادة القاضى عبد الرحمن الأريانى، اسألوه، فقد ذكر لى أنها كانت تسافر إلى اليمن لتقوم بأعمال سحر لتسيطر عليه من جانبها هناك. وهى على أى حال لم تكن تعرف الطبخ، وفى إحدى المرات اخترع والدى نكتة عنها. قال أبويا، الله يرحمه، إنه طلب منها أن تطبخ له مكرونة فى احدى المرات، فقامت ونقعتها بالمية، علشان تبتل وتشوفها طرية فى اليوم التانى.

هامش مهم:

نفتح قوسين لنذكر أن القاضى المذكور هو القاضى عبدالرحمن بن يحيى بن محمد بن عبدالله الأريانى وكان مولده فى حصن اريان بمحافظة إب باليمن فى غرة جماد الآخر ١٣٢٨هـ(١٩١٠م). وهو زعيم دينى وسياسى، عضو مجلس قيادة الثورة اليمنية ١٩٦٢، ثم وزيراً للعدل من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٤. شارك فى مراحل النضال الوطنى ضد الإمامة.

من الواضح أن كاميليا كانت تكن كل مشاعر الحب لزوجة أبيها، ما علينا، المهم أن هذه الزيجة العجيبة لم تكلل بالنجاح طبعا، وتروى السيدة الطفلة أن زوجها كان يعاملها كما يعامل الضابط أحد عساكره، فكان يضربها ويهينها، وكان الأمر يصل إلى حد التجويع، مما يجعل الوالد يمنحها نقودا فى السر حتى تشترى بها طعاما.

وتذكر أنها كانت تشكو لوالدها من سوء معاملة زوجها لها ومن ضربه. ثم تروى، ساخرة، رد فعله إزاء ذلك فتقول: شوفوا السادات رجل السلام (فى البيت) كان بيعمل إيه؟ كان زوجى يأتى فيسأله: بتضربها ليه؟ فيقول له: أصلها يا افندم طفلة بتهزر (تلعب) كتير، فيأمرها والدها بالانصراف إلى بيت زوجها.

وروت كذلك عن تعرضها للإجهاض مرتين بسبب صغر سنها وعدم نضج رحمها بعد، وقالت إنها لكى تتجب ابنتها اضطرت إلى البقاء خمسة أشهر راقدة على ظهرها رافعة أقدامها على مخدات، مع تناول حقن تقوم بتثبيت الحمل!!

عانت كاميليا كثيرا فى هذا الزواج، وعندما وصلت إلى سن ٢١ عاما كان أبوها يخوض استفتاء الرئاسة، فنشرت الصحف لها صورا وهى تعطى صوتها، (سؤال من خيال مؤلف هذا الكتاب: ترى هل منحت صوتها لأبيها؟) المهم أن هذه الصورة أوحت لها بأنها بلغت ٢١ عاما، أى وصلت إلى سن الرشد وأصبحت مسئولة عن نفسها. وتقول: قمت بالاتصال بفوزى حافظ سكرتير والدى وطلبت منه أن يخبره أننى وصلت إلى سن الرشد واذا لم يطلقنى والدى من زوجى فسوف أقوم برفع دعوة للطلاق!!

وهكذا تم الطلاق ورحل زوجها من حياتها بشخصه لكن آثاره ظلت لسنوات طويلة وربما ما تزال ممتدة حتى الآن.

وسرعان ما تعرفت كاميليا على رجل أعمال سورى يدعى نادر بايزيد وأرادت الزواج منه، ولم يعترض السادات الذى ربما رأى فى الزواج فرصة لإراحة البال والدماغ من هم البنات وزوجها له وعلى الفور أسس السورى نادر بايزيد شركة مقاولات، وحصل على مشروعات كبيرة ومناقصات كبرى من الدول باسم مصاهرة الرئيس، وجمع مبالغ كبيرة من الناس ثم بدأ يماطل فى السداد، وفى تسليم الشقق ولما علم السادات طلق ابنته منه وطرده من القاهرة نهائيا.

هكذا تقول الرواية الأكثر انتشارا. غير أن كاميليا نفسها لها تفسير آخر لما حدث فتقول:

تزوجت وأنا فى عمر ٢٦ سنة من شاب سورى، تعرفت إليه فى بيت الفنان يوسف وهبى، الله يرحمه، واسمه نادر بايزيد.لم يكن سوريا حقيقة. كان من حضرموت، من اليمن أصلا. والزواج لم يستمر أكثر من عامين على أى حال، فقد انتهى بالطلاق ومن دون أولاد، وما اعرفش هو عايش فين دلوقت.

لماذا كان هذا الطلاق السريع؟

تجيب: من الحسد والغيرة والتدخل.. الست جيهان لم تكن تطيق رؤيته يشترى أحلى الحاجات والهدايا والمجوهرات يحملها لى من أوروبا وغيرها، فكانت تؤثر فى الوالد، والوالد كان يضغط، حتى تم الطلاق من كترة «القر». فرحلت كاميليا إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن أثقلتها التجارب وجعلتها تقرر مواجهة الحياة بمفردها وعن تجربة الإقامة فى الولايات المتحدة قالت ابنة الرئيس السادات: اتخذت قرار السفر إلى أمريكا بعد أن وجدت أن صوتى لم يكن مسموعاً عند الآخرين خاصة بعد محاولة الانتحار التى شاهدتها فى أحد الأفلام السينمائية فقررت التعبير عن موقفى ورأيى فى تجربة الزواج بتلك الطريقة.كاميليا السادات كانت نجمة ثقافية واجتماعية متألقة أينما حلت بها الرحال بين الأميركيين وفى الخارج، منذ تركت القاهرة فى ١٩٨١ لتتخرج من جامعة بوسطن بمادة الإعلام التى سبق أن درستها فى جامعة القاهرة.. كانت شهيرة ومحدثة لبقة ومحاضرة، يدفعون لها ٢٠ وأحيانا ٣٠ ألف دولار عن المحاضرة الواحدة. وكانت أستاذة جامعية وداعية سلام.

غير أن الحياة أبت أن تبتسم لكاميليا فبعد سنوات من التألق حاصرتها الأمراض، وأحاطت بها ظروف غامضة حيث استأجرت شقة من ٧ غرف ببروكلين فى نيويورك، وهناك أقامت معها مضاعفات المرض، ولم تدع لها قوة لتكسب المال وتدفع، فطردوها من الشقة، لعدم قدرتها على تسديد الإيجار وتوابعه الكثيرة، لأنها خسرت وظيفتها ككبيرة الأساتذة طوال ٨ سنوات فى كلية بينتلى بجامعة بوسطن، ثم أعلنوا إفلاسها، وفوق ذلك كله تكاد تخسر الآن آخر ما تملكه من الماديات، وهى مفروشات فاخرة اشترتها على مراحل بأكثر من ١٠٠ ألف دولار، ومودعة لدى شركة تطالبها بحوالى ١٣ ألف دولار عن تخزينها فى أحد مستودعاتها، وإلا باعتها الشركة بالمزاد، لذلك فكاميليا حزينة طبعا «لأن بين المفروشات أشياء نادرة وغالية على قلبى.. فيها صور للوالد ما حدش شافها لسه.. واحدة منها وهو لابس نظارة، وبزجاجها انعكست قناة السويس يوم افتتاحها الأول بعد حرب أكتوبر.. عندى كمان القلم اللى وقع به معاهدة السلام فى كامب ديفيد مع مناحيم بيجن، وعندى تمثال نصفى له من البرونز، وهو جميل ورائع، وعندى وعندى، ويا خسارة تضيع الحاجات دى، مش كده برضه؟»

وتصف كاميليا اللحظة التى علمت فيها بمقتل والدها بعصبية مربكة للذهن «فقد كنت يومها فى بوسطن، وبالكاد كنت وصلت إليها قبل أسبوعين تقريبا من حادثة الاغتيال. وكنت أعيش هناك باسم كاميليا محمد، وقلة كانت تعرف أننى ابنة السادات، فجاءنى رجال من

مكتب المباحث الفدرالى (إف بى.آى) وجلسوا بقربى، وبعد قليل استعرضت فيلم فيديو معهم وهم صامتون، وفوجئت بصور العرض العسكرى.. رأيت شاحنة يترجل منها جنود ليقتلوا أبى بالرصاص على مرأى من العالم» كما تقول.وتذكر أن القنصلية المصرية فى نيويورك هى التى دفعت لها قيمة تذكرة العودة بالطائرة إلى القاهرة، وأن الحكومة المصرية لم تساهم فى علاجها إلا بمبلغ ٣٠ ألف دولار، والوالد لم يترك لها غير ساعة «بياجيه» بيضاوية وجميلة ومطرزة بالماس.. «دى هايلة وجميلة دى تمنها أكثر من مليونى دولار.. كان الرئيس السادات يتلقى هدايا كثيرة، والساعة جاءته هدية من شخص لا أعرفه حقيقة.. دى ساعة هايلة وجميلة، ما فيش زيها. رهنتها عند واحدة أميركية، بس رجعتها تانى، وبعديها اتسرقت.. سرقوها أولاد الحرام. اللى سرقتها واحدة ست، مش حاذكر اسمها دلوقت، هى عارفة نفسها».

إهانات ومحاولة اغتصاب

حياة كاميليا عموما فى بلاد العم سام لم تكن سعيدة كانت مليئة بالمنغصات فقد اعترفت ابنة الرئيس المصرى الراحل أنور السادات أنها لاقت أثناء إقامتها فى الولايات المتحدة الامريكية لمدة ٢٥ عاماً ألواناً من العذاب والإهانة التى وصلت إلى حد الضرب ومحاولة الاغتصاب من قبل أحد الأشخاص الأمريكيين حيث أشهرت إفلاسها وذهبت للعيش فى أحد البيوت الخاصة برعاية المسنين والتى ترعاها الدولة فى أمريكا وبررت ذلك بأنها كانت ترغب فى دراسة أحوال هؤلاء الناس الذين يعيشون فى تلك البيوت عن قرب حيث كانت تعمل فى مجال التدريس الجامعى بالولايات المتحدة قبل أن تصاب بأزمة صحية تطلب إجراء جراحة بالمخ أتت على كل أموالها.

ووصفت كاميليا السادات حياتها فى الملجأ الحكومى بأنها قاسية وقالت ذهبت للعيش بالملجأ باختيارى وذلك لأننى عضو فى لجنة حقوق الإنسان وقررت أن أعيش حياة هؤلاء الناس كنوع من رد الجميل، لأن الولايات المتحدة فتحت لى الباب للحرية وعن الإهانة التى تعرضت لها وهى ابنة الرئيس السادات قالت كاميليا: هذا شرف لى فكونى أحمل اسم الرئيس السادات فقد كان هذا سلاحا ذا حدين، فأنور السادات رجل سياسى له من يحبه وهناك من يكرهه، وأنا أحصد كل ما زرعه من حب وفى نفس الوقت فإن من يكرهون السادات كانوا يصفون حساباتهم معنا. فعندما كنت أذهب لأتعاقد على عمل ما فى الجامعة أو فى مركز للأبحاث كانوا يرفضون إبرام عقود بمبالغ مناسبة ويقولون لى أنت ابنة أنور السادات.

والغريب أن كاميليا قالت إن العائلة لم تكن تعلم بما يجرى لها فى الولايات المتحدة واعترفت بأنها إذا كانت قد تلقت منهم أى طلب للعودة إلى مصر فقد كانت سترفضه، فمن الواضح أنها فقدت كل انتماء لها هنا!! وتستمر فتقول: اكتشفت انه ليس لى مكان فى مصر فأنا أعمل فى مجال السلام، ليس من الناحية السياسية ولكن من الناحية التعليمية، وذهبت للولايات المتحدة وقيل لى إن المركز الوحيد للدراسات التى أجريها موجود فى تل أبيب وذهبت بالفعل إلى هناك!!

وحول تعرضها لمحاولة اغتصاب قالت كاميليا السادات كنت أقيم فى بيت من بيوت المسنين وفوجئت برجل عمره ٨٠ عاماً يفتح باب حجرتى ويهاجمنى إلا أننى كنت أقوى منه واستطعت أن أتغلب عليه ولا شك أن هذا الأمر أحدث لى هزة نفسية خاصة بعد واقعة الضرب التى تعرضت لها بعد أحداث ١١ سبتمبر حيث طالبنى هؤلاء بالعودة إلى مصر، وعن علاقتها بابنتها قالت كاميليا السادات إنها دفعت ثمن انهيار طفولة أمها، وصدمتها فى والدها، وفقدان جدها الرئيس الراحل، وقالت إنها تعيش فى الولايات المتحدة ولا تقابلها كثيراً ونفت أن تكون قد وصفتها بالجحود إلا أنها بررت مواقفها معها بما تعرضت له فى حياتها، وحول وجودها فى مصر قالت إننى عدت إلى بلدى لكى أخدمها فليس لدى أى شعور بالاضطهاد على الإطلاق. وإلا لم أكن لأعود إلى مصر، فكان لابد أن أمر بالتجربة.

لكن الواقع يقول إن كاميليا كان لابد لها من العودة بعد أن ساءت أحوالها فى أمريكا فى آخر سنواتها هناك: فقد عاشت فى ما لا يحسدها عليه أحد: راتب لا يزيد على ٦٥٠ دولارا فى الشهر تدفعه لها هيئة الخدمات الاجتماعية بالمدينة، ومعه الإقامة فى بيت تخصصه حكومة الولاية للعجزة والمعتلين والمعتوهين.

وتذكر كاميليا، التى زارت اسرائيل مرتين وما زالت إلى الآن تتنقل بجوازها الدبلوماسى ورفضت الحصول على الجنسية الأميركية «لأننى لا أرغب فى وضع اسم أنور السادات على أى وثيقة هوية غير مصرية». إنها قصيرة ونحيفة، فطولها لا يزيد على متر و٥٥ سنتيمتراً، ووزنها على ٤٧ كيلوغراما، وأنها معتلة من أمراض متنوعة تربك حياتها «فأنا يا دوبك أقدر أمشى من دون عصا.. عندى مرض شرايين، وعندى روماتيزم، وعندى بالمخ، وعندى أوجاع بالظهر، وعندى وعندى.. بس أنا سعيدة، وعايشة بوئام مع نفسى، ومتسامحة

فوق ما تتصور. أنا لا أحب الخناقات ولا القال والقيل. ولو دعتنى الست جيهان لشرب فنجان قهوة فلن أتردد. أريد العيش بسلام لى وللجميع، وبلاش خناقات».

الا أن كاميليا لم تخسر إلى الآن شيئا مهما، هو روح الدعابة، فهى مرحة فى كل ما تقول، حتى ولو تذكرت الماضى التعيس البعيد، والحاضر البائس حاليا، وهى تقول: «أنا ما كنتش سعيدة أبدا فى حياتى، بس أنا بحب السلام، وما بحبش اتخانق مع حد».

وتذكر أن تسامحها لا حدود له، لذلك صافحت فى احدى المرات الرجل الذى رفع يده اليمنى بشارة النصر وقال: «قتلناه.. قتلنا الخائن العميل» بحسب تعبيره قبل ٢٠ سنة يوم سألوه فى بيروت عن اغتيال والدها ذلك الرجل، لم يكن سوى رئيس السلطة الفلسطينية الراحل، وموقع اتفاق أوسلو مع إسرائيل بعد سنوات من مقتل السادات: ياسر عرفات.

باختصار، لقد عاشت كاميليا حياة لا تليق بالابنة الأكثر شبها بأنور السادات، بين أبنائه من مطلقة وزوجة، أصبحتا أرملتين بعد رحيله المفاجئ.

■ ■ ■

بنات جيهان
احنا بنشترى رجالة.. عندهم ثروة



«كان من مبادئ زواجى من الرئيس السادات إن أنا لا
أتدخل فى حياته، فى عمله،
وهو لن يتدخل فى حياتى فى البيت، بيتى، لبسى،
أولادى، وتربية أولادى،
هأكون أنا مسئولة تقريباً عنها (مسئولية كاملة)»

السيدة جيهان السادات

□□

■■

سيدة مصر الأولى

على عكس بنات الرئيس أنور السادات من زوجته الأولى رقية، جاءت بناته من السيدة جيهان صفوت التى اشتهرت باسم جيهان السادات.

والحديث عن السيدة جيهان يطول، لكن وبما أن اهتمامنا هنا منصب على الأنجال فإننا سنكتفى من ذكر سيرتها بما أثر على حياة بناتها وابنها جمال.

كانت السيدة جيهان منذ البداية قوية، تعرف ماذا تريد والأهم هو كيف تحصل عليه، تعرفت على الرئيس الراحل بينما كان عمرها ستة عشر عاما، ورغم سنها الصغير، ورغم أنه كان متزوجا وله ثلاث بنات، ورغم رضا زوجته الأولى على أن يتزوج عليها، إلا أنها استطاعت إقناعه بأن يكون لها، وتزوجته بعد أن طلق زوجته الأولى.

وتُعتبر السيدة جيهان السادات أكثر النساء اللائى ظهرن خلال القرن العشرين إثارة للجدل فى المنطقة العربيَّة، حيث مازالت هناك كثير من التساؤلات وعلامات الاستفهام تُثار حول طبيعة الدور الذى لعبته فى الحياة السياسيَّة فى مصر، ليس خلال فترة رئاسة السادات لمصر بعد وفاة جمال عبد الناصر فى الثامن والعشرين من سبتمبر عام ١٩٧٠م فحسب، وإنما منذ زواجها بأنور السادات فى عام ١٩٤٩م وحتى اغتياله فى السادس من أكتوبر عام ١٩٨١م.وُلدت جيهان صفوت رؤوف فى حيِّ الروضة بمدينة القاهرة عام ١٩٣٣م لأم بريطانية مسيحيَّة هى السيدة (جيلاديس تشارلز كوتريل) وأب مصرى مسلم هو السيد صفوت رؤوف.التقت مع السادات للمرة الأولى فى السويس لدى قريب لها صيف عام ١٩٤٨م، وكانت فى الخامسة عشرة من عمرها، حيث وقعت فى غرامه كما أسلفنا، وبالفعل تزوجته جيهان فى التاسع والعشرين من مايو عام ١٩٤٩م بعد طلاقه لزوجته الأولى.

وقد كان للسيدة جيهان حضور فى كل ما يخص الرئيس الراحل فقد شاركت جيهان السادات زوجها معظم الأيام والأحداث الهامة التى شهدتها مصر، بدءاً بليلة الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢م حينما اندلعت الثورة، وكانت معه فى السينما. مروراً بالصراعات التى قامت داخل مجلس قيادة الثورة والمناصب المختلفة التى تولاها السادات أثناء رئاسة عبد الناصر لمصر، رافقت السادات فى زيارته المثيرة للجدل التى قام بها إلى الولايات المتحدة الأمريكية حينما كان رئيساً لمجلس الشعب المصرى عام ١٩٦٦م.عايشت الصراع الذى قام بين عبد الناصر والمشير عامر خلال فترة الستينيات، حيث كان بيت السادات هو الملجأ لكل منهما، حتى بعد وقوع الهزيمة عام ١٩٦٧م.ورغم أن عبد الناصر بعد انتحار المشير فى سبتمبر عام ١٩٦٧م منع أعضاء مجلس قيادة الثورة من المشاركة فى جنازته إلا أن جيهان شاركت فى الجنازة، وذهبت إلى مسقط رأس المشير.بدأت نشاطها العام بداية الستينيَّات إلا أن دورها بدأ يتبلور بعد تعيين السادات نائباً لرئيس الجمهوريَّة فى التاسع عشر من ديسمبر عام ١٩٦٩م، ثم اختياره رئيساً بعد وفاة عبد النَاصر فى الثامن والعشرين من سبتمبر عام ١٩٧٠م، وكانت بداية حكم السادات لمصر هى بداية أيضاً لدور سياسى جديد مثير للجدل فرضته جيهان السادات على الحياة السياسيَّة المصريَّة هو دور زوجة الرئيس التى أخذت لقباً جديداً أيضاً فى تاريخ مصر السياسى الحديث هو لقب (سيدة مصر الأولى) التى تقول جيهان على مسئوليتها إنها لا تعرف حتى الآن مَنْ الذى أطلق عليها هذا اللقب، وبذلك أصبحت هناك مؤسسة توصف بأنها مؤسسة موازية لمؤسسة الرئاسة هى مؤسسة زوجة الرئيس.شهدت مع السادات كل الأحداث الهامة، وشاركت فى صناعة كثير منها، وتبنت بعض المشروعات على رأسها مشروع تنظيم الأسرة ودعم الدور السياسى للمرأة، وعدَّلت بعض القوانين على رأسها قانون الأحوال الشخصيَّة الذى لازال يُعرف فى مصر حتى الآن بقانون جيهان.رافقت السادات فى معظم رحلاته وأسفاره التى قام بها خارج مصر، وكما كانت معه ليلة الثورة كانت معه يوم اغتياله فى المنصة فى السادس من أكتوبر عام ١٩٨١م.

ورغم كل هذا الزخم السياسى فإن السيدة جيهان الأم لم تنشغل عن أولادها، فكما رسمت مستقبلها وأسهمت فى صنع مستقبل زوجها، فإنه شكلت مستقبل بناتها بالكامل.

جيهان ولدت للسادات ثلاث بنات بالإضافة إلى السيد جمال السادات الذى ولد عام ١٩٥٦ أثناء العدوان الثلاثى الغاشم، فأسماه السيد أنور السادات جمال على اسم الزعيم خالد الذكر جمال عبد الناصر. على أية سنفرد فصلا للسيد جمال السادات، والآن نتحدث عن بنات

الرئيس الراحل أنور السادات من السادات جيهان، وهن لبنى (١٩٥٤)، ونهى (١٩٥٩)، وجيهان (١٩٦١)، والأخيرة حصلت على لقب جيهان الصغرى.

ونقول إن السـ يدة جيهان هى التى حصلت على لقب سـ يدة مصر الأولى، فكانت أول من تحصل على هذا اللقب. وهى التى صاغت حياة بناتها بالكامل وتقول السيدة جيهان إن هناك مبادئ كانت تحكم حـ ياتها الزوجـ ية مع زوجها الراحل منذ اللحظة الأولى للزواج،وبحسب كلماتها فى الحوار الذى أدلت به للمذيع أحمد منصور فى قناة الجزيرة كانت هذه المبادئ: إن أنا لا أتدخل فى حياته، فى عمله، وهو لن يتدخل فى حياتى فى البيت، بيتى لبسى أولادى، وتربيّة أولادى، هأكون أنا مسئولة تقريباً عنها مسئولية كاملة.

لكن الأيام أتت بخلل فى تلك المبادئ فى نصفها الأول، فتدخلت السـ يدة الأولى فى السياسة، بينما لم يطرأ على النصف الثانى أية تغييرات تقريبا.

ورغم حرص السيدة جـ يهان على اصطحاب زوجها فى أسفاره الكثـ يرة للخارج، فإنها لم تكن تترك بناتها كذلك، كانت شديدة الالتصاق بهن أو العكس، وبحسب ما يروى عبدالرحمن البـ يضانى أحد قـ يادات الثورة اليمـ نية التى كان يدعمها نظام الرئيس عبدالناصر، يقول البيضانى عن تفاصيل الزيارة التى حدثت مطلع الستينات: نزل السادات وخلفه زوجته وابنته لبنى ومدير مكتبه الأستاذ فوزى عبد الحافظ. لا يهم هنا تفاصيل الزيارة الأخرى إلا الملاحظ أنه في وقت هذه الزيارة لم تكن لبنى قد بلغت العاشرة بعد.

وعلى عكس بنات الرئيس السادات من السـ يدة إقبال ماضى، فإن زيجات بنات السـ يدة جيـ هان كانت زيجات متمـ يزة، بل يمكننا القول بأن تلك الزيجات هى الشىء الوحيد البارز فى حياة كل منهن، والتى كانت حياة مستقرة، وزيجات ناجحة للغاية. كل بنات السيدة إقبال تعرضن لانهيار حياتهن الزوجية مرة أو أكثر. بينما لم يحدث هذا مع أى من بنات السيدة جيـ هان (العجيب أن الطلاق لم يعرف طريق بيت السيدة جيـ هان إلا من خلال ابنها جمال كما سنرى فيما بعد).

لبنى.. والنبى لنكيد العزال

لبنى الابنة الكبرى تزوجت عام ١٩٧٤، وكانت زيجتها من عبد الخالق نجل ثروت عبد الغفار سليل عائلة عبد الغفار الشهيرة بمحافظة المنوفية.

والأسرة المذكورة هى أسرة رفيعة المقام فى المنوفية، أحد أبرز الأعمدة فيها هو أحمد باشا عبد الغفار وزير الزراعة فى عهد الملكية، كان رجلا سعد يا شديد المراس، وكان معروفا بغلظته وقوته، ودخل فى عدة تحديات مع السرايا أسهمت فى خلق سمعة طيبة له وللعائلة. ومن المفارقات أن أحمد باشا عبد الغفار والذى يعد ركن عائلات عبد الغفار التى صاهرت الرئيس السادات، قدمته الثورة للمحاكمة فى بداية عهدها فـ يما يعرف بمحكمة الثورة، وتوجهت إليه تهمة المساعدة على إفساد الحكم (واستغلال النفوذ لمنفعته الشخصـ ية)، وتم الحكم عليه بإلزامه برد تكاليف شق مصرف الجـ يار وهى ٦٣ ألف جنيه قيمة ما استفاده نتـ يجة شق المصرف، وذكرت المحكمة أنها استعملت معه الرأفة حيث سجلت له موقفه من طغيان فؤاد وفاروق.

ورغم تلك المحاكمة فإن نفوذ عائلة عبد الغفار لم يتأثر، وأصبح معظم رجال العائلة من رجال البيزنس، وتزوج ابنهم من السيدة لبنى كريمة الرئيس السادات أحد الضباط الأحرار.

واحدة من السيدات المقربات من السيدة جيهان السادات كان اسمها نفيسة عبد الغفار، وكما هو واضح فإنها من سـ يدات عائلات عبد الغفار، وكانت تعمل مديرة لمكتب السـ يدة جيهان، وكانت مقربة منها حتى إنها هى التى اختارت لها أثاث منزلها.

كانت السـ يدة نفـ يسة هى التى قربت بين الطرفين، وتم زفاف لبنى إلى المهندس عبدالخالق فى حفل أقيم يوم ٢٤ يناير ١٩٧٤ وكانت الحفلة شديدة البهجة وشارك فيـ ها نجوم وعمالقة الطرب فى هذا الزمن. وكانوا على الترتيب محمد رشدى وشريفة فاضل وشادية ووردة وعبد الحليم حافظ بمجموعة من روائع الأغنيات كما غنى محرم فؤاد أغنيـ ة والنبى لنكيد العزال فى إشارة لنصر أكتوبر المجـ يد. وكان عمره «١٠٨» أيام فقط، عمر النصروليس عمر محرم فؤاد.

وهكذا دخلت الابنة الكبرى للرئيس الراحل بيت الزوجية لتخرج من الحياة العامة، وتعمل كما خططت له والدتها من إبعاد تام عن الأضواء، وحياة مستقرة بصحبة زوج مناسب ينجح فى أن يجعلها تعيش ملكة متوجة.. فى بيتها.

نهى.. ٢ مليون جنيه فكة

أما الابنة الثانية نهى، فقد كان والدها يريد تسميتها زنوبيا ولهذه التسمية قصة ترويها السـ يدة جـ يهان السادات فتقول: عبد الناصر أرسل زوجى للاستطلاع وللتفاوض بالنسبة

للوحدة مع سوريا، ونجحت حتى إنه وهو راجع أخذ خبر مولد بنتى الثانية نهى وأنا ما كنتش سمتها نهى لسه، فهو جه وتفاءل بيها. وهو راجع بيقول لى أنا راجع فى الطيارة وعلى البحر وقالوا لى مبروك إشارة جات لك ابنة، فقال لى أنا فكرت نسميها زنوبيا. أنا طبعاً زعلت جدا، الكلام للسيدة جيهان، قلت له: زنوبيا إزاى ده لو نطقوا اسمها فى المدرسة الولاد هيضحكوا. فقال لى: لأ، دى الملكة، ملكة تدمر اللى وحدت بين مصر وسوريا ولازم اسمها الاسم ده، ابقوا دلعوها قولوا لها زيزى أو زيزيت أو اللى إنتوا عايزينه. قلت له: لأ فى المدرسة مفيش دلع. المهم إنه راح عند الرئيس عبد الناصر علشان يقول له إيه اللى تم بالنسبة للمفاوضات بين مصر وسوريا، فحرم الرئيس عبدالناصر جات تزورنى فى المستشفى وقالت لى: سمتوها أيه؟ دى بنت حلوة قوى وكانت بنت جميلة قوى. مولودة عينين زرقا كده وشعر أسود وبيضا وحلوة، فقلت لها: والله أنور عايز يسميها زنوبيا وأنا زعلانة جداً. قالت لى: زنوبيا! يا نهار أبيض! معقولة! المهم بعد الزيارة رجعت هى على البيت على بيتهم عند الرئيس عبد الناصر ولقيت أنور السادات هناك فدخلت عليهم فى المكتب وقالت للرئيس عبد الناصر دى جيهان زعلانة لأن أنور السادات عايز يسميها زنوبيا. فأنور ضحك قال: أيوه ده صحيح، فقل له حاجة، قال له: أنور.. مين اللى تعب فى البنت؟! مين اللى تعب فى الحمل والحاجات دى ... فقال له: طبعاً جيهان. فقال له: سيبها تختار الاسم اللى عايزاه. فاخترت لها نهى.

على أية حال أطلقوا على البنت اسم نهى، والمثير أن نهى أنجبت من زوجها السيد حسن نجل سيد مرعى وزير الزراعة الأسبق بنتا واختار اسمها السادات الذى تعود أن يطلق على أبنائه اسما من وحى الأحداث الجارية فاختار لها اسم سارة!!

وزيجة نهى كريمة الرئيس الراحل أنور السادات من السيدة جيهان، كانت هى الأخرى نموذجا للطريقة التى تعاملت بها سيدة مصر الأولى مع بناتها، زواج مبكر من زوج ناجح ثم انسحاب من الحياة العامة، فقد تزوجت نهى وهى لم تبلغ العشرين بعد كما ذكرنا من السيد حسن ابن المهندس سيد مرعى.

وبحسب الكاتبة سامية سعيد إمام فى كتابها من يحكم مصر فإن المهندس سيد مرعى قد أصبح من أشهر السياسيين والدبلوماسيين بسبب تعدد علاقات المصاهرة بينه وبين العائلات الكبرى، فبعد أن كان عضوا بالحزب السعدى قبل الثورة وفور استتباب الأمور ذهب وهنأ الثوار وبارك الثورة ليصبح بعد ذلك وزيرا للزراعة واستصلاح الأراضى ثم يرافق الرئيس السادات لمؤتمر القمة العربية الذى عقد فى الجزائر فى ديسمبر ١٩٧٣ ورئيس لجنة

الأحزاب ورئيس مجلس الشعب ومساعد رئيس الجمهورية فى نهاية عام ١٩٨٠ وكل ذلك كان نتاجا لارتباط المصاهرة والزواج من أربع عائلات من جملة ١٣ هم أعضاء مجلس قيادة الثورة فقد كان هناك روابط مصاهرة بين عائلتى مرعى ومحيى الدين إذ كان إبراهيم ابن فاطمة وهى كبرى بنات حسنين مرعى متزوجة من ابنه عمر زكريا محيى الدين وتزوج جمال شقيق إبراهيم مرعى من سامية محيى الدين شقيقة زكريا وتزوجت مها شقيقة إبراهيم وجمال مرعى من سيد محيى الدين شقيق زوجة إبراهيم مرعى.. وهذا النموذج من التشابك العائلى عن طريق المصاهرة كان أحد أسباب تعيين سيد مرعى وزيرا للزراعة عام ١٩٥٧. بل إن عائلة مشهور مثلا التى ارتبطت مع أسرة مرعى بروابط المصاهرة استفادت هى الأخرى من هذه الروابط العائلية، وقد كان لمشهور أحمد مشهور رئيس هيئة قناة السويس الأسبق نفوذ كبير فى عهد السادات.. واستفاد سيد مرعى من علاقات المصاهرة العائلية بين عائلته وعائلات خالد وزكريا محيى الدين كما حرصت العائلة على المصاهرة من عائلة على صبرى وعائلة وجيه أباظة أحد الضباط الأحرار وكذلك بعائلة كمال الدين حسين، وفى مطلع الستينيات تزوج محمد نصير وهو من عائلة مرعى من ابنة عبد اللطيف البغدادى. وتوج سيد مرعى هذه الشبكة من العلاقات العائلية عن طريق المصاهرة بزواج ابنه حسن من نهى ابنة الرئيس السادات. ويكفى لنأخذ فكرة عن حجم الثروة التى تكونت لدى فرد من من عائلة مرعى، هو حسن سيد مرعى زوج السيدة نهى أن نقرأ الخبر الذى نشرته الصحف فى ذلك اليوم من عام ٢٠٠٤ حيث ذكرت صحيفة الجمهورية أن مباحث الجيزة ألقت القبض على سفرجى (نادل) يدعى عبد النبى أحمد إبراهيم (٣٢ عاما)كان قد سرق مجوهرات تبلغ قيمتها مليونى جنيه مصرى ومبلغا من المال قدره عشرة آلاف جنيه من فيلا نهى ابنة الرئيس المصرى الراحل أنور السادات زوجة نجل سيد مرعى رئيس مجلس الشعب الأسبق. وكان رجل الأعمال حسن سيد مرعى قد قدم بلاغا قال فيه إنه وزوجته نهى أنور السادات توجها إلى المصيف وعادا إلى فيلتهما بالمنصورية ليكتشفا اختفاء مجوهرات وألماظ بقيمة حوالى مليونى جنيه بالإضافة إلى مبلغ ١٠ آلاف جنيه. وكشفت تحريات المباحث أن السفرجى الذى كان يعمل لديهما وقاما بطرده من أسبوعين تسلل إلى الفيلا أثناء سفرهما وسرق المجوهرات والأموال واستأجر حجرة فى ميدان الجيزة للإقامة فيها حتى ألقى رجال المباحث القبض عليه وبحوزته المسروقات وأحيل إلى النيابة التى بدأت تحقيقاتها.

المهم أن نهى انسحبت هى الأخرى من الحياة العامة بعد زواجها، فلم يكن لها أى دور أو ظهور وانشغلت بتربية أولادها، ورعاية زوجها.

جيهان الصغرى

ولدت جيهان الصغرى عام ١٩٦١، فأسماها والدها على اسم أمها. ولا يكاد يوجد تاريخ لجيهان فبمجرد بلوغها السادسة عشر، بالأحرى قبل ذلك بشهور، تزوجت من ابن الإمبراطور، ويقولون فى الريف المصرى أن الأخير بخته كثير، كما أشرنا إلى أن آخر العنقود سكر معقود. وجيهان كانت هكذا.

ولكن من هو الإمبراطور الذى تزوجت جيهان الصغرى من ابنه؟

إنه عثمان أحمد عثمان الذى تروى عنه النكت إن مدرسا، فى عهد السادات، سأل تلميذا فى فصله: من هو مؤسس الدولة العثمانية؟ فأجاب التلميذ بلا تردد: إنه عثمان احمد عثمان. تقول السيدة جيهان السادات إنه كان أقرب المقربين للرئيس الراحل.

بدأ عثمان فقيرا معدما فى أسرة كانت فى أشد الحاجة إلى من يساندها ويرعاها.. مات والده ولم يكمل عامه الرابع بعد، وتولت أمه رعايته هو وأشقائه.. كانت الحياة عند أمه كما وصفها فى كتابه «تجربتى» تبدأ وتنتهى عند أولادها كحال أى أم مصرية.. ريفية طيبة الأصل.عبقرية عثمان أحمد عثمان التى أوردها فى كتابه خرجت من منزل مبنى من الدبش والطين وسقفه تعريشة من الخشب وجريد النخيل..ليس فيه دولاب أو سرير..كانوا يفترشون الارض عندما يأكلون وعندما ينامون.ويحكى عثمان كذلك أن أمه وجدت نقودا معدنية فى جيبه فاستغربت من الأمر فقال لها إنه يعمل صبى ميكانيكى.. ويقول عثمان إنه كان متفوقا فى دراسته وقد استفاد من تفوقه هذا بأن أعفى من المصاريف طوال حياته الدراسية حتى جاءت السنة النهائية فى البكالوريا ولم يستطع أن يحصل على مجموع أكبر من ٧٥ ٪ كى يدخل كلية الهندسة دون ان يدفع المصاريف..اضطر عثمان أن يعلن فقره وقلة حيلته على الجميع.. خاصة عندما وقف فى طابور مكتب التقديم لكلية الهندسة وعندما وصل للموظف طالبه بدفع مبلغ أربعين جنيها فذهل عثمان وارتبك فهو لم يتعود أن يدفع فى حياته، وعندما سأله الموظف عن سبب ربكته قال له عثمان إنه دائما ما ينجح بمجموع يتعدى ٧٥ ٪، وهو ما كان يؤهله دائما للإعفاء من المصروفات طوال عمره.. فنظر إليه الموظف وقال له أمامك حل من اثنين.. إما أن تدفع الجنيهات الأربعين وإما أن تأتى لى بشهادة فقر.. فتعجب عثمان من الشهادة.. ويبدو أنه سخر من كلام الموظف أمام الطلبة كشأن الطلبة فى مثل هذه الأمور.. لكن عثمان لم يذكر ذلك واكتفى بأن ذكر حدة الموظف وصوته العالى الذى تسبب فى إهانته أمام الطلبة الواقفين فى الطابور.. فيقول عثمان كانت كلماته قاسية..

خاصة أنه قالها أمام مشهد من مجموعة من زملائى.كانت أشبه بطعنة خنجر وجهها موظف الكلية إلى قلبى.دخل عثمان كلية الهندسة بعد محايلة طويلة مع الأم التى كانت قد خصصت الطب لعثمان فى حين أنه كان يحلم بالهندسة.. وبعد نقاش وأخذ ورد وافقت الأم على الهندسة.على باب الكلية وقف عثمان يفكر فى حاله وفى مستقبله كيف يصل إلى الكلية كل يوم وجيبه خاو؟.. فكان يمشى من منزل شقيقته والدة وزير الإسكان الأسبق صلاح حسب الله فى باب الخلق إلى كلية الهندسة بالجيزة.. حتى استطاعت شقيقته تدبير مبلغ مائة وعشرين قرشا كى يشترك فى الترام لمدة ثلاثة أشهر.. نظر عثمان للنقود وظل يفكر كيف يستفيد من هذا المبلغ لأكثر من ثلاثة أشهر حتى هداه تفكيره لشراء دراجة، فسأل عن ثمنها فوجده جنيهين فأخذ القطار وعاد إلى الإسماعيلية وأول ما قصد هناك محل العجلاتى وطلب من صاحبه شراء دراجة قديمة متهالكة، فاشترى واحدة ثم قام بتجميع القطع الناقصة وأعاد إصلاحها ولم تكلفه سوى ستين قرشا فقط، وظلت الدراجة مع عثمان أحمد عثمان خمس سنوات كاملة هى طيلة مدة الدراسة فى كلية الهندسة.قصة الدراجة هذه تستطيع أن تفسر لك كيف نجح عثمان أحمد عثمان فى بناء إمبراطورية المقاولون العرب أو بمعنى أدق كيف بنى أعمدة الدولة العثمانية فى مصر الحديثة.فقد استطاع أن يوفر ٢٣ جنيها، ثمن اشتراك الترام لمدة خمس سنوات، باستعمال جيد جدا لستين قرشا فقط.. هذا هو عثمان أحمد عثمان.تخرج عثمان فى كلية الهندسة وفى يوم النتيجة أهدى الدراجة لفراش الكلية.. وبعدها انتقل عثمان للحديث عن بداية مشواره الذى سماه مشوار الألف ميل.. دون أن يذكر لنا كيف كان موقفه من التجنيد على الرغم من الكلام الكثير عن الوطنية وحب البلد..وفور تخرجه ذهب إلى خاله المقاول الذى كان معجبا به وترك شهادة الهندسة مؤقتا على جنب حتى يحصل على الخبرة التى ينشدها.. ظل عثمان مع خاله ثمانية عشر شهرا اكتسب الخبرة منها وخرج بمائة وثمانين جنيها مكافأة نهاية خدمة فى شركة خاله.وكما استطاع أن يحول ستين قرشًا لتحل محل ثلاثة وثلاثين جنيها، تحولت المائة وثمانون جنيها إلى رأسمال أكبر شركة مقاولات فى مصر والعالم العربى وخامس شركة على مستوى العالم.. كيف؟.. يقول عثمان أحمد عثمان: هذا من فضل ربى. ويقول الصحفى عبدالفتاح على الذى قدم عرضا لكتاب تجربتى فى جريدة الفجر: توقفت كثيرا عند هذه الكلمة وتذكرت نكتة الشيطان الذى ضبط على الحدود وهو يهج من مصر هاربا، ولما سألوه عن السبب قال لهم.. أبذل كل جهدى وتعبى وخبراتى مع الناس كى يفعلوا كل ما يغضب الله وبعد هذا يأتى الواحد منهم وبعد أن استقر الأمر له ليعلق خلفه لافتة كتب عليها «هذا من فضل ربى».وأول مشروع دخلته شركة عثمان

أحمد عثمان مهندساً ومقاولاً كانت إنشاء جراج لدكتور يونانى بمبلغ مائة وستة جنيهات، وكان مكسبه فيها ستة جنيهات، واستمر العمل على هذه الوتيرة حتى استعان عثمان بأخيه الدكتور إبراهيم ليتوسط له لأول مقاولة كبيرة وما إن نجح فى اقتناصها حتى تحولت مذكراته إلى مرحلة جديدة فى حياته متعددة المراحل لكن من أهم تلك المراحل تلك الخاصة بإنشاء السد العالى التى تعتبر نقطة التحول الحقيقية فى مسار شركة المقاولون العرب.تستطيع أن تطلق عليها ملحمة السد العالى بعد أن تنتهى من قراءة هذا الجزء.. فقد أعلن عن فتح الباب للشركات للتقدم بعطاءاتها للمشروع.. ولما تقدم عثمان لها خرجت الدولة بطلب للمقاولين أن يكونوا اتحادات فيما بينهم كشرط للدخول فى المناقصة.. فاتحدت شركات المقاولات فى مصر كلها عدا عثمان الذى تحايل على الشرط بأن تحالف مع شركات كرواتية على الورق وهم بدخول المناقصة لوحده فى مواجهة شركات مقاولات مصر كلها.. وهنا ظهرت مفاجأة فى جلسة فض المظاريف فقد كان عطاء اتحاد المقاولين بلغ ٢٧ مليونا فى حين كان عطاء عثمان أحمد عثمان ١٥ مليونا وسقط الجميع فى موجة من الضحك على عطاء عثمان.. لكن الرجل استطاع أن يسكتهم عندما وقف وقال إن الفارق غير موجود تقريبا اللهم سوى أرباح كل شركة من الشركات الـ١١ التى دخلت فى الاتحاد بحيث حددت كل شركة لنفسها مليون جنيه أرباحا.. فإذا حذفت الأرباح وجدت أن العطاء واحد بينه وبينهم.هكذا فسرها عثمان.لم تجد الدولة بداً من قبول عطاء عثمان لكن الخوف كان يتملكها من الرجل الذى تقدم لحمل مسئولية حمل الجبال.. مسئولية بناء الحلم..السد العالى. لكنه كان قدها وقدود ولكن السد العالى كان كوم وبناء حائط الصواريخ كوم ثان.. فقد كانت النقلة النوعية لعثمان وشركة المقاولون العرب، فبعد الخبرة الكبيرة التى اكتسبتها الشركة من السد العالى كان الطريق مفروشا بالزهور أمام مرحلة حائط الصواريخ بتكليف مباشر من الرئيس السادات الذى لم ينس ما فعله صديقه فقرر أن يرد له الجميل.ففى خطاب السادات فى عيد العمال وكما كتب الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين: كنت قد كتبت خطاب السادات الذى كان سيلقى فى السويس وقتها وبعد أن عدت من الإسماعيلية استمعت إلى السادات وهو يلقى خطابه ولم يغير حرفا واحدا فيه ولم يقدم كلمة ولم يؤخر أخرى، ولكنه غير شيئا واحدا فقط، ففى الحديث عن مشاركة كل العمال من خلال كل شركات المقاولات فى بناء حائط الصواريخ غير الرئيس هذه الجملة وقصر الفضل فيها على ذكر شركة المقاولون العرب وعمال المقاولون العرب عثمان أحمد عثمان.يقول عثمان إن ميزانية المشروع كانت أربعين مليونا.. وعندما كلفنى بها الرئيس طلب منى إنجازها فى شهرين فقط وحذرنى من أن يضرب اليأس نفسى

لأن الإسرائيليين لن يتركونى أنهى عملى.. ومع ذلك انتهى العمل فى أقل من الزمن الذى كان محددا سلفا.. ورغم كل الصعوبات التى واجهتنا التى كان أقلها ضربات الجيش الإسرائيلى التى أسقطت من كتيبة المقاولون العرب ما يقرب من خمسمائة شهيد .وكانت هناك مرحلة جديدة مهمة فى حياة عثمان كانت فى مشروع الصالحية الذى لا تتسع المساحة لذكر تفاصيله بالكامل، لكننا أردنا فقط أن نلقى بإطلالة على ذلك الرجل الذى زوج ابنه الأكبر لبنت السادات الصغرى ربما قبل أن تعى ما معنى الحياة.

زفاف بالساندوتشات والشاى.. والانتفاضة

تم زفاف السيدة جيهان أنور السادات إلى المهندس محمود عثمان يوم ٢ يناير ١٩٧٧، وبالطبع فإن هذا التاريخ لا يمكن أن يمر مرور الكرام. فبعد أيام قليلة منه ستندلع الانتفاضة الكبرى المعروفة بكذا اسم، فهى أحداث ١٨ و١٩ يناير، وهى انتفاضة الجوع عند مؤيديها، وانتفاضة الحرامية بالنسبة للسادات، وهو ثورة عند البعض. لكن يبقى المهم، وهو أن أحوال البلد وقتها كانت مرتبكة، وكان الاضطراب يسود كل شىء، والرخاء الذى وعد به السادات لم يحدث، بالعكس ازدادت الشدة، وبدأ الأسعار تعرف طريق الارتفاع الذى لم ينته إلى الآن، فى المقابل كانت هناك طبقة جديدة تظهر، هى طبقة الانفتاحيين المعروفة باسم الهليبة، وبدأت الشهادات الدراسية تفقد قيمتها، وتسربت جملة انتسبت، من دون سند ولا دليل، إلى الرئيس الراحل أنور السادات: اللى ما اغتناش فى عهدى مش هيغتنى بعدى. أى أن من لن يدرك الثراء فى عهدى فلن يصل إليه أبدا، فى إشارة إلى انفتاح السداح مداح كما كان يطلق عليه الراحل العملاق أحمد بهاء الدين.

فى تلك الأجواء حدث زفاف ابن الإمبراطور إلى ابنة الرئيس، وكان من الطبيعى أن تتناوله الحكومية على استحياء، كما ذكرت أن الزفاف اقتصر على تقديم الشاى والساندويتشات للضيوف، غير أن البعض يذهب إلى أن ما ذكرته الصحف الحكومية الثلاث فى باب الاجتماعيات ليس أكثر من ذر الرماد فى العيون، على أية حال انتشرت وقتها شائعات عن أن الزفاف وقع فى حفل أسطورى وفى ليلة من ليالى ألف ليلة وليلة، بل إن البعض يذهب إلى أن هذا الزفاف كان من العوامل التى ساعدت على تأجيج مشاعر المواطنين فى ١٨ و١٩ يناير.

على أية حال لقد خططت السيدة جيهان لبناتها، ووضعت لهن هدف محددا هو الستر من أوسع أبوابه، وقد كان لها ما أرادت.. كالعادة.

■■■

جمال السادات..
الأســــــــد

« جمال ملاك نازل من السما »

رانيا شعلان

متحدثة عن جمال السادات

قبل زواجهما الذى انتهى

فى مستشفى للأمراض العصبية



□□

■■

عندما ولد الابن الوحـيد للرئيس الراحل محمد أنور السادات، كان نجم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فى صعود؛ كان قد تخلص من خصومه، وانفرد بالسلطة، أو بعبارة ترضى عشاقه، كانت الجماهير قد اختارته رئيسا وزعيما وقائدا وأبا.

لكن جمال لم ينفرد بالسلطة مجانا، لقد دفع الثمن وظل يدفعه حتى رحل فى سن مبكرة جدا، ٥٢ سنة، وسواء رحل أم ارتحلوه، فقد كان محملا بأمراض الدنيا، ولم تكن لديه فرصة للراحة.

وكان جزءا من الثمن الذى دفعه جمال هو دخوله المعارك المتتالية، وكان يخرج من تحد ليدخل تحديا جديدا، كان نوعا من البشر لا يستريح إلا بالتعب، وساعده على ذلك وصوله للسلطة فى سن مبكرة.

وفى تلك الأيام، النصف الثانى، من عام ١٩٥٦ كانت أزهى أيام ناصر، حتى إن واحدا من عشاقه هو السيناريست محفوظ عبد الرحمن أراد أن يقدم عملا دراميا عنه، فلم يجد أنسب من تلك الأيام، فكان فيلم ناصر ٥٦.

وفى تلك الأيام بدا السادات كالمفتون بعبد الناصر، كان واحدا من دراويشه، لم يكن أنور السادات قد لاح له فى الأفق دور ما. كان متأخرا جدا فى ترتيب الضباط الأحرار المؤثرين، حتى إنهم أوكلوا له مهام إعلامية وصحفية، فكان رئيسا لتحرير جريدة الجمهورية، وبحسب السيدة جيهان السادات، فإن زوجها كان يفكر جديا فى مغادرة مصر بحالها فى الأيام الأولى للثورة، والهجرة إلى لبنان والاستقرار هناك نهائيا!!!

وعندما حدث العدوان الثلاثى، خطب جمال عبد الناصر فى الأزهر: الله أكبر، سنقاتل، سنقاتل، سنقاتل. فجمع بين الحسنيين، وعزف على الوترين: الوطنى والدينى، عزفا منفردا رائعا باهرا.

وفى تلك الأثناء ولد للسادات ابن فأسماه: جمال.

ولم يمر شهران على ميلاد جمال أنور السادات حتى كان والده قد استقبله بكتاب: يا ولدى هذا عمك جمال.

كان الكتاب عبارة عن مذكرات كتبها الرئيس الراحل أنور السادات، فدون فيها إحساسه وانفعالاته فى عام ١٩٥٧، وتضمنت الذكريات حكايات يفتخر بها السادات بمصر والثورة وبالأخص بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر، فجاءت كأنه يحاكى ابنه الصغير عن إنجازات الثورة وما واجهها من عقبات. ويروى السادات من خلال رسائله إلى ابنه الذى أسماه على اسم الرئيس جمال عبد الناصر، كل صغيرة وكبيرة عن الثورة وكيف واجه الضباط الاحرار العقبات من خارجها وداخلها أيضاً، وقارنها السادات بثورة أتاتورك فى تركيا وموسولينى فى إيطاليا، وهتلر فى ألمانيا، وتطرق إلى الانتصارات التى حققتها الثورة، وكيف أعادت الثورة العزة والشرف القومى لشعب مصر، وبين يوم وليلة أصبحت كلمة عرب ذات مغزى عميق ومخيف.

ويكرس السادات الكثير من الحديث فى كتابه حول طريقة عبد الناصر فى معالجة الأمور، وإعجابه بشخصه. فقال هو صديقى ورئيسى. أحبه وأحترمه منذ أن كنا ضابطين صغيرين فى منقباد عام ٣٨، عبد الناصر الذى كان منتخباً رئيساً لمجلس قيادة الثورة وأصر فى بادئ الأمر على أن يتنازل عن قيادة الثورة لمحمد نجيب، ورأى السادات أنه من الضرورى أن يعرف ابنه جمال وجيله طريقة عبد الناصر فى معالجة الأحداث، فقال لم يضيع عبد الناصر لحظة، كان يعمل ليل نهار، يحضر الاجتماعات المستمرة للجان الضباط الأحرار، يعود إلى منزله فى ساعة متأخرة من الليل لا لينام بل ليعمل من جديد، واستطرق فى الحديث عن عبد الناصر وكيف أنهى مظالم ٦٠٠ سنة من الحكم التركى والفرنسى والبريطانى من خلال قيادته لثورة يوليو، وعبر السادات عن مشاعره ومشاعر الضباط الأحرار تجاه عبد الناصر من صداقة عميقة واحترام متبادل، وأفرد فصلا كاملا لتوضيح صفات ومزايا عبد الناصر فقال كان صادقا مع ربه ونفسه، يحاسب نفسه دائما أقسى واعنف حساب فى الوقت الذى يتلمس فيه لغيره كل أبواب العفو والغفران، يحفظ العهد ويصدق الوعد ويخلص الود، ويتقى ربه فى سره وعلنه ولذلك أيده الله وناصره، كما كان هادئ الطباع، يعرف ما يريد تماما، وهو لا يصمم إلا بعد تفكير وروية ما فإذا صمم فإن قوى الأرض كلها لا تثنيه عن ذلك التصميم.

ويكتب السادات إلى ولده عن بطولة عبد الناصر فى مواجهة الغرب، قائلا: وظل عمك جمال يا بنى فى كل هذا رابط الجأش صلب الإرادة لا يساوم ولا تزلزله أو تنال منه الأحداث، هذا عمك جمال يا ولدى.... انتصرنا به بقيام الثورة وجلاء الإنجليز وفى معركة احتكار السلاح، انتصرنا بالشاب الأسمر ومن ورائه شعب مصر بتأميم القناة.

وتحدثنا سابقا عن دور واضح للرئيس ناصر فى حياة السادات، وهو ما عبر عنه السيد جمال السادات بأنه كان يعتبر عبد الناصر بمثابة الوالد له، ويتكلم عن صداقة جمعته بعبد الحكيم أصغر أبناء الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، حتى إنهما كان يذهبان سويا للمصيف في الإسكندرية، وفى مرة تعرضا لحادث بسيط ذهب على أثره إلى المستشفى وعندما أفاق وجد بجوار سريره مباشرة الرئيس عبد الناصر، حتى قبل أن يصل والده إلى المستشفى.

ويكشف جمال السادات عن أن والده لم يحاول أن يغير طريقة حديثه مع أولاده عن عبد الناصر، طيلة حياته، حتى بعد رحيل ناصر وتوليه رئاسة الجمهورية.

الأســد

ذكرنا سابقا فى الفصل الخاص بالسيدة رقية الابنة الكبرى للرئيس الراحل أنور السادات أنها تعتبره أسد العائلة، غير أن هذا اللقب الذى حصل السيد جمال السادات لم يكن من تعبيرات السيدة رقية، لقد كان لقبا اشتهر به السيد جمال فى العائلة، وكان من منحه هذا اللقب هو والده الرئيس الراحل أنور السادات.

وعندما استضاف المذيع محمود سعد السيد جمال فى برنامج البيت بيتك ألمح إلى هذه التسمية، واعتبر سعد أنها تسمية طبيعية لابن وحيد على ست بنات. غير أن السيد جمال نفسه صحح لمحمود سعد سبب هذه التسمية فقال إن والده منحه هذا اللقب لأنه كان يخاف بشدة حينما يظهر أسد فى التليفزيون فكان يجرى للاختباء هنا أو هناك، فكان والده، الذى يرغب فى أن ينشأ ابنه قويا، يصر على أن يبقى الولد أمام التليفزيون، وكان يقول له: ما تخافش، هو أسد وانت كمان أسد. ويستمر السيد جمال فى اللقاء التلفزيونى قائلا: كان والدى يقولها دائما، ومشيت! أى انتشر اللقب بين أفراد العائلة فأصبح لقبه هو الأسد.

على أية حال لم يكن الرئيس الراحل يرغب، ولا زوجته السيدة جيهان، فى أن يعمل أى فرد من أفراد الأسرة بالسياسة، وخصوصا جمال، وغرس الوالد والوالدة فى نفسية الطفل هذا المفهوم حتى نشأ عازفا عن السياسة وعن الأضواء وعن الحياة العامة كلها!!

الباشا تلميذ.. فاشل

عندما تولى أنور السادات رئاسة الجمهورية عام ١٩٧٠ كان ابنه جمال فى الرابعة عشرة من عمره، كان تلميذا فى المدرسة، ورغم أنه كان قد دخل فى طور المراهقة والتحول إلى رجل إلا أنه كان ملتصقا بوالدته كثيرا، وتؤكد الشواهد على أن جمال السادات لم يكن تلميذا نابها. ويروى الدكتور محمد أبو الغار حكاية تعلق بنجل الرئيس الراحل أنور السادات، حيث كان جمال تلميذا بالثانوية العامة قسم الرياضيات ولم يكن من المتفوقين فأراد السادات أن يحصل لنجله على امتحان الرياضيات. وكان من يقوم بوضعه فى ذلك الوقت هو الدكتور عبد العظيم أنيس فطلبه إلى لقاء ودى وشرح له أن نجله يريد المساعدة فى الرياضيات واستجاب أنيس، وعرض مساعدة جمال السادات بأن يحضر له فى الجامعة فى أى وقت ولم يفهم رسالة السادات، فما كان من الرئاسة إلا أن أرسلت له رسولا يشرح الأمر بشكل واضح، حيث طلبوا منه تسريب الامتحان لجمال السادات ووعده بأن يظل ذلك سرا فهاج عبد العظيم أنيس ورفض رفضا مطلقا، فقاموا بنقل جمال السادات إلى إحدى المدارس البريطانية فى مصر وهى مدرسة لا يعترف أحد بشهادتها فى العالم ولا تؤهل للجامعة، فصدر قانون خاص بشأنها يسمح لخريجيها بالالتحاق بالجامعة، واستطاع جمال السادات بالفعل الالتحاق عبرها بكلية الهندسة.

وفى كلية الهندسة لم يكن حال ابن الرئيس أفضل، وساعد هذا المستوى الذى ظهر به ابن الرئيس على انتشار شائعة تقول إن الرئيس الراحل قام بترقية الدكتور صوفى أبو طالب ليصبح رئيسا للجامعة، ثم رئيسا لمجلس الشعب، ورئيسا مؤقتا للجمهورية، على خلفية مساعدة الدكتور صوفى لابنه فى الحصول على بكالوريوس الهندسة والتنكيل بالأساتذة الذين يقفون عائقا فى سبيل هذا سواء بالتدقيق فى الحضور أو فى درجات الاختبارات.

بالطبع نحن لا نؤيد تلك الشائعات، لكنه لا دخان بلا نار، ومن الواضح أن السيد جمال كان أبعد ما يكون عن صورة الطالب المجتهد، فكان كل هدف والديه هو حصوله على البكالوريوس، ومن ثم التحاقه بشركة صهر الرئيس الإمبراطور عثمان أحمد عثمان، حيث نشأت صداقة بين جمال وبين زوج أخته محمود عثمان أحمد عثمان فصحبه فى أسفاره ورحلاته، واكتفى بهذا القدر من الحياة.

ومن هذا يتضح أن جمال السادات كان نموذجا للشخص الرومانسى الحالم البعيد عن العمل الشاق ويظهر هذا جليا فى زيجات ابن الرئيس الثلاث، فابقوا معنا.

الطلاق مرتان

فى سن مبكرة، مبكرة جدا فى الواقع، عرف كيوبيد طريقه إلى قلب الفتى جمال السادات، تعرف على إحدى بنات مدرسة الجزيرة الإعدادية، كان ذلك عام ١٩٧١، أى وهو فى الخامسة عشر. أحبها حبا جنونيا، وأحبته، واستمر هذا الحب سبعة أعوام. وقاوم معارضة شديدة من السيدة الوالدة: سيدة مصر الأولى جيهان السادات، ومعارضة الوالد.

واستمر الأسد يدافع عن حبه، وحسم الأمر أن الرئيس الراحل كان يتطلع ليفرح فرحة العمر بالأسد، كما كان يسميه، ورغم همومه السياسية وانشغاله قطع مباحثاته فى كامب ديفيد ليحضر الزفاف الذى تم فى سبتمبر ١٩٧٨.

ورغم الحب الجارف الذى جمع الزوجين، فإن السيدة جيهان على ما يبدو كانت أقوى من كل شىء، وعبر تاريخها الطويل لا يوجد شىء أصرت عليه دون أن تنجح فى تحقيقه، وهكذا فإن الزواج الذى جمع بين حبيبين لم يعرف كل منهما سوى الآخر ولم يتخيل حياته بدونه، هذا الزواج انتهى بعد عدة سنوات ليست طويلة بالطلاق وابنتين، هما ياسمين ونور.وبحسب أستاذ الأرشيف ياسر ثابت ظل جمال حزيناً جداً لفقدان حبيبة عمره حتى قابل رانيا شعلان ابنة الدكتور محمد شعلان أستاذ الطب النفسى وابن أحد أبرز وأكبر عائلات الشرقية فى ١٣ أكتوبر ١٩٩٣، كانت رانيا قد فازت بالجائزة الثانية فى مسابقة مهرجان فستيا بنادى الجزيرة للأغنيات الأجنبية، (وبالمناسبة فإن رانيا مطربة حساسة وعلى صلة قوية بالموسيقى قدمت عدة عروض فى ساقية عبد المنعم الصاوى لاقت استحسانا من الجمهور).

ما علينا، كانت رانيا فى رحلة للغردقة حيث سافرت مع أصدقائها على (الطائرة الخاصة) لعبد الحكيم عبد الناصر، واستقرت فى يخته المجاور ليخت جمال السادات، وهناك تعرفا، وظلا يتحدثان سوياً، متناسين أو ناسين الناس والأصدقاء والدنيا كلها من الثانية ظهراً حتى الرابعة فجراً وفى العودة عادت مع جمال السادات فى طائرته الخاصة وليس مع أصدقائها على طائرة حكيم.أحبت رانيا شعلان جمال السادات بشدة، وقالت إنه ملاك نازل من السماء، ورغم ذلك لم يستمر زواجهما ثمانية أشهر، حيث كان الحب فى الغردقة والزواج فى غرفة السادات، وكان الطلاق فى مستشفى خاص للأمراض النفسية العصبية فى

١٩٩٤.كان الطلاق الثانى دليلاً جديداً على حضور السيدة جيهان السادات وعلى إرادتها التى لا تقهر، ففى المرتين السابقتين اختار جمال عروسه بقلبه لكن فى المرة الثالثة اختارت له أمه جيهان السادات بعقلها، وكان ذلك فى يوليو ٩٧ حيث تزوج الابن الوحيد للرئيس السابق من طليقة أكرم النقيب ابن الملكة السابقة ناريمان وهى زوجته الحالية شرين فؤاد مهندسة مثله بالضبط، وهى ابنة فؤاد زين الدين أستاذ لامع فى كلية الهندسة جامعة الإسكندرية ومن عائلة سكندرية شهيرة، ارتدى فى فرحه الأخير بدلة سموكن زرقاء وارتدت شيرين فستان سواريه روز، فيما ارتدت والدته جيهان السادات فستاناً أسود، أصرت شقيقته جيهان زوجة محمود عثمان على أن تطلق زغرودة حلوة فى ميكرفون لأن مفيش فرح من غير زغاريد.

لحظة رحيل الأب

فى يوم الرابع من أكتوبر لعام ١٩٨١ كان جمال السادات على موعد مع بلاد العم سام. كان قد قرر أن يسافر إلى أمريكا لقضاء عيد الأضحى، حمل حقائبه ونزل من البيت، ثم رجع. سأله والده إيه اللى رجعك، فقال: أصلى نسيت أبوسك (أقبلك)، وقبل والده الذى نبهه إلى ضرورة العودة سريعا لأمه وأخواته البنات، وتبادلا عبارات الوداع.

لم يكن الولد يعرف أن هذه هى آخر مرة يرى فيها والده.. حيا، وآخر مرة يراه فيها الوالد.

صبيحة السادس من أكتوبر ١٩٨١ وقع حادث المنصة الشهير، كان جمال يستعد لرحلة صيد، واتصل بوالدته كالعادة ليطمئنها على نفسه، وعلى أن الأمور تسير فى الاتجاه التمام، لكنه فوجئ بها تقول له: جمال، سأقول لك أمراً غاية فى الأهمية ويجب ألا يظهر على ملامح وجهك أى انفعال يلحظه أحدٌ من المحيطين بك؛ لأن المسألة ينبغى أن تظل سراً فى الوقت الراهن. لقد أطلقوا النار على أبيك، ويجب أن تعود إلى مصر على الفور اتصل جمال السادات بالسفارة المصرية فى العاصمة الأمريكية واشنطن لترتيب أمر عودته.كما اتصل بالسفارة المصرية فى العاصمة البريطانية لندن لتدبير أحد جراحى القلب ليأخذه معه.متصوراً أن إصابة والده ليست بتلك الخطورة.

مزيد من التفاصيل حول ذلك اليوم المهيب يكشفه المهندس جمال السادات نجل الرئيس الراحل أنور السادات عن أن فؤاد محيى الدين رئيس الوزراء فى عهد السادات شكك فى احتمالية تورط الحرس الخاص بالرئيس فى عملية اغتياله عن طريق إطلاق إحدى

الرصاصات فى رقبته. وقال جمال فى حواره لبرنامج «البيت بيتك» الذى أشرنا إليه، إن فؤاد محيى الدين طلب منى الموافقة على إجراء جراحة لوالدى بعد وفاته لاستخراج الرصاصة من رقبته والكشف عليها حتى لا يدفن بها، كما أبدى شكوكا فى احتمالية تورط الحرس الخاص للرئيس السادات فى عملية الاغتيال، فقلت له لابد وأن أحضر هذه العملية الجراحية بنفسى، وأبلغت والدتى فأبدت رغبتها هى الأخرى فى حضور العملية، لكن محيى الدين رفض الطلب، مما دفعنى إلى الذهاب لمدير المستشفى وحاولت إقناعه بأننى سأكون متماسكا أثناء العملية ولكن مدير المستشفى رفض هو الآخر الطلب. وأضاف جمال: كان معى وقتها اثنان من الحراس فطلبت من أحدهما الوقوف بجوار الثلاجة لحين حصولى على موافقة بدخولى حجرة العمليات مع والدى وتوجهت إلى المشير أبو غزالة وطلبت منه ذلك فرفض مثل الباقين، مما اضطرنى للجوء إلى الرئيس حسنى مبارك الذى وافق على الفور. ودخلت بالفعل أنا ووالدتى جيهان السادات فقام الطبيب باستخراج الرصاصة ووضعها داخل إناء معدنى فى حضور أحد الخبراء فى هذا المجال. وقال جمال السادات: إن جسد والدى لم تخترقه عشرات الرصاصات مثلما ادعى البعض، لافتا إلى أن كل ما تلقاه كان حوالى٣ أو ٤ رصاصات فقط، إحداها اخترقت ذراعه والأخرى سكنت فى قدمه والثالثة لم تخترق الرقبة مباشرة لكنها ارتطمت بالرخامة الأمامية لمنصة الرئيس، فاخترقت البطن ومرت على القلب ثم دخلت الرقبة بحركة دورانية، على عكس ما حدث لفوزى عبد الحافظ كبير حراس الرئيس، الذى أمطرت طلقات الرصاص جميع أنحاء جسده بعد أن ارتمى على جسد الرئيس لحمايته.

وربنا يرحم الجميع..

للثروة حسابات أخرى

بعد رحيل الرئيس السادات عملت أسرته بمبدأ: الحى أبقى من الميت، باستثناء ابنته رقية التى نذرت نفسها للدفاع عن تاريخه، أما السيدة جيهان وأسرتها فقد اندمجت مع الوضع الجديد وقد تعالت الأصوات للترويج للتأكيد على أن ثمة علاقة كانت قد نشأت بين جمال السادات وجمال مبارك منذ سنوات طويلة، فمع بداية تولى الرئيس حسنى مبارك منصب نائب رئيس الجمهورية.. وكان وقتها بعض المناسبات البروتوكولية تستدعى تواجد نجلى الرئيس ونائبه فى احتفالات ومقابلات واحدة.

ومن يومها بدأت العلاقة تنمو خاصة أنهما يحظيان بتعليم أجنبى وقضيا وقتا من حياتهما فى الخارج ما بين بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.. ويشتركان فى هوايات

واحدة على حد قول طلعت السادات وهى الفطس الذى شاركا فيه أكثر من مرة فى الغردقة وقيادة الطائرات بالإضافة إلى اشتراكهما فى بيزنس واحد. وبذلك أصبح جمال مبارك همزة الوصل بين جمال السادات والرئيس مبارك خاصة عند توصيل التعليمات الرئاسية له أو أى طلبات خاصة بأسرة الرئيس الراحل أنور السادات.. وكان الرئيس مبارك قد طلب ذلك، وهو دور نفذه جمال السادات باقتدار.

وبذلك أتيحت الفرصة أمام السيد جمال السادات للعمل بهدوء، وتنمية ثروته بعيدا عن ضجيج السياسة التى وصفها الراحل العملاق صلاح جاهين بأنها مهلكة بشكل عام والجدير جدا بالذكر هنا أن عدد الشركات التى يساهم فيها جمال السادات اقترب من ٣٦ شركة تعمل فى مجال التعدين والبترول والسياحة والبورصة والملاحة.

ويكشف تقرير كتبه سعد هجرس عن إنشاء أكاديمية السادات أن جمال السادات لم يكتف بإنشاء الشركات والمساهمة فيها، بل أخذ على عاتقه تطوير السوق المصرية لملائمة الفكر الأمريكى حيث يقول هجرس: أصبحت لدينا أكاديميتان للسادات.. الأولى نعرفها منذ سنوات وهى أكاديمية السادات للعلوم الإدارية.. والثانية تم تحرير شهادة ميلادها فى العاصمة الأمريكية واشنطن وستفتح أبوابها فى الربع الأول من عام ٢٠٠٨ على أرض القرية الذكية. وهذه «الأكاديمية» الثانية لا علاقة لها بالرئيس الراحل أنور السادات الذى تحمل الأكاديمية الأولى اسمه، وإنما هى إحدى بنات أفكار ابنه المهندس جمال السادات الذى وقع اتفاق إقامتها مع شركة «تيلكورديا» على هامش الزيارة التى قامت بها بعثة مصرية كبيرة مؤخراً إلى واشنطن برئاسة الدكتور طارق كامل وزير الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، ومشاركة غرفة التجارة الأمريكية بمصر برئاسة عمر مهنا وفور توقيع الاتفاق سألت جمال السادات عن طبيعة هذه «الأكاديمية» فقال إنها ستكون بمثابة فرع فى مصر لشركة «تيلكورديا» التى تعتبر من أهم الشركات العالمية المتخصصة فى تدريب المهندسين والفنيين فى مجال صناعة الاتصالات. وستكون بذلك أهم مؤسسة للتدريب فى الشرق الأوسط. صحيح أنه توجد «أكاديمية اتصالات» فى أبو ظبى لكن هذه أكثر تخصصا وأكثر تطورا وتقوم بالتدريب على مهارات وتقنيات غير موجودة فى أى معهد آخر. وإنها، بالتالى، ستقوم بتخريج خبرات غير موجودة فى المنطقة حالياً سألت جمال السادات، والكلام لهجرس عن الأعداد التى تستهدف هذه «الأكاديمية» تخريجهم فقال إنهم سيكونون ٨٠٠ فى السنة الأولى. أما مؤهلات الالتحاق بهذا المركز الحديث فهى:أولاً: المهندسون حديثو التخرج.ثانياً: مديرو

الاتصالات فى مصر والعالم العربى الذين تتوافر لديهم خبرة تتراوح بين خمسة وثمانية أعوام.ثالثاً: مديرو العموم التنفيذيون ذوو الخبرة التى لا تقل عن عشرين عاماً.أما رسوم الالتحاق بدورات هذه «الأكاديمية» فستكون أقل بنسبة ٣٠٪ عن المبالغ التى يتم دفعها فى دورات مماثلة بأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. وبالنسبة للمهندسين حديثى التخرج ستقوم جهات حكومية مصرية بالمساهمة فى دفع الرسوم التى ستتراوح بين ألف و١٥٠٠ دولار فى الدورة التدريبية.وفى السنة الثانية سيكون عدد المتدربين ١٢٠٠ شخص، يرتفع فى السنة الثالثة إلى ١٦٠٠. وتختلف مدة الدورة التدريبية للفئات الثلاث، المشار إليها آنفا، حيث ستكون أسبوعا واحدا للبعض وتتراوح بين ٣ و٦ أسابيع للبعض الآخر، يحصل بعدها من يلتحق بالدورة التدريبية على شهادة تؤهله للعمل فى مجال الاتصالات فى أى مكان فى العالم على غرار الشهادة التى تمنحها مؤسسات مثل سسكو و IBM فى مجال الحاسبات.بقى أن أشير إلى أن جمال السادات وقع الاتفاق مع الشركة الأمريكية بإنشاء هذه «الأكاديمية» بصفته رئيس مجلس إدارة شركة «مشرق تليكوم»، وأنه كان حريصاً على المساهمة فى أنشطة البعثة المصرية حيث حضر الجلسة الأولى فى واشنطن التى شهدت التوقيع على هذه الاتفاقية، كما حضر الجلسة الختامية مع الجالية المصرية التى تم تنظيمها فى فرجينيا، وحضرتها كوكبة متميزة من المصريين المقيمين بالولايات المتحدة الأمريكية والمشتغلين بصناعة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات سواء كأكاديميين أو أصحاب أعمال.

وكان آخر بيزنس لنجل الرئيس الراحل هو رئاسة مجلس إدارة شركة اتصالات، شبكة المحمول الثالثة فى مصر، حيث عقد مجلس إدارة شركة اتصالات مصر أول اجتماعاته يوم الأربعاء ١١ أكتوبر ٢٠٠٦ وذلك بمقر الشركة المؤقت بالجيزة بجمهورية مصر العربية، حضر الاجتماع كل من المهندس/ محمد حسن عمران رئيس مجلس إدارة مؤسسة الإمارات للاتصالات والمهندس/ جمال أنور السادات هذا وقد اتفق المجلس على تشكيل هيئته بحيث يتولى منصب رئيس مجلس الإدارة المهندس جمال أنور السادات.

ولكى نتخيل ثروة نجل الرئيس السابق يكفى أن نعرف أن مجلة هانتر السويسرية، المتخصصة فى السياحة، أعدت تقريرًا عن أشهر مالكى اليخوت البحرية فى العالم، أوردت من بينهم أسماء عدد من رجال الأعمال العرب والمصريين المغرمين باقتناء وإنشاء اليخوت، لأنهم يعتبرونها وجاهة، على حد قولها. وذكرت المجلة أن جمال السادات، نجل الرئيس أنور السادات يملك يختين أحدهما يطلق عليه جيمى ثمنه ثلاثة ملايين جنيه.

هذه الثروة التى أنفق نجل الرئيس الراحل حياته فى تكوينها كانت سببا فى أن يتهمه ابن عمه طلعت السادات الاتهامات التى أوردناها عندما عرضنا لحياة السيدة رقية ابنة الرئيس الراحل.

غير أننا لا نذهب إلى أن السيد جمال السادات قد باع شيئا من أجل شىء، إننا أمام رجل أتيحت له فرصة تكوين ثروة، فكونها. رجل هادئ خجول منطو لا يحب الإعلام ولا الأضواء، حتى وإن لقبه والده بالأسد.

■■■

2

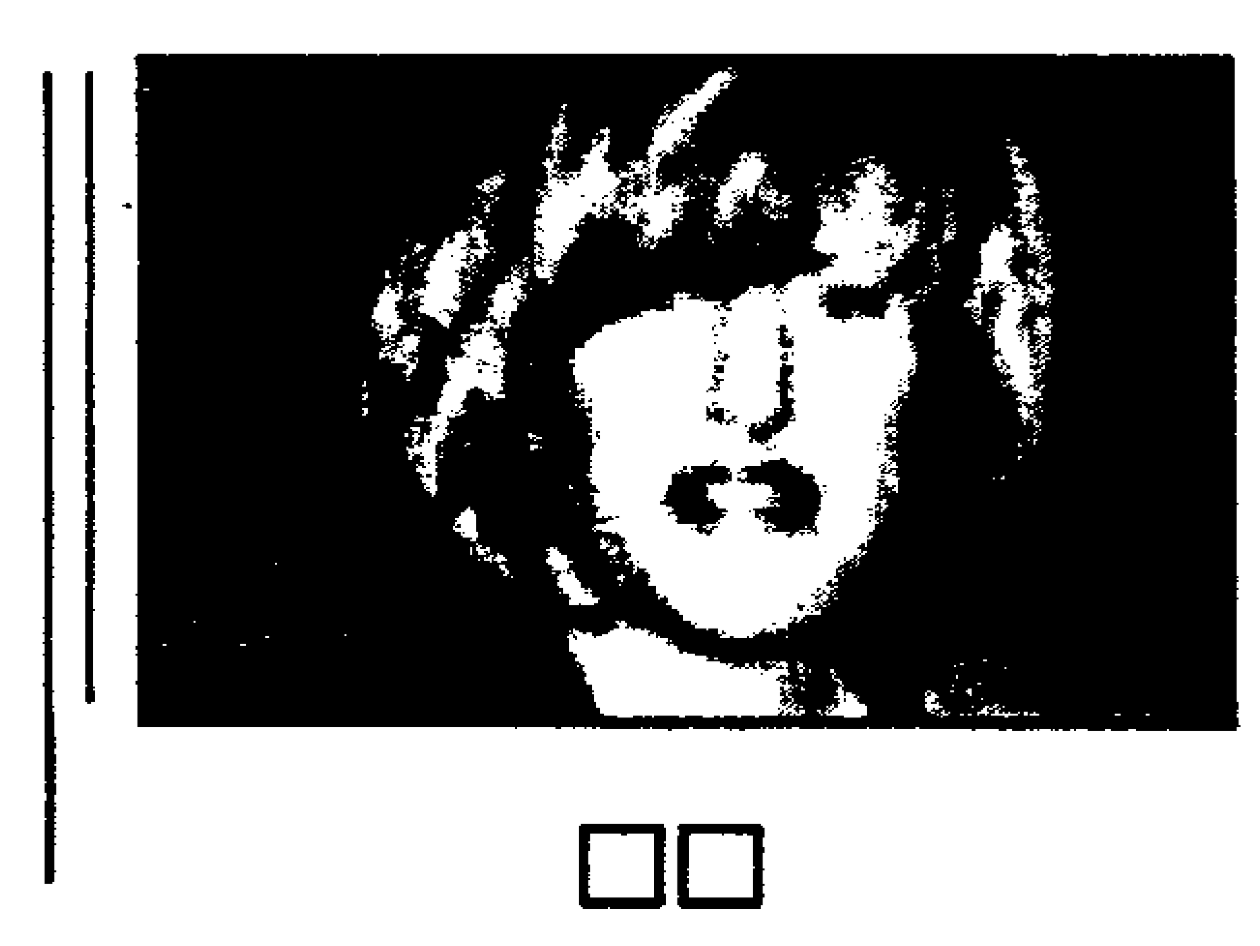
أبناء الرئيس الراحل
جمال عبد الناصر
دراما الثورة والثروة

□□

هـــدى.. الوريـثـة

«السياسة ليست توريثا ولن تكون كذلك»

الدكتورة هدى عبد الناصر



□□

■■

سنوات الشجن

كان شهر عسل الرئيس عبد الناصر والسيدة تحية عبد الحميد كاظم فى الإسكندرية. وعندما عادت السيدة تحية من شهر العسل ظهرت عليها أعراض الحمل، لكن الله لم يكتب للجنين البقاء، وكان عليها أن تنتظر شهورا أخرى حتى تمنحها السماء فرصة جديدة ترسل لها فيها طفلا. وجاءت هدى، وسميت على اسم زوجه صديقة حسن النشار.

ولدت هدى فى مستشفى الدكتور إبراهيم مجدى.. أشهر أطباء عصره فى تخصصه.. فقد كان واحدا من أطباء العائلة المالكة.

وتتفق السيدة هدى عبد الناصر مع السيدة رقية السادات فى أن كلتيهما الابنة الكبرى لكل من الرئيسين الراحلين، كما أن كل منهما نذرت نفسها بعد رحيل الأب لإحياء سيرته، وإن كانتا تختلفان فى أشياء أكثر أهمها التعليم، والثروة.

ولدت هدى قبل ثورة يوليو بسنوات، وفى طفولتها لم يكن أبوها أكثر من ضابط بالجيش، يسافر بالأيام والشهور، وكانت زوجته ترسل له بالخطابات الرقيقة التى كشف عنها الأستاذ عادل حمودة، وكانت تلك الخطابات تبين مدى التصاق هدى بأبيها رغم الغياب.

كانت هدى تخطو خطواتها الأولى فى الحياة والتعليم، وكان ناصر يحبها كما لم يحب أحدا. كانت أول فرحته، وأول ثمار حبه الجارف للسيدة تحية وحبها له.

وعندما قامت الثورة كانت هدى فى السادسة من عمرها، ولذلك فإن المشاهد الأولى التى تتذكرها هدى هو أنها ابنة الرئيس، إذ إن مشاهد ما قبل الثورة بالتأكيد طواها النسيان الطبيعى الذى يطوى سنوات الإنسان الأولى.

وعندما كانت فى الحادية عشر من عمرها حدث العدوان الثلاثى، وعن ذكرياتها فى تلك الأيام تقول الدكتورة هدى:

كنت طفلة صغيرة وقتها، وما أذكره عن أيام العدوان اننا انتقلنا من بيتنا القريب من مطار (الماظة) إلى منزل آخر فى منطقة الزمالك بعد أن رفض والدى انتقالنا خارج القاهرة حتى نكون مثل باقى سكان العاصمة الذين لم يغادروها بسبب العدوان الثلاثى وظللنا فى الزمالك حتى وقف إطلاق النار، وعدنا بعدها إلى منزلنا، أما والدى فلم يكن معنا لأنه منذ اليوم الأول للعدوان الثلاثى انتقل إلى مقر مجلس قيادة الثورة فى الجزيرة وسط القاهرة، وظل هناك إلى أن تم وقف إطلاق النار، وكان يتصل دائما للاطمئنان علينا .لقطة أخرى صعبة ما زالت تؤثر فى السيدة هدى هى ٥ يونيه ١٩٦٧ (النكسة)، تقول هدى عن تلك اللحظة: إننى أتذكر جيدا عقب عودة أبى من قصر القبة بعد أن ألقى رسالة إلى الأمة فى ٩ يونيو ١٩٦٧ معلنا استعداده للتنحى وتحمل المسئولية كاملة ، كان المشهد فى بيتنا موحشا وكئيبا كل رجال الدولة وكبار المسئولين واجمون، الحزن يطل من عيونهم والفزع يكسو ملامحهم وبين هؤلاء كان سامى شرف يبكى ثم أغمى عليه فنقلوه إلى مكتبه المجاور. أما شعراوى جمعة فكان يولول فى بكاء بصوت مرتفع وهو يصرخ: إحنا لينا مين غيرك ياريس.

وتقول هدى عبد الناصر عن سنوات عمرها الأولى وذكرياتها مع أبيها:

ما زلت أذكر أشياء كثيرة، كان أبى يبدأ يومه بالاستيقاظ فى السابعه صباحا، ثم يقرأ الصحف قبل نزوله إلى عمله ثم يعود لتناول الغداء معنا ومن بعدها يعود للعمل مرةً أخرى. كان يريدنا أن نتفوق بالاعتماد على أنفسنا وليس لأننا أبناء رئيس الجمهورية.

والعبارة الأخيرة تفتح دون مواربة بابا للجدل الشديد حول نزاهة الرئيس الراحل عبد الناصر.

الرئيس النزيــــه

قبل أن ينصرف ذهن القارئ إلى أننا نريد من خلال التشكيك فى ذمة الرئيس أو نزاهته فإننا نقطع الطريق على الجميع، ونقول إن سطور هذا الكتاب ليس محاكمة لأحد، أو تفتيشًا فى ذمم وضمائر وما إلى ذلك. إنه بحث إنسانى فى حياة أبناء الزعماء فى وطننا العربى.

ومع ذلك فإننا لا نمنع أنفسنا من التفكير بصوت عال، خصوصا فى المقولات الراسخة فى حياتنا. لننبه إلى أن الأمور ليست دائما كما تبدو عليه.

نعود للسيدة هدى عبد الناصر التى ترى أن والدها كان يطالبهم بالتفوق معتمدين على أنفسهم وليس كونهم أبناء رئيس الجمهورية حسنا.

ماذا إذن عن كلية الاقتصاد والعلوم السياسية؟

لقد تم إنشاء هذه الكلية عام فى موسم ١٩٦٠/١٩٦١، وهو نفس العام الذى تخرجت فـ يه هدى عبد الناصر من الثانوية العامة. فهل كانت مصادفة أن تنشأ الكلية، فتلتحق بها بالصدفة ابنة الرئيس؟

لقد قيل كلام كثير عن أن الرئيس أمر بإنشاء هذه الكلية خصيصا لكى تنضم لها ابنته، التى كانت ترغب فى دراسة السياسة، والتى كان يتم تدريسها كمادة دراسية فى كلية التجارة التى لم يكن الرئيس يرغب فى أن تلتحق بها ابنته باعتبارها كلية متوسطة.

بالطبع لا يمكن إثبات شىء من هذا، كما لا يمكن نفـ يه، فمن غـ ير المعقول أن يعلن الرئيس إنشاء كلية جديدة فيقول: أنشأنا هذه الكلية من أجل ابنتنا!!

على أية حال أثير هذا الكلام وردت عليه السيدة هدى قائلة:

لو كنا نجحنا بتوجـ يهات رسمـ ية لم أكن أستطيع أن أبقى إلى اليوم فى كلية الاقتصاد والعلوم السـ ياسـ ية،والذى كان يحب التفوق ولم يتدخل فى مستقبلنا الدراسى، فترك عبدالحكيم وخالد لدراسة الهندسة، بينما دخلت منى الجامعة الأمريكية لأنها لم تحقق مجموعاً عالياً فى الثانوية العامة ولم يكن أمامها إلا تلك الجامعة. أما عبدالحمـ يد فكان يريد أن يصبح طياراً لكن والدتى احتجت كأى أم تخاف على أولادها فالتحق بالكلـ ية البحرية.

حسنا، هذه صدفة. الرئيس أنشأ كلية، وابنته أعجبتها الكلية التى أنشأها الوالد لتوه، فقررت الالتحاق بها، فلم يتدخل الوالد، واختارها مكتب التنسيق لتصبح طالبة فى الكلية.

لكن ماذا عن مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية الذى تم إنشاؤه خصيصا ليكون عمل السيدة هدى عبد الناصر؟

يتناقل محبو ودراويش عبد الناصر رواية هذا المركز المؤثرة ولا تكاد تجد موقعا أو منتدى أو جريدة أو زاوية تحب عبد الناصر لا تذكرها. تقول القصة: فى لحظة نادرة، أثناء رئاسته، جلس جمال عبد الناصر، حائراً، يفكر كيف يتغلب على مشكلة خاصة (وهى بالنسبة لغيره من حكام ومتنفذين، لن تكون مشكلة، إذ تجد حلها، بشكل إغراقى، ومبتذل) وقال إن بنته هدى، قد تخرجت من الجامعة، وهو فى ضيق، لأنها تلح عليه بأن تباشر عملاً: فإن تركها تفتش بنفسها عن عمل، سيـ جامله آخرون، من خلالها، فيعطونها العمل، وهنا يرتسم، فى تقديره،

مظهرٌ لا يرضى به، وإن قام هو بتعيينها فى وظيفة، سيكون المظهر أسوأ. فهو القائل إن الثورة، تهدف إلى العدل والمساواة، وإلى إعطاء المواطنين فرصاً متساوية، لكسب الرزق الحلال، وتيسير لقمة العيش لهم. إن قناعته بمبدأ الفرص المتساوية هى التى أوقعته فى تلك الحيرة. ويأتيه الأستاذ محمد حسنين هيكل بالحل، وهو تعيين كل خريجى دفعتها فى الأهرام الذى كان قد أنشأ لتوّه، مركز الدراسات الاستراتيجية، بحيث يكون التعيين على أول السلك الوظيفى. إن هذه هى الإنسانية النوعية. التى جعلت المؤتمن على حقوق الناس، فى العدالة الاجتماعية وفى تكافؤ الفرص، يرى فى كل أبناء مصر وبناتها، أبناءه وبناته، ولا نعرف إن مثل هذه المثالية، فى التعاطى مع الشأن الخاص، قد مرّت فى سيرة أى زعيم أو قائد فى العالم الثالث. ولم يكن جمال ذا نفسية مسكونة بأحقاد شخصية، أو بجروح غائرة، ناجمة عن مرارات خاصة، أو عن تجارب الحياة الإنسانية. فقد سما فوق ذلك تماماً، حتى وإن كان هناك ما يؤدى إلى وجود مثل هذه الجروح، وفق الطبيعة البشرية. لكن الرجل أحب فى الوطن، وخاصم عليه. فعندما انعقدت لجمال الزعيم شعبية طاغية، ومر فى شارع فى الإسكندرية، بسيارة مكشوفة، ورأى زوجة أبيه، تصفق وتلوّح، من شرفة منزلها، وهى التى كان له معها تجربة فيها شىء من المرارة؛ أحس الرجل الإنسان براحة قصوى تغسل مرارته. فقد اكتفى من زوجة الأب، عناقها لفكرته فى الوطن، ولدوره فيه، وكان ذلك كافياً لأن يبدد أى إحساس آخر فى نفسه. ولم يكن الرجل الإنسان، وهو فى قمة المسئولية، يفكر فى تطيير رسائل بغيضة، لأى إنسان اختلف معه، قبل الثورة، يصفّى بها حساباً شخصياً. فقد كان يصادق ويسالم، فى الوطن، أو يُخاصم عليه!» انتهى.

كنت حريصا على إيراد القصة من زاوية محبى ومؤيدى عبد الناصر لأبرز أن الدفاع عن عبد الناصر فى منتهى الصعوبة فى تلك النقطة، قد يكون بطلا عظيما، قد يكون مخلصا، قد يكون أمينا لم ينهب المليارات، قد.

لكن فى تلك النقطة بكل صراحة لا أجد تفسيرا لما حدث: الرئيس حائر لأن ابنته تخرجت وتريد أن تعمل، وبحسب الرواية فإنها إذا بحثت عن عمل فسيجاملونها، وإذا عينها بنفسه فستكون المجاملة لابنة الرئيس أفدح. فقرر الرئيس أن يجمع فى النهاية بين المجاملتين. فمن ناحية كان إنشاء ذلك المركز مجاملة من هيكل الذى تعترف الرواية بأنه هو صاحب الحل السحرى بتعيين هدى فى المركز الذى تم إنشاؤه لتوه (أى قبل دقيقتين من اقتراح هيكل الذى أنشأه فى سره، والرئيس يشرح مشكلة ابنته).

كما أنه فى النهاية عينها فى وظيفة حكومية، وهى ليست أية وظيفة إنها فى الأهرام، وكلنا يعرف ما هى الأهرام بالنسبة لعبد الناصر.

ولا أدرى أين المشكلة أصلا؟

هل كانت البطالة مستحكمة إلى هذه الدرجة فى أواسط الستينات (قبل النكسة مباشرة) حتى إن خريجة كلية متفوقة لا تجد وظيفة؟!! ثم هل تم حل مشكلة المجاملة التى كان يخشاها عبد الناصر بتعيينها فى مؤسسة الأهرام؟!!

طبعا سيخرج من يقول: إننا لم نتناول القصة بشكل محايد وأن الرئيس قد عين مع ابنته كل دفعتها، حتى يدفع عن نفسه شبة المجاملة، لكن اسمحوا لى أن أقول إن هذا أفدح.

قبل أن أشرح لماذا، سأذكر أن عدد طلاب دفعة هدى عبد الناصر لم يكن يزيد عن أصابع اليدين والقدمين، وسأذكر أن أحد هؤلاء الطلاب هو الدكتور حاتم صادق!!

وكما تعلم، وإن كنت لا تعلم فاعلم، فإن حاتم صادق هو زوج السيدة الدكتورة هدى عبد الناصر.

وكانت هدى قد ارتبطت بزميلها فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية حاتم صادق وفاتحت والدها الصعيدى المحافظ وتم الزواج فى عام ألف وتسعمئة وخمسة وستين. وكان حاتم قد اختار (فيلا صغيرة) بجوار الميريلاند للزوجية. وبالمناسبة كان حفل زفافهما بسيطا، ورغم حضور أم كلثوم وعبد الوهاب وسواهما إلا أنه فى النهاية كان حفلا بسيطا فقد جاؤوا لمجاملة الرئيس.

نعود إلى مركز الدراسات الإستراتيجية العريق الذى عملت به السيدة هدى عبد الناصر.

ونقول إن فكرة هيكل الخبيثة كان فى ظاهرها العدل، أما فى حقيقتها فإنها كانت التخلص من شبهة مجاملة فرد بالتورط فى مجاملة دفعة بأكملها.

هيكل والرئاسة وأشياء أخرى

عموما لم يكن هيكل غريبا على الابنة، وعنه تقول: وعيت عليه، منذ كنت طفلة صغيرة، قريبا من والدى تربطه به علاقة من نوع خاص؛ عمل وصداقة فى الوقت ذاته، فكثيرا ما كنت أدخل على والدى فى حجرة نومه أو فى مكتبه فأفهم أن هيكل كما كان يناديه على خط التليفون. وقد كانت حواراتهما ممتعة فهو وإن كان (مصدرا أمينا للأخبار السياسية

والاجتماعية) الا أن تعليقاته اللماحة واللاذعة أحيانا كانت مثار أحاديث كثيرة فى أسرتنا.
ولقد تعودنا على مكالمات الأستاذ هيكل التليفونية فى أوقات غير عادية لينقل إلى والدى خبرا هاما أو يستطلع رأيه فى مسألة عاجلة، فكم من مرة توقف عرض الفيلم فى منزلنا لأن ورقة دخلت إلى والدى تنبئه بأن الأستاذ هيكل يريد الاتصال به فورا، وكم من مرة تركنا والدى فى حديقة منزلنا لكى يرد على مكالماته الطويلة.. لقد كان الأستاذ هيكل يتحاور مع والدى فى موضوعات شتى، وأحيانا يدعم أحاديثه بأبيات من الشعر.. وأتذكر أننى دخلت يوما على والدى فى حجرة نومه فوجدته على الخط مع الأستاذ هيكل، وكان يضحك عاليا ثم علمت أنه كان يتلو عليه أبياتا من شعر كامل الشناوى دونها والدى أمامى كما هى موضحة بخط يده فى الورقة المرفقة تعليقا على تعيينات فى مستويات عليا فى السلطة تقول:

دعمتها بالواهنين وصنتها
بالضائعين لكى تطيل بقاءها
إن كان هذا للبقاء فيا ترى
ما كنت تفعل لوأردت فناءها

نفتح هنا قوسا لنعلق بأن الدكتورة هدى كتبت تلك الكلمات عن هيكل على سبيل المدح، وفى ظننا أنها بطيبة السيدة المصرية بنت السيدة المصرية الصميمة لا تدرى أنها تكشف عن أن هيكل كان يبلغ فى زميله لدى الرئيس.

نعود لهدى التى تقول عن هيكل: أما زيارات الأستاذ هيكل إلى والدى فقد كانت زيارات عمل بالدرجة الأولى فى مكتبه أو فى حجرة صالون منزلنا، وكنا نعرف على الفور أنه موجود عندما يمتلئ مدخل المنزل برائحة السيجار الذى كان يدخنه باستمرار.. والتى ما زالت حتى اليوم تأخذنى بعيدا إلى منشية البكرى وتلك الأيام الجميلة. وكانت أول مرة تعرفت فيها عن قرب إلى الأستاذ هيكل ورفيقة حياته السيدة الرقيقة هدايت كانت عندما رافقانا فى رحلة رسمية إلى يوغوسلافيا على اليخت الحرية فى يوليو سنة ١٩٥٨، وأعترف بأننى فى تلك الرحلة أعجبت بالدرجة الأولى بهدايت، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت لها منزلة خاصة عندى. أما الأستاذ هيكل الكاتب والصحافى فقد بدأت أتابع مقاله الإسبوعى «بصراحة» فى جريدة الأهرام منذ كنت طالبة فى المرحلة الثانوية وفى الجامعة، خاصة أننى اخترت دراسة العلوم السياسية، وكانت مناقشات والدى مع الأستاذ هيكل حول هذه المقالات أو حول الموضوعات التى كانت تثيرها مثار جذب لى.. وخاصة تلك التى كانت تنتقد النظام أو تتناول ظواهر سلبية فى المجتمع المصرى آنذاك.

لم يكن هيكل إذن غريبا، وبالتالى فإن فكرته تخرج من بند الاقتراح لتصب فى خانة التخطيط لابنة الصديق التى يقول عنها إنها كانت زى بنته.

قد يرى البعض هنا تحاملا منا على عبد الناصر، ويقول: وهى دى مجاملة؟ بقالك كام صفحة عمال ترص كلام على حتة وظيفة. تعال شوف المجاملات النهارده شكلها إيه! ولهؤلاء أقول إن الفارق بين مجاملات زمان ومجاملات الآن تماما مثل الفرق بين البذرة والشجرة.

وإذا كان الرئيس لم يجامل ابنته بإنشاء كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، أو بتعيينها فى مركز الدراسات بالأهرام، فما هى قصة عملها بمؤسسة الرئاسة؟!

يقول سامى شرف: كانت مؤسسة الرئاسة بمثابة المطبخ السياسى الأول والأكبر فى نظام عبدالناصر، فمنها تنطلق الأفكار والمقترحات وإليها تصدر التوجيهات بإعداد تقديرات الموقف، وبواسطتها تتم بلورة كل الرؤى الصادرة عن مختلف المؤسسات الدستورية فى الدولة فضلاً عن اتجاهات الرأى العام والمساهمات الخاصة لبعض كبار المفكرين والاستراتيجيين.وكان أحد مكاتب مؤسسة الرئاسة هو المكتب الفنى، تعالوا نقرأ معا شهادة سكرتير الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وهو يروى جزءا من تجربته فى مؤسسة الرئاسة وتحديدا فى المكتب الفنى: انضم إلى عضوية المكتب الفنى خلال عامى ١٩٦٨ و١٩٦٩ كل من حاتم صادق (زوج السيدة هدى عبد الناصر) منتدباً من (المخابرات العامة) وأشرف مروان (زوج السيدة منى عبد الناصر) منتدباً من الحرس الجمهورى سرية الكيمياء، باعتباره متخرجاً فى كلية العلوم، وكان برتبة النقيب. والأخت هدى جمال عبدالناصر (منتدبة من المخابرات العامة) وكانت أول عنصر نسائى تشاركنا العمل بصفة رسمية كعضو عامل فى أسرة سكرتارية الرئيس للمعلومات، وفى سبتمبر ١٩٦٩ وبعد أن أصيب الرئيس جمال عبدالناصر بالأزمة القلبية الأولى، تقرّر أن تقوم بمباشرة عملها (من داخل منزل الرئيس). كما تقرّر حسبما أذكر سنة ١٩٦٨ أن يُنقل حاتم صادق بناء على طلبه للمساهمة فى إنشاء مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية فى مؤسسة الأهرام الذى كان الهدف من إنشائه هو التركيز على ما يتعلق بالشئون الإسرائيلية.

انتهى كلام السيد سامى شرف وبالطبع فإن الأقواس من عندنا، إذ أن السيد شرف بكل تأكيد لم يكن يقصد التلميح إلى مغازى العبارات التى بين الأقواس، لكننا نقصد.

بعد الرحيل

رحل عبد الناصر رحـيلا مفاجئا فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، لم تتحدث السـيدة هدى عبد الناصر عن ذلك الرحيل، لكنه بلا شك آلمها، وقضت سنوات وسنوات امتدت إلى أكثر من ٣٥ سنة، وهى تتكتم مشاعرها حول ذلك اليوم الصعب، حتى انفجرت فجأة فى برنامج للإعلامى عمرو الليثى، وصرحت بأن الرئيس الراحل هو السادات هو الذى قتله!!

وقد استعرضنا بالتفصيل المعركة القضائية التى جرت بينها وبين الابنة الكبرى للسادات السيدة رقية، والتى لم تنته حتى الآن.

وبهذا الرحيل فقدت هدى سندها، فاتجهت إلى من كانت تعتبره والدها الثانى، رئيسها فى العمل محمد حسنين هيكل، والمخطط الأول لحـياتها، وتقول هدى: أتاحت لى الظروف أن أقترب أكثر من الأستاذ هيكل بعد رحيل والدى و(قرارى الفورى بترك عملى فى رئاسة الجمهورية)، فقد عرض على الأستاذ هيكل العمل فى مركز الدراسات السـياسـية والاستراتيجية فى الأهرام لأكون (مسئولة عن قسم يوثق للحقبة الناصرية).

وهكذا تتشابه هدى كما نوهنا مع رقية ابنة السادات فى أنها نذرت نفسها لحفاظ سيرة والدها بعد رحيلة، غير أن هدى، الدكتورة، فعلت ذلك فى ثوب علمى رصين بعيد عن الثوب القضائى الذى ارتدته السيدة رقية.

وفى عام ١٩٧٤ خرج هيكل من الأهرام، بعد أن أدى دوره بالنسبة للسادات، فاستقالت معه هدى. لم تستقل وحدها. بل استقال معها كذلك السيد حاتم صادق زوجها. وفى حين اتجهت هى لاستكمال الثوب العلمى بالحصول على الماجستـير والدكتوراة، اتجـه هو إلى البـيزنس كالعادة، البـيزنيس الذى ورثته عنه ابنتهما هالة، حاتم تم تعـيينه فى البنك العربى المحدود بالقاهرة، حتى وصل الآن إلى رئاسة مجلس إدارة بنك عودة اللبنانى- مصر.

وتقول هدى عن الفترة التى أعقبت استقـالتها من الأهرام: منذ استقلت من الأهرام فى فبراير ١٩٧٤ عندما تولى على أمين رئاسة التحرير وحتى الآن استمرت علاقتى الوثيقة مع الأستاذ هيكل وهدايت نتشارك فى الأيام العصـيبة، ومناسبات النجاح والأفراح؛ فلن أنسى مطلقا موقفه معنا فى الفترة القاسية بعد رحيل والدى.. وأولها حين اكتشفت بعد أيام عدة سرقة خزنته التى كانت موجودة فى حجرة مكتبه، (السيدة هدى اتهمت السيد سامى شرف

صراحة فى سياق آخر) ولن تمحى من ذاكرتى مطلقا مساندته لنا طوال فترة الردة الساداتية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣؛ عندما أصبحنا مستباحين نتعرض لحملات مكثفة من الهجوم الشرس استهدفت اغتيال شخصية جمال عبد الناصر فى وجدان الشعب العربى واستخدمت فيها جميع الوسائل المتدنية وغير الأخلاقية، وكثيرا ما لجأت إلى الأستاذ هيكل والدموع فى عينى أطلب التفسير أو المساندة.. لقد كان الأستاذ هيكل دائما يطمئننى، فبحكم خبرته وقراءته المتعمقة للتاريخ كنت دائما أجده واثقا من أن تلك الحملات لن تثمر، وكان يحثنى دائما على الصبر الذى كان عسيرا فى تلك الأيام السوداء مؤكدا على البعد الزمنى الذى من شأنه أن يضع التجربة الناصرية فى مكانها الصحيح فى التاريخ. ولن أنسى أبدا وقع كلماته وتحليلاته على وعلى والدتى التى عانت كثيرا طوال عشرين عاما عاشتها فى نار، بسبب مناورات الهجوم الإعلامى على والدى التى كانت تطلع علينا بين فترة وأخرى بافتراء جديد يستغرق وقتا حتى تكذبه الوقائع والشهادات التاريخية من المخلصين الذين عاصروا تلك الفترة المجيدة من تاريخ مصر والأمة العربية. وكثيرا ما حمدت الله أن مد فى عمر الأستاذ هيكل حتى يُتم مهمة كان والدى يتحدث عنها؛ وهى تسجيل تفاصيل تلك المرحلة، فقد كان يقول لى عندما أسأله عن كتابة مذكراته خاصة بعد أن كبرت وشغلتنى الأحداث السياسية ليس لدى وقت للكتابة.. هيكل سيتولى ذلك

وخلال أكثر من ٣٣ عاما منذ يوم الرحيل الحزين فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ امتلأت بها مواقف عدم الوفاء بل الخيانة وخيبة الأمل من جانب الكثيرين ممن عملوا مع والدى، استمر الأستاذ هيكل ثابتا على المبدأ.. لم يتغير بل ظل على عهده وذلك برغم مساحة الاختلاف مع جمال عبد الناصر التى عرضها فى كتبه ومقالاته. وإنى أعترف بأن موقف الأستاذ هيكل هذا قد ساعدنى على الحفاظ على توازنى خلال تلك السنوات العصيبة التى استنفدت أجمل سنوات عمرى فى قلق وغضب وثورة وإحساس بالعجز طالما حاولت ترويض نفسى على تحملها بلا فائدة.

ولعل ذلك كله هو ما دفعنى إلى الاهتمام بتوثيق حياة والدى فقضيت سنوات طوالا أعد نفسى حتى أكون علميا على مستوى تلك المسئولية الكبرى. فلقد بدأت على الفور الدراسات العليا فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ثم حصلت على الماجستير والدكتوراه، واخترت موضوعات تؤهلنى لهذه المهمة العسيرة وتشبع فى الوقت نفسه فضولى العلمى؛ الأول كان عن الديموقراطية الليبرالية التى طالما تشدق بها السادات، والثانى عن الحركة الوطنية قبل ثورة

٢٣ يوليو، لأتمكن من دراسة دقائق الحياة السياسية لرجال العهد البائد الذين فتح لهم السادات أحضانه مع سياسة الانفتاح التى سبقت تنازلاته فى كامب ديفيد.

بعد رحيل السادات والتوتر الذى شاب علاقته، السادات، (ببعض) أبناء عبد الناصر، جاءت موجة أخرى من التوتر مع الرئاسة فى بدايات عصر الرئيس مبارك، وتورط اسم خالد عبد الناصر فى قضية تنظيم ثورة مصر. غير أن العلاقات حدثت فيها انفراجة بعد وفاة السيدة تحية زوجة الرئيس الراحل عبد الناصر، وحصول خالد عبد الناصر على البراءة. وفى سبتمبر ١٩٩٦ يدعوها مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، الذى أنشئ خصيصا من أجلها، لإنشاء وحدة دراسات الثورة المصرية.

عادت هدى إلى بيتها لكنها وجدت الزمن قد تبدل، والحال قد تغيرت، لم تعد حتى القضايا التى تهتم بها هى السائدة على السطح، وبعد عدة سنوات تقدمت باستقالتها الثانية للأهرام. وبحسب ما بثته وكالات الأنباء وقتها فقد تقدمت هدى عبد الناصر الابنة الكبرى للرئيس المصرى الراحل جمال عبد الناصر باستقالتها من الإشراف على وحدة دراسات الثورة المصرية الملحقة بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بصحيفة الأهرام اعتراضا على صياغة عناوين تقرير صحفى، يتعلق بوالدها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر. وقالت رويترز إنها اطلعت على نص الاستقالة التى جاءت فى أعقاب نشر التقرير فى صحيفة الأهرام القاهرية متضمنا ملخصا لأحد المحاضر السرية لجلسات اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى وهى المحاضر التى تقوم على نشرها وتحقيقها هدى عبد الناصر. وكانت الحلقة التى نشرت قد حملت عنوانا لافتا فى صياغته، وهو: «بعد قبول مبادرة روجرز.. عبدالناصر يعلن أنه ليس مستعدا للوقوف أمام أمريكا» وتضمنت الحلقة محضر جلسة ٢٢ يوليو ١٩٧٠ التى كشف فيها عبد الناصر مبررات قبوله لمبادرة روجرز الامريكية لتسوية الموقف بين مصر وإسرائيل فى أعقاب حرب الاستنزاف التى خاضها الجيش المصرى عقب حرب يونيو حزيران ١٩٦٧ كما نفى فيها وجود أى اتفاقيات سرية أو علنية للدفاع المشترك بين مصر والاتحاد السوفيتى السابق. وجاء فى خطاب الاستقالة الذى تقدمت به هدى عبدالناصر إلى إبراهيم نافع رئيس مجلس ادارة وتحرير مؤسسة الاهرام: يؤسفنى الأساليب غير الشريفة التى استخدمت معى عند نشر ملخص المحاضر السرية لجلسات اللجنة المركزية لجلسات الاتحاد الاشتراكى العربى فى عدد الاهرام ١٨ يوليو ٢٠٠٢ حيث تم التلاعب فى أقوال الرئيس الراحل جمال عبد الناصر..وتم ذلك مع سبق الإصرار حيث إننى

قمت بمراجعة الصورة النهائية للمقال بنفسى وكذلك العناوين..ولكن تم تعديل متعمد بعد انصرافى من الجريدة. وأضافت هدى عبد الناصر فى نص الاستقالة لقد تحملت الكثير من المصاعب المتعمدة منذ قيامى بالإشراف على وحدة دراسات الثورة المصرية فى العام ١٩٩٦. وقالت هدى عبد الناصر التى تعمل أستاذا للعلوم السياسية بجامعة القاهرة فى خطاب الاستقالة لا أتحمل تشويه اسمى من جانب مؤسستكم للقيام بتشويه متعمد لكلام الرئيس عبد الناصر فى جلسة رسمية موثقة وموجود أصولها فى دار الوثائق القومية من أجل إعطاء انطباع كاذب يتنافى مع الحقيقة تماما.

وهكذا نرى أن سبب الاستقالة كان بسيطا يمكن تلافيه غير أن تقديرنا أن الدكتورة كانت تبحث عن أهرام هيكل فلم تجدها، لم تجد المركز الذى تركته فتركته ثانية، وللأبد.

هى نفسها عبرت عن الفارق بين المرحلتين فى مقالها عن محمد حسنين هيكل فقالت: لقد وصل الأمر إلى حد اتهامه (تقصد هيكل) بالصحافى الأوحد، وبأنه استغل قربه من جمال عبد الناصر ليحارب الصحاف يين الآخرين! لقد أثبتت الأيام عكس كل ذلك، ومن خلال عملى فى الأهرام فى فترتين من حياتى: الأولى مع الأستاذ هيكل من أكتوبر ١٩٧٠ وحتى فبراير ١٩٧٤، والثانية حينما دعيت لإنشاء وحدة دراسات الثورة المصرية فى سبتمبر ١٩٩٦ وحتى استقالتى فى يوليو ٢٠٠٢، خبرت بنفسى الفارق الكبير بين الفترتين. وتستمر هدى: لقد نجح الأستاذ هيكل فى جعل الأهرام مدرسة للصحافيين الشباب تخرج منها العديد من الرئاسات الصحافية الحالية، التى وإن غير بعضهم توجهاته من أجل مصالح مادية إلا أنهم ما زالوا يتمتعون بالكفاءة المهنية. وقد ذهب طموح الأستاذ هيكل إلى أبعد من ذلك فقد جعل من الأهرام أكبر تجمع حضارى للأدباء والكتّاب والشعراء والفنانين؛ مثل توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وزكى نجيب محمود ولويس عوض ومحمود درويش وعائشة عبد الرحمن وصلاح طاهر، وقد أضفى هؤلاء وغيرهم مناخا ثقافيا أبعد تأثيرا من المقالات التى كانوا يسطرونها فى جريدة الأهرام. وأهم من ذلك كله فلقد خلق الأستاذ هيكل فى مؤسسة الأهرام إحساسا بالانتماء ورغبة فى الارتقاء المستمر بالعمل الصحافى وبالدور الثقافى لتلك المؤسسة العريقة، وهو ما غاب عنها حاليا.

على أية حال وسواء كان فى الأهرام أو بعيدا عنه فقد كرست هدى جهدا ووقتا كثيرا فى سبيل إحياء اسم والدها، ومثلت خط الدفاع الأول عن حقبته، وتمثل تحمل السيدة هدى لمهمة الحفاظ على تجربة والدها فى ذلك الجهد الأرشيفى الضخم الذى بذلته عبر السنوات الطويلة والذى توجته بأضخم موقع على شبكة الإنترنت عن رئيس عربى، وفى صباح الثالث من يناير ٢٠٠٢ بثت وكالات الأنباء خبر الموقع حيث جاء فى الخبر: أطلقت ابنة الرئيس المصرى الراحل جمال عبد الناصر بمناسبة الذكرى الثالثة والثلاثين لوفاته موقعا على شبكة الإنترنت يتضمن جميع خطبه. وقالت هدى عبد الناصر لوكالة فرانس برس إن الموقع الذى تعمل لإنشائه منذ ثلاثة أعوام يتضمن ثمانية آلاف صفحة و ١٢٠٠ وثيقة وشرائط فيديو لخطب القاها بين عامى ١٩٦٠ و ١٩٧٠. وأضافت أن الموقع يحتوى على تسلسل زمنى وسيرة شخصية وعلى عدد كبير من الوثائق بينها وثائق بريطانية حول عبدالناصر. وأوضحت أن هدفى توصيل الحقائق للشباب فالقضايا التى عاش من أجلها ما زالت حية مثل القومية العربية والعدالة الاجتماعية. وأكدت أن هناك تشويها وتعتيما يمارسه الإعلام المصرى منذ وفاة والدها فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠. وتقول هدى عبد الناصر عن جهودها فى توثيق فترة حكم والدها: وعندما بدأت مهمة التوثيق كان أول أمر فكرت فيه هو جمع مقالات «بصراحة» للأستاذ هيكل وطبعها على أسطوانات ليزرية ليتاح للشباب أن يطلع على ذلك التسجيل الأمين لفترة صُرفت الملايين من أجل تشويهها، خاصة أن مقالات الأستاذ هيكل كانت قد توقفت عن الوصول للقارئ المصرى بعد أن أقاله السادات من الأهرام فى فبراير ١٩٧٤، واقتصرت معرفة الجيل الجديد به من خلال سلسلة من الكتب الموثقة. ولكم تمتعت بإعادة قراءة هذه المقالات بعد أكثر من ثلاثين عاما من كتابتها، وكانت سعادتى أكثر عندما كان طلبتى فى كلية الاقتصاد يناقشوننى فيها معربين عن دهشتهم من ذلك المستوى الصحافى الراقى، الذى لم تعرفه أجيالهم. فقد أدرك هذا الشباب الواعى حقيقة الهجوم الذى تعرض له الأستاذ هيكل خلال ما يقرب من الثلاثين عاما، والذى تواكب مع التقارب من الصهاينة والإذعان لعقد السلام معهم وهم ما زالوا يحتلون أرضا عربية.

ولم يقتصر جهد هدى فى الحفاظ على اسم والدها على التوثيق بل امتد ليشمل مراقبة الأعمال الفنية التى تتحدث عن والدها، تماما كما تفعل رقية السادات، فهى التى تشرف على مسلسل جمال عبد الناصر الذى يكتبه الكاتب يسرى الجندى، كما أنها تصدت للمخرج السورى أنور القوادرى عندما أخرج فيلما عن عبد الناصر لعب بطولته الفنان خالد الصاوى.

ويقول القوادرى عن معاناته معها: هدى عبدالناصر وصلت إلى حد تهديدى باستخدام نفوذها لمنعى من عرض الفيلم فى مصر. والسبب هو اعتراضها أساسا على تقديم فيلم روائى عن عبدالناصر، فيلم يثير جدلا وتساؤلات ويحاول أن يحسم بعض الأمور، كما يتضمن اجتهادات، مبنية على روايات معاصرى عبدالناصر، من مؤيديه وخصومة. لكن اعتراض هدى عبدالناصر هو للأسف اعتراض على القشور.

وقد اعترضت على مشهد يظهر فيه عبدالناصر بالبيجاما. المشهد يدور ليلا عندما ينهض من سريره وينزل إلى الصالون بسبب قلقه وانشغاله بصفقة الأسلحة السوفيتية التى ستصله فى طريق تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٥٥، فهل يعقل أن ينهض من سريره ليرتدى بذلته الرسمية فى منتصف الليل. اعترضت أيضا على قولى فى الفيلم أن عبدالناصر كان يعانى من السكرى بعد فشل مشروع الوحدة مع سوريا فى ١٩٦١، معتبرة أن ذلك يعنى إبراز نقطة ضعف عنده. أما مسألة موقفه من اليهود فهى أكثر ما استفز الدكتورة هدى عبدالناصر التى طلبت حذف مشهد لقائه بالضابط اليهودى يروهام كوهين عام ١٩٤٨ عندما كان الجيش المصرى محاصرا فى الفالوجة وقول كوهين، الذى أكد أنه احتفظ بذكرى جيدة عن عبدالناصر فيما بعد، أن «ناصر لا يكره اليهود لكنه ضد الصهيونية». هدى وعديد غيرها طالبوا بحذف هذه المشاهد لأنهم لا يريدون إثارة أى تأويلات حول موقف عبدالناصر من اليهود.

وبمناسبة إسرائيل تقول إن السيدة هدى ورثت عن والدها كثيرا من الشكل والصفات والطباع، ربما هى أكثر أشقائها الذى ورثوا عن والدها شكله وصفاته، غير أن أبرز ما ورثته هو عداؤها الواضح والحاد والمستمر لإسرائيل وترى أنها العدو الأبدى لأنها تقوم على استعمار استيطانى متمثل فى انتزاع الأراضى من أصحابها، كما أن أطماع إسرائيل لاتقف عند فلسطين بل تتسع من النيل حتى الفرات، ونحنُ نرى ماحدث فى العراق، ثم الهجمة الشرسة على السعودية بعد أحداث ١١ سبتمبر، كل ذلك يوضح وجود مخطط للسيطرة الصهيونية على العالم العربى.

والغريب أنه رغم التاريخ والوقت والجهد الذى بذلته فى سبيل إحياء تجربته فإنها لم تتجه إطلاقا لممارسة السياسة فى أحزاب سواء أحزابا معترفا بها أم حركات احتجاجية وهى تقول: السياسة ليست توريثًا ولن تكون كذلك، ولايوجد مايفرض على ترشيح نفسى لمجلس الشعب أو غيرة، إننى أفضل الحياة الأكاديمية وأعتز جدا كونى أستاذة فى الجامعة المصرية.

■■■

منـــى..
متعددة الجنسيات

ولدت على يديه.. وتربت فى أحضانه..
وخرجت عن مساره..
ولم تعد تنسب إليه إلا بشهادة الميلاد..

عادل حمودة

متحدثاً عن علاقة منى عبد الناصر بوالدها



□□

■■

الأب والابن والزوج

عندما قررت أن أبحث فى حـياة أنجال الزعماء كنت أفكر فى الجانب الإنسانى لذلك الرجل، أو المرأة، الذى يجد حياته كلها مشدودة للأب، عندما يخطئ يقولون إن ابن الزعيم أخطأ، وعندما يتكلم يقولون: ابن الزعيم يقول. وحاول أن تتذكر أى خبر قرأته عن ابن رئيس أو أمير أو ملك، وحاول أن تتذكر كم مرة قرأت اسمه دون أن يكون مذيلا بتلك الجملة الاعتراضية، نجل الزعيم فلان، إن ابن الزعيم يختلف عنى وعنك فى أنه يضطر للعيش فى جلباب أبيه شاء أم أبى. كل أنجال الزعماء ارتبطت أسماؤهم بآبائهم إلا منى جمال عبد الناصر.

وبكل أمانة أقول إن منى مسكينة، فالإنسان قد يجد صعوبة فى حمل تراث وحياة وخطايا شخص آخر حتى لو كان الأب، وحتى لو كان زعيما، فما بالك بامرأة كان قدرها أن تتحمل أوزارا وخطايا، أو ما يتصوره الناس كذلك، لثلاث رجال آخرين، كلهم مثير للجدل إلى أقصى درجة، وكلهم قاد حركة تعامل معها باعتبارها ثورة، وتعامل معها الكثيرون باعتبارها انقلابا. وإجمالا نقول إن منى مضطرة لدفع فواتير الأب (جمال عبد الناصر) والزوج (أشرف مروان) والابن (جمال مروان).

ولهذا تتضاءل أهمية السيرة الذاتية لمنى نفسها، ستجدها مختبئة دائمة فى مسيرة الأب والزوج والابن، مرتبطة بتحركاتهم، مرهونة بأفعالهم، رغم أن قراءة شخصيتها تدل على أنها لم يكن لها يد فى أى شىء فعله أى منهم. ولا علاقة لها بهذا الأفعال. بل ربما أنها لم تكن تعلم شيئا عن أخطر هذه الأعمال وأدقها.

الأيام الأولى

منى أصغر من هدى بعامين أى أنها من مواليد ١٩٤٧، تحديدا فى ٦ فبراير. ولدت فى نفس المستشفى، وتحت إشراف نفس الطبيب، الذى ولدت فيه شقيقتها الأكبر هدى. لكن شتان ما بين الشقيقتين فى كل شىء. وكما أننا رصدنا انتماء السيدة رقية السادات الشديد لوالدها، فى مقابل خروج كاميليا الابنة الثانية عن ذلك الالتزام، سنجد نفس الشىء فى عائلة عبد الناصر، لكن دعونا لا نستبق الأمور.

أيام منى الأولى لا يوجد فيها ما يذكر، دخلت المدرسة مع شقيقتها، وتدرجت حتى الثانوية العامة، وهى لم تكتب، وم تسجل مشاعرها فى تلك الفترة المبكرة التى لم يكن صوت خلالها يعلو على صوت المعركة، وظنى أنها لم تهتم بمثل تلك الأمور من نوعية التوثيق والتاريخ والأرشيف كما فعلت شقيقتها الكبرى، فكل شىء فى مسيرتها يؤكد أنها أبعد ما يكون عن جو الكتابة والتاريخ وما إلى ذلك.

كانت منى رومانسية، شديدة الرومانسية، ويعد أول حدث فى حياة منى يمكن روايته هو نتيجتها فى الثانوية العامة. كانت منى قد حصلت فى الثانوية العامة على مجموع بسيط، ويقال إن الجامعات المصرية لم تقبل أوراقها بسبب سوء مجموعها!! فاضطر والدها لإلحاقها بالجامعة الأمريكية!!

ونعود إلى محبى عبد الناصر ممن يجعلونه أسطورة فى الزهد والنزاهة، ونؤكد على أننا لا نشكك فى تلك النزاهة على الإطلاق، لكننا نرفض قراء الأحداث، مهما كانت صغيرة، لخدمة صناعة الأسطورة. لذا فإن من حقنا قراءة الأحداث على نحو مغاير مؤكدين على أنها اجتهادات لا حقائق، محاولات ترجو أن تنال شرف التساؤل ولا تحاول أن تمنح نفسها قداسة الإجابات اليقينية.

نعود إلى محبى عبد الناصر الذين يروون بفخر قصة التحاق منى بالجامعة الأمريكية على خلفية مجموعها الضعيف فى الثانوية العامة والتى يستخدمها على السبيل المثال السيد سامى شرف للتدليل على نزاهة عبد الناصر فيقول الأستاذ سامى:

جاء إلىّ أحد عساكر الشرطة من العاملين فى منشية البكرى شاكيا من عدم قبول نجله فى كلية الشرطة بعد أن نجح فى الثانوية العامة بمجموع مناسب للالتحاق بهذه الكلية كما أنه اجتاز كل الاختبارات ولكنه سقط فى كشف الهيئة أو ما يسمى بالاختبار الشخصى. فلما

عرضت الموضوع على الرئيس أوصى ببحث الأسباب وإبلاغه بالنتيجة فى نفس اليوم. استفسرت عن حقيقة الموضوع من شعراوى جمعة الذى بعد البحث أبلغنى أن سبب عدم قبول الطالب هو أنه ابن عسكرى وليس هناك من أسباب أخرى. فلما أبلغت الرئيس أمر بتوصيله بشعراوى جمعة وزير الداخلية وناقشه فى أسباب رفض قبول هذا الطالب وقال له أمّال تكافؤ فرص إيه اللى عمالين ننادى به يا شعراوى ؟ وهو أنا دخلت منى الجامعة الأمريكية ليه؟ ليه ما بنطبقشى ماننادى به؟ الطالب ده يدخل الكلية .

لن أعقب على ما قاله الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، فى حال صحة نسبته إليه، ولن أسأل ولماذا لم يلغ ناصر كشف الهيئة من أصله؟ فقط سنحاول قراءة الحدث من زاوية أخرى.

ونبدأ بالتساؤل عن تلك الفترة فى أواسط الستينيات عن ذلك المجموع الذى لا يؤهل للجامعة، ونقول إنه حتى بدايات الثمانينات كان النجاح فى الثانوية العامة بمجموع ٥٠٪ كان كافيا للالتحاق بالجامعة، ومن المعروف أن كثيرا من جيل الآباء بالنسبة لنا كانوا يفخرون بأنهم التحقوا بكليات قمة من نوعية الهندسة وخلافه بمجموع درجات أقل من ٦٠٪.

إن الناصريين أنفسهم يفخرون بأن الدولة وفرت التعليم الجامعى لجميع الناجحين فى الثانوية العامة، والعمل لجميع الخريجين عن طريق أمر التكليف. وبالتالى فإن قصة عدم قبول الجامعات المصرية لابنة الرئيس على خلفية مجموعها القليل لا تبدو لى مقبولة.

ولن أسأل: لماذا لم تقرر ابنة الرئيس إعادة السنة من أجل تحسين مجموعها؟ فهذا أمر يخصها لكننا لا يمكن أن نتجاهل قصة دخول ابنة الرئيس الجامعة الأمريكية.

الرئيس كان موظفا بدرجة رئيس. وحتى بيته، كما يروى ابنه خالد، كان عبد الناصر يحرص على أن يكون الدور الأول منه قطاع عام بينما الدور الثانى قطاع خاص. وكان يبالغ فى الحرص فيفصل بين المطبخين حتى لا يختلط مال الدولة بماله الخاص، فى إعادة عصرية لقصة خامس الخلفاء الراشدين عمر بن العزيز الذى كان يقرأ فى أوراق الخلافة على ضوء مصباح الخلافة، فلما انتهى وأراد قراءة بعض الأمور الخاصة أطفأ مصباح الدولة.

كل هذا حسن، لكن هل لنا الحق فى التساؤل حول مدى قدرة الرئيس، إن كان الأمر كذلك، على إلحاق ابنته بالجامعة الأمريكية؟!!!! الرئيس الذى يفخر مريدوه بأنه مات مديونا، ولا يوجد فى جيبه سوى ٨٣ جنيها، يلحق ابنته بالجامعة الأمريكية باهظة التكاليف والتى لم تخضع، ولم يكن فى مقدور أحد أن يخضعها، للقوانين الاشتراكية ومجانية التعليم. بصراحة هذا أمر يدعو إلى المراجعة.

ما علينا، نحن نقرأ فى أوراق حياة السيدة منى عبد الناصر وهى لا ذنب لها فى أى شئ. فلنذهب إذن إلى نادى هليوبوليس ونرى منى عبد الناصر الطالبة تلعب التنس كغيرها من البنات فى سنها فى النادى، ونجد شريكها فى اللعب هو الطالب فى السنة النهائية بكلية العلوم محمد أشرف أبو الوفا محمد أحمد مروان الشهير بأشرف مروان.

كان أشرف شقيقا لإحدى صديقات منى وهى عزة مروان. ومنها تعرفت منى على أشرف الطالب بكلية العلوم وقتها، واشتركا فى لعبة التنس ومع إيقاع مضارب الكرة كان كيوبيد يعزف إيقاعه الخاص بين الشاب والفتاة، وبالطبع عرض عليها الزواج، خاصة بعد أن تخرج وأصبح ملازما ثانيا فى سلاح الحرب الكيميائية على خلفية دراسته للكيمياء وعلى خلفية وظيفة والده اللواء أبو الوفا مروان.

تقارير الرئيس

بالطبع استعمل معه الرئيس عبد الناصر لغة التقارير التى جاءته بأصل وفصل الولد، ومن المؤكد أن تلك التقارير حملت أنه ولد فى القاهرة فى شهر فبراير عام ١٩٤٤.. وأن عائلته تنحدر من أصول صعيدية، وتحديداً من محافظة المنيا وأن جده كان رئيساً للمحكمة الشرعية ورجلاً أزهرياً معروفاً، أما والده فقد كان ضابطاً بالقوات المسلحة، وقد ترك الخدمة العسكرية وهو رئيس لإدارة التعيينات برتبة لواء وكان ذلك فى عهد الرئيس الراحل جمال عبالناصر صهره وبعد إحالته للمعاش عين رئيساً لمجلس إدارة شركة الأسواق الحرة.وبحسب الباحث محمد ثروت فى كتابه عن أشرف مروان فإن اللواء أبوالوفا مروان كان من أسرة متوسطة، وكان هادئاً، لا تكاد تسمع له صوتاً، وفى الوقت نفسه كان حاسماً وصارماً فى عمله.

أما والدة أشرف مروان فقد ذكر لى صديقه الدكتور محمود جامع، مازلنا مع ثروت، أنها كانت من عائلة عريقة تدعى فايد من صان الحجر، مركز بسيون، محافظة الغربية.ومن المؤكد كذلك أن التقارير ذكرت أن أشرف قد نشأ مع أسرته فى منشية البكرى.. إحدى ضواحى القاهرة، التى كان يقع فيها بيت عبدالناصر وكانت له شقيقتان إحداهما تدعى منى، والأخرى عزة وهى الأقرب إلى نفسه، وهى صديقة منى عبد الناصر، وكان له شقيق أصغر اسمه هانى.وقد حصل أشرف على شهادة الثانوية العامة من مدرسة كوبرى القبة، ثم التحق بكلية العلوم، جامعة القاهرة، قسم الكيمياء، ودائماً ما كان يقضى مع أصحابه إجازة يوم الجمعة بالإسكندرية وكان من المقربين له آنذاك اثنان ارتبط بهما، محمد فكرى وعصام

صيام، الطالبان بالكلية الحربية وقد تزوج فكرى من شقيقة اللواء سمير فرج رئيس مجلس مدينة الأقصر حالياً كما أصبح صيام حكماً ثم معلقاً رياضياً، أو يفترض كذلك، لمباريات كرة القدم لكن ما لم يرد فى التقرير هو أن أشرف اشتهر بطوله الفارع، ووسامته وابتسامته التى لا تفارقه، وطموح جارف فى شبابه.

وافق عبد الناصر على الزواج، ولا نذهب هنا مع من يقول بأنه وافق على الزواج بسبب حب البنت الشديد للولد، رغم التحذيرات بانتهازية الفتى الشديدة.

على أية حال تزوجت منى عبد الناصر من أشرف مروان فى يوليو ١٩٦٦.

تخرجت منى فى الجامعة والتحقت بقسم نشر كتب الأطفال فى دار المعارف، المملوكة للأهرام وقتئذ بمرتب قدره ثلاثون جنيهاً فقط! وكان زوجها أشرف مروان موظفاً فى الدرجة السادسة بمرتب قدره اثنان وثلاثون جنيهاً.

الكاتب محمد حسنين هيكل هو الذى يضع كلمة فقط بعد مرتب السيدة منى. لكننا إذا عرفنا أن راتب خريج الجامعة وقتها لم يكن يزيد عن خمسة عشر جنيها فربما وضعنا لفظا آخر.

الموظفة زوجة الموظف

على أية حال فإن قصة تعيين منى عبدالناصر فى دار المعارف لها جانب آخر بحسب المسئول عن دار المعارف فى ذلك الوقت وهو الدكتور السيد أبوالنجا، فى كتابه «مع هؤلاء» وفى الفصل الخاص بالرئيس عبدالناصر يقول السيد أبوالنجا: إن عبدالناصر لم يكن يعتبرنى من أنصاره، ولكنه مع ذلك استجاب لرغبة ابنته السيدة منى بعد أن تخرجت فى الجامعة الاميركية. وكانت تلميذتى فيها. فطلبت أن تعمل معى فى أراك بدار المعارف أما ما جرى بين منى وبينه فيرويه قائلا: وذات يوم دق التليفون فى مكتب مديرة مكتبى السيدة كريمة حافظ، وجاء صوت سيدة على الطرف الآخر، يقول: أنا منى جمال فسألتها كريمة عما تريد؟ قالت: أريد أن أتحدث إلى الدكتور السيد أبوالنجا فقالت كريمة: فى أى موضوع؟ قالت: فى موضوع خاص! فقالت كريمة: هل أنت قريبته، أو من بلدته، أو لك مصلحة خاصة، أقضيها لك، باعتبارى سكرتيرته؟! فلما لم تتلق جواباً شافياً، أقفلت التليفون، وبعد قليل طلبتها مرة أخرى ولم تجد بداً من أن تفصح عن شخصيتها.. أنا منى جمال عبدالناصر.. فسألتها: هل أنت كريمة الرئيس؟ ولما أجابت بالإيجاب حولت الخط على الفور.!!! ويستمر

الدكتور السيد قائلا: قالت لى منى إنها تود أن ترانى فرحبت، قالت: متى؟ قلت: الآن إذا أردت! قالت: شكراً، ولكن هل تسمح بتأجيل اللقاء إلى غد فى الوقت الذى تختاره؟ قلت: سأكون فى انتظارك من النجمة!! وضحكت وضحكت وفى اليوم التالى جاءت مع زوجها أشرف مروان فذكرت أن والدها نبه عليها ألا تستخدم اسمه فى البحث عن عمل فى دار المعارف! فعقبت على هذا بأن الدار بالصدفة تحتاج وظيفة يشترط فى شاغلها أن تكون سيدة، وأن يبدأ اسمها بحرف الميم، واستغرقنا فى الضحك، ولم أعرف كيف أتصرف مع منى عبدالناصر، فلجأت إلى هيكل، (هو كتب هيكل بدون ألقاب رغم أننى أشك فى أنه كان يستطيع قولها هكذا فى تلك الأيام) عموما نستمر مع الرواية: لجأت إلى هيكل فقال: أقترح أن تعطيها نفس المرتب الذى تعطيه لخريجى الجامعة الأميركية وان تطلب منها أن تمضى عند الحضور كما تفعل مع الآخرين، وأن تحاسبها على الآخر فهذا يسر أباها. وهكذا عينت منى بخمسة وثلاثين جنيهاً فى الشهر تحت الاختبار لمدة ثلاثة أشهر، وان كانت قد بقيت معى ست سنوات ونصفاً وصل مرتبها فى نهايتها إلى خمسة وستين جنيهاً.لم يكن عبد الناصر قد ارتاح تماما إلى مصير ابنته برغم تعيينها فى دار المعارف التابعة للأهرام، وبرغم زواجها، وربما لم يكن مرتاحا بسبب زواجها.

زواج تحت الرقابة

هكذا قرر عبد الناصر أن يبقى الصهر الجديد تحت ناظريه بأن عينه أولا فى الحرس الجمهورى، سرية الكيمياء حيث خدم لعامين ثم نقل أواخر عام ٦٨ إلى مكتب الرئيس للمعلومات ليكون تحت الإشراف المباشر لعينه الساهرة السيد سامى شرف، أمضى أشرف سنوات ثلاث ٦٦-٦٩ وهو على هذه الحال. وفى تقديرنا أن طموح أشرف كان أكبر من بقائه زوجا لابنة الرئيس، كحال حاتم صادق، موظفا فى مؤسسة الرئاسة بمبلغ ٣٥ جنيها مراقبا ٢٤ ساعة. وهكذا كان القرار بالرحيل، ولكن إلى أين يرحل صهر الرئيس، إنه العلم إذن. وهكذا تقدم أشرف بطلب السفر إلى لندن لاستكمال دراسته.ورغم استرابة أولية فى الطلب، إلا أن ثقة مكتب الرئيس فى قدرته على إبقائه تحت النظر، ولو سافر إلى المريخ، خاصة وأنه طلب الذهاب إلى لندن وفيها محطة مخابرات نشطة. كل هذا خفف من قلق الرئيس، ومكنت أشرف بالتالى من الهبوط فى لندن. وفى لندن كان أول مطب فى طريق أشرف وزوجته منى. فقد طلب أشرف من سعاد الصباح الشاعرة الشهيرة فيما بعد وقرينة الشيخ الكويتى عبد الله المبارك الصباح معونة مالية بحجة أن مخصصاته التى تدفعها القاهرة له كمبعوث لا تكفى

لسد نفقاته فى بلد مكلف خصوصا وأنه صهر رئيس الجمهورية. دفعت سعاد الصباح له ما طلب، فاشتغلت التقارير ورفع القنصل تقريره لمكتب الرئيس فجاءه الجواب بشحن أشرف مروان على أول طائرة.جرى التحقيق معه فاعترف بذنبه وعلله بغلاء المعيشة. كانت التوصية لعبد الناصر وكذلك قناعته، بحسب كمال خلف الطويل فى شهادته عن أشرف مروان، بأن الزلل يبرر التطليق.

تصرف عبد الناصر مع منى على عكس تصرف السادات مع كاميليا. كان ناصر صارما حازما لا يقبل فصالا فيما يعتقد به، وهكذا بدأ التفاوض حول الطلاق. لكن الابنة كانت تحب زوجها بل تعشقه، وهو ما سيتضح بعد ذلك بسنوات طويلة من دموع لاهفة وارتعاشات واجفة فى جنازته المهيبة.

أسهمت نصرة منى لزوجها مرة أخرى، بعد أن نصرته عندما طلبها للزواج، فى تليين الموقف، وفى السماح له بالعودة للندن لإكمال دراسات الماجستير مع دفعه المبلغ المستدان لسعاد الصباح وتعهده بعدم العودة لتلك الممارسات فى المستقبل، وأن أمامه مكتب الرئيس إن احتاج لأى عون. أغلبية المتابعين لمسيرة أشرف مروان، وبالتالى زوجته منى عبد الناصر، يؤرخون انقلاب مروان على عبد الناصر بيوم ١٤ مايو ١٩٧١، عندما انقلب السادات، أو ثار إن كنت من محبيه، على المجموعة التى عرفت فيما بعد بمجموعة مايو، والتى كانت حريصة على إبقاء ناصر على العرش بعد مماته، بغض النظر عن موقفنا من هؤلاء وأولئك، المهم أن أشرف انحاز للسادات، ومد يده له متجاهلا غضب محبى عبد الناصر ومنهم أبناؤه.

إلا أننى أعتبر حادثة سعاد الصباح (١٩٦٩) هى البداية الحقيقية لهذا الانقلاب المروانى على ناصر.

وهنا أود أن أقول إننا لن نتناول هنا قصة اتهام أشرف مروان بالجاسوسية مطلقا لأننا نؤمن بأن كل ما يقال فى هذا الشأن هو مجرد كلام يقال أما الحقيقة فربما تظهر بعد عقود طويلة، وربما لن تظهر. كما أن هذا ليس مجالنا ونحن نتحدث عن ابنة الرئيس.

غير أن هناك شيئا لا يمكن أن نفوته فى هذا الصدد وهو رواية صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية التى ذكرت أن أشرف مروان مات فى اليوم نفسه الذى كان يفترض أن يلتقى فيه المؤرخ الإسرائيلى آهارون بريجمان الذى زعم أن مروان له هوية جاسوسية فى كتاب صدر تحت عنوان تاريخ إسرائيل جاء فيه أن أشرف مروان المستشار لعب دور العميل المزدوج ببراعة وزود إسرائيل بمعلومات مضللة قبل حرب أكتوبر عام ألف وتسعمئة وثلاثة

وسبعين وأثناء المعارك.ونقلت عن بريجمان قوله إن مروان اتصل به فى الليلة السابقة لموته وترك له ثلاث رسائل صوتية على آلة التسجيل حدد فيها موعدا للقائه مساء اليوم التالى.

المهم أن هذا المؤرخ يقول: بعد مضى نحو عامين على حرب يونيو عام ألف وتسعمئة وسبعة وستين طرق شاب مصرى فى منتصف العشرينيات من العمر باب السفارة الإسرائيلية فى لندن وطلب العمل لحساب الموساد ولأن الطريقة التى تطوع بها هذا الشاب كانت مباشرة وغريبة.. لم يستجب له ممثل الموساد فى السفارة، لكنه أصر وترك بياناته على وعد بالعودة مرة أخرى.

وذكر الكتاب أن مسئولى الموساد أصيبوا بصدمة شديدة لدى تحققهم من شخصية هذا المتطوع، إذ اكتشفوا أنه مسئول مصرى كبير تربطه صلة قرابة بالرئيس المصرى فى ذلك الوقت، جمال عبد الناصر.

وجاء فى الكتاب أن الإسرائيليين جندوه على الفور، واعتبر فيما بعد أهم جواسيس إسرائيل المصريين، فكان يتقاضى فى كل مقابلة له مع ضابط الموساد المشرف عليه مئة ألف جنيه إسترلينى.وهكذا دفعت إسرائيل لأشرف خلال سنوات تخابره معها ثلاثة ملايين دولار. وللحفاظ على سرية شخصية هذا الجاسوس كان الإسرائيليون يشيرون إليه باسم الدكتور أو زوج الابنة.وأطلق على هذه العملية اسم عملية بابل.

بالطبع نحن لا ندعم هذه الرواية. أولا لهوية راويها، وثانيا لما ذكرناه من شكنا لكل ما يقال فى هذا الملف، وثالثا إذا كانت عيون ناصر قد عرفت أنه طلب نقودًا من سعاد الصباح، فهل تعجز هذه العيون عن رصد أنه ذهب إلى سفارة إسرائيل شخصيا؟ غير أن ما يعنينا هنا هو تاريخ ذهاب أشرف المزعوم إلى السفارة الإسرائيلية فى لندن، وكان فى نفس العام الذى طرق فيه باب سعاد الصباح، وهذه لا يمكن إنكارها، وما أتبع ذلك من غضب ناصر الشديد عليه. ولأنه لا دخان بلا نار فإننا نذهب إلى أن أشرف كان يحاول الخروج من قفص عبد الناصر وأن يخط لنفسه طريقا، ويأخذ زوجته معه فى الطريق الجديد.

على أية حال حقق القدر لأشرف ما أراد ورحل ناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠.

منى عبد الناصر.. أم منى مروان؟

ثم بدأ عهد السادات..الذى عين أشرف سكرتيرًا للمعلومات بدلاً من سامى شرف فى مايو ١٩٧١، وهكذا انتقم أشرف من رقيبه السابق.

وعن علاقة أشرف بالسادات يقول محمود جامع: أخبرنى السادات شخصيا بثقته الشديدة فى مروان، وأنه فى منتهى الأمانة والذكاء ويبلغ رسائله بدقة، علاوة على علاقاته العامة بمجموعة كبيرة من الشخصيات النافذة فى دول مختلفة، وصداقاته مع القذافى. وبدأ نجمه يعلو، وظل مساندا للسادات حتى فى ظل الحرب الاعلامية التى شنت ضد عهد الرئيس عبدالناصر، مما جعل أسرة الأخير تقاطعه، إلى حد أن د.حاتم صادق زوج هدى عبدالناصر لم يدعه فى حفل زواج احدى بناته.

وما يهمنا فى شهادة جامع هو خروج منى عبد الناصر من آل عبد الناصر فعليا عند هذه النقطة، لقد قاطعها الأشقاء، وتحولت إلى منى مروان تشترك مع زوجها فيما يقوم به وبحسب وائل الإبراشى فإنها ساعدته فى كثير من أعماله حيث يقول: أجدنى متحمسا للحديث عن الأم السيدة العظيمة والمحترمة منى عبدالناصر. لقد اتصلت بى من لندن قبل نقل الجثمان إلى القاهرة بساعات كانت غاضبة وحزينة ومنهارة. رغم صلابتها المستمدة من صلابة أبيها الزعيم الراحل جمال عبدالناصر من أى معالجة إعلامية تنساق وراء الدعايات الإسرائيلية التى تستهدف الإساءة إلى عبدالناصر أولا وتشويه انتصارنا.

ثانيا: أعلم أن (منى عبدالناصر نفسها شاركت إلى جوار زوجها فى الكثير من المهام الوطنية التى ساهمت فى انتصار أكتوبر)، وسط الحديث التليفونى توقفت عند جملة قالتها منى عبدالناصر أنا خايفة على أولادى، لقد أصابتنى هذه الجملة بالذعر والغضب، وتساءلت هل يمكن أن تتصاعد هذه الحملة الإسرائيلية المشبوهة المتزامنة مع صمت رسمى مصرى إلى حد تهد يد أسرة أشرف مروان بعد وفاته؟ هل يمكن أن يمتد الخطر إلى ابنة عبدالناصر وأحفاده؟.

وهكذا فإن السعى من أجل قراءة حياة منى عبد الناصر لا يمكن إلا من خلال قراءة حياة أشرف مروان الذى اكتسب ثقة السادات وطبقا للتحقيق البديع الذى أعده فنان الأرشيف ياسر ثابت عقب وفاة أشرف مروان بيومين لا غير فإن مروان كان مبعوثا شخصيا للرئيس المصرى منذ عام ألف وتسعمئة وواحد وسبعين لرؤساء وملوك الدول العربية والأجنبية. وعندما تم تأسيس الهيئة العربية للتصنيع عام ألف وتسعمئة وأربعة وسبعين برأسمال مليار دولار بين مصر والسعودية وقطر اختير رئيساً لها. وهاجمته الصحافة بقوة فى ذلك الوقت نظراً لما اعتبره البعض بذخاً فى الإنفاق.. واتهمه الكاتب الصحفى جلال الدين الحمامصى بارتكاب تجاوزات مالية. كما شن موسى صبرى الصحفى المقرب من السادات حملات قوية ضده أطلق فيها عليه الطفل المعجزة.

ويحكى موسى صبرى فى كتابه «السادات.. الحقيقة والأسطورة» أنه دار بينه وبين السادات حديث ودىٌّ حول مروان سأله فيه عن سر تمسكه بالأخير بالرغم من هذه الشائعات المحيطة به فأجابه السادات بالقول: أنا لا أقبل أن أمد يدى لأى حاكم عربى، لكننا نتعرض لمآزق مالية خطيرة، وأشرف يقوم بهذه المهمة، كما أنه قدم خدمات ممتازة فى موضوع الأسلحة، واستطاع بجهده الشخصى أن يذلل كثيرا من العقبات مع المصانع الفرنسية بالذات، وتم هذا فى أوقات حرجة وقبل حرب أكتوبر ١٩٧٣.

وتدريجياً بدأ نجم أشرف مروان فى الأفول لدرجة أن الرئيس السادات طلب عام ألف وتسعمئة وثمانية وسبعين أن يحقق النائب العام معه بسبب أراض زراعية اشترتها زوجته فى منطقة الهرم.. وكان السؤال الرئيسى فى التحقيق هو: من أين لك هذا؟.. وفى التحقيق قال مروان إن زوجته اشترت أرضاً بثمن سيارات أهدتها لها شخصيات عربية تكريما لها بوصفها ابنة الرئيس عبدالناصر ثم باعت هذه الأرض بسعرٍ أكبر واشترت بالثمن الجديد قطعة أكبر.. وفى النهاية تم حفظ التحقيقات.

وفى عام ألف وتسعمئة وتسعة وسبعين خرج مروان من الهيئة العربية للتصنيع بعد أن منحه الرئيس السادات وسام الجمهورية من الطبقة الأولى لينطلق بقوة فى دنيا الأعمال.

ويقول د. محمود جامع صديق ومستشار الرئيس السادات فى فترة السبعينيات إن مروان استغل وجوده على رأس الهيئة العربية للتصنيع فى الدخول إلى عالم صفقات السلاح مستغلا علاقاته الدولية الواسعة.. وأنجز بالفعل لصالح مصر صفقات طائرات الميراج الفرنسية التى كانت متعثرة.. وأنجز صفقات سلاح لدول عديدة منها ليبيا.. وكان بالفعل يأخذ عمولاته.

ومن الواضح أن أشرف مروان ونافذته الليبية -وبالتحديد عبر الرجل الثانى فى ليبيا آنذاك عبد السلام جلود - حصدا ثروات طائلة عبر صفقة الميراج الفرنسية لليبيا أواخر عام١٩٦٩.

ويشير جامع إلى أن أشرف مروان استمر فى هذا البيزنس بعد خروجه من رئاسة الهيئة وابتعاده عن السلطة ودخل فى صراعات مع تجار سلاح كبار.. وكان له رجاله فى لندن. ولم تنقطع فى هذه الأثناء صداقته بالرئيس السادات وظل على اتصال وثيق به. كذلك ارتبط بصداقة حميمة بالسيدة جيهان السادات حيث كانت بينهما مصالح مشتركة.

والشاهد أن الرجل استغل علاقاته وصداقاته القوية بعدد من المسئولين العرب وعلى رأسهم صديقه كمال أدهم، صهر العاهل السعودى الملك فيصل بن عبد العزيز ورئيس جهاز المخابرات العامة السعودية، ليؤسس شركات تجارية وعقارية فى لندن.

وهناك فى أرض الضباب صعد مروان بسرعة الصاروخ ليصبح واحداً من نجوم المال.. ويقال إنه اشترى أرضاً باعها بخمسة أضعاف قـ يمتها بعد أقل من عامين وهو ما جعله يشترى أسهماً فى شركات عديدة منها هارودز وبولى بيك وبى فيس لوكس وهى شركة تجارة ومقاولات كبـ يرة. كما اشترى فندقا سـ ياحـ يا فى إسبا نيا.. فضلاً عن أسهم فى شركات..فيليب أستريد هولدنج وأمريكان انترناشيونال بتروليوم.وكان فى وقت سابق من كبار حملة الأسهم فى نادى تشيلسى الرياضى لكرة القدم.

وهكذا ظلت حـ ياة أشرف مروان ومعه زوجته منى عبد الناصر بعـ يدة عن الأضواء لفترة طويلة. حتى رحل فى ٢٧ يونيه ٢٠٠٧. سقط من بلكونة فى لندن كما سقطت سعاد حسنى وكما سقط الليثى ناصف وغيرهم وربنا يرحم الجميع.

محا الموت أسباب العداوة بيننا

وكما لم نتطرق للاتهامات التى تم توجيهها للسيد أشرف مروان بالجاسوسية فإننا لن نتوقف كذلك أمام ملابسات رحيله الغامض. هل انتحر؟ هل اختل توازنه؟ هل قتلته الموساد؟ أو أجهزة مخابرات أخرى؟ هل قتلته المافيا؟ هل قتله قلمه الذى كان ينوى أن يخط به مذكراته التى من المؤكد أنها ستفضح كثيرين؟ الله أعلم.

لكننا نعلم أنه ترك أرملة مكلومة لم تعرف غيره حبـ يبا وزوجا ونصيرا ورفيـ قا وومرشدا فى الطريق، أرملة فقدت من ذهبت إليه تاركة أسرتها واسم أبيها وثورته مفضلة البقاء فى كنفه.

وإذا كان الشاعر يقول: محا الموت أسباب العداوة بيننا فإن هذا هو حال المهندس خالد عبد الناصر والسيدة هدى شقيقته الكبرى مع شقيقتهما منى، فقد تقدم السيد خالد عبد الناصر والسيدة هدى جنازة أشرف مروان التى كانت جنازة رسمـ ية مهـ يبة حضرها السيد جمال مبارك الذى اقتربت منه السيدة منى وانهارت باكية، خصوصا وأن والده الرئيس مبارك برأ ساحة زوجها من تهمة الجاسوسية.

أبواب جهنم

رحيل مروان الحزين فتح على منى عبد الناصر أبواب جهنم، وجعلها فى دائرة الضوء بعد أن قضت أكثر من ثلاثين عاما فى الظل وقد أدلت بحوار مثير لجريدة الأهرام ويكلى كشفت

فيه عن خلفيات كثيرة خاصة بقضية مصرع زوجها.. حديث منى عبدالناصر توافق مع تطورات أخرى أهمها قيام شرطة سكوتلانديارد البريطانية باستدعاء عدد من الاسرائيليين لاستجوابهم ومازالت هذه الاستجوابات جارية ولم تنته بعد وهدفها الكشف عما إذا كان هناك تورط إسرائيلى فى مصرع أشرف مروان عندما لقى أشرف مروان مصرعه كانت زوجته السيدة منى عبدالناصر فى العاصمة اللبنانية بيروت. تقول منى عبدالناصر: عندما قرات بعد مصرع مروان كل ما نشر على لسان عدد من مساعديه بأنهم رأوه يلقى بنفسه من بلكونة منزله لم أصدق ذلك على الإطلاق. تقول منى عبد الناصر كيف يمكن لانسان مريض مثل مروان أن يلقى بنفسه أو حتى يجلس فى البلكونة فى الوقت الذى كانت فيه الرياح شديدة وتهدر صفيرا حاداً وقالت منى عبدالناصر إنه لابد أن يكون للإسرائيليين يد فى عملية القتل الباردة لزوجها. وتقول: لم يكن هناك ذرة من الشك فى وطنيته ولا شك أن الإسرائيليين كانوا يريدون الانتقام منه. وتبدى منى عبدالناصر تحفظات حول أحد المقربين من زوجها الراحل وهو المدعو عصام شوقى وتقول لقد قام هذا الشخص. عصام شوقى. بنهب الملايين من شركة زوجى وقد قررت عزله وطرده من الشركة ولم يعد موظفاً فيها الآن وأنا متأكدة أن هناك حكما قضائيا سوف يصدر بحبسه. إنه كذاب وشاهد زور على أن زوجى ألقى بنفسه من البلكونة وتقول منى عبدالناصر المشكلة مع هذه النوعية من الأشخاص مثل عصام شوقى أنهم لا يمتلكون أى إحساس بالكرامة أو الفخار الوطنى، ولذلك يمكن شراؤهم بالمال بسهولة وتصر منى عبدالناصر على أن الإسرائيليين هم الذين حبكوا السيناريو الذى ادعوا فيه أن زوجها قام بإلقاء نفسه من البلكونة وقاموا بشراء شخصيات مثل عصام شوقى للترويج لهذا السيناريو. وتضيف أنا متأكدة أن التحقيقات سوف تكشف عن أن الإسرائيليين هم الذين قاموا باغتيال أشرف. وللعلم فإن مكتب النائب العام المصرى يتابع بصورة وثيقة تحقيقات سكوتلانديارد فى القضية وحادث الاغتيال وتعود منى عبدالناصر للحديث عن عصام شوقى مرة أخرى فتقول هذا الشخص هو للأسف الشاهد الرئيسى فى القضية كان عصام شوقى يعمل فى الظاهر مع زوجى وكان زوجى يأتمنه على عدد كبير من مصالحه ولكن عصام شوقى قام بطعنه فى الظهر من خلال الادعاءات التى تفوه بها بعد الحادث وكلها ادعاءات مزورة.. إنه على استعداد لبيع نفسه للشيطان. وكان الصحفى عادل حمودة قد عبر عن اعتقاده بأن جهاز الموساد الاسرائيلى هو الذى ربما يسعى لتشويه صورة أشرف مروان ولكنه أكد أنه لا توجد ذرة من شك فى أن مروان قد حقق الملايين أو حتى المليارات من خلال

استغلال موقعه كسكرتير للرئيس السادات كما أن سامى شرف سكرتير الرئيس عبدالناصر ومدير مكتبه كان موقفه أيضا غير متعاطف مع أشرف مروان. وحسب تعليق سامى شرف.. لو كان جمال عبدالناصر لايزال على قيد الحياة واكتشف ان زوج ابنته يعمل جاسوسا لقام بإطلاق النار عليه فى الحال وهناك انقسام فى الرأى بين الشعب المصرى حول قضية أشرف مروان. وقد انعكس هذا بشدة على صفحات الصحف المصرية. ويقول فؤاد علام الرئيس السابق لجهاز أمن الدولة إن قضية أشرف مروان كلها يلفها الغموض، وإنه يجب على مصر أن تشكل لجنة تحقيق فى مقتل أشرف مروان ويضيف هذا واجبًا قوميًا أن نحقق فى هذه القضية بصورة جادة، لأنها قضية فى نظرى تمس الأمن القومى المصرى. ولا يكفى أن يقول الرئيس مبارك إن مروان برىء من تهمة التجسس لصالح الإسرائيليين.

تقدم عصام شوقى بدعوى أمام القضاء وهكذا وجدت منى عبد الناصر نفسها متهمة لأول مرة، وقد قررت محكمة جنح مصر الجديدة يوم تأجيل نظر قضية السب والقذف المقامة من عصام الدين شوقى رجل أعمال ومساعد أشرف مراون ضد أرملة أشرف مراون للاطلاع على المذكرات والمستندات التى قدمها دفاع المدعى بالحق المدنى والتى تتضمن تقريرا حول ترجمة ما نشر من عبارات سب وقذف فى حقه.

وعصام شوقى هذا هو زوج عزة فوزى عبد الحافظ سكرتيرة أشرف مروان (فوزى كان سكرتير السادات) وعصام فى الوقت نفسه عمل لسنوات طويلة معه فى شركة كيماويات كان يملكها أشرف مروان فى بريطانيا ويملك عصام شوقى نسبة منها.. وبعد انفصالهما قررا تصفية الشركة.. وكان ذلك قبيل وفاة أشرف مروان بدقائق وهو ما جعل عصام شوقى يشهد هو ومن معه بأنهم شاهدوا أشرف مروان يلقى بنفسه من شرفة مكتبه.

وطالب المحامى بعقاب منى عبد الناصر بالمواد التى تجرم السب والقذف والتعرض للحياة الشخصية مع تعويض مدنى مبدئى ٥٠٠١ جنيه.

وضم ملف القضية نسخة من صحيفة الأهرام ويكلى التى نشرت التحقيق وترجمة معتمدة لما نشر ومستندات أخرى من بينها صورة ضوئية لملف أشرف مروان فى إدارة الهجرة فى حكومة مقاطعة كيبك الكندية وهو الملف رقم (٤١٠٣ ـ دى ـ ٩٨٥٣) الذى بمقتضاه حصل أشرف مروان على الجنسية الكندية ثم منحها لزوجته وولديه جمال وأحمد.

متعددة الجنسيات

وبما أننا وصلنا إلى الجنسيات فلابد أن نذكر أشد أبواب جهنم قسوة، والذى فتحه الصحفى عادل حمودة على منى عبد الناصر، فى مقال له استخدم فيه كعادته العبارات الرشيقة، والمعلومات القليلة إلا أنها كانت معلومات نارية حيث فتحت ملف جنسيات السيدة منى عبد الناصر، ولا يسعنا هنا سوى ما كتبه عادل فى صحيفة الفجر حيث يقول:

هل تخجل منى جمال عبد الناصر.. ابنة الزعيم الوطنى الخالد جمال عبد الناصر لو كشفنا بعضا من أوراقها الشخصية المستورة والمخفية والمسكوت عنها؟.. هل تشعر بالندم مما فعلت لو نشرنا لها مستندات دامغة تخصها غير مشكوك فيها، وتقيم الدنيا ولا تقعدها؟.. هل تعلن توبتها مما ارتكبت وتعود من جديد إلى أفكار وقيم وتاريخ وتصرفات وسلوكيات رجل ولدت على يديه.. وتربت فى أحضانه.. وخرجت عن مساره.. ولم تعد تنسب إليه إلا بشهادة الميلاد.. جمال عبد الناصر. ويستمر حمودة: فى مطار القاهرة جمعتنى صدفة عابرة بدبلوماسى شاب كان فى طريقه إلى بلاد بعيدة ليبدأ مشواره العملى فى مهنة تفرض على أصحابها الصمت ولو تعرضوا للتعذيب.. لكنه.. كان لا يزال فى منطقة الثرثرة الإنسانية.. فوجدته يقول: لقد تابعت كل ما نشرته عن جريمة أشرف مروان.. أنا مثلك لا أجد مبررا لأن يقتله المصريون.. فقد كان على وشك أن يصفى حياته الطويلة فى الغربة ويعود إلى بلاده.. كما أننى مثلك لا أجد مبررا لأن يقتله الإسرائيليون.. فقد كان عميلا مثاليا بالنسبة إليهم.. فأين يجدون جاسوسا ينتسب إلى عائلة جمال عبد الناصر.. ويحظى بثقة خليفته أنور السادات.. كما نال شهادة إنصاف من حسنى مبارك؟! كان الشاب الذى تخرج فى الكلية التى تخرجت فيها، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، يتكلم وكأنه لن يتكلم بعد اليوم.. فلم أكن فى حاجة لاستفزاز معلوماته.. فوحده قال: إن أشرف مروان تلقى اتصالا من سفارة عربية دعته لإتمام صفقة من صفقات السلاح التى اشتهر بها.. لكنه لم يستجب.. واعتذر بحجة الاعتزال.. وأغلب الظن أن الذين تخلصوا منه هم ينتمون لذلك العالم الخفى للسلاح. ركبنا نفس الطائرة.. ورغم أن مكانى كان بعيدا عن مكانه فإن الثرثرة التى تصاعدت بيننا قربت المسافات.. خاصة أن الكلام كان قد وصل إلى منى عبد الناصر.. فقد سمعت منه ما أصابنى بالذهول.. هل تعرف أنها تحمل الجنسية الكندية؟.. والحقيقة أننى لم اكن أعلم ذلك.. بل وأكثر من هذا لم أتخيله. كان ما سمعت مثل هجمة مباغتة تشق حفرة كبيرة فى سكونى وتاريخى وجريت للإمساك بها قبل أن تفر هاربة منى. كيف يمكن لابنة رجل مثل جمال عبد

الناصر يعتز بوطنيته أن تجد فى جنسية أخرى مهما كانت دولتها وقوتها ملجأ وسندا؟.. إن هناك مئات من المصريين يحصلون على جنسية أخرى كل يوم.. وربما كل ساعة.. لكننا لا نتحدث عن شخص عادى.. نحن نتحدث عن ابنة جمال عبد الناصر.. فهل يمكن أن يتلقى الطعنات من أقرب الناس إليه؟. لم أحاول أن أصدق ما سمعت.. فرغم أن الفئران الخبيثة راحت تمرح تحت قدمى فإننى سارعت بتكذيب نفسى.. بنفسى.. لكن.. بقيت بقعة متحركة من الشك لا تتركها دون حسم شخصيتى الصحفية التى علمتنى أن أكبر الفضائح وأخطر القضايا تبدأ بزلة لسان أو كلمة شاردة غير مقصودة. سألت دبلوماسياً كبيراً فى سفارة كندا عن صحة الخبر فعاد بعد ثلاث ساعات ومعه صور ضوئية من الوثائق التى تؤكد صحته.

الوثيقة الأولى: صورة ضوئية لبطاقتها الشخصية الكندية وتحمل رقم (٧٣٢٨٤٧٠) وتاريخ ميلادها فيها ٦ فبراير ١٩٤٧.. وكانت هناك معلومات أخرى.. مثل.. الطول: ١٦٥ سنيتمراً.. لون العيون: براون.. وتاريخ إصدار البطاقة عام ٢٠٠٠.. ثم توقيع بخطها تحت صورتها.

الوثيقة الثانية: صورة ضوئية لجواز سفرها الكندى وهو يحمل رقم بى سى ٢٧٥٠٦٢.. بنفس تاريخ الميلاد.. وصادر من السفارة الكندية فى القاهرة بتاريخ ١٣ مايو ٢٠٠٥ وصالح لغاية ١٨ مايو ٢٠١٠. وتحته ملاحظة أنه لا يصلح للعمل فى الماكينات الممغنطة والمشفرة بمعلومات لا تحتاج للدخول عبر منافذ الجوازات الكندية. مستندات لا يمكن الطعن فيها.. تقول إن منى جمال عبد الناصر لم تعد ابنة أبيها.. بل أصبح من الطبيعى أن تغير اسمها إلى منى أشرف مروان.. فهو الذى غيرها وسلخها عن أفكار المتواضع الذى انحاز لشعبه ووطنه وبلاده ولم يكن هناك ما يغريه بالحصول على جنسية أخرى غير الجنسية المصرية، ولو وضعوا الشمس فى يمينه والقمر فى يساره. وأغلب الظن أن منى أشرف مروان حصلت على الجنسية بالتبعية لزوجها الذى لابد أنه نالها مثله مثل غيره من رجال الأعمال الأثرياء باستثمار بعض ثرواتهم هناك.. فى كندا.. ويمكن استنتاج أن ولديها جمال وأحمد يحملان نفس الجنسية.. وهما بالمناسبة من أحفاد جمال عبد الناصر أيضا. لكن.. مع ذلك كله.. فهى وكل من يتبعها أحرار فى أن يحصلوا على الجنسية التى يرونها.. كندية.. سعودية.. إسرائيلية.. هم أحرار فلو كنا نعاتبهم من باب حرصنا على جمال عبد الناصر فهم لم يحرصوا عليه.. ليس فى الجنسية الأجنبية التى حصلوا على جواز سفرها وإنما فيما هو أسوأ وأصعب وأخطر.. تجسس زوجها.. صهر الزعيم الوطنى العظيم.. لصالح المخابرات الإسرائيلية.. هم أحرار.. يعيشون فى القاهرة أو لندن أو تل أبيب.. فقد تجاوزوا فيما قبل كل الحدود فلماذا نحاسبهم

على ما حدث منهم فيما بعد؟. على أن ما ليس من حقهم وإنما من حقنا هو أن نحاسب وزارة الخارجية على أن تستمر فى منحها - وقد حصلت على جنسية دولة أجنبية - جواز سفر دبلوماسياً وكأنها شخصية رسمية لها كل الحصانة والرصانة والسلامة. لقد نجحت فى الحصول على صورة ضوئية من جواز السفر الذى استخرجته الخارجية المصرية لها.. ومعلوماته لا تكذب ولكنها تسخر منا.. ومن الذين وافقوا عليه.. جواز سفر دبلوماسى رقم (٠٠٠١٥٦٥٤) باسم السيدة منى جمال عبد الناصر والوظيفة: حرم السيد الدكتور محمد أشرف مروان سفير سابق بوزارة الخارجية.. وتاريخ الميلاد ٦ فبراير ١٩٤٨. (لاحظ هنا أن تاريخ الميلاد ناقص سنة عن تاريخ الميلاد فى الوثائق الكندية وهى غالبا الأدق إذ يصعب على منى عبد الناصر أن تغير معلومات فيها) أما تاريخ إصدار الجواز فهو ٢٠ فبراير عام ٢٠٠٦ أى أنه صالح للاستعمال حتى الآن.. والدليل على ذلك أيضا أن تاريخ الانتهاء هو ١٩ فبراير ٢٠١١.. وصدر فى القاهرة عن وزارة الخارجية. إن هذه الوثيقة تفجر أكثر من مفاجأة لم نكن نعرفها ولا نصدقها:

١ - أن أشرف مروان كان يحمل جواز سفر دبلوماسياً بصفته سفيراً سابقاً منذ أن ترك مناصبه الرسمية وتفرغ لأعماله الخاصة وحتى وفاته.

٢ - أن أشرف مروان ظل يستعمل جوازه الدبلوماسى فى دخول بلاد العالم المختلفة والخروج منها وهو يمارس بيزنس السلاح الذى احترفه بكل ما فيه من مصائب وفضائح ومخاطر.

٣ - أن الخارجية المصرية ظلت تجدد له جواز سفره الدبلوماسى وجواز سفر زوجته الدبلوماسى أيضا وهما يحملان جنسية أخرى غير جنسية بلادهما.. هى الجنسية الكندية.. فهل كانت الخارجية المصرية تعرف ذلك أم أنها كانت آخر من يعلم؟.. ولو علمت بهذه الحقيقة الصدمة الآن فماذا تفعل؟. لقد تلقى جمال عبد الناصر ضربات لم تتوقف من الغرباء فكان يلوذ بنفسه إلى أقرب الناس إليه.. لكن.. ماذا يفعل الرجل والضربات المؤلمة والساحقة تأتى الآن من أقرب الناس إليه؟».

وبعد ثلاثة أسابيع نشرت صحيفة الفجر مقالا لصحفية بالجريدة تقول فيه:

منذ ثلاثة أسابيع انفردت «الفجر» بنشر مستندات تثبت أن منى عبد الناصر تحمل بطاقة شخصية كندية بجانب بطاقتها الشخصية المصرية.. كما أنها تحمل جواز سفر كنديا بجانب

جواز سفرها الدبلوماسى المصرى بصفتها زوجة سفير سابق فى وزارة الخارجية هو اشرف مروان. وقد تقدم ثلاثة من نواب الإخوان باستجواب لوزيرى الداخلية والخارجية لسحب جواز السفر الدبلوماسى من منى عبد الناصر وسحب الجنسية المصرية منها لو أصرت على الجنسية الكندية. وهذا الأسبوع نفجر مفاجأة جديدة من سلسلة المفاجآت التى لا تنتهى فى ملفات أشرف مروان الغامضة وعائلته.. مفاجأة هذا الأسبوع هى أن أشرف مروان مواطن بريطانى.. يحمل الجنسية البريطانية.. ويحمل جواز سفر بريطانيا. حصل أشرف مروان على الجنسية البريطانية عام ١٩٩١.. أما جواز سفره البريطانى الذى حصلنا على صورة ضوئية منه فيحمل رقم ٥٠٠١١٨٠٠٤ وجرى تجديده آخر مرة فى ١١ أغسطس عام ٢٠٠٤ فى وكالة الجوازات والهجرة فى لندن. أما بيانات الجواز فهى كالتالى:

اسم العائلة: مروان.. الاسم: محمد أشرف.. سبب صدور الجواز: مواطن بريطانى.. تاريخ الميلاد: ١٥ يناير ١٩٤٤.. محل الميلاد: القاهرة وبحصول أشرف مروان على الجنسية البريطانية يكون من حق زوجته منى عبد الناصر الحصول عليها لتضيف إلى جنسيتيها المصرية والكندية جنسية ثالثة.. وهو ما يضاعف من مأزقها النفسى والسياسى والتاريخى والعائلى بصفتها ابنة الزعيم الخالد جمال عبد الناصر الذى كان مثالا للوطنية وللزهد والتقشف والإيمان ببلاده.

وكان جزاء حمودة على تلك الحملة التى شنها قبل وبعد وفاة أشرف أن تسلمته قناة ميلودى المملوكة لجمال مروان ابن منى عبد الناصر بما لا يليق.

غير أن هذا يجرنا لإطلالة سريعة على سمى الرئيس الراحل عبد الناصر جمال مروان.

ميلودى تتحدى العالم

وإذا كانت منى قد قضت شطرا من حياتها فى كنف الأب الرئيس الراحل عبد الناصر، حيث كانت أكثر أبنائه تباهيا به، ثم أتبعت ذلك بقسم أكبر من عمرها فى كنف الزوج، فإن الابن ليس بعيدا عن تلك الحياة. والابن هو جمال مروان صاحب شركة ميلودى الذى ورث عن جده حبه للمعارك، واستمراره فيها حتى النهاية، وتحديه للعالم، وتبريره لكل ما يفعله، وشخصيته المثيرة للجدل، إلا أنه نقل كل هذا إلى مجال الترفيه.

لطالما أثار اسمه الجدل واتهمته الصحافة بإفساد الفن العربى. لكن وسط حملة الانتقادات، ظلّ جمال مروان واثقاً بنفسه وأعماله، بعدما حققّ حلمه وأحدث «انقلاباً» فى عالم الفن عبر

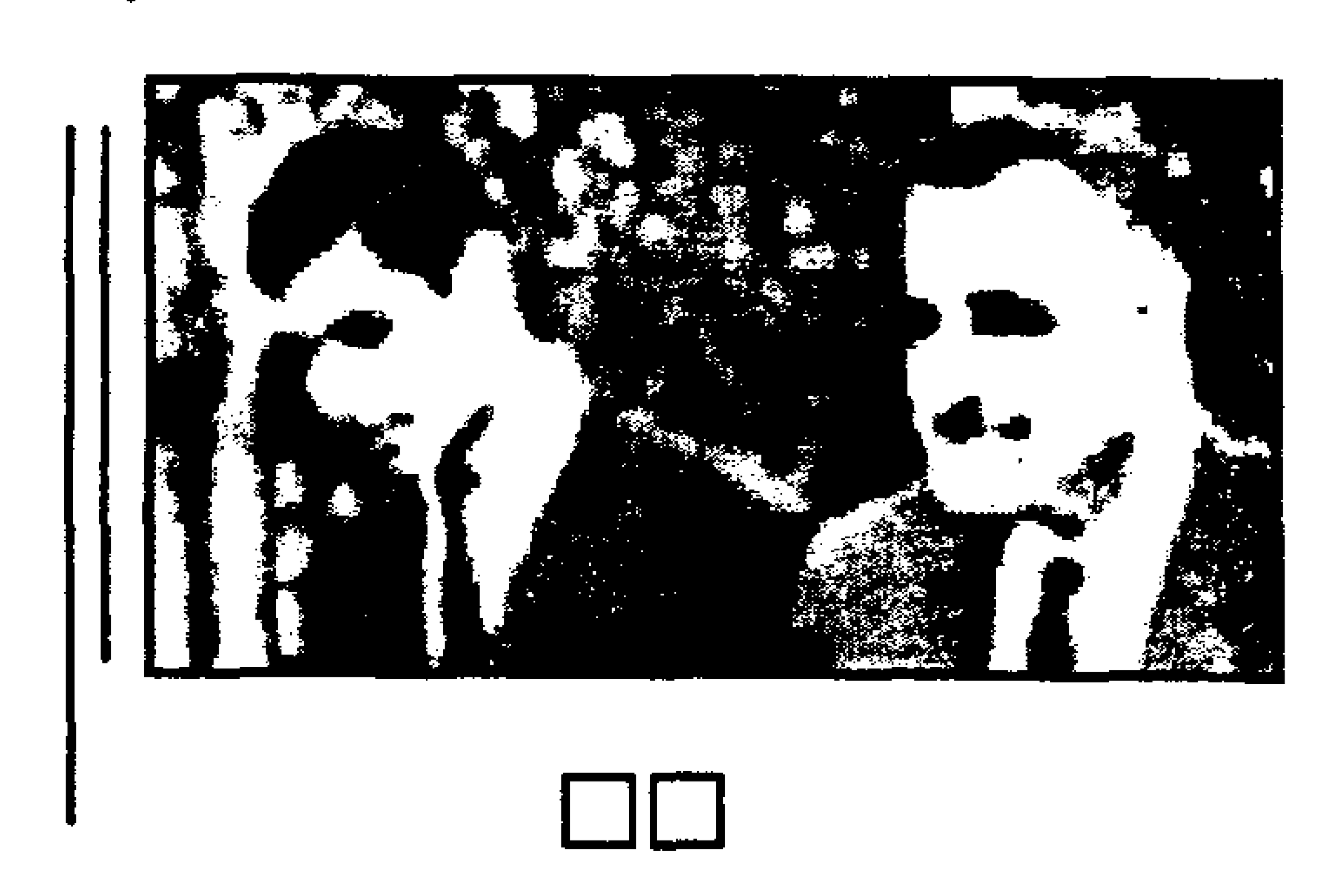
افتتاح قناة «ميلودى» للموسيقى، وشركة الإنتاج الخاصة بها. لا تختلف تركيبة القناة عن شخصيته، فهو يتمتع بجرأة زائدة وديناميكية مرنة... يتحدّى ويقارع حتى شركاءه. وها هى قضيته المعقّدة مع شريكه السابق ورجل الأعمال المصرى نجيب ساويرس تتصدر عناوين الصحف المصرية. وما إن وقّع الثنائى مذكرة تفاهم تقضى بدمج شركة «فايم» (صاحبها ساويرس) مع «ميلودى»، حتى دبّت الخلافات ووصلت إلى قاعات المحكمة. وتناقلت الصحف تشبيهه لرجل الأعمال المعروف نجيب ساويرس بـ..... (اسم حيوان أليف) واتهمه الملحن عمرو مصطفى بمحاولة قتله، واتهمته الصحافة بحضه على الرذيلة والإباحية عبر قناة ميلودى التى تتحدى الملل والمشاهدين والعالم كله.

■■■

خــالد.. الفنــان

« لن أغفر للسادات أبداً أنه لم يمكنى من إلقاء نظرة أخيرة على أبى »

خالد عبد الناصر



□□

■■

رأيته مرة واحدة فقط، كان ذلك يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٩٤. كانت ذكرى وفاة جمال عبدالناصر. كنت ناصر يا من المتحمسين. وكنت على استعداد للذهاب للسجن أو الموت فى سبيل ذلك، ذهبت بالفعل بعد ذلك بشهور فى زيارة سريعة لعشرة أيام على خلفية مظاهرة تندد باشتراك إسرائيل فى أحد المعارض التجارية بالقاهرة، وفى اليوم الذى رأيت فيه الدكتور خالد عبد الناصر كنت فى زيارة لضريح عبد الناصر لإحياء ذكراه، وهناك كان يقف بجوار محمد حسنين هيكل.

عندما رأيتهما استبدلت تلقائيا الدكتور بوالده الزعيم، وكان المشهد بحق مهيبا، كانا أشبه بأسد وثعلب يقفان معا ليتدبرا أمور الغابة. ربما كان الخيال المراهق للشاعر الذى كنته هو ما جعل الأمر يبدو على تلك الصورة. لم أكن من هواة الهرولة نحو المشاهير، فطوال عمرى وأنا لا أحب مشهد هؤلاء الذين يجرون نحو النجوم، أو من يرغبون فى التصوير معهم، والابتسام ببلاهة للكاميرا. لم يكن هذا تكبرا بل لأننى موقن من أن النجم يمل هذا التصرف، ففى ظنى أن من يقابل نجما يحبه يتصور أنه أول إنسان عادى يقابله، ومن هنا يكون الاحتفال، ومن هنا يكون الملل. وبحكم تكوينى فإننى آخر صفة أتمنى أن أتسم بها هى أكون مملا.

ولكى لا أكون مملا سأتوقف عن سرد خواطرى عن ذلك اللقاء، فقط سأشير إلى أن ضيق المكان جعلنى قريبا جدا منهما فسلمت عليهما. وعندما نظرت إلى عينى خالد عبد الناصر عرفت لماذا وكيف حكم ناصر كل تلك السنوات، وبكل تلك القوة. أما هيكل فقد اندهشت بشدة من قصر قامته فقلت له بتلقائية الصعيدى المراهق: كنت أظنك أطول من هذا!! فرد بدهاء رجل السلطة المحترف: أشكرك على تلك المجاملة!!!

كبرت وتبدلت الأحوال وتغيرت الأفكار، ولكننى كنت أتذكر تلك المرة كلما قرأت شيئا عن خالد جمال عبد الناصر أو قرأت شيئا له.

وخالد فنان يكتب بحرفية رغم دراسته للهندسة بجامعة القاهرة. وهو فنان كذلك فى تسجيل مذكراته. وبحكم تكوينى الشخصى فإننى أتعامل بحذر مع المذكرات، ففى تقديرى أننا لو استسلمنا لمذكرات الشيطان نفسه وهو يحكى قصة حياته لانتابنا شىء من التعاطف معه. كما أننى أحترس بصورة أكبر من أولئك الذين يحرصون على كتابة مذكراتهم، وبصورة أكبر وأكبر مع من يكتبون مذكراتهم بحساسية كتلك التى يكتب بها خالد عبد الناصر ذكرياته.

كان خالد هو أول الذكور وثالث الأبناء وآخر من ولد من أبناء عبد الناصر قبل الثورة، فقد ولد فى الخامس والعشرين من ديسمبر لعام ١٩٥٠. وفى إحدى المرات التى كتب فيها خالد مذكراته لجريدة العربى، وكما هى العادة سجلها فى صورة مشاهد شديدة العذوبة، إلا أنه لم يتحدث عن ميلاده فى المشهد الأول، وفى تقديرى أن هذا مرجعه إلى أن خالد عبدالناصر كتب كثيرا من المذكرات، لكن واحدة منها لم تكن مذكراته، بل كانت مشاهد تصلح أن تقال على لسان محام ضليع فى محكمة التاريخ دفاعا عن رجل اسمه جمال عبدالناصر، وهكذا يتسلمنا خالد من لحظة ميلاده التى أخرها لتكون المشهد رقم ١٢ من أصل عشرين مشهدا للدفاع عن نزاهة والده وسمعته وتاريخه وسيرته وثورته يقول خالد:

فى حجرة مستشفى الدكتور على إبراهيم أشهر أطباء النساء والولادة فى ذلك الوقت رقدت نجمة السينما الشابة فاتن حمامة بانتظار حادث سعيد، احتفالات الكريسماس، اقتربت... ومستشفى الولادة الشهير بالدقى لا حديث للممرضات فيه غير فاتن حمامة وزوار فاتن حمامة. بحجرة مجاورة رقدت سيدة شابة تنتظر مولودا جديدا للأسرة. الاسم: تحية كاظم. وربما حادثت زوجها الصاغ جمال عبد الناصر بما تناقلته الممرضات من أخبار النجمة المحبوبة. وفيما بعد روت لى أمى وبأدق التفاصيل قصة هذه الأيام بمستشفى على ابراهيم. فاتن حمامة ولدت ابنتها نادية من المخرج السينمائى عز الدين ذو الفقار يوم ٢٣ ديسمبر قبل ولادتى بيومين ولأسباب ما، سجل اسمى رسميا بدفاتر المواليد يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٤٩ وسجل اسم نادية بذات الدفاتر ١ يناير ١٩٥٠ وتشاء الأقدار أن تدخل تحية كاظم مستشفى على إبراهيم مرة أخرى، بعد خمس سنوات لتلد أخى عبد الحكيم، هذه المرة حاصرت موجات فضول الممرضات زوجة رئيس الجمهورية. وقتها قال لى أبى: تعال يا خالد... وأخذنى إلى زيارة أمى بالمستشفى... وأنا لا أكاد أدرك شيئا مما يحدث حولى.

انتهت اللقطة، ونحن لن نعقب عليها بل إننا سنحاول هنا جمع أكبر قدر من تلك المشاهد سواء تلك التى كتبها خالد بنفسه، أو أدلى بها فى حوارات، سنعيد ترتيبها لتكون أكثر منطقية من الناحية الزمنية ثم نعود لنتناول شخصية الدكتور خالد وتاريخه.

« جدتى لأمى اسمها فاطمة كانت من طنطا. وجدى لأمى إبراهيم كاظم نزح من إيران لمصر، ولدينا أقارب فى إيران والعراق وباكستان. قالت لى أمى إن أباها لم يكن يتحدث العربية بفصاحة، فى أيام كثيرة تطلب أمى السيارة، وتغادرنا دون أن تخبرنا إلى أين، ونفاجأ آخر النهار بعودتها بأكياس الحمص أحضرتها لنا من طنطا مسقط رأسها، كانت تزور مسجد السيد أحمد البدوى وتتبارك به.

●●●

فى أواخر الأربعينيات وكنا نعيش فى شارع الجلالى، خرج أبى بصحبة أمى ربما للذهاب إلى السينما تقدمها بخطوتين أو ثلاثة على عادة المصريين فى تلك الأيام مر بجوارها شاب يركب دراجة وألقى عبارة معاكسة. تجاهل أبى، الضابط العائد من ميادين القتال فى الفالوجة، الموقف. عاد الشاب بدراجته وألقى عبارة مماثلة وبحركة سريعة أمسك أبى بجلبابه ولقنه درسا لا ينسى. ظلت أمى حتى أيامها الأخيرة تستعيد معنا هذه الذكريات وتقول : لقد كان يحبنى.

●●●

الأب.. ده كان مدرسة.. ليس مثله أحد.. تصور قائد وعمره ٣٤ سنة.. ومات وعمره ٥٢ سنة.. مات شابا.. هقول تعلمت منه ايه ولا ايه.. لكن أهم ما تعلمته أن الشعب هو القائد والمعلم.. وهو الأصل.. ومن ينفصل عن شعبه لن يعطيه الشعب الحب.. كان «زعيم».. لدى العرب قائد قومى.. وفى أمريكا اللاتينية ثائر.. وفى الهند زعيم عدم الانحياز.. وفى باكستان.. زعيم إسلامى.. وفى أفريقيا والعالم الثالث.. قائد تحرر وطنى.. وفى مصر.. نصير الفقراء.. ياه.. ياه.. مش بقولك.. كان مدرسة.

كان يحب الناس.. والغلابة إلى درجة التعصب.. كان يقول لى: شعبنا «واعى» وطيب. ويستاهل نعمل له كل حاجة طيبة.. شعب قاسى من أيام الاستعمار.. يبقى لازم يطمئن على غده.. كان مؤمنا بالشعب إيمانا كاملا.. لا تصدق أن هناك حبا من طرف واحد.. هو أحب الشعب وأخلص له، فأحبه الشعب وأخلص له.وليس معنى هذا أنه كان يحدثنى فى السياسة.. لكنه كان دائم الإشارة إلى الناس البسطاء والغلابة.. كم مرة كنت أركب بجواره السيارة، ويستوقفه شاب أو صبى، أو طفل، يمشى على قدميه، أو يجلس، وربما تكون ثيابه رثة.. فيتألم كثيرا.. ويسرح بعيداً.. ويقول.. (شايف يا خالد.. إمتى دول يبقوا زيك).

●●●

البعض قال عن حرم عبدالناصر إنها (صعيدية) و(متقوقعة).. أذكر أن الفنانة فاتن حمامة قالت ذلك والحقيقة.. إن أمى كحرم لرئيس الجمهورية كانت تقوم بواجبات حرم رئيس الجمهورية تماما.. تخرج إلى المطار لاستقبال أى رئيس إن كان برفقته حرمه.. وإذا كان هناك عشاء مثلا لرئيس زائر لمصر ومعه حرمه تحضر العشاء.. وكان هذا يتم فى الوقت الذى ترعى فيه خمسة أطفال بعد قيام الثورة.. ومع مرور الأيام التحق الأطفال بالمدارس، وما إلى ذلك.. وكانت هى تقوم بمباشرة كل هذا باعتبارها أما.. قامت بكل واجباتها كحرم رئيس للجمهورية.. سافرت يوغسلافيا.. واستقبلت خروشوف، كما قامت بكل واجباتها كأم، فعلت كل ذلك فى ظل تقاليد وقيم الشعب المصرى.أكبر قيمة تعلمتها منها هى القناعة.. وعدم الجرى وراء المال.

لم تكن تعلم قبل الثورة بأمر تنظيم الضباط الأحرار، كانت تعلم أن هناك شيئا ما.. من خلال الزيارات لباقى أعضاء التنظيمات، واجتماعاتهم فى بعض الأحيان فى البيت.. وكان الوالد يخفى أحيانا القنابل فى حقيبة تحت السرير ويقول لها على سبيل التمويه إنها برتقال.. حتى يقوم بتصريفها إلى باقى أعضاء التنظيم.. ثم تكتشف هى الحقيقة بأن البرتقال هو قنابل.. كانت مؤمنة بالدور.

●●●

لم تكن لنا أبدا حياة خصوصية، ضباط الحراسة والعاملون فى كل مكان، كل يؤدى واجبه الوظيفى لم أسمع الرئيس ينادى أمى باسمها، أو باسم تدليل، فحياتنا تحت الأنظار، كان يناديها دائما بلقب واحد يا مدام وضباط الحراسة ينادونها بلقب آخر يا هانم. لم يكن عبد الناصر يحب هذا اللقب ويراه غريبا على لسانه. كان يدللنا ولم يكن يتحرج من تدليل أطفاله الصغار أمام العاملين وضعنا يختلف عن وضع أمى.

●●●

فى أحد أيام عام ١٩٥٤ جاءت سيارة نقل أثاث لشارع الجلالى بالوايلى حيث كنا نسكن قبل الثورة وبعدها وحتى أصبح أبى رئيسا للجمهورية. عزال شقتنا المتواضعة نقل بسرعة إلى فيلا بمنشية البكرى من ممتلكات الجيش كانت مخصصة من قبل لإحدى القيادات الوسيطة، الفيلا بدت لنا أقرب للكوخ، دور واحد بأربع حجرات وملحق بها حديقة تتسيدها أشجار الجوافة كانت هناك بهذه الحديقة مرجيحة قديمة ومتهالكة غير أنها كانت هدية السماء بالنسبة لى فى الصباح كنت أتسلق أشجار الجوافة، وفى المساء كنت أستمع لأصوات

مرتفعة تصدر عن الحديقة. فى السنوات الأولى للثورة كانت بعض مداولات مجلس القيادة تجرى هناك، وفى الغالب كانوا يطلبون كباب من حاتى أبو شقرة للعشاء، لم تكن هناك فى البداية، وكما أتذكر جيدا، حراسات على منزل رئيس الجمهورية، بالمعنى المتعارف عليه، ولم تكن هناك ترتيبات محددة وصارمة لإجراءات الأمن. صحبنى أحد العاملين بالبيت لجولة فى الشوارع المحيطة ووصلنا على أقدامنا حتى كوبرى القبة، وهالنى وقتها أن الناس كلها حافية، وتساءلت بصدمة ابن الخامسة ليه؟ وفيما بعد أدركت الاجابة أو معنى التغيير الذى أحدثه جمال عبد الناصر فى الخمسينيات والستينيات بالمجتمع المصرى، لما اكتشفت أمى اختفائى من المنزل وأن أحدا لا يعرف أين أنا حدث اضطراب شديد، وبعودتى هدأت الأمور وتعرض صديقى فى رحلة التمشية للتعنيف، وأذكر أن والدتى صحبتنا أنا وأشقائى بالأتوبيس والترام لزيارة خالتنا منيرة بالجيزة. خالتى منيرة كانت متزوجة من السيد يوسف وزير التربية والتعليم فيما بعد..

●●●

أثاث بيتنا ميرى ملك الدولة، وقع عليه أبى بالاستلام عهدة وعادت للدولة بعد رحيل والدتى. بعض الأثاث بالدور الثانى ملكية خاصة اشتراه أبى من راتبه، صالونه الشهير بالدور الأرضى كل شىء فيه صنع فى مصر.. القماش والسجاجيد والنجف والكراسى... شىء واحد لم يكن مصريا... لوحة لبنت واقفة ترتدى زيا أبيض، وشاب جالس على ركبة ونصف يقدم لها ودعا. لا أعرف الفنان الذى رسمها واللوحة موجودة الآن فى بيت شقيقى عبد الحكيم. نطلق عليها لوحة الودع. ما الذى أعجب أبى فى هذه اللوحة فاشتراها؟ لست أدرى. ربما تلخص بطريقة فنية شعور الإنسان بالعجز عن توقع ضربات القدر. فى هذا البيت عاشت أمى أروع أيامها. كانت تقول باستمرار عن بيت منشية البكرى : بيتى، وعندما ذهبوا بها إلى قصر القبة لتلقى العزاء فى زوجها قررت بعد وقت قصير أن تعود لبيتها تتلقى العزاء فيه، وأن تتخفف من المراسم الرسمية. بلا قصر قبة أو إجراءات خاصة. العزاء أرادته من بسطاء المصريين وعامة الناس.

●●●

فى بيت منشية البكرى مطبخان، مطبخ بالدور الأرضى، مصاريفه من رئاسة الجمهورية لإعداد موائد الغداء أو العشاء لضيوف الرئيس من الرؤساء والملوك ورؤساء الوزارات وكبار المسئولين العرب والأجانب، تيتو وخروتشوف تناولا طعام العشاء فى بيتنا، تقاليد الضيافة

الدبلوماسية تقتضى استضافة رؤساء الدول والشخصيات المرموقة لتناول الطعام فى بيت الرئيس لإضفاء أجواء خاصة على زياراتهم للقاهرة. ومطبخ بالدور الثانى لإعداد طعام الأسرة، أمى كانت تشرف على مطبخها، والرئيس يقول لنا : الدور الأول قطاع عام... والدور الثانى قطاع خاص. تكاليف طعامنا يدفعها الرئيس من راتبه. ولم نأكل أبدا من أكل مطبخ الدور الأرضى، فصل كامل بين المطبخين هناك سلم يربط بينهما، أحيانا كنت أصعد عليه لسرعة الوصول، قاعة الطعام بالدور الأرضى هى ذات قاعة السينما، عندما يكون هناك ضيوف وموائد رسمية توضع مائدة طعام كبيرة بالقاعة عبارة عن موائد صغيرة متجاورة، وبعد الانتهاء من العشاء ومغادرة الضيوف البيت ترفع الموائد وتوزع فى الصالة الكبيرة. فى الأوقات العادية تتحول صالة الطعام لقاعة عرض سينمائى.

●●●

الساعة الثالثة تماما من ظهر كل يوم موعد الغذاء فى بيت الرئيس، الموعد مقدس والرئيس لا يتناول طعامه معنا إلا على الغداء، أمى سيدة منزل بالمعنى الذى تعرفه أى أسرة مصرية من الطبقة الوسطى، تطبخ لنا وظلت حتى وفاتها فى أوائل التسعينات تطبخ بنفسها وكان لديها عشة طيور بها دجاج وأرانب وديوك رومى، تصحو مبكرا وتصلى الفجر ثم تنزل للحديقة تحادث الجنينية وأبى كان يقول لنا دائما أكل أمكم مفيش زيه. الطعام عادى : أرز ولحم وخضار، أو أرز ودجاج وخضار، ولا شىء آخر، والملوخية طبقه المفضل غير أنى ذات يوم لاحظت على مائدة الطعام طبقا غريبا، لا هو ملوخية ولا هو «خبيزة» وعرفت من أبى أن اسم هذا الخضار الغريب «رجلة» ونحن نأكل الرجلة أول مرة باستمتاع شديد ربما بتأثير استمتاع عبد الناصر بطعمها أخذ يحكى لنا الرئيس أنه أثناء حصار الفالوجة ١٩٤٨ وجد الضباط المحاصرون بالمنطقة رجلة طالعة شيطانى، طبخناها وأكلناها بشهية لا تنسى. ثم قال الرئيس : تذكرتها اليوم، وأردت أن نستمتع بشهيتها معا. وفى يوم آخر فوجئنا بأن الرئيس قد طلب للغداء فول حراتى أخضر بينما كان الحلو المفضل عند الرئيس البقلاوة وقد قال ذات مرة فى حديث صحفى أثناء حصار الفالوجة: أحب البقلاوة من يد زوجتى ولكن إصابته المبكرة بالسكر حرمته من البقلاوة وأخواتها.

●●●

من عادة الرئيس فى خطاباته لجماهير مصر والوطن العربى فى ذروة صعود حركات التحرير الوطنى أن يوجه تحية إثر الأخرى لكل حركة تنهض ولكل إنجاز جديد تحققه فى

مواجهتها للاستعمار. أمى ببساطتها كان يسعدها تكرار كلمة تحية على لسان عبد الناصر حتى لو اختلف السياق. أجمل عبارات الحب أن يقول لها عبد الناصر : يا تحية.

●●●

سيدنا الحسين رفيق أسرتنا الدائم فى الملمات. كان الرئيس يزور مسجد الحسين من حين لآخر كلما سمحت الظروف، فى الأغلب يصطحب معه سكرتيره الشخصى فى الخمسينيات محمود الجيار فى سيارة الرئاسة وخلفه سيارة حراسة واحدة. ولم تكن هناك إجراءات خاصة فى هذه الزيارات، كلها زيارات مفاجئة وخارج البرامج المقررة لتحركات الرئيس. وحراسات الرئيس. مالم تكن هناك مواكب رسمية لصحبة رؤساء الدول الذين يزورون مصر، لا تزيد أبدا عن سيارة حراسة واحدة. أمنه الشخصى كان مكفولا باعتقاد فريق الحراسة أن حماية الرئيس أرفع مراتب الوطنية المصرية، وتستحق شرف الموت من أجلها، كانوا مستعدين للموت عشانه، قائد ومجندين. كما كان ينشد وقتها صلاح جاهين ويغنى عبد الحليم حافظ... فى ظلمة الليل بعد صلاة العشاء، وعندما يخلو المسجد من المصلين والمترددين عليه للتبرك بسيدنا الحسين، يزوره الرئيس، يقرأ الفاتحة على روحه الطاهرة، ويصلى ركعتين لله، ويزور المقام وحجرة المخلفات، إذا دخلت مسجد الحسين سوف تجد فى أحد جنباته لوحة رخامية تشير إلى أنه جرت توسعته فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر. والدتى كانت تذهب بصورة منتظمة إلى مسجد الحسين بعد صلاة العشاء بحراسة محدودة لا تثير التفاتا، تدخل من باب جانبى مخصص للسيدات لزيارة سيد الشهداء. لا أتذكر أن والدتى صحبت الرئيس فى زيارته للحسين.

●●●

علاقتنا بأم كلثوم حميمة جدا، كانت تربطها بوالدتى صداقة شخصية عام ١٩٥٦ اتصلت بنا عند خالتى منيرة التى كنا نزورها فى الجيزة. عرفت من والدتى أننا فى زيارة عائلية، وقريبون من فيلتها بالزمالك. قالت لنا: بتعملوا إيه فى الظلمة... دعتنا لبيتنا. الغارات الجوية فوق العاصمة، والظلام يخيم عليها. الغارة انتهت، وذهبنا لتانت ثومة. أمسكت بالعود، وحاولت العزف عليه، وثومة تشع من حولنا بهجة وطمأنينة. شعورى نحوها حتى الآن، بعد كل هذه السنوات الطويلة، كأمى تماما. تانت ثومة كانت تتبادل مع والدتى الزيارات، وتحضر أعياد ميلادنا. بعد رحيل والدى ظلت علاقة تانت ثومة وثيقة بوالدتنا.

●●●

مبروكة مربية أطفال فى بيت منشية البكرى، قريبة من قلب أمى، حان وقت الزواج فى أواسط الستينيات، خطبها حمدى محمدين أحد العاملين بالمنزل. زفة مبروكة خرجت من بيت الرئيس عبد الناصر، جلس منتظرا بدء الزفة على كنبة بمرجيحة فى الحديقة، ظهرت مبروكة بفستانها الأزرق وخلفها كل العاملين بالرئاسة، شغالون وشغالات، طباخون وسفرجية، وموظفون صغار للمهام الإدارية، تقدم الرئيس الزفة، ووضع يده على كتف مبروكة، وبجواره زوجته وأولاده وبناته، أعطى الرئيس مبروكة مائة جنيه من ماله الخاص كنقطة زواج، ومضت الزفة بمبروكة حتى البوابة الرئيسية، وصاحبهما عبد الحكيم الابن الأصغر للرئيس حتى منزل الزوجية بشارع ترعة الجبل فى الزيتون.

●●●

أبى كان رجلا شديد الهدوء، رجلا معقولا فلم أره منفعلا أبدا، إلا مرتين وكانتا مع شخص واحد من الحراسة، وكان شخصا جالبا للتوتر، كان دائما يقول لنا إياكم وأن أسمع أن واحدا منكم استغل كونه ابن جمال عبدالناصر، وإذا حدث سأكون معكم فى منتهى الحزم. أبى لم يكن عنيفا أبدا كان رقيقا إلى أقصى حد.

كان الوالد يحب الدعابة، والمعروف عنه فى الأصل أن الابتسامة كانت تسبقه، وأذكر موقفا كلما تذكرته يغالبنى الضحك، كان أبى لاعب شطرنج ماهرًا، ويحب هذه اللعبة كثيرا، وأنا أيضا أمارسها منذ الصغر، وجمعتنا مباريات كثيرة، وذات مرة كان من المفروض أن تقوم إحدى الصحف الفرنسية على ما أذكر بالتصوير فى البيت عن يوم فى حياة الزعيم، وجلسنا سويا نلعب الشطرنج، شىء لزوم التصوير، وأخذت المباراة من جانبى بجدية، لكن وجدته يحرك القطع بطريقة غريبة، ينقل الوزير من مواقع، ثم ينقل الملك، بالطريقة التى تجعله يلتهم العساكر التابعة لى، بما يعنى خسارتى، رغم خطأ تحركاته فى اللعب، فقلت له: جرى إيه يا بابا؟ لعبك غلط! فرد ضاحكا: جرى إيه يا خالد،عايز تغلبنى فى التصوير،عايز يقولوا غلب الريس؟!!

●●●

وقت الانفصال بين مصر وسوريا عام ١٩٦١.. كانت لحظة قاسية على المستوى الشخصى، لأن الوحدة العربية كانت واحدة من أهم أحلامه.. كان يرى فيها خطوة أولى نحو وحدة عربية شاملة.. ويرى فيها أيضا نوعا من الانتصار على الاستعمار..

●●●

كنت قد قاربت العشرين من عمرى يوم وفاة أبى، علاقتنا بالجيران فى منشية البكرى حكمتها قواعد أمن الرئيس، ومع ذلك لم نشعر يوما بأننا فى وضع أفضل لكوننا أبناء جمال عبدالناصر، ولا هو نفسه كان يسمح بأية ميزات لأبنائه، وذات مرة قال لى: لو استخدمت اسمى للإساءة إلى أحد أو تجاوز فى التصرف، فلن أتردد فى وضعك فى السجن الحربى. لكننى كنت أمارس حريتى الطبيعية فى هذا الوقت إلى حد ما.. وطوال عمرى كنت أحب أن أكون مواطنا عاديا.

فترة حياة عبدالناصر كلها أنا كنت فى المدرسة ثم الجامعة بالطبع، ووالدى توفى وأنا فى السنة الرابعة فى كلية الهندسة، إلا أننى أستطيع أن أقول إنها لم تكن ميزة بالمعنى المفهوم، لكنها كانت شيئا نتعامل معه بحذر، فلا يجب مثلا أن تتم معاملتنا باعتبارنا أبناء جمال عبدالناصر، فهو رجل حساس جدا لهذا الأمر، صادف أننى كنت مجدا فى الدراسة، مجتهدا وابن جمال عبدالناصر، كل ذلك جعل الأمر قد يبدو أكثر منه ميزة أن تكون ابنا، وهو الرجل الحريص على ألا يعامل أبناؤه معاملة خاصة، فى مرة كنت ألعب الكرة فأصبت بعد أن ضربنى أحد الزملاء فى وجهى، عندما عدت سألنى والدى عما حدث لوجهى فحكيت له، وكانت المفاجأة أنه قال لى اذهب وقل لمحمد أحمد - السكرتير الخاص - يكلم الناظر «مايعملش حاجة لهذا الزميل»، كان خايف عليه من أن يجاملنى الناظر فيضره، فى فترة من الفترات قالت الشائعات إننى قدت سيارته، وهو مالم يحدث، فأراد أن يقطع الشك باليقين فاشترى لى سيارة فيات ١٢٤.

كان هناك حراسة علىّ. عبارة عن فرد واحد، ورغم ذلك كنت اختنق منها، لهذا كنت أصحبه إلى الأماكن النمطية مثل الكلية والمدرسة، وأحيانا كنت أذهب إلى النادى بدون حراسة، فكنت اتفاهم معهم إذا أردت ذلك، ولم أكن أهرب كما كان يشاع، خاصة وأننى لم أكن أذهب إلى أماكن مريبة، فدائما كلمات الوالد هى المرشد والملهم، فحبنا له كان رباطا مقدسا يجعلنا نحافظ على بنوتنا له، كما كان هو حريصا على أبوته الحانية لنا.

●●●

كان أبى فى ذهابه وإيابه إلى البيت يشاهد مسجدا تبنيه إحدى الجمعيات الخيرية فى شارع الخليفة المأمون عند كوبرى القبة، بدا للرئيس أن مشكلات مالية تحول دون استكمال بناء المسجد، استقصى الأمر من معاونيه، تدخل لتوفير الإمكانات اللازمة لاستكمال البناء، لم يكن يدرى أنه سوف يدفن فى ضريح بهذا المسجد.

●●●

ذات مرة قال لى لن يتركونى أبدا، ونهايتى إما مقتولا أو سجينا أو فى مقابر الغفير كان يدرك أن القوى العاتية التى حاربها سوف تحاول الانتقام، وأن الانتقام سوف يكون مريعا، وعندما حدثت هزيمة يونيو كان تصوره أن يطالب الناس بشنقه فى ميدان التحرير، فإذا بالملايين يخرجون مطالبين القائد المهزوم بالبقاء، وكما لم يحدث فى التاريخ من قبل.

●●●

لم أستوعب صباح ٩ يونيه ١٩٦٧ أن النتائج العسكرية فى ميادين القتال تشير إلى نكسة كبيرة لقواتنا المسلحة، ولم أدرك أن أبى سوف يعلن بعد ساعات تنحيه عن رئاسة الجمهورية، لم يقل لنا شيئا، قبل أن يغادر المنزل لتسجيل خطاب التنحى فى مبنى الإذاعة والتلفزيون عاد للبيت قبل إذاعة الخطاب، ودخل غرفة النوم وقطع الاتصالات به، كان حزينا ومهموما، ويشعر بعمق بتحمله مسئولية ما حدث. ربما دخلت أمى الغرفة وراءه لا أتذكر، لم نتحدث، ولم نعلق، أخذتنا الصدمة واحترمنا قرار والدى الذى لم يعد الآن رئيسا للجمهورية، فيما سبق كان يقول لأمى، ربما ليرضى زوجة تفتقد زوجها طوال الوقت، إنه عندما يغادر رئاسة الجمهورية سوف يصحبها فى رحلة حول العالم. وكان يدرك أن ذلك لن يحدث أبدا. فى صباح اليوم التالى ١٠ يونيه جلسنا معا على مائدة الإفطار. لم تكن عادته طوال السنوات الماضية أن يتناول وجبة الإفطار معنا. ربما تصور أنه قد لا تتاح له فرصة مرة أخرى للجلوس مع أسرته. جلس على مائدة الطعام بملابس غرفة النوم ببيجامة كستور مقلمة. لم نتحدث فى شىء، حاولنا أن يكون الحوار عاديا، لم يكن هناك شىء عادى حتى يكون الحوار عاديا. حوار متقطع وماسخ. كلمات قليلة ثم يعود الصمت. الصوت الوحيد المسموع هدير مئات الآلاف التى حاصرت البيت منذ إعلان قرار التنحى. لم يتحرك الرئيس من مكانه، ولا حاول مرة واحدة أن يلقى نظرة على الجموع المحتشدة كان يشعر بأنه خذلهم وكان شعوره عميقا بالمسئولية. وقفت فى شرفة حجرتى أتابع المشهد المهيب فى الشوارع المحيطة قلت للرئيس: بابا، الناس عاوزاك قال بلهجة أدرك معناها ويدرك معناها كل من تعامل مع عبد الناصر عندما يحزم أمره على شىء: مالكش دعوة! صمت، ولم أعد للموضوع مرة أخرى. جلست إلى المائدة أتابع أبى وهو يعصر أربع قطع من الليمون الحلو لحفيده جمال مروان، أمى قطعت صمت المائدة بعبارة ما زالت تدوى فى وجدانى حتى اليوم. تحدثت باسم أولادها. باسم العشرة الطويلة. باسم الحب الكبير للرجل والإنسان الذى لم يعد رئيسا للجمهورية ولا يدرى أحد أى مصير ينتظره هذا المساء: احنا معاك على الحلوة والمرة. لم يعلق ولم يجرؤ أحد من

أشقائى على التعليق. كانت أمى تركب المواصلات، ومستعدة أن تركب المواصلات مرة أخرى. كانت زوجة ضابط صغير ومستعدة أن تعود لأيام أصعب من الأيام التى كانت ولعلها تساءلت دون أن تفصح: هل يتركونه لى؟ عاد الصمت للمائدة وبدأت ترتفع أصوات المتظاهرين فى الشوارع بهتاف يخترق القلوب ناصر... ناصر...

●●●

السيرة الصحية لوالدى ترتبط بتواريخ السياسة.. أثناء الحصار الاقتصادى الذى فرضه الغرب على مصر أصابه مرض السكر عام ١٩٥٨ بعد نكسة ٦٧ نالت منه مضاعفات السكر بصورة خطرة، إرهاق العمل المتواصل فى الليل والنهار لتحرير الأراضى المحتلة بقوة السلاح أصابه بأزمة قلب، وأزماته الصحية كان يمكن باستمرار تداركها، مضاعفات السكر تمت السيطرة عليها، أما الإرهاق وتحدى أوامر الأطباء بالراحة فلا سبيل لتداركهما، من عرف عبدالناصر فى تلك الأيام كان يدرك بسهولة أنه غير مستعد للنوم مرتاحا، أو الاستمتاع بأى شىء قبل إزالة آثار العدوان.

●●●

حدث عبدالحكيم عامر والملابسات التى كانت فيه كانت لحظة صعبة.. خاصة أنها كانت تالية لنكسة ٦٧.. لم يكن ما حدث من عبد الحكيم عامر شيئا هينا.. خاصة مع الصداقة الشخصية المتينة التى جمعت بينهما منذ تأسيس تنظيم الضباط الاحرار..

●●●

الأربعاء من كل أسبوع: يوم «البصارة» ممنوع اللحوم البيضاء والحمراء فى هذه الأيام، كانت اللحوم تباع ثلاثة أيام فقط فى محلات الجزارة والجمعيات الاستهلاكية لتنظيم استهلاكها الذى تزايد بصورة غير طبيعية فى ظروف الحرب. الرئيس قرر، كأى مواطن آخر، الا تأكل أسرته أى نوع من اللحوم يوم الأربعاء حتى اللحوم البيضاء ممنوعة كنا نتساءل ونحن عائدون من المدارس والجامعة : يا ترى عاملين النهارده إيه فى البيت؟ «البصارة» كانت هى الطبق السائد فى أيام الأربعاء.

●●●

عام ١٩٦٨ قبل ذهاب والدى لمصحة تسخالطوبو فى الاتحاد السوفيتى للاستشفاء قضى شهرا كاملا فى الإسكندرية على سرير المرض متأثرا بمضاعفات مرض السكر، فيللا المعمورة

ثلاثة أدوار وأبى وأمى يعيشان فى الدور الثالث.. دخلت عليه ذات يوم فى غرفة النوم فوجدته يتأوه من الألم، حاول أن يخفى علامات الألم، كنا نحس به، لكنه نجح لحد كبير فى خداعنا والتهوين علينا، لم نعرف أنه أصيب بأزمة قلبية حتى فوجئنا بالثانية القاتلة، حتى أمى لم تعرف.. لا أسامح نفسى حتى الآن على أننى لم أفهم أن إقامة المصعد فى بيت منشية البكرى فى ٢١ ساعة تعنى أن أبى أصيب بأزمة قلبية تمنعه من صعود السلم للدور الثانى. صاحبنا الرئيس والدتى وأنا وشقيقاى عبدالحميد وعبدالحكيم فى رحلة العلاج لمصحة تسخالطوبو فى الاتحاد السوفيتى، تحسنت حالته الصحية هناك، لم يكن مسموحا لنا بالحضور معه فى جلسات العلاج. قضينا فى تسخالطوبو أوقاتا رائعة، لم نكن قلقين على صحته.. لعله نجح فى خداعنا، ومازلت أعتقد أن والدى مات بالإرهاق أكثر مما مات بأزمة قلب أيلول الأسود.

●●●

نصحه الأطباء بممارسة الرياضة، بدأ يلعب التنس فى ملعب خلفى فى البيت، مدربه اسمه غريب مازال يمارس التدريب حتى الآن فى نادى القوات المسلحة فى الجلاء منذ الخمسينيات، كان أبى يلعب التنس مع محافظ القاهرة صلاح الدسوقى، بعودة أبى لممارسة الرياضة كنا نقول له:عايزين نلعب معاك يا بابا، ونستمر فى خبط الكورة كنا نلعب معه أحيانا كرة قدم، يشوط أبى الكرة ويقول اجر يا خالد كنت أسمع كلامه كجندى وأجرى أسابق الريح لإحضار الكرة، وفى السنوات الأخيرة عندما بدأ يتألم من مضاعفات مرض السكر،كان يطلب منى أن أرتدى أحذيته الجديدة الناشفة ويقول البس الجزمة يومين طريها واديها لى.

●●●

فى أثناء حرب الاستنزاف كان شقيقى عبد الحميد طالبا بالكلية البحرية فى الإسكندرية، غاب فترة طويلة دون أن تراه أمى. أوحشها، طلبت من الرئيس زيارة ابنها بالكلية فى أوقات زيارة الأهالى. أى مثل كل الأمهات: من حقها أن تزور ابنها وتطمئن عليه، طالما ان القواعد تسمح لأمهات أخريات بزيارة أبنائهن. وافق الرئيس، وأمرها الا تغادر السيارة التى أقلتها إلى الإسكندرية، وألا ترى ابنها فى القاعة المخصصة لزيارات أهالى الطلبة حتى لا تحدث بطبائع الأمور مجاملة زائدة لزوجة رئيس الجمهورية، أو معاملة خاصة لا تحظى بها أم أخرى تزور ابنها. عبد الحميد رفض فى البداية أن يذهب لأمه فى السيارة

خشية أن يكون ذلك خروجا عن قواعد الزيارات، جابوه بالعافية للسيارة المنتظرة بالخارج وبها زوجة رئيس الجمهورية، جلس بجوارها يأكل السندوتشات التى أعدتها بنفسها وأحضرتها معها من القاهرة.

●●●

الملك الليبى الراحل عبد الله السنوسى أهدانى ذات زيارة للقاهرة بندقية رش خرطوش، وبعد نكسة ١٩٦٧ تبرع السنوسى بـ ٤٠ مليون جنيه إسترلينى، لإعادة بناء القوات المسلحة، ولحرج موقفه طلب من الرئيس ألا يعلن عن هذا التبرع، كانت أمى تزور زوجة السنوسى، اللاجئ السياسى إلى مصر بعد الثورة الليبية، عرفانا من أسرة الرئيس بدور للسنوسى لا يعرفه أحد، ولم يعلن عنه أبدا. كانت لدى السنوسى ابنة بالتبنى وحدث الرئيس برغبته فى أن تلحق به فى القاهرة، عبد الناصر طلب من القياة الليبية بطريقة حازمة لا تقبل الأخذ والرد: تجىء البنت وجاءت لتعيش فى كنف والديها بالتبنى... كانت علاقة الثورة الليبية بالرئيس حميمة، وامتدادا فى ظروف هزيمة عسكرية قاسية ومريرة لثورة يوليو، لم يكن عبد الناصر يخلط بين المقتضيات السياسية والاعتبارات الإنسانية.

●●●

٩ مارس ١٩٦٩، استشهد الفريق عبدالمنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المصرية على جبهة القتال الأمامية، صدمة عبدالناصر باستشهاد رياض بدت صاعقة كان يراهن على الجنرال الذهبى فى تحرير أراضينا المحتلة بقوة السلاح تحت وابل من النيران وأفق مشتعل بالنار ثقته بالكفاءة العسكرية لرياض كانت بلا حدود، لكنه شعر أيضا بالفخر لاستشهاد رئيس أركان حرب القوات المسلحة على جبهة القتال، مصر تغيرت، ونفضت ثياب الهزيمة بإرادة المقاتلين وبدماء الشهداء، وهو المعنى الذى التقطته مئات الألوف التى خرجت تودع رياض فى جنازة مهيبة اخترقت ميدان التحرير من جامع عمر مكرم. أصر الرئيس على أن يتقدم صفوف الجنازة وتحدى إجراءات الأمن وأزاح رجال الحراسة وذاب وسط الجماهير، كان لديه إيمان صوفى بالجماهير، يشعر بالتوحد معها، وبأنه فى مأمن تماما بحمايتها، رجال الأمن أصابهم الفزع، اقترب أحد ضباط الحراسة من الرئيس بصعوبة شديدة وقال: يا فندم كفاية كده نهره عبدالناصر بيده ومضى فى الجنازة حتى نهايتها متأثرا بهتاف الشعب.. رياض ما متش والحرب لسه مانتهتش.

●●●

كنا على مائدة غداء ذات يوم عام ١٩٧٠، ولسبب ما قلت: مضت ثلاث سنوات وكنت أتحدث عن موضوع شخصى مضت عليه هذه الفترة، التفت عبدالناصر تجاهى، قال وكأنه يحادث نفسه ثلاث سنوات؟!. كانت هذه السنوات قد مضت على النكسة.. لم ينس أبدا هذا الجرح.

●●●

بقميص أزرق طويل وبنطلون رمادى خفيف فى قدميه وقف أبى ذات مساء من الصيف الأخير فى شرفة واسعة على يسار استراحة المعمورة فى الإسكندرية، الاستراحة تواجه البحر مباشرة، كنا فى مطالع الصبا، نلهو على البحر، وأبى يتابعنا من بعيد، ويتمشى أحيانا فى البلكونة، وأحيانا ينزل للتمشى على البحر. كان يشاور لنا من بعيد، ونحن نرد التحية بحماسة، كنا متعلقين به بصورة لا تصدق، كانت مشيته فى الصيف الأخير تبدو عادية أو لعله أراد بعناده المعروف أن يتحدى المرض، وأن يخفى آلامه عنا، وأن يبدو طبيعيا، بدت حالته الصحية بالنسبة لى تحت السيطرة، لم يكن هناك ما يقلق ولا خطر فى بالنا أن هذه آخر أيامنا مع جمال عبدالناصر، غير أن ضغط الأحداث عليه، من الاستعداد لتحرير الأراضى المحتلة بقوة السلاح إلى مجازر أيلول الأسود أخذ ينال من صحته ويضع قلبه فى مرمى نيران النهاية.

●●●

حتى الآن.. ورغم مضى كل هذه السنوات الطويلة يساورنى شعور طاغ بتقصير الأطباء فى علاج الرئيس إلى حد كبير، حاولوا إرضاء الرئيس على حساب صحته، وقد تفرض أجندة الالتزامات أن يلقى خطابا جماهيريا أو يعقد اجتماعا سياسيا فى ظل أزمة صحية تستدعى أن يستريح. يقول للأطباء: عاوز أروح أخطب. فيلتزمون بما طلب دون مناقشة أو اعتراض، يعطونه مضادات حيوية من أقوى جرعة ممكنة، وفى اعتقادى أن هذا النوع من العلاج بتسكين الآلام لمقتضيات السياسة هو أقرب إلى سوء استخدام تكنولوجيا المضادات الحيوية، وقد أنهك صحة أبى بصورة خطيرة. ليس من واجب الطبيب أبدا أن يستجيب لطلبات المريض، حتى ولو كان رئيس الجمهورية، ليس من واجب الطبيب حين يقول له الرئيس:تعال ادينى حقنة ريفالين أن يكون الرد الفورى «حاضر». لا أغفر لأطباء عبدالناصر هذا التساهل المفرط فى مقتضيات العلاج.

●●●

فى عام ١٩٧٠، وقبل أشهر قليلة من وفاة الرئيس، كان شقيقى عبد الحميد فى الكلية البحرية التى نقلت إلى سوسة فى ليبيا. طلبت أمى السفر بالطائرة لرؤيته. قالت: ابنى وحشنى. أطرق عبد الناصر قليلا، وهز رأسه علامة على الموافقة. قال: انتظرينى حتى نجهز طائرة خاصة، قالت: ليه؟ أجاب: حتى تسافر على ذات الطائرة أمهات أخريات. من حق كل أمهات طلبة الكلية البحرية رؤية أبنائهن إذا كان من حق زوجة رئيس الجمهورية أن ترى ابنها الطالب بالكلية. ولم تسافر أمى.

●●●

كنا عام ١٩٧٠ قبل رحيل والدى بأسابيع قليلة، خطر لأمى أن تسأله : خالد حيتخرج السنة الجاية، وأنا عارفة إنك حتبعته للجبهة الأمامية. قال أبى : أيوه يا تحية. الرئيس كان مقدرا مشاعرها كأم وربت على كتفيها بحنو. كان تقديره أن الواجب الوطنى يقتضيه أن يدفع بابنه لخطوط القتال الأمامية، وفى أول نقطة مواجهة مع اسرائيل. فماذا يقول الناس إذا دفع عبد الناصر بأولادهم لخطوط القتال الأمامية وأعفى ابنه من ضريبة الدم، أمى كانت تدرك عن يقين أنه سوف يدفع بى لخطوط القتال الأمامية. قالت لى فيما بعد: أنا عارفاه.

●●●

٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ الساعة الخامسة من مساء هذا اليوم كنت انتهيت لتوى من تدريب كرة اليد فى نادى هليوبولس فى ضاحية مصر الجديدة، جلست مع أصدقائى فى التراس نحتسى الشاى والقهوة، كانت على المائدة المقابلة داليا فهمى زوجتى فيما بعد، لم يكن هناك شىء غير عادى، مؤتمر القمة الطارئ لإيقاف نزيف الدم فى عمان انتهى بالنجاح، أبى يعود اليوم للبيت بعد أربعة أيام قضاها فى فندق هيلتون النيل للمشاركة فى القمة وإجراء الاتصالات الضرورية، لم أكن أعرف أنه لم ينم ولم يرتح طوال هذه الأيام، بسبب أنه لابد من وقف نزيف الدم الفلسطينى. فجأة رأيت أمامى عصام فضلى، وهو ضابط من قوة الحراسة الخاصة بالرئيس، لم يحدث من قبل أن أرسل والدى لاستدعائى ضابطا من حرسه الشخصى. قال لى: تعالى عاوزينك فى البيت. ولم يزد حرفا. فى أقل من خمس دقائق وصلت، صعدت سلم البيت قفزا بتساؤل كاد يشل الروح:ماذا حدث؟ فكرت فى كل احتمال، ولم يخطر على بالى أبدا ما حدث.

حركة غير عادية فى الدور الثانى فى غرفة الرئيس، الباب مفتوح، أبى أمامى على السرير مرتديا بيجامة.. طبيبه الخاص الدكتور الصاوى حبيب يحاول إنقاذ حياته

بصدمات كهرباء للقلب، السيد حسين الشافعى فى زاوية الحجرة، يصلى ويبتهل إلى الله، الدكتور الصاوى قال بلهجة يائسة كلمة واحدة:خلاص. الفريق أول محمد فوزى نهره بلهجة عسكرية:استمر ثم أجهش بالبكاء.. نفذ أمر الله، أخذت الأصوات ترتفع بالنحيب. لم أبك، وقفت مصدوما. بكيت بمفردى بعد أسبوعين لثلاث ساعات مريرة. لم أصدق أن أبى رحل فعلا، أمى أخذتها حمى الأحزان الكبيرة، أخذت فى الصراخ والعويل كأى زوجة مصرية بسيطة تنعى رجلها وجملها. فى غمرة الحزن طلبت أمى من صديقى محمد الجيار ألا يغادر غرفة الرئيس أبدا، لمدة ثلاث ساعات جلس الجيار على الأرض بجوار سرير عبدالناصر يبكى بحرقة ويقبل قدميه. جاء أنور السادات وتبعته على عجل السيدة جيهان بفستان أزرق، السادات نهرها:امشى البسى أسود وتعالى. بدأ توافد كبار المسئولين فى الدولة على البيت، بعد قليل اجتمع عدد كبير من الوزراء وقيادات الدولة فى صالون منشية البكرى، تقرر نقل جثمان الرئيس لقصر القبة حيث تتوافر هناك إمكانات الحفاظ عليه فى درجة تبريد عالية لحين إحضار ثلاجة خاصة لهذه الحالات، والانتهاء من إجراءات الجنازة وإعلان الخبر الحزين على الشعب. بدأت الإذاعة والتليفزيون فى بث آيات من القرآن الكريم، لم يدر أحد بما حدث، حاولت داليا الاتصال بى للاطمئنان، أخيرا أمكنها الوصول لعامل السويتش..أخبرها وهو يبكى:الريس مات.

قوة الحراسة الشخصية لعبدالناصر، وفى مقدمتهم محمد طنطاوى الذى كنا نطلق عليه لقب الطبيب حملت جثمان الرئيس على نقالة إسعاف بلا غطاء، وجهه مكشوف، ابتسامة رضا تعلو وجهه، رائحة الموت كريهة، لكنها بدت مسكا، أمى تابعت الجثمان المحمول على نقالة إسعاف بصراخ رهيب دوى فى المكان الذى كان للحظات قليلة مضت المقر الذى تدار منه مصر والصراعات على المنطقة، قال لها السادات على طريقة أهل الريف فى مثل هذه الأحوال: يا تحية هانم.. أنا خدامك مضى أبى أمام عيوننا محمولا على نقالة إسعاف ولم يعد، لم نره مرة خرى. لم تذهب معه أمى ولا أحد من أبنائه لقصر القبة. أمى جلست على السلم تنتحب، حتى الآن مازالت تدوى فى وجدانى كلمات أمى الملتاعة، وهى تتابع الخروج الأخير لعبدالناصر من بيت منشية البكرى: وهو عايش خدوه منى وهو ميت خدوه منى. سيارة إسعاف الرئاسة نقلت جثمان أبى من بيت منشية البكرى إلى قصر القبة قبل إعلان الخبر المفجع على الرأى العام فى مدخل القصر الرئاسى قابلت أنور السادات، طلبت منه بإلحاح: عاوز أشوفه يا سيادة النائب. رفض السادات هذا الطلب، قد تكون له أسبابه، ربما خشى أن تنفلت مشاعر شاب

صغير لرؤية جثمان والده، ومع ذلك لن أغفر للسادات أبدا أنه لم يمكنى من إلقاء نظرة أخيرة على أبى. مساء الاثنين ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، نهر الدموع امتد من الماء للماء على خريطة أمة العرب، فى كل قرية عربية مأتم، قال المصريون البسطاء: عمود الخيمة سقط، قرأ المصريون فى طوفان الدموع ما سوف يحدث غدا وبعد غد بهتاف: عبد الناصر يا عود الفل من بعدك حنشوف الذل.. الأناشيد الحزينة أخذت تدوى فى سماء القاهرة التى كانت يومها عاصمة العرب وعاصمة حركات التحرير الوطنى، صرخات ملتاعة تستعيد اسما واحدا لخص كل شىء، حقبة كاملة من الصعود والانكسار، النصر والهزيمة، اسما بدا شهابا قد مضى وتاريخا قد مضى، وإرادة ومقاومة لم يعد يعرف أحد ماذا سوف يحدث بعدها، مات عبدالناصر فجأة، ولم يكن أحد يتوقع أن يغيب مبكرا فى سن الثانية والخمسين، الصدمة المروعة هزت مشاعر المصريين أخذ الملايين يصرخون باسم رجل يرقد وحده فى غرفة مبردة فى قصر القبة. عندما بدأت الحشود الهائلة من المصريين البسطاء تزحف باتجاه بيت منشية البكرى، فور الإعلان عن وفاة الرئيس وقفت عند مدخل البيت مأخوذا بالمشهد الحزين، شاهدت عن بعد شخصا يرتدى زى طلاب الكلية البحرية الأبيض، لم أتبين فى البداية من هو، حتى أدركت بعد قليل أنه أخى عبدالحميد، أتوا به على عجل من الإسكندرية، وقف عبدالحميد عاجزا عن دخول البيت من فرط الحشود التى حاصرته بقلوبها وأحزانها. فى هذا اليوم الحزين طلب جيراننا من أطقم الحراسة رؤية خالد لتقديم واجب العزاء. طلبوا من أمى فى اليوم التالى أن تذهب لقصر القبة لتلقى العزاء من الشخصيات الدولية والعربية التى وفدت للعاصمة المصرية للمشاركة فى مراسم الجنازة. أمى لم تشعر بأنها فى مكانها الطبيعى، كانت تقول باستمرار عن بيت منشية البكرى «بيتى» وقررت أن تعود لبيتها كى تتلقى العزاء فيه، وتتخفف من المراسم الرسمية، بلا قصر قبة أو إجراءات خاصة، فالعزاء أرادته من بسطاء المصريين وعامة الناس. لثلاثة أيام تدفقت على بيتنا عشرات الألوف تعزى نفسها ولا تعزينا فى جمال عبدالناصر، الملايين أخذت طريقها من القرى البعيدة فوق أسطح القطارات فى أكبر عملية زحف فى التاريخ المصرى نحو العاصمة، ضاقت الطرقات بأحزان المصريين، كانت مصر تبكى الرجل الذى أحبها كما أحبته، كنا فى بيتنا مأخوذين بالمشهد الجليل فى غمرة الحزن لم نشعر بأننا نحزن بمفردنا، مات عبدالناصر يوم الاثنين مضى الثلاثاء ببطء أشد. مضى يوم الأربعاء والأحزان تفيض على جنبات النيل، حان يوم الخميس، الوداع الأخير لعبدالناصر، يوم الهول العظيم فى مصر، ليلتها وفى ظلمة

الحزن أخذت مصر تنشد بأصوات ملايينها الملتاعة أنشودة الليلة الأخيرة الوداع يا جمال يا حبيب الملايين ثورتك ثورة كفاح عشتها طوال السنين. فى صباح يوم الوداع الأخير وضع جثمان أبى فى طائرة هيلكوبتر بصحبة طائرتى شرف، حلقت الطائرات فى سماء القاهرة فوق النيل، فوق أمواج البشر التى تدفقت إلى الشوارع بالملايين، المشهد أثار الأحزان. أخذت الجماهير الغفيرة تتطلع بعيون دامعة إلى السماء:الوداع يا جمال.لحظتها وقفت فى أرض ملعب الجولف فى نادى الجزيرة الرياضى مع شقيقى عبدالحميد وعبدالحكيم وصديقى محمد الجيار ومحمود القيسونى وكأننا يتامى بانتظار هبوط الطائرة بجثمان الأب الراحل. هبطت الطائرة ببطء، تحرك حرس الرئيس لنقل الجثمان بسيارة خاصة من الباب الخلفى للنادى القاهرى الشهير إلى مقر مجلس قيادة الثورة على النيل، لم أذهب إلى نادى الجزيرة بعدها غير مرة أو مرتين، الذهاب إلى هذا النادى يستدعى أحزانا فوق طاقتى الإنسانية على التحمل، فى مجلس قيادة الثورة وضعوا النعش على مصطبة عالية من الجرانيت، حكيم ارتمى باكيا على النعش، تصورنا فى البداية أن الجنازة سوف تمضى بتنظيم محكم، غير أن الأمور كلها أفلتت بضغط هائل من الجماهير الحزينة التى أخذت تصرخ يا ريس.. سايبنا ورايح فين. بدأ الموكب الحزين من مجلس قيادة الثورة، وضعوا جثمان أبى على مدفع، مشينا وراءه كما كنا نمشى دائما، لكنه الآن لم يعد معنا، تدفقت الحشود تحاول أن تقتحم الموكب الرسمى، وفرضت كلمتها فى النهاية، ضغطت بتدافعها الرهيب على الرؤساء والقادة، تبخرت إجراءات الأمن المشددة، وبعد قليل غادر المسئولون الكبار الجنازة بنصائح أمنية، ومضيت مع إخوتى وأصدقائى وحدنا وسط الحشود الهائلة وراء المدفع حتى فندق هيلتون النيل، الناس يضغطون علينا من الخلف فى محاولة للمس نعش الرئيس، وربما بأمل إلقاء نظرة أخيرة عليه من قريب، وفى تدافع الجموع بدا شقيقى الأصغر عبدالحكيم (١٥) عاما فى ذلك الوقت يعانى بشدة من ارتطام متوال بالمدفع، وأخذ يصرخ: ضلوعى حتتكسر ثم نظر حوله وكنا قد تباعدنا عنه، وخشى أن يكون قد ضاع فى وسط الزحام الرهيب، وأخذ ينادى بصوت عال أخوتى فين؟. كاد أن يضيع فعلا عبدالحكيم منا وسط تدفق أكثر من ٥ ملايين مواطن فى تدافع رهيب بأحزان كبرى على كوبرى قصر النيل، خفت أن يضيع منا حكيم فى هذا اليوم، وأخذت أصرخ هاتوا أخويا الصغير. وكانوا قد حجزوا غرفة خاصة لوالدتى فى فندق هيلتون النيل، وعلى مقربة من هذا الفندق وقفت والدتى فى أعلى مقر الاتحاد الاشتراكى تتابع الجنازة بقلبها ودموعها، ولعلها خشيت فى هذا اليوم أن تفقد الزوج والابن الأصغر معا. من عند فندق النيل هيلتون أخذت سيارة إلى الجامع الذى أصبح فيما بعد معروفا باسم جامع جمال

عبدالناصر عبر طريق صلاح سالم بصحبة صديقى محمود الجيار، وصلنا بصعوبة بالغة قبل صلاة الجنازة، دخلنا إلى حرم الجامع من ناحية الكلية الفنية العسكرية، البوابة كانت مغلقة، وبدأت الجماهير المحتشدة تدرك أن أولاد عبدالناصر قد وصلوا ثم تحركوا باتجاهنا، وبسرعة أصدر الفريق أول محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة الذى كان يستند بظهره إلى جدار الجامع الخارجى أوامره بعمل كردون من قوات الصاعقة من حولى حرصا على حياتى من فيض عواطف الحشود، رأيت عمى عز العرب يبكى بهستيريا ويضع على طريقة أهل الصعيد فى إبداء الحزن التراب على رأسه ويقوم بتمزيق الستائر. المدفن عبارة عن حجرتين، دفن أبى فى إحداهما، وفيما بعد دفنت أمى فى الثانية، يومها أخذت تطالب وسط موجات من البكاء ما يشبه الوصية. لازم ادفن معاه، فى حجرة الدفن رأيت أشرف مروان ومحمد الجيار، ربما كان هناك آخرون لا أتذكرهم الآن، وفى غمرة الحزن قال أحد ضباط الحرس الجمهورى: ياريت أنا اللى مت. وما إن انتهت إجراءات الدفن حتى أخذ بعض العمال يسدون القبر بالطوب، وهذه كانت أسوأ لحظة فى حياتى.

●●●

٢ ديسمبر١٩٧١، فى هذا اليوم عقدت قرانى على زوجتى داليا فهمى فى بيت منشية البكرى، فى حضور رئيس الجمهورية الجديد أنور السادات وعدد كبير من الوزراء وكبار المسئولين، حرصت يومها على دعوة أساتذتى فى كلية الهندسة من جامعة القاهرة، السادات شهد على وثيقة الزواج فى صالون جمال عبدالناصر، كل شىء يحيطه جلال الغياب، الملابس سوداء، وراعى الحضور إلى أقصى حد ممكن ضبط التصرفات المعتادة فى مثل هذه المناسبات حرصا على مشاعر أسرتى، نزلت أمى من الدور الثانى، سلمت على الضيوف. وبدا أنها قد تقبلت التهانى كما هو معتاد فى الأفراح، غير أنها كانت فى دنيا أخرى مع رجل آخر، فجأة أخذت تنظر حولها كمن تبحث عن شخص بعينه وتتوقع أن يكون على رأس الحفل السعيد، ثم أخذت تسأل :جمال فين.. الريس فين؟..

أمى سيدة مصرية بسيطة تؤمن بالله، وتصلى الفروض فى مواقيتها، وتزور أولياء الله الصالحين وفى الملمات تلجأ لمقام سيدنا الحسين، وتدرك أن هذه إرادة الله وحكمته، غير أنها فى هذه المناسبة العائلية افتقدت وجود رفيق حياتها، غابت كل الوجوه، وحضرت صورته، وحدها فى القلب.. لعشر دقائق كاملة أخذت تسأل.. والدموع فى عيوننا، ولا مجيب.

●●●

فى أعقاب رحيل عبد الناصر واصلت أمى زيارة سيدنا الحسين سيدة مصرية بسيطة عاشت تقريبا فى الظل وجدت الأرض تميد تحت عوالمها التى كانت، وبعض الوجوه تخلع الأقنعة وتمضى بالأستيكة كما قالت نكتة مصرية شهيرة فى ذلك الوقت على طريق جمال عبد الناصر، وتاريخ جمال عبد الناصر، وشخص جمال عبد الناصر. وذات مرة، والحملة على عبد الناصر فى عنفوانها، ذهبت إلى الحسين وكشفت عن شخصيتها، وتجمهر حولها فى دقائق الآلاف، كنا فى منتصف السبعينيات، وأرادت بطريقتها البسيطة أن تقول للرئيس السادات إن عبد الناصر لن يموت أبدا، والحملة عليه فاشلة لا محال، تعمل إيه؟!! مات عبد الناصر وتركها وحيدة وحزينة، لم تخلع ملابس الحداد حتى ماتت بعده بعشرين عاما، ودفنت بحجرة بجواره داخل الضريح نفسه.

●●●

فى عصر السادات تزوجت ابنة السنوسى، واستخدم الرئيس السادات حفل الزواج الذى حضره للنكاية فى العقيد القذافى الذى كانت الخلافات معه قد اشتعلت.

●●●

هو كان يسير فى خط مغاير تماما لخط عبدالناصر، ولم يتضح هذا الأمر على الأقل بالنسبة لى إلا فى عام ٧٤، خاصة بعد أن عزل هيكل من الأهرام، ثم حين وجدته يجلس مع كيسنجر منفردا، وطول عمرنا نعلم أن هذا الجلوس المنفرد مجرد مشاهد بروتوكولية للتصوير، أما المحادثات فلا تخلو من المعاونين، آخر مرة جلست مع السادات كان فى ٧٦ مع الحملة الشرسة التى أطلقها البعض على عبدالناصر، ولم نتفق يومها حيث وجدت أنه مصمم أن يترك المأجورين، ليستمروا فى الإساءة لعبدالناصر، تحت دعوى الديمقراطية!

●●●

كتاب عثمان أحمد عثمان أصابنى بقرحة فى المعدة وعمرى ٣٠ سنة، الهجوم كان وقتها مدفعية ثقيلة، ما يحدث الآن يمكنك التعامل معه، أما قديما فصعب جدا!!

●●●

بعد وفاة الوالد، أصدر مجلس الشعب قانوناً ببقاء منزل منشية البكرى،وكابينة المعمورة بالإسكندرية مدى الحياة.. ونحن من جانبنا كأبناء عبدالناصر تعاملنا مع الموضوع، على أن المنزل والكابينة للوالدة، على أساس أن كل واحد منا سوف يشق طريقه، ويكون له فى

النهاية مسكنه الخاص.. ومن أهم الأشياء التى أثرت فينا كأسرة وأثلجت صدورنا، وأحيى فيها مصر شعبا وحكومة. أن أحدا لم يترك أمى بعد رحيل الأب فى حاجة إلى شىء.. كانت أمى من طراز السيدات اللاتى يعشن على القليل.. كانت راضية بالقليل. أحب ما عندها بيتها.. كانت تقول دائماً على منشية البكرى.. ده بيتى.. نعم هو بيت الحكومة.. لكن تعبيرها كان يحمل دلالة الارتباط بالبيت الذى عاشت فيه منذ البداية، وشاهدت فيه كل شىء.. كل شىء.. الزواج.. الأمومة.. السياسة.. النضال.. رؤساء دول العالم وزوجاتهم.. كل شىء.. تاريخ بالنسبة لها ملىء بالأفراح والأحزان، والذكريات..أذكر أن شقيقتى (منى) كانت تلح عليها بالذهاب إليها فى لندن حيث تقيم، وكانت ترفض بإصرار غريب.. ومرة وحيدة نجحت فى إقناعها بالذهاب معها إلى أسبانيا، وبعد أربعة أيام بالضبط بكت وأصرت على العودة إلى مصر عامة، والبيت فى منشية البكرى خاصة.. كانت تقول دائماً.. الشعب كرمنى ولم يتركنى لأحد.. كان معاشها ٥٠٠ جنيه ويصل طبقاً للقانون الذى صدر من مجلس الأمة إلى مخصصات رئاسة الجمهورية ليصل المبلغ إلى ٩٥٠ جنيها.. كان المبلغ بالنسبة لها كافيا بالإضافة إلى البيت والكابينة.. رغم كل هذا.. وفجأة وبلا مقدمات خرج يوسف إدريس على صفحات الأهرام بمقالة يقول فيها إن أسرة عبدالناصر تعيش فى المعمورة فى ٥٠٠ فدان.. ثمن المتر ٢٠٠٠ جنيه ولو تم بيع هذه الأرض فسوف يصل سعرها إلى ١٠٠ مليار جنيه.. وبالتالى يمكن سداد ديون مصر.. أخطأ يوسف إدريس أولا حين قال إن البيت مساحته ٥٠٠ فدان وفى الحقيقة إن مساحته خمسة أفدنة وأخطأ فى حساباته حين قال إن ثمنها يصل إلى ١٠٠ مليار جنيه.. كانت الحسبة بالإضافة إلى خطئها أقرب إلى الكوميديا.. وكان الأفضل أو الأكرم له أن يقول.. (بلاش تصيف) هذه السيدة.. وكان من جانبها أن قالت: (يا جماعة إذا كانت الأرض دى هتسدد ديون مصر.. خدوها).. وأرسلت خطابا إلى صحيفة الأهرام ردا على ذلك تعلن تنازلها عن الكابينة والأرض التابعة لها.. وقالت فى الخطاب: (كل ما أنتظره هو اليوم الذى أقابل فيه ربى.. وأدفن إلى جوار جمال عبدالناصر الذى أعطى حياته كلها لمصر).. لهذا لم أسامح يوسف إدريس.. وعادت الكابينة.. ولم تسدد ديون مصر.

●●●

فى الأيام الأولى من حقبة الثمانينات التأمت الأسرة فى قاعة السينما فى الدور الأرضى من بيت منشية البكرى. وقاعة السينما بالأصل صالة طعام رئيسية كان يستضيف فيها الرئيس ضيوفه الكبار على موائد العشاء. جلست أمى تحية كاظم وحدها على كرسى فى الصف الأول، وجلست فى الخلف مع زوجتى داليا فهمى، وكان معنا شقيقاى عبدالحميد وعبدالحكيم بصحبة

زوجتيهما إيمان ونجلاء، كانت أحاديثنا فى ذلك المساء عادية حول بعض شئوننا الاجتماعية، ولم نتوقع أننا بصدد حادث عاصف بالمواجع القديمة. أخذ عامل السينما عبدالعظيم يستعد لعرض شريط سينمائى حديث، ولكنه أخطأ فى الشريط وفوجئنا بالعرض يبدأ، وصورة أبى على غير انتظار تطل على الشاشة ومشاهد الملايين الملتاعة تزحف خلف نعشه بأنشودة وداع صاغتها بعفوية: الوادع يا جمال يا حبيب الملايين. الشريط السينمائى عنوانه أنشودة الوداع للمخرج على عبدالخالق. شيء أقرب إلى الصاعقة ضربنا. أمى غرقت فى بكاء مرير بصوت مرتفع، ومع بكاء أمى أخذتنا الدموع إلى مدى بعيد لم نتصور منذ لحظات، وبعد عشر سنوات تقريبا من وفاة أبى، أننا سوف نذهب إليه.. كأنه مات الآن، كأننا فقدناه الآن، شعرنا بحسرة الفراق، وكما لم يحدث من قبل، لم أستطع متابعة الشريط السينمائى وغادرت القاعة مسرعا.

●●●

حين سافرت إلى يوغسلافيا وعشت هناك مدة أربع سنوات فى قضية ثورة مصر.. زارتنى والدتى، فور أن جاءتنى.. قالت: (كل ده عشان اتنين صهاينة يا خالد)، ونصحتنى بعدم العودة إلى مصر.

●●●

قرأت لعصمت سيف الدولة مسرحية (إعدام سجان) أكثر من مرة وأنا فى يوغسلافيا.. وكانت معينا على غربتى، هى ومؤلفات أخرى مثل أشعار أمل دنقل.. وعبقريات العقاد..

●●●

عاشت أمى سنوات طويلة بعد رحيل أبى، وتوفاها الله فى ٢٥ مارس ١٩٩٠. طوال هذه السنوات لم تخلع ملابس الحداد السوداء على جمال عبدالناصر، ألححنا عليها كثيرا لارتداء ملابس ملونة، وأحيانا كنا نبادر بشراء مثل هذه الملابس من أجلها، ونردد على مسامعها الحكمة المصرية الشهيرة الحزن فى القلب غير أنها لم تقتنع أبدا، وكان أملها الوحيد أن تدفن بجواره ذات يوم.

●●●

ماتت أمى منذ خمسة عشر عاما، وهناك فى أمتنا بأوضاعها المحزنة الحالية، من لا يزال يسأل بإلحاح:جمال فين..الريس فين؟.

●●●

فى أول التسعينيات ماتت أمى، لم أمش فى جنازتها، كنت فى يوغسلافيا مطاردا بتهمة تزعم تنظيم ثورة مصر. فى هذه الجنازة هتف مواطنون مصر يون من قبولهم فى وداع زوجة عبد الناصر التى درجوا على تسميتها بالسيدة الجليلة: ثورة مصر لما هبت، مصر من وراها ردت عاشت الأيد اللى ربت.

●●●

تلقيت خبر رحيلها وأنا هناك. أقسى.. أقسى.. أقسى لحظات حياتى وبكائى.. حجزت على الفور لزوجتى وأبنائى للعودة.. وجلست أربعة أيام فى حجرة مغلقة.. أنظر إلى الحائط فقط.. وأسأل نفسى.. (معقول أمى تموت.. ولا أحضر جنازتها).. وللأسف لم يكن يوجد فى هذا الوقت جلسات محاكمة.. ولو كنت قد عدت.. نظريا لم أكن سأحضر الجنازة.. سيتم احتجازى أمنيا.. قررت بعدها النزول إلى مصر مع بدء أول جلسات المحاكمة.. وقد كان، وبعد التحقيق معى، أول ما فعلته، توجهت إلى قبرها وقبر الوالد لقراءة الفاتحة عليهما».

والآن انتهت الأوراق التى جمعناها من عدة مصادر، وانتهى كلام خالد عبدالناصر وأحب أن أؤكد على أنها ليس بترتيب نشرها فى مصادرها من جرائد العربى والكرامة والبيان الإماراتية والشروق، وغيرها من الصحف التى اهتمت بنشر مذكرات أو إجراء حوارات مع نجل الرئيس الراحل.

ولولا حبى الشديد للأدب، والكتابات التى تحمل طابعا شعريا، لقلت إن هذه الكلمات بلا فائدة كبيرة، وكان يمكن اختصارها فى أسطر قليلة: سأتحدث دائما عن أبى الأسطورة ونصف النبى جمال عبد الناصر، ووالدتى القديسة تحية كاظم. لقد كان أبى عادلا نزيها قائدا حكيما أبا حنونا رئيسا محبا لمرؤوسيه، وقد حاز على الدرجة النهائية فى كل هذا، كان يحب الجميع، والجميع يحبونه. يساعد الجميع، ولا ينتظر عونا من أحد. وكانت أمى تسانده فى كل هذا. خانه السادات بعد رحيله وسمح للمأجورين بالهجوم عليه فاختلفت معه، وفى بداية الثمانينيات استبد بى الحنين لوالدى، وظهر اسمى فى تنظيم ثورة مصر فهربت إلى يوغوسلافيا، وهناك زارتنى أمى التى لم أحضر جنازتها.

حسنا نحن نصدق كل هذا، ولن نصدق أن طلاب جامعة القاهرة، التى كان خالد طالبا بها، خرجوا فى مظاهرات عام ١٩٦٨ تندد بالمحاكمات الهزيلة للمتسببين فى الهزيمة، ولن نصدق أن خالد سمع بأذنيه الطلاب يهتفون: يا خالد روح قول لأبوك الملايين بيكرهوك».

لن نصدق شيئا من الدعاوى التى تتردد حول خالد عبد الناصر أو حول عبد الناصر نفسه، ولكن أين الدكتور خالد عبد الناصر فى كل هذا؟

ماذا عن زواجه من شقيقة هادى فهمى وسامح فهمى وزير البترول؟ إنه لا يذكر شيئا عن العلاقة التى تجمع بينهما. نعرف أنه هاجم فى حوار له مع جريدة الدستور أجراه الصحفى أحمد فكرى تعاون سامح فهمى مع إسرائيل؟ لكنه لم يقل ما طبيعة العلاقة بينهما الآن؟

نقاط كثيرة فى حياة خالد لم يكشف عنها ولذا سنتوقف عند نقطتين مهمتين حسب ما تسمح به مساحة الكتاب، الأولى هى النزاهة التى يتفاخر بها ابن الرئيس الراحل.

وقد تحدثنا عن ذلك فيما يخص هدى ومنى عبد الناصر، إلا أنهما فى النهاية سيدتان تزوجتا من رجلين، وبغض النظر عن مدى حفاظ أشرف مروان على اسم صهره وسيرته، أو مدى التزام حاتم صادق، إلا أنهما كونا ثروات يمكن أن نقول إن السيدتين استفادتا منها، أما خالد فهو قصة مختلفة.

ولكى نحسم ذلك الموضوع سنسرد ممتلكات جمال عبد الناصر لحظة وفاته بحسب ما يرويه السيد سامى شرف كاتم أسرار الرئيس الراحل فى كتابه سنوات مع عبد الناصر وكما يقول سامى:

عندما رحل عن هذه الدنيا كانت كل ممتلكاته كما رصدتها الوثائق الرسمية لا تتجاوز الثلاثة آلاف جنيه مصرى من أسهم وسندات وأموال سائلة، وقد سجلت جميعها وسدّدت عنها ضريبة التركات، ثم وزعت حسب القواعد الشرعية على عائلته وأولاده : جمال عبدالناصر حسين سلطان رئيس الجمهورية العربية المتحدة مرتبه الشهرى ٥٠٠ جنيه، بدل التمثيل ١٢٥ جنيهاً، الإجمالى ٦٢٥ جنيهاً. الصافى الذى كان يتقاضاه هو مبلغ ثلاثمائة وخمسة وتسعين جنيهاً وستين قرشاً وسبعة مليمات(٧, ٦٠, ٣٩٥ جنيه) بعد استقطاع الخصومات من معاش وتأمين وإيجار استراحة المعمورة.. إلخ (الملحق الوثائقى).

ثروته يوم ٢٨ سبتمبر/ أيلول ١٩٧٠ كانت كالآتى:

- ٢٧٣ جنيه مصرى رصيد فى حسابه رقم ٩٩/٦٤٢٢٦ بنك مصر.
- ٢٠٠ سهم شركة كيما.
- ٥ أسهم شركة مصر للألبان.
- سند واحد بنك عقارى.
- ٦٠٠ جنيه شهادات استثمار.

- ١٠ أسهم فى بنك الاتحاد التجارى.

- ١٠٠ سهم فى الشركة القومية للأسمنت.

- ٢٩ سند تأمين.

- ١٠٠ جنيه قرض إنتاج.

- شهادات استثمار بمبلغ ٦٠٠ جنيه فى شركة الحديد والصلب.

- أغلب قيمة هذه الأسهم رمزياً: الأسهم العشرة فى شركة النصر لصناعة الأقلام ٧٠،١٨ جنيه بنك الاتحاد ٥،٣١ جنيه.

- وثيقة تأمين على الحياة، قوات مسلحة١٥٠٠ جنيه.

- وثيقة تأمين على الحياة، الشرق للتأمين ١٠٠٠ جنيه٢٥٠٠ جنيه.

- وثيقة تأمين على الحياة، مصر للتأمين ١٠٠٠ جنيه.

- وثيقة تأمين على الحياة، الأهلية للتأمين ٢٥٠٠ جنيه

- وثيقة تأمين على الحياة، القاهرة للتأمين ٢٥٠٠ جنيه.

- سيارة أوستين التى كان يملكها من قبل قيام الثورة.

- ثمانية أزواج أحذية

- ثلاث ماكينات كاميرا للتصوير.

- آلة سينما

- عشر بدل ومجموعة من الكرافتات.

- استبدل من معاشه بما يعادل ٣٥٠٠ جنيه لتجهيز زيجتى ابنتيه.

- كان فى جيبه يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ مبلغ ٨٤ جنيهاً.

- أسرته لا تملك سكناً خاصاً.

- حرم الرئيس ليس لها دخل خاص أو مصدر تقتات منه غير معاش الرئيس الذى رحل.

- دين اضطر الرئيس إلى استدانته عندما كان يجهز ابنتيه للزواج.

- الأسهم المودعة فى بنك مصر باسمه والمنوّه عنها مشتراة من ماله الخاص.

- فيلتان للسيدتين هدى ومنى فى مصر الجديدة من ماله الخاص وسددت بفوائدها ولم يتجاوز ثمنهما العشرة آلاف جنيه والاثنى عشر ألف جنيه.

ورغم أن السيد سامى شرف يروى تلك الممتلكات بشىء من الفخر كما نوهنا فإننا نؤكد على أنها كبيرة على موظف عام بالدولة، كما أن راتب ٤٠٠ جنيه عام ١٩٧٠ يساوى راتب مائتى ألف جنيه بحساب أيامنا هذه، إن كثيرا ممن يتحدثون عن نزاهة عبد الناصر يستغلون أن القارئ أو المستمع لا يقيم حسابا للتضخم الذى أودى بقيمة الجنيه.

فمن المعروف اقتصاديا أن الجنيه منذ خمسين عاما أى فى عام ١٩٥٠ يساوى ٦٥٠ جنيها حاليا، وبحسبة بسيطة سنجد أن الجنيه عام ١٩٧٠ يزيد على خمسمائة جنيه بحساب ٢٠٠٨. إذن نحن أمام ثروة يسميها السيد سامى شرف راتبا.

لكن على أية حال إنها أرقام متواضعة طبقا لما نسمع عنه هذه الأيام، وهذه الأرقام مهما كانت غير نزيهة فإنها لا تستطيع أن تشكل نواة يستطيع الأبناء تكوين ثروة من خلالها، خاصة أنها توزعت على أربعة (ثلاثة رجال وامرأتين).

ونحن نحيى للزعيم الراحل شفافيته حتى إن ثروته معروفة بالورقة وبالقلم، مهما كانت ملاحظاتنا حولها، فيا ترى هل يستطيع الدكتور خالد عبد الناصر تقديم كشف مماثل لهذا الكشف حاليا؟

إننا بالطبع لا نملك ثبتا بقائمة ممتلكات الدكتور خالد حاليا، لكن الأمر لا يحتاج إلى كشوف وأرقام وقوائم لنعرف أن الدكتور مالتى مليونير.

إننا لن نحكم بشىء لكننا ندعو الدكتور للكشف، ليس بطريقة شاعرية، عن مصادر ثروته. على الأقل حتى تهدأ الفئران الخبيثة فى صدور الباحثين عن الحقيقة.

أما الثانية والتى تمر مرور الكرام فى ذكريات الدكتور خالد فهى تستحق أن نتحدث عنها بشىء من التفصيل.

ثـورة الابـن

ظهر تنظيم ثورة مصر، الذى مثل أعنف رد فعل شعبى مصرى على اتفاقيات السلام وسياسات التطبيع مع العدو الصهيونى على يد محمود نور الدين. ولد نور الدين فى محافظة الإسكندرية فى ٢٦ يناير ١٩٤٠ وبعد حصوله على الثانوية العامة سافر إلى لندن عام ١٩٦٤، والتحق بالعمل بإدارة التمثيل التجارى، ثم المكتب التجارى التابع للسفارة المصرية فى لندن. وأتاح له وجوده فى لندن استكمال دراسته بجامعة لندن حيث حصل على شهادة البكالوريوس فى الاقتصاد، ثم التحق بالسفارة المصرية وكان عمله مختصا بمتابعة النشاط

الصهيونى فى بريطانيا، وأدى نور الدين لبلاده خدمات جليلة فى هذا المجال خاصة خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣. واستمر فى عمله بكفاءة حتى جاءت زيارة الرئيس السادات للقدس عام ١٩٧٧ اولتى شكلت صدمة لنور الدين دفعته إلى تقديم استقالته. وانصبت جهوده بعد ذلك على تأسيس مجلة فى لندن مناهضة لسياسات السادات حملت اسم ٢٣ يوليو. وعهد نور الدين برئاسة تحريرها إلى الكاتب محمود السعدنى، ولكن المجلة سرعان ما توقف إصدارها لأسباب مادية فى عام ١٩٨٢ عاد نور الدين إلى مصر وقد اختمرت فى ذهنه فكرة العمل المسلح كطريقة لمواجهة الوجود الإسرائيلى على أرض مصر. وكان هدف نور الدين الرئيسى مواجهة رجال الموساد ممن يتخفون تحت غطاء دبلوماسى. ومع حلول عام ١٩٨٤ كان التنظيم المسلح الذى خطط له نور الدين قد بدأ فى التشكل وحمل اسم ثورة مصر وضم مزيجا فريدا من المدنيين والعسكريين. ووضع نور الدين أهداف التنظيم واضحة أمام بقية الأعضاء: تصفية الكوادر الجواسيس العاملين تحت غطاء السلك الدبلوماسى، لكن بصورة غير رسمية حتى لا تقع مصر فى أزمات دبلوماسية أو ما شابه، ورفض نور الدين رفضا قاطعا اغتيال أى مصرى أيا كان موقفه السياسى وكان يردد دائما أن صدور الصهاينة أولى بكل رصاصة.

فى الساعة ١١ مساء يوم ١٩٨٤/٦/٤ حدث تبادل اطلاق نيران كثيفة بين أحد العاملين بأمن سفارة العدو الصهيونى، قرب بيت سفيرها بضاحية المعادى جنوبى القاهرة، وبين مجهولين يستخدمون سيارة أسفرت عن إصابة الصهيونى بجرحين غير قاتلين.ثم جاءت أولى عمليات التنظيم فى يونيو عام ١٩٨٥ حين تمكن أعضاؤه من اغتيال زيفى كيدار، مسئول الأمن فى السفارة الإسرائيلية بالقاهرة، وفى أغسطس من نفس العام وجهت ثورة مصر ضربتها الثانية للموساد الإسرائيلى حين قام أعضاؤها باغتيال ألبرت أتراكشى المسئول السابق للموساد فى إنجلترا والذى كان يعمل بالسفارة الإسرائيلية فى مصر والذى وصفه محمود نور الدين فى حوار صحفى فيما بعد بأنه كان يتلذذ بفقء أعين الأسرى المصريين. وجاءت العملية الثالثة احتجاجا على مشاركة إسرائيل فى معرض القاهرة التجارى الدولى، فقامت ثورة مصر بهجوم على سيارة إسرائيلية تضم المشاركين فى جناح إسرائيل بالمعرض فى عام ١٩٨٦ وشهدت العملية الرابعة توسعا لضربات التنظيم حيث قرر نور الدين استهداف رجال المخابرات الأمريكية فى القاهرة وتحقق ذلك فى هجوم شنه أعضاء التنظيم على ٣ عاملين بالسفارة الأمريكية بالقاهرة فى مايو ١٩٧٨. مما جعل التنظيم ملاحقا من الأمن المصرى والموساد الإسرائيلى والمخابرات الأمريكية (سى. آى. إيه) على حد سواء.وكما

هو الحال مع أغلب التنظيمات الثورية لم يتم اختراق ثورة مصر من خارجه بل من داخله وجاءت الخيانة من أقرب الناس لنور الدين وهو شقيقه أحمد عصام، الذى لجأ إلى السفارة الأمريكية فى القاهرة عارضا عليها كافة معلوماته عن التنظيم وأعضائه مقابل حصوله على الجنسية الأمريكية ومبلغ نصف مليون دولار. ورغم ذلك فلم يحصل أحمد عصام على ثمن خيانته المرجو، بل قامت السفارة بتسليمه إلى الأمن المصرى مع بقية أعضاء التنظيم الذين تم إلقاء القبض عليهم فى أواخر عام ١٩٨٧، حيث تم إلقاء القبض على ٢٠ عضوا من تنظيم ثورة مصر الذى كان يستهدف ويغتال الدبلوماسيين الإسرائيليين والأمريكيين بعد أن قام أحد أعضائه بإبلاغ السفارة الأمريكية بينما لا يزال أعضاء آخرون هاربين.

هذه باختصار شديد، وبمحاولة أن نكون محايدين، قصة تنظيم ثورة مصر. ولكن لماذا نسرد قصة هذا التنظيم ونحن نتحدث عن قصة حياة الدكتور خالد عبد الناصر؟

الإجابة ببساطة: لأنه كان أحد المتهمين فيها.

رسميا حصل خالد جمال عبد الناصر على البراءة، وهو ما يعنى عدم ضلوعه فى تلك القضية، لكن هل هذه هى الحقيقة؟

خالد يفخر بذلك التنظيم وبذلك الدور، فخرًا خفيا تلمحه فى حديثه عن هتافات الجماهير أثناء جنازة والدته، التى لم يحضرها بسبب هروبه إلى يوغسلافيا للاختباء فيها أثناء المحاكمات، هرب قبل بدء التحقيقات الرسمية بيوم واحد!!!

لا نستطيع الجزم بأنه كان لخالد دور فى تلك القصة، لكن الناس الذين يعرفون أمر التنظيم خصوصا من المعاصرين للحدث، لا يريدون تصديق العكس. حيث كان محمود نور الدين صديقا للدكتور خالد عبد الناصر، وحيث كانت تلك السنوات، بدايات الثمانينات، هى الأصعب لرجال ناصر ومبادئه بعد أن استتب الأمر لعكس كل ما كان ينادى به خاصة قضية إسرائيل. وكانت الناس تبحث عن رمز ناصرى (فاعل) وكان من الطبيعى أن يقفز اسم الابن الذى يحمل كثيرا من صفات وملامح الأب ليكون هذا الرمز، لقد آمن الجمهور بدور خالد فى تلك الأحداث لدرجة ترشيحه من قبل الكثيرين ليكون زعيما للناصريين حتى إن فريد عبد الكريم القيادى الناصرى الراحل الكبير صرح وقتها: مع تقديرى لأسرة عبد الناصر ولخالد الذى أقدره وأحترمه وأحبه، لكن نحن فى مصر لا نتخذ إطلاقاً من الوراثة سبيلاً للزعامة. على كل إنسان أن يبنى نفسه سياسياً وأن يقود الحركة بعلم وكفاءة وبتأثير فى الجماهير، وإذا استطاع خالد عبد الناصر أن يلعب هذا الدور فنحن نرحب بذلك ترحيباً

شديداً. وإذا لم يفعل ذلك واعتمد فقط على اسم أبيه فسترفضه الجماهير. وخالد لا بد أن يبنى نفسه لأن جمال عبد الناصر بالذات. لفهم حقيقى لطبيعة المجتمع المصرى. لم يقحم أبناءه فى السياسة، وإنما هم مواطنون ناصريون بالضرورة وعلى كل منهم أن يدفع الضريبة وأن يستعد فكرياً وسياسياً لكسب الجماهير وقيادتها.

على أية حال فمهما يكن حجم دور ناصر فى التنظيم فإنه من المؤكد لم يظهر فى الأحداث، ولم يشترك بسلاحه فى تلك القصة، فقد أتيح لى، مؤمن المحمدي، لقاء بعض أفراد التنظيم، وأكدوا على أنهم لم يكونوا يلتقون به.

غير أن هناك أقاويل أخرى تتعلق بخالد عبد الناصر حيث ادعى البعض أن دوره كان جلب الأموال للتنظيم من الأنظمة العربية المتعاطفة مع ناصر وأفكاره، مثل العقيد القذافى الذى تربطه علاقة شخصية قوية بالدكتور خالد مازالت ممتدة حتى الآن. والعقيد صدام حسين وغيرهما، وقد كثر الحديث عن تلك الأموال التى تلقاها التنظيم عبر الدكتور خالد، حيث إن التنظيم قضى سنوات حديث الشارع، ولم يكن أفراده معروفين لدرجة أن وزير الداخلية زكى بدر قال إن الكشف الكامل عن حقيقة هذا التنظيم يحتاج إلى سنوات سبع على الأقل.

بالطبع نحن لا نقر بمقولة إن التنظيم كان يتلقى أموالا من هنا أو هناك لكن لنقرأ مثلا شهادة نظمى شاهين الشهير باسم حمادة، والذى قضى فترة عقوبته ثم أفرج عنه عام ٢٠٠٢ عن السبب الذى دفع أحمد عصام لخيانة شقيقه:

إلى الآن لا أعرف السبب الحقيقى. لكنى أستطيع أن أستنتج بعد كل هذه السنوات أن أحمد عصام، الذى لم يكن متزوجا وتزوج فى عمر متأخر وأصبح لديه فتاتان توأم وشعر بالخوف عليهم والحاجه إلى تأمين مستقبلهما وكان قد ذكر أحمد عصام بأن هناك تمويلا جاء مؤخرا من دولة شقيقة ولم يأخذ نصيبه منه، وبالتالى حاول الوقيعة بين أفراد التنظيم وتسريب المعلومات بأن هناك أموالا طائلة ولابد أن توزع بالعدل على أفراد التنظيم بعد فشله فى محاولة نيل نصيب الأسد من التمويل.لكننا لم نكن نعرف أى شىء عن الموضوع، ولم نفهم ماذا يحدث، وقد قمنا برفض الفكرة والمطالبه بعودة المال إلى الدولة التى تبرعت بها لاننا لسنا مرتزقة وإننا ندافع عن فكر وعقيدة ولا نطلب مقابلاً لها غير تحرير الوطن أو الشهادة ولا شىء آخر فى المقابل.وبكل بساطة لو كان لدى التنظيم دراية بما يحدث ما كان عصام قام بالتبليغ لأنه كان سيجلس التنظيم، ويقومون بتوزيع الأموال لكن الموضوع لم يخرج عن إطار القياديين الذى قاموا بتأسيس التنظيم (خالد عبد الناصر، محمود نور الدين، أحمد عصام).

هذه كانت شهادة حمادة وهناك لقطة أخرى لابد من الإشارة إليها ففى حديث الرئيس مبارك الشامل لصحيفة السياسة الكويتية الذى تم نشره صباح الأحد ١٥ مايو ١٩٨٨ سأله المحاور: من الصعب أن أتجاوز عن سؤال يتحدث عن ثورة مصر، وموقع خالد عبد الناصر من القضية وتقديركم لهذا الموضوع؟ فأجاب الرئيس: تصرف غير عاقل. إن المحزن فى القضية أن أحد المتهمين ابن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، والمسالة كلها أنهم مجموعة أضروا بأنفسهم وأهلهم وبمصالح بلدهم، ولم تنفعهم الأموال التى حصلوا عليها كما ورد بالتحقيق، لكن أن يعتقد كل من يملك مالا أنه خليفة عبد الناصر هذا شىء آخر. والموضوع كله أمام القضاء وأحمد الله أن القضاء فى مصر له قدسيته واستقلاله، والرئيس عبد الناصر لو ارتكب ابنه ذلك فى حياته لاتخذ معه أقصى الإجراءات.

إذن فالرئيس حزين لتورط خالد فى القضية، لكنه أراد إرسال رسالة خاصة لمن يتصورون أنفسهم خلفاء عبد الناصر ممن يمتلكون الأموال!!

على أية حال خرج الدكتور عبد الناصر قبل بدء التحقيقات بساعات، وعاد قبل بدء المحاكمات بساعات، وفى المحاكمة حصل على البراءة، وتم التصالح بينه وبين النظام المصرى. حتى إنها مرض بعد سنوات فأمر الرئيس بعلاجه على نفقة الدولة، كما أنه استدعاه منذ فترة قليلة ليخبره بخبر تحويل بيت منشية البكرى الذى يحبه خالد كثيرا إلى متحف للرئيس الراحل الذى رحل بالفعل فى السنوات الأخيرة، ولم يبق منه إلا ثروة أبنائه.

■■■

عبدالحميد
وعبد الحكيم..
شـيـزوفـرينـيـا

«مصر ليست مجتمع المدن والقطامية والجونة، هذه ليست مصر التى عاش لأجلها جمال عبدالناصر. مصر هى شبرا الخيمة وباب الشعرية والحسين والسيدة زينب والمنيا وسوهاج، هؤلاء هم الذين قام عبدالناصر بالثورة لأجلهم، لآخر لحظة فى حياته كان مستعدا لأن يضحى بدمه وحياته لأجلهم»

عبد الحكيم عبد الناصر



□□

■■

إنهما شقيقان وشبيهان ويشتركان فى أشياء كثيرة، كل منهما ولد بعد الثورة، عبد الحميد ولد ١٩٥٢ وعبد الحكيم ولد عام ١٩٥٥، والاثنان ولدا على يد الدكتور على إبراهيم. وكلاهما تمت تسميته على اسم شخص آخر، فعبد الحميد هو اسم والد السيدة تحية وهو اسم لأحد أشقائها كذلك. وفى حين اختارت السيدة تحية اسم عبد الحميد فقد اختار جمال عبد الناصر اسم عبد الحكيم، فأسماه على اسم رفيق كفاحه عبد الحكيم عامر الذى رحل بعد الهزيمة فى عام ١٩٦٧، والثابت رسميا هو انتحاره، ولكن ما تزال تهمة اغتياله على يد رفيق عمره قائمة وإن كانت بنسبة ضئيلة فى ظل عدم توافر أية أدلة تدعمها.

قضى الولدان سنوات الطفولة الأولى فى أزهى عصور والدهما، كان قد بلغ قمته فى منتصف الستينات عندما كانا فى المدرسة القومية. ولذلك فإنهما يختلفان عن هدى ومنى وخالد فى أنهما لم يشهدا السنوات الأولى العصيبة، من أيام الثورة والعدوان الثلاثى والصراع على الحكم وما إلى ذلك، كبرا والوالد هو الريس الزعيم المهيمن على أمور السلطة الذى تهتف الجماهير باسمه وتعبره الأب والقائد والمعلم، وكما كان ناصر حنونا مع أشقائهم الكبار كان ودودا جدا معهم خصوصا عبد الحكيم آخر العنقود.

قبيل رحيل عبد الناصر كان عبد الحميد قد تخرج من الثانوية العامة، وكان يريد أن يصبح طيارا، لكن والدته اعترضت خوفا عليه، فالتحق بالكلية الحربية، وإذا كان الدكتور خالد عبد الناصر قد كتب أن والده كان يستعد لوضعه فى الخطوط الأمامية للحرب الدائرة مع إسرائيل، فإن عبد الحميد كان فى الاتجاه المعاكس تماما حيث كان يخدم فى ليبيا!!

أما عبد الحكيم فقد كان فى الخامسة عشر من عمره، وكان طالبا فى المدرسة الثانوية.

رحل الأب والزعيم فى ٢٨ سبتمبر ليجد الصبيان نفسيهما فى وضع غريب ومربك للغاية، الزعيم يرحل وهو فى الثانية والخمسين، ومن هو الرئيس الذى يخلفه؟ إنه النائب

الذى كانا يريانه دائما مطيعا للوالد، ينفذ أوامره ويرضى بذلك الدور الذى كان أكبر من طموحاته، لدرجة أن نكتة شهيرة انتشرت فى تلك الأيام تقول: إن عبد الناصر سأل السادات ذات مرة: هى ثومة هتغنى إيه النهاردة يا أنور؟ فأجابه: سيادتك الحب يا افندم، لأنه لم يكن يقدر على أن يقول له: إنت الحب!!

طبعا نحن نتحدث عن الأمور من زاوية وجهة نظر الولدين والتى عبر عنها عبد الحكيم فى كثير من حواراته، المهم أنه سبحان مغير الأدوار!! فالآن النائب هو الرئيس. وتصادف أن هناك حملة ضد الوالد تستهدف النيل من أفكاره ومن ذمته المالية ومن دوره وحجمه ومن كل شىء، ومن هنا كانت الصدمة.

من ناحية أخرى فإنهما بعد رحيل الوالد، ثم رحيل نمط الحياة الذى كان سائدا أيام الوالد أصبح الولدان مطالبين بأن كلا منهما «يشوف نفسه» كما نقول فى مصر، بمعنى أن يشق لنفسه طريقا ويبنى نفسه من الناحية المادية، وهكذا تبدأ الشيزوفرينيا التى نتحدث عنها.

نحن أمام مواطنين مطالبين إنسانيًا وعائليًا وشخصيًا بالدفاع عن الوالد ومعتقداته وأفكاره وتاريخه، بينما الحياة تقتضى منهما العكس تماما. فتجد أن أبناء الاشتراكى الكبير نجمان كبيران فى عالم المال، أولادهما يتعلمون فى الجامعة الأمريكية، ويمتلكون اليخوت، ويساهمون فى الشركات.

عبد الحكيم يشن هجوما عنيفا على السادات وفترته ومرحلته، ويعتبر نفسه ناصريا حتى النخاع بينما يعد جمال السادات أحد أصدقائه المقربين!!

ما علينا، نستكمل رحلة الفتيين، فعبد الحميد تخرج فى الكلية البحرية وتزوج من إيمان محى الدين الخرادلى ابنة الدكتور محى الدين الخرادلى مدير معهد السرطان فى ذلك الحين. وهى بالمناسبة شقيقة أفكار الخرادلى رئيسة تحرير مجلة نصف الدنيا.

كان الزواج بعد وفاة والده، ثم التحق بالسلك الدبلوماسى عام ألف وتسعمئة وأربعة وسبعين.. حيث عمل فى السفارة المصرية بلندن فترة بسيطة. ثم انتقل إلى العمل فى مكتب الهيئة العربية للتصنيع فى بريطانيا.. وبقى فيها حتى عاد مرة أخرى إلى القاهرة ليتفرغ نهائيا للعمل فى دنيا الأعمال مع شقيقه عبد الحكيم فى إدارة الشركة التى كوناها.

أما عبد الحكيم فقد تزوج من عائلة قطرى الشهيرة. وقد تخرج عبد الحكيم فى قسم العمارة بكلية الفنون الجميلة بجامعة حلوان.

وتبدأ قصة نجلى الرئيس الراحل عبد الناصر مع الأموال عام ألف وتسعمئة وسبعة وسبعين من خلال شركة مودرن كونتر أكنوزر للمقاولات التى أسساها سويا وشاركهما بعد فترة الشقيق الأكبر خالد.

وعام ١٩٧٨ الذى نتحدث عنه كان بعد ثمانى سنوات فقط لا غير من رحيل الأب الذى مات معدما مديونا لم يملك شيئا بحسب شهادة السيد سامى شرف. هل تدرون كم كان رأسمالها رسميا.

حسنا كان عشرين ألفا من الجنيهات المصريةالبدأت الشركة نشاطها فى مجال المقاولات والديكور. وفى العام التالى انضم إليهم شركاء جدد هم محمد عبد الحميد وعمرو حسين شعبان وتم رفع رأسمال الشركة إلى أربعة وثلاثين ألفا ثم إلى مئة وخمسين ألفاً..لكن فى عام ألف وتسعمئة وسبعة وثمانين وصل رأسمال الشركة إلى مليون جنيه... يمتلك منه الأشقاء خمسة وثمانين بالمئة.. أى ٨٥٠ ألف جنيه أى أن ثروتهما تضاعفت من ٢٠ إلى ٨٥٠ فى عشر سنوات.

على أنه يبدو أن نجاح الشركة وتضخم رأسمالها، بحسب ياسر ثابت، كان سبباً مباشراً فى انهيارها ففى عام ألف وتسعمئة واثنين وتسعين وقعت خلافات حادة بينهم وطالب عمرو حسين بفرض حراسة على الشركة.. وبالفعل قررت المحكمة تعيين أولاد عبد الناصر حراساً عليها وفى العام نفسه شارك عبد الحكيم فى شركة كلوزال للتسويق وتوزيع المنتجات الصناعية.. لكن عشقه للعمل فى المال أوقعه فى العديد من المشكلات؛ ففى الوقت الذى تقدم فيه بنك القاهرة إلى محكمة جنح مصر الجديدة وأقام أربع قضايا على عبد الحكيم لإصداره أحد عشر شيكا بدون رصيد.. ورطه فيها صديقه الهارب رجل الأعمال حاتم الهوارى بمبلغ عشرة ملايين وسبعمئة وخمسين ألفاً.. وهى القضية التى هرب بسببها عبد الحكيم إلى فرنسا ومنها إلى لندن.. حتى عاد بصحبة أحد الرؤساء العرب ليعلن أنه على استعداد لسداد ديونه فى التوقيت نفسه استطاع عبد الحكيم التصالح فى قضية شيكات أخرى كانت مع نجل الفنان نظيم شعراوى وبعض التجار. لكن المثل المصرى يقول: أسمع كلامك أصدقك أشوف أمورك أستعجب، وهو ما ينطبق بحذافيره على أنجال عبد الناصر، فرغم مشوار البيزنس والشركات والشيكات والديون وغيرها فإنهم يصرون على أنهم ينتمون إلى عبد الناصر بكل معانى الانتماء عائليا وفكريا ويصرون على تكرار كلام الناصريين، ولعل الحوار الذى أجراه الصحفى سامى كمال الدين مع عبد الحكيم عبد الناصر فى مجلة الأهرام

العربى يكشف عن ذلك بوضوح، وتحت عنوان: «السادات صدم أمى بعد توليه الحكم» كان هذا الحوار:

● لعل لحظات الطفولة تعد عاملا مهما فى ترسيخ مراحل حياة الإنسان وتطوراته ومواقفه بعد ذلك، كيف كانت طفولة ابن جمال عبدالناصر؟

- ما كان يدهشنى ويغرينى فى هذه الطفولة أننى ابن رجل اسمه جمال عبدالناصر، لقد فوجئت بجمال عبدالناصر كان الاستغراب الجميل مسيطرا على، ومن هنا بدأت أسأل أمى عمن يكون جمال عبدالناصر، وماذا فعل ليكون بهذه المكانة؟ لم تكن والدتى تستغرب طرحى كانت تجـ يبنى وهى فخور بأن هذا الرجل، زوجها ـياه، تخيل طفل يقال له إن أباك هو قائد ثورة يوليو ورئيس مجلس قيادة الثورة أول هيئة مصرية تحكم مصـر منذ أن جاء الإسكندر الأكبر إلى مصر غازيا ومحتلا، حتى جاء عبدالناصر وجاء يوم٢٦ يوليو يوم خروج الملك من مصر وتنفست مصر هواء نظيفا نقيا، طاهرا مطعما بالحرية محققا ما كان لا يتجاوز جفون العين، منتصرا لحر يتنا ـإننى أنقل إليك عـ يون طفل اسمه - عبدالحكيم - سارحة تتأمل وتحاول استيعاب الجمل الكبيرة غير المفهومة - وقتها - بالنسبة له.

● هل أصابك ذلك بنوع من التغـ يـ ير خلال تعاملك مع زملائك فى المدرسة الابتدائية والإعدادية؟

- إطلاقا، خذ أرقام هواتف زملائى الذين كانوا معى فى المدرسة واسألهم، مازلنا أصدقاء حتى الآن، لم يحس أحدهم بأنى ابن عبدالناصر على الإطلاق، فلم يتدخل أبى ولو لمرة واحدة فى حياتى الدراسية، كنت مجرد تلميذ عادى يرتدى مريلته ويمسك بطبشورة ويخرج على السبورة يكتب حروف الهجاء وأرقام مادة الحساب مثل أى تلمـ يذ، ولعل هذا هو ما جعلنى أستطيع أن أنجح فى حياتى بعد رحيل أبى.

● انتقلتم للإقامة فى فـ يلا منشـ ية البكرى، وهى من ممتلكات الجيش، كيف كانت ملاحظاتك عن أول مكان رأته عيناك؟

- بالفعل أنا ولدت فيها ونشأت وتربيت، وقد بقينا فيها حتى رحيل والدتى، حيث صدر قرار من مجلس الشعب بعد وفاة والدى بأن نظل فيها حتى آخر واحد منا على قيد الحياة، ثم يتحول البيت إلى متحف، لكن بعد وفاة والدتى لم يعد لهذا البيت طعم، ففيه نقشت ملامح طفولتى وأكلت مع أبى وأمى ومرحت وبكيت، عشت أجمل لحظاتى لذا كان من الصعب البقاء

فـيه بعد رحـيل والدتى، لذا قلنا لماذا تنتظرون حتى نموت كلنا لكى تحولوا هذا البيت إلى متحف، خذوه من الآن وحولوه إلى متحف، فعلى الأقل نحن مازلنا على قيد الحياة ونستطيع المساهمة فى إنشاء هذا المتحف، وقد سلمنا البيت إلى الجهات المختصة بعد رحيل الوالدة بأربعين يوما، رحلت أمى السيدة تحية كاظم فى٢٥ مارس وسلمنا البيت فى شهر مايو.

● حى الجيزة، خالتك منيرة التى تزوجت السيد يوسف، وزير التربية والتعليم، فيما بعد، لك ذكريات هناك أريد الاقتراب منها؟

ـ كنا نذهب إلى خالتى منيرة كثيرا، وكانت تأتى لنا كثيرا أيضا، عمى يوسف زوجها كان رجلا حازما من رجال التعليم بتوع زمان كانت علاقتنا بها علاقة حب وليست قرابة فقط، كنا كابنائها حيث كان قدرها عدم الإنجاب، لذا كانت تعاملنا بشكل أمومى وتقر بنا منها، كنت كثيرا ما أجد نفسى فى الجيزة أطرق بابها وأجلس لأتحدث معها ويسرقنى الوقت فقد كانت ودودا.

● كيف كانت رؤية زملائك فى مرحلة التعليم الأساسى لوالدك؟

ـ كان زملائى يأتون معى إلى البيت فى أعـياد ميلادى، ويلتقطون الصور التذكارية مع أبى، ويتحدثون معه فى كل القضايا سواء العامة أم الخاصة بهم، وكان والدى مستمعا جيدا لهم، يستوعب ما يقولون ويناقشهم فيه بموضوعية، لكنه تغيب عن ثلاثة أعياد ميلاد لى فى سنوات٦٨/٦٩/٧٠ بعد النكسة.

● كيف ترى تأثير والدتك السيدة تحية كاظم فى حياة والدك؟

ـ كان لها تأثير كبـير جدا، كانت أمى امرأة بسيطة المطالب فى الحياة، كل حياتها تتلخص فى شيئين: جمال عبدالناصر وأولادها، ليست لها حياة ثالثة.تخيل حتى الأصدقاء الذين كانوا يأتون لها كان أغلبهم من أخواتها، وكانت أقرب سيدة لها ابنة أختها حرم المستشار محمد فهمى السيد، السيدة نادية غالب، كانت أمى تحبها وتود الحديث إليها كثيرا.هناك أيضا صداقات لأمى ولكنها محدودة مثل زوجات أعضاء مجلس قيادة الثورة وهم زوجة حسين الشافعى وزوجة زكريا محيى الدين والسيدة أم كلثوم، كانوا فى زيارات دائمة لها.

● لماذا لم يكن لها دور ظاهر كسـيدات المجتمع، تمارس حياة تحت عدسات الأضواء مثل أى زوجة رئيس جمهورية فى العالم؟

ـ لقد أحست أمى بأن دورها الكبـير هو المساهمة فى صنع حياة جمال عبدالناصر، وأن توفر له جوا أسريا هادئا وطيبا، رأت أنها إذا نجحت فى هذا الدور فقد فاقت به أى سيدة

مجتمع أو زوجة رئيس جمهورية.كانت أمى تحس بأنها ليست بحاجة من هذه الدنيا، ليست بحاجة إلى شهرة أو مجد، يكفيها مجد زوجها، كانت ترى نفسها فى عينيه، ومجدها فى انتصاراته وشهرتها فى وجوده ودوره العالمى وكان يسعدها جدا أن يقال حرم جمال عبدالناصر.

● كانت تقسو عليك؟

- كان أكثر ما يضايقها وأبى أن ينخفض المستوى الدراسى لأحدنا، فكانت تقسو علينا حين تحس بالتقصير فى أداء واجبنا، أو مستوانا الدراسى.

● وقسوة جمال عبدالناصر؟

- لم تكن قسوة، ولم نكن نخاف منه، لكن كانت لديه هيبة شديدة بحيث إننى كنت أخاف أن أضع نفسى فى موقف يؤنبنى لأجله، كان رائعا حتى فى قسوته، فهو لا يقسو إلا إذا أخطأت، لذا كنت أخاف التأنيب منه.

● كيف تهاب جمال عبدالناصر وهو أبوك، أنت ابنه، كيف تؤثر فيك الكاريزما الخاصة به؟

- لا أعرف كيف أجيبك، أبى له هيبة، أنا أحس بذلك ولا أستطيع أن أصف لك إحساسى بهيبته.

● كان يلعب معك؟

- حين كنت صغيرا كان يلعب معى، هناك لعبة اسمها الميكات أتى لى بها وأخذ يشرح لى طريقة اللعب بها، وكيف تركب، وكنا نصطاد معا فى القناطر الخيرية.جمال عبدالناصر مثل أى أب يحب أولاده، يلعب معهم، يشاركهم أفراحهم وأتراحهم عندما يكون لديه وقت فراغ.

● أين كنت يوم وفاة الرئيس جمال عبدالناصر؟

- كنت فى البيت بعدما عدت من المدرسة رجعت بدرى ففى بداية العام الدراسى نذهب نصف يوم فقط ونعود، وكنت فى أول أسبوع دراسى، وحين عدت إلى البيت سألت عليه لأنه كان له أكثر من يوم ينام فى الهيلتون حيث مؤتمر أيلول الأسود، وفى الليل عرفت أنه عاد إلى البيت ونام معنا صحوت فى الصباح الباكر وذهبت إلى المدرسة، ولما عدت سألت عليه، فقالوا لى فى حجرته، ودخلت سلمت عليه فسألنى عن أحوالى ودراستى وقال لى: أنت فى ثانوية عامة لازم تذاكر وتجيب مجموع كويس، كان أثناء حديثنا يرتدى بدلته وذهب ليودع

أمير الكويت، وبعد خروجه وبعد أن جاء موعد الغداء جلسنا ننتظره على المائدة.صمت عبدالحكيم وقد امتلأت عيناه بالدموع ثم أكمل بصوت لا أكاد أسمعه: لا أستطيع أن أنسى هذا اليوم لحد ما أموت قبل ذلك وحين جاءته الأزمة القلبية الأولى سنة١٩٦٩ قاموا بتركيب أسانسير فى البيت، لم يكن عندنا أسانسير، وحين صعد الأسانسير عرفنا أنه جاء، فتح باب الأسانسير وخرج منه والدى وشكله منهك جدا. دخل على حجرة النوم مباشرة، دخلت أمى خلفه مهرولة، كان هذا فى الرابعة ظهرا، حسيت إن فيه حركة غريبة فى البيت، أناس يدخلون ويخرجون، صار البيت مثل خلية النحل. وتوافد الأطباء، ووجدت سامي شرف وحسين الشافعى وعلى صبرى والفريق فوزى وشعراوى جمعة وهيكل ومحمد فائق ومحمد أحمد جاءوا مسرعين، وبعد ذلك جاء السادات.لا أستطيع نسيان منظره وهم يجرون له عملية تدليك سريع لتنشيط الدورة الدموية والقلب، اعترانى الرعب وأخذت أدعى الله أن ينقذه، لكنه فجأة ارتعش جسمه كله، ثبت مكانى، سمعت صرخة من أمى فعرفت أن جمال عبدالناصر مات.خرج الجميع ودخلنا نحن أفراد أسرته إلى حجرته، تركونا معه، وأصبت بالانهيار ولم أدرى ما حدث، بقينا معه وقتا قليلا وبعد ذلك ذهبوا إلى قصر القبة، وبدأت مراسم الجنازة وأذيع النبأ ورأيت جنازته المهولة.

● بعد تولى السادات حكم مصر خلفا لوالدك انحنى انحناءة رقم سبعة فى مجلس الشعب أمام تمثال والدك مرددا أنه سوف يسير على خطاه، لكنه تحول١٨٠ درجة وسار فى طريق مختلف تماما، وبدأت مرحلة الهجوم وعودة الوعى وغيبة الوعى، كيف كان إحساسك وإخوتك ووالدتك؟

- أمى أحست بمرارة فظيعة، لم تطق الحياة، لم تصدق فى البداية أو قل لم تتخيل لأن معظم من هاجموا والدى كانوا ينافقونه حبا ويكتبون عنه بشكل فظيع، كانوا يمجدون أبى ولا يرون أحدا سواه، وفجأة تحولوا تماما وكتبوا عكس ما كانوا يكتبون، ونسوا قيمة القلم الذى أقسم بها الله فى كتابه العزيز: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ لكن والدتى أصبحت لها فلسفة أعتقد أنها صائبة إلى حد كبير.هذه الفلسفة تتلخص فى أن عبدالناصر قام بالثورة لأجل الرجل البسيط المصرى الحقيقى، مصر ليست مجتمع المدن والقطامية والجونة، هذه ليست مصر التى عاش لأجلها جمال عبد الناصر. مصر هى شبرا الخيمة وباب الشعرية والحسين والسيدة زينب والمنيا وسوهاج، هؤلاء هم الذين قام عبدالناصر بالثورة لأجلهم، لآخر لحظة فى حياته كان مستعدا لأن يضحى بدمه وحياته لأجلهم، فهؤلاء كانوا العزاء لوالدتى وحين

كانت تحدث مثل هذه الهجمات وتخرج الفئران من جحورها كانت والدتى تأخذ السيارة وتروح سيدنا الحسين كان الناس العاديون يحتفون بها ويلتفون حولها مرحبين بها بشكل غير متخيل، كان هذا يريحها كثيرا حين كانت تحدث هذه الهجمات الشرسة التى بدأها مصطفى أمين، والذى أصر على أنه جاسوس، وقضيته موجودة فى متحف المخابرات العامة حتى الآن، ولو لم يكن جاسوسا فأنا أطالب أهله بأن يرفعوا على قضية، أنا على أتم الاستعداد لذلك، ليقولوا أنى أسب أباهم وأقول عليه جاسوس. كانت أمى تتجه إلى الله، تدخل مسجد سيدنا الحسين وتدعو الله أن يرحم والدى ويريحه فى مثواه الأخير.

● تأثير الهجوم على والدك يزعجك الآن؟

- إطلاقا لقد صارت لدى حصانة.

● وماذا عن القضايا التى أعيد فتحها أيام السادات وخاصة قضية المشير عامر وأنه لم ينتحر واتهام والدك بقتله؟

- هذه قضية غريبة.. لا أعرف لماذا يصرون على حرمان المشير من هذا الشرف شرف انتحار قائد عسكرى هزم فى الحرب فلم يتحمل الصدمة وانتحر، إن أى قائد عسكرى يبلى بمصيبة مثل التى حدثت فى١٩٦٧ لابد أن ينتحر ثم أرى أنه سواء انتحر أو قتل فليست هذه هى القضية.

● لكن ابنه صلاح قال لى: لا أريد لأبى أن يموت كافرا أبى لا لا يعملها لقد قتله عبد الناصر؟

- هذه مسألة علمها عند الله هو الذى يحاسب الناس وهو الذى يحدد الكافر من المؤمن البشر لا يحددون ولا دخل لهم بهذه المسألة إطلاقا.

● لماذا لم تحاول الرد على ما قيل وكتب من أن والدك قتل صديق عمره الذى كان يأكل معه فى طبق واحد؟

- لأننى أرى أن هذه ليست هى القضية الرئيسية التى يجب أن نتوقف عندها، القضية الحقيقية أن مصيبة انتكاسة حدثت لنا عام١٩٦٧.

● ولكن ألا ترى معى أن والدك مشارك أيضا فيما حدث وليس عبد الحكيم عامر بمفرده، وأنه يشاركه تحمل المسئولية؟

- هو تحمل المسئولية، فهو رئيس الدولة، وتحملها، وأعلن ذلك. وللعلم فإن هناك أمثلة كثيرة حدثت فى العشرين عاما الفائتة تتجاوز أزمة١٩٦٧ والذين تسببوا فيها لا هم تحملوا المسئولية، ولا حتى أعلنوا مسئوليتهم عن الحدث.

● ألا ترى معى أن الاعتقالات التى حدثت فى عهد والدك كان مخطئا فيها؟

ـ موضوع الاعتقالات مبالغ فيه، إن الموجودين الآن فى أى قسم من أقسام الشرطة أكثر من الذين اعتقلوا فى عهد جمال عبد الناصر. وموضوع تضخم الاعتقالات هذا سببه يرجع إلى الرئيس أنور السادات وربنا جعله قبل اغتياله بشهر يعتقل مصر كلها، من اليمين إلى اليسار، ومن الشيوعى إلى الرأسمالى ومن رجال الدين المسيحى إلى رجال الدين الإسلامى واعتقل أهم الكتاب والمفكرين. ماخلاش.

● لكن السادات هو اختيار والدك؟

ـ والدى اختاره كنائب ولم يكن يعرف مثلا أنه سوف يموت وعمره ٥٢ عاما.

● تردد أن والدك اختار السادات نائبا له بناء على ضغوط أمريكية؟

ـ لا أعتقد، فهى أقوال تتردد بلا دليل. ثم إنه قبل ١٩٧٠ لم يكن للسادات موقف سياسى، كان رأيه الوحيد فى كل حاجة: ده كان رأيى يا ريس، خير ما فعلت يا ريس.

● ألا ترى أن ما وصلنا إليه من فساد وانحدار ليس إلا امتداد لثورة ٢٣ يوليو؟

ـ أود أن أقول لك جملة ليوجين جوستين من المخابرات المركزية الأمريكية ردا على سؤالك حيث يقول: مشكلتنا مع ناصر أنه بلا رذيلة مما يجعله من الناحية العملية غير قابل للتجريح، فلا نساء، ولا خمر، ولا مخدرات، ولا يمكن شراؤه أو رشوته أو حتى تهويشه، نحن نكرهه ككل، لكننا لا نستطيع أن نفعل تجاهه شيئا، لأنه بلا رذيلة وغير قابل للفساد. الفساد ـ يا سيدى ـ لم نسمع عنه إلا بعد الانفتاح وبعد ١٩٧٤ وليس من عبد الناصر وثورة يوليو.

● نشر أخيرا التالى: كشفت هيئة الأرشيف الوطنى الإسرائيلى التابع لرئاسة الحكومة الإسرائيلية عن عدد من الوثائق السرية للغاية، وفى الوثائق وثيقة سرية تقول إن الرئيس المصرى جمال عبد الناصر أرسل فى نهاية نوفمبر ١٩٥٤ مبعوثا خاصا إلى العاصمة الفرنسية باريس لنقل رسالة سرية حول رغبته فى السلام مع إسرائيل، والمندوب هو كمال يوسف الذى أقام علاقات مع السفارة الإسرائيلية فى باريس، والتقى بمندوب الموساد دان إيفنى، بعد ذلك بأيام قليلة وصل إلى باريس يهوشع بالون والتقى هو الآخر بكمال يوسف ما تعليقك؟

ـ أرى أن كل هذه القصص مختلقة وهى محاولة لتأكيد خط السير الذى مشينا فيه من كامب ديفيد وحتى الآن. يتقولون على عبد الناصر بأن ما فعلوه أراده هو فى البداية، هذا افتراء وكذب كما أن إسرائيل ليست محل ثقة، ثم إن الثورة المصرية منذ بدايتها عام ١٩٥٢

وهمها الأساسى شيئان: طرد الملك وطرد الإنجليز وواضح للجميع أهداف الثورة الستة من القضاء على الاستعمار، والقضاء على الإقطاع وعلى الاحتكار وسيطرة رأس المال ونحن فى مصر لدينا مشكلة كبيرة وهى مشكلة التنمية، الكثافة السكانية عالية والموارد محدودة، وكان هدف والدى تنمية الموارد وإحداث نهضة زراعية صناعية فى البلاد وقد كتب أنتونى ناتنج مساعد وزير الخارجية الذى وقع اتفاقية الجلاء مع عبد الناصر أنه بعد وأن وقع الاتفاقية سأل والدى: ما موقفكم بخصوص الشأن الإسرائيلى الآن هل ستحاربونهم؟ فقال له والدى: لا، هدفنا الأساسى اليوم هو التنمية فى مصر ولدينا مشاريع زراعية وغيرها سوف نهتم بها ذهب أنتونى ناتنج بعد ذلك فى زيارة إلى إسرائيل والتقى بن جوريون وقال له: ظللتم تقولون عن مصر إن بها نظاما عسكريا وأن عبد الناصر سوف يحاربكم، الناس لا يريدون الدخول فى صراع عسكرى وهدفهم التنمية، فقال له بن جوريون: هذا أسوأ خبر سمعته فى حياتى، أنتظر حتى ينموا أنفسهم ويهزمونى وللعلم فاتفاقية الجلاء وقعت عام١٩٥٤ وهذا الحديث دار عام١٩٥٥ وأول خرق حقيقى للهدنة بين مصر وإسرائيل بعد حرب١٩٤٨ هو الهجوم على غزة عام١٩٥٥ وبدأت سلسلة الصراعات بعد ذلك من حرب٥٦ و٦٧ وحرب الاستنزاف وحتى١٩٧٣ حتى قلنا لن نحارب كفاية.

● مَنْ مِنْ أصدقاء والدك على اتصال بك حتى الآن أو من أبناء الضباط الأحرار؟

- سامى شرف وحسين الشافعى، ويوم٢٣ يوليو من كل عام كان أعز شخص يتصل بى هو أحمد حسين الشافعى كان ارتباطه بالثورة قويا وكانت لنا ذكريات قوية فى أعياد الثورة خاصة مع أغانى عبد الحليم الجديدة.

● عبد الحكيم.. فى النهاية: هل أنت ناصرى؟

طبعا أنا ناصرى جدا جدا جدا.

● وهل للحزب الناصرى علاقة بوالدك؟

- لا تعليق.

انتهى الحوار ومن يقرأه لا يمكن أن يصدق أن هذا هو نفس الشخص البيزنيس مان الذى يتورط فى ديون وشيكات وتتضاعف ثروته كل عام، غير أن الجزء الذى لا يمكن أن نتركه دون تعليق هو قوله لمن يرددون أن والده قتل عبد الحكيم عامر ولم ينتحر: «لا أعرف لماذا يصرون على حرمان المشير من هذا الشرف شرف انتحار قائد عسكرى هزم فى الحرب فلم يتحمل الصدمة وانتحر!!!

ومن ناحيتى، كاتب سطور الكتاب، فإننى أنا الذى لا أعرف كيف لم يسأله الصحفى سامى كمال الدين: ولماذا لم ينتحر الرئيس عبد الناصر حتى ينوبه من الشرف جانب؟ أليس شريكا فى الهزيمة!!

على أية حال نحن لا نقصد التحقيق فى قضايا الثورة فقط نريد أن نكشف عن مصير أولاد جمال عبد الناصر، التى بدأت حياتهم بالثورة، وانتهت بالثروة، وكما تعلمون فإن للثروة حسابات أخرى.

■■■

3

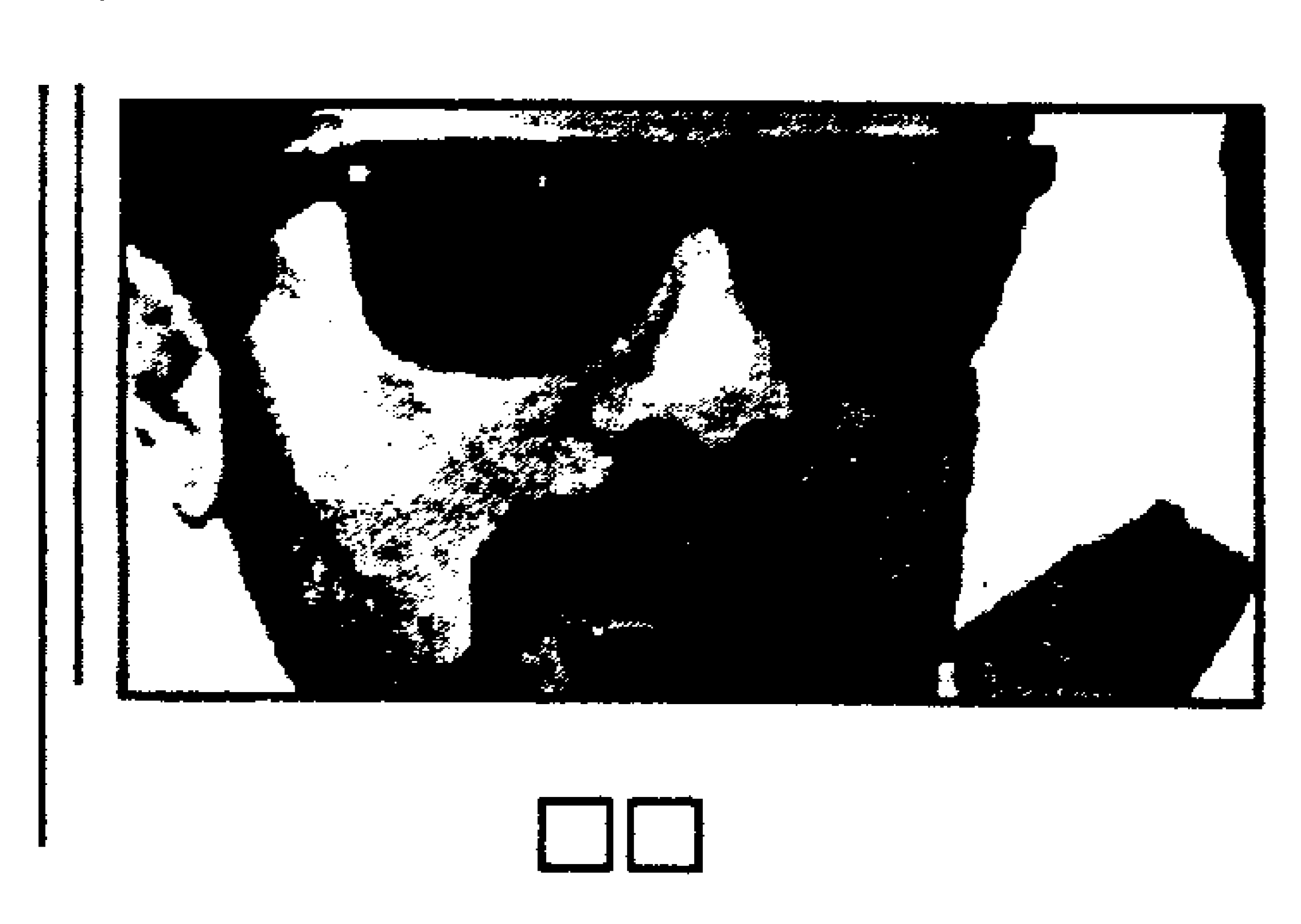
أبناء الرئيس الراحل حافظ الأسد.. بيت الرئاسة

□□

الراحـــل
باسل الأسد.. المتعب

«كان باسل محباً لأقرانه وأصدقائه ومواطنيه،
ومن هنا أيضاً كان تفاؤله وثقته بمستقبل
الوطن، ومستقبل الشعب ومستقبله..»

الرئيس الراحل
حافظ الأسد



□□

■■

دعنى أعترف لك اعترافا بينى وبينك عزيزى القارئ، وهو أن الكاتب عندما يبحث فى ملف شخصية ما، ويقلب أوراقها وما كتب عنها، ويستعرض سيرتها ومسيرتها، فإن أول ما يقع عليه من أوراق عادة، يكون عبارة عن أقوال مدح وتمجيد فى تلك الشخصية وإظهار محاسنها ودورها العبقرى فى مجالها حتى تظن أنه ملاك ينقصه فقط جناحان.

الاعتراف هو أننى ككاتب لا أقتنع بهذا، ليس بحثا عن إثارة، أو عنوان أصفر أضعه على رأس مقالى، بل لإيمانى أن القارئ لا يستحق منى الاستسهال، القارئ يريد الحقيقة، وأنا لا أمتلكها. إننى فقط أسعى وراءها، أجرى خلفها، أطاردها لاصطيادها، وفى النهاية عندما أشعر بأنى ظفرت بها أنقلها لك عزيزى القارئ.

قد يكون شعورى هذا فى محله، أتمنى ذلك، وقد أكون واهما. لكننى أحاول، وهذا يرضى ضميرى.

حسنا دعنى أقل لك الصراحة، فقد أتعبنى الراحل باسل الأسد، يلقبونه فى سوريا بالشهيد، وأنا لا أحب أن أستخدم هذا اللقب، ليس فى حالة باسل الأسد فقط، بل عموما. أراه لقبا دينيا لا يمكننا منحه بسهولة، لذا لا أفضل استخدامه، لكننى مع ذلك أشعر بأن باسل يستحقه!!

أتعبنى فى البحث عن ملفات قد تقود لفهم أكبر لطبيعة أبناء الرؤساء، وانعكاس سلطات آبائهم على حياتهم. فحجم المكتوب عنه إيجابيا، حجم الحب الذى لمسته فى كلمات أصدقاء سوريين أعرفهم، يجعلك تتردد فى الكتابة حتى لا تتهم بالنفاق.

على أية حال، ولد الرائد الركن المهندس المظلى باسل الأسد فى ١٩٦٢/٣/٢٣ بمدينة دمشق، وفيها أنهى دراسته الثانوية عام ١٩٧٨، فى معهد الحرية الذى يحمل اليوم اسمه «معهد الشهيد باسل الأسد».

فقد انضم إلى اتحاد شبيبة الثورة وهو فى الحادية عشرة من عمره، وبدأ يتدرب على الرماية وركوب الخيل والقفز بها فوق الحواجز فى هذه السن. كان انضباطه مثيرا، واتزانه على صغر سنه لافتا حتى إنه فى الثالثة عشرة من عمره، أى فى عام ١٩٧٥ انتسب إلى حزب البعث العربى الاشتراكى وثابر على القيام بالنشاط الحزبى الذى كان يُطلب منه أو يوكل إليه.

إذا نظرنا إلى الأمر من وجهة سياسية لربما فتحنا قوسا لنشير إلى أن شيئا من هذا لم يكن ليحدث من دون أن يكون باسل هو نجل الرئيس، لكننا عندما نتحدث عن قدرات ومزايا شخصية، نجد أن كونه نجل الرئيس شكل عاملا مساعدا لذكاء باسل، وقوته وقدراته الكبيرة.

باسل بدأ رياضة القفز بالمظلات منذ عام ١٩٧٨ (أى فى السادسة عشر) فحقق تفوقاً ملحوظاً، وعندما اشترك فى أول دورة للقفز المظلى الحر للشبيبة عام ١٩٨٠ كان بطل تلك الدورة. وفى عام ١٩٨١ فاز ببطولة دمشق فى الرماية.

بعد حصوله على الثانوية العامة، الفرع العلمى، انتسب إلى كلية الهندسة (مدنية) فى جامعة دمشق عام ١٩٧٩-١٩٨٠ وحصل على شهادة بكالوريوس فى الهندسة المدنية عام ١٩٨٣-١٩٨٤، ثم انتسب إلى القوات المسلحة متطوعاً فى ١٩٨٤/٩/٢٤، وتخرّج فى كلية المدرعات مهندساً قيادياً برتبة ملازم أول، وكان الأول على أفراد دورته. وفى عام ١٩٨٧، تمت ترقيته إلى رتبة نقيب، والتحق بدورة كلية القيادة العليا فى القوات المسلحة السورية، وتخرج فيها «ضابط ركن مدرعات»، وكان كالعادة الأول على أفراد دورته، وذلك عام ١٩٨٨.

يطول الحديث عن بطولات باسل من ناحية الرياضة والفروسية وإجمالا نقول إنه فى حياته القصيرة، كانت له بصمة فى كافة مجريات الأمور بسوريا.

ويلخص السيد الرئيس الأب حافظ الأسد شخصية ابنه فى خطاب وجهه إلى الجماهير التى شاركته مشاعر الفقد والأسى فيقول عنه: «إنه يحمل فى شخصه الكثير من المواهب والقدرات والصفات التى برزت فيه منذ طفولته، ونمت مع الزمن، وبلغت مرحلة متقدمة من النضج والرسوخ والوضوح».

ثم يتابع قائلاً: «كان باسل محباً لأقرانه وأصدقائه ومواطنيه، ومن هنا أيضاً كان تفاؤله وثقته بمستقبل الوطن، ومستقبل الشعب، ومستقبله. فأحب الخير وخدمة الناس والمصلحة العامة».

باسل والسياسة

كان عام ١٩٨٣ محوريا فى مسيرة حياة باسل من الناحية السياسية، فقد ألم مرض بالرئيس الراحل حافظ الأسد فتح مجالا للكلام حول خلافته. وهنا برز اسم رفعت الأسد شقيق الرئيس الراحل والأرجح أن رفعت لم يكن يفكر قبل العام ١٩٨٣ بموضوع خلافة أخيه فى السلطة. ولم يعرف عنه ميلاً إلى الظهور بمظهر رجل الدولة الذى يملك مشروعاً يسعى إلى تنفيذه وتحقيقه. كان رفعت، على ما تشير المصادر المختلفة التى تناولت سيرة آل الأسد، رجلاً يحب الحياة، بخلاف أخيه الذى كان زاهداً فى معنى من المعانى. وكان يبدو أنه يتمتع بالسلطات الممنوحة له والثروة التى حققها على خير وجه. ولم يكن يظهر أنه واحد من الذين يريدون أكثر من ذلك. ربما تسارعت الأحداث إلى حد لم يعد يمكن للأسد الأكبر إيقافها فجرى ما جرى. لكن الأرجح أن صفات رفعت الشخصية التى لم تكن تروق للأسد الكبير، كانت واحداً من الأسباب التى دعت الأسد الكبير إلى التفكير جدياً فى شخص آخر غير أخيه رفعت لخلافته. علينا أن نسلم أن مثل هذا القرار الذى اتخذه الأسد الرئيس بإقصاء أخيه لا يمكن أن يكون قراراً قد اتخذ لسبب واحد فقط، من قبيل إنه يريد توريث السلطة لأبنائه. على كل حال لم يكن أى من أبنائه فى العام ١٩٨٣ قد بدأ يظهر كشخصية محورية فى سوريا. كان باسل الابن البكر فى بداية عشريناته يومذاك، ولم يكن ممكناً الحديث عن خلافته لأبيه. أما بشار فلم يكن قد تجاوز العشرين بعد. والحال فإن اللجنة السداسية التى شكلها حافظ الأسد لإدارة شئون سوريا لم تتضمن أى علوى. ويشير نيقولاس فان دام فى كتابه «الصراع على السلطة» أن الجنرالات العلويين الكبار رأوا فى هذا التدبير ما يخيفهم. فلو أن مكروهاً ألم بالرئيس وتسلم السلطة فعلياً لجنة من الشخصيات السنية، فإن أحداً لن يعصمهم من المساءلة والمحاسبة. وفى بلد بنى نظامه السياسى على الشدة، لا يأمن الضباط الكبار على أنفسهم من عواقب تغير وجه السلطة وعنوانها. والثابت أن القيادة العسكرية والأمنية التى كانت تتحكم فى سوريا، كانت فى معظمها من الطائفة العلوية. وقد وصل الضباط العلويون إلى هذه المراكز بعد كفاح وخاض الأسد الأب صراعات لا تحصى لتثبيت السلطة على النحو الذى رست عليه يوم ذهب إلى المستشفى للعلاج. ولا شك أن ثمة أمور لم تكن قد فارقت مخيلة السوريين كانت وراء قرار الضباط الكبار إدخال رفعت الأسد كأحد أركان النظام الأساسيين فى دائرة القرار التى استثنى منها. لكن الأسد شفى بعد ذلك بفترة قصيرة، وسرعان ما عمد إلى تأنيب الضباط على مخالفة أوامره. والحق أنه لو حدث وتفاقم

مرض الأسد فى تلك الأثناء لكانت السلطة اليوم من دون أدنى شك فى يدى رفعت أخيه. لكن ما جرى قد جرى، وعاد الأسد إلى سابق عهده من النشاط، وقرر تصفية الذراع التى يهدده أخوه رفعت بها كل حين منذ ذلك الحين أخذ اسم باسل الأسد فى التداول فى سوريا، وتحول الشاب الذكى والمقدام إلى واحد من الذين تشد إليهم الأنظار فى سوريا التسعينات. كان باسل مبدئياً وصارماً مثل أبيه. والثابت فى سيرته أنه كان رياضياً بارزاً وفارساً محترفاً. وأنه أيضاً كان عسكرياً مجلياً ومظلياً بارعاً. وكان أول دوراته فى الكلية العسكرية وقيادة الأركان والقفز بالمظلة. حتى وإن شكك البعض فى مصداقية هذه المرتبة، على خلفية أن رفعت أول دورته ويليه فيها عبدالله طلاس. لكن المتنبى يقول:

إذا اشتـبـهت دمـوع فى خـدود

تبـيـن من بكى ممن تبـاكى

وموضع الشاهد فى هذا البيت أن حصول باسل على البطولات كان محتوما بحكم كونه ابن الرئيس، غير أن الحكم على إذا ما كان يستحقها أم لا، فإن هذا شىء يظهر بالخبرة المباشرة، ومن الثابت أن شخصية باسل كانت قوية إلى أبعد حد. كما أن باسل الأسد بدا بالنسبة للسوريين يومها سبباً لولادة الأمل بالتغيير. وأحسب أن هذا الأمر فى حد ذاته كان من الأمور التى فكر فيها الأسد الأب وهو يعد ابنه البكر لتولى السلطة من بعده. المهم أن باسل الأسد تسلم بعد فترة وجيزة مهمة قيادة الحرس الجمهورى، هذا الحرس الذى سيكون منذ ذلك اليوم هو البديل الحقيقى لسرايا الدفاع. والذى سيصبح القوة الضاربة التى تحمى النظام. لذلك لم يصل إلى قيادته إلا الأقربون والذين يمتون بصلات قرابة لصديقة بآل الأسد رحل باسل الأسد فى ريعان شبابه في حادث سيارة مروع فى يناير من العام ١٩٩٤. تاركاً الجمعية المعلوماتية فى سورية من دون رئيس، وهى الجمعية نفسها التى ترأسها الرئيس الحالى بشار الأسد فيما بعد، وتاركاً حراسة النظام فى عهدة خاله وأبنائه.

الرحيـــل

عاش باسل الأسد حياة سريعة، كان كل ما فيها سريعا، وبحسب المقربين منه. كان يبدو كمن تأخر على شىء ما. وقد رحل باسل بسرعة كما عاش بسرعة. فقد قتلته السرعة.

وقصة وفاته يحكيها الكاتب محمد زين، فى معرض استعراضه لحياة العماد مصطفى طلاس، وزير الدفاع السورى العتيد، حيث يقول زين تحت عنوان: «يوم بكى حافظ الأسد»:

لا أعتقد أن مسئولا أو وزيرا فى العالم مكث مدة طويلة فى منصبه كما مكث مصطفى طلاس وزير الدفاع السورى..اثنين وثلاثين عاما فى منصبه على رأس القوات المسلحة السورية!والذى ينظر إلى مصطفى طلاس أو يجلس إليه عن قرب يعتقد أن هذه السنين هى عمره الحقيقى، علما بأنه قد تجاوز العقد السابع من عمره!اثنان وخمسون عاما فى الخدمة العسكرية لم تتهيأ لعسكرى آخر فى الدنيا، زملاؤه فى الوطن العربى إما قتلوا أو أطاحت بهم الانقلابات العسكرية وماتبقى منهم على قيد الحياة ذهبوا إلى التقاعد أو فروا خارج بلدانهم يعيشون بعيدا مع ذكرياتهم.والذى مضى! وعلى الرغم من أن مصطفى طلاس من السنة وليس من العلويين، إلا أنه بقى أحد المقربين الموثوق بهم لدى الرئيس السورى الراحل حافظ الاسد.وظل حارسا أمينا لهذا النظام حتى بعد أن توفى الأسد وتولى ابنه بشار الحكم.. ويعود الفضل الأول لوصول حافظ الأسد إلى رئاسة سوريا لمصطفى طلاس عندما كان رئيسا لأركان الجيش وكان حاضرا اجتماعا لبعض القيادات العسكرية أرادت أن تقوم بعملية انقلاب ضد الرئيس نور الدين الأتاسى، بقيادة صلاح جديد.. وكان حافظ الأسد فى ذلك الوقت وزيرا للدفاع ولم يكن حاضرا ذلك الاجتماع.

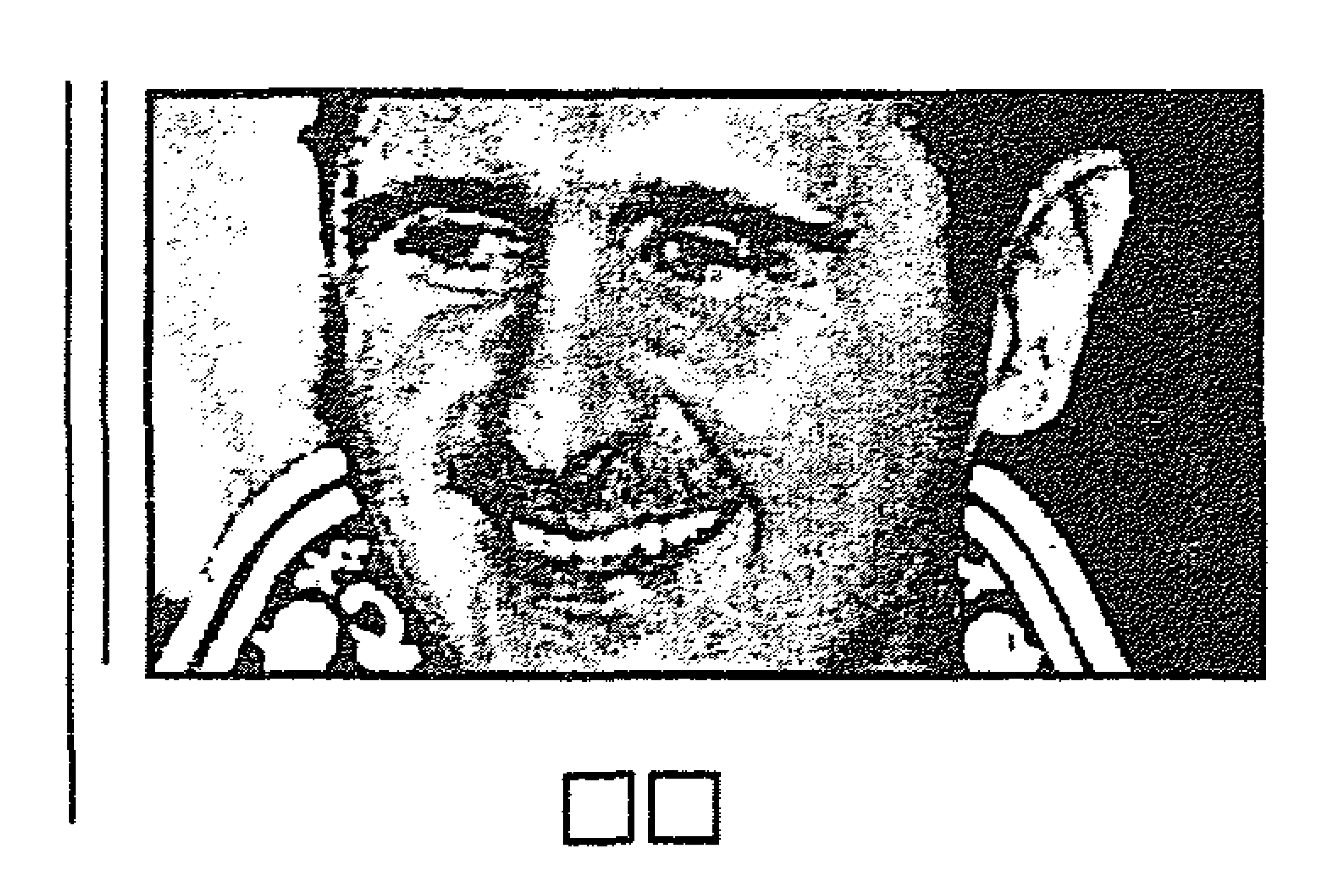
ويقال إن مصطفى طلاس خرج من الاجتماع بحجة الذهاب إلى الحمام وهناك أجرى مكالمة سريعة مع حافظ الأسد طلب منه أن يتحرك فورا لاستلام الحكم،وإلا فإن صلاح جديد سيخرج من الاجتماع ليكون رئيسا لسوريا.وهكذا تحرك حافظ الأسد واستولى على الحكم وعين مصطفى طلاس وزيرا للدفاع وظل فى منصبه إلى يوم تقاعده مؤخرًا. وعندما كنت فى دمشق ذات يوم، تعرفت إلى العماد مصطفى طلاس، أخذنى إليه الصديق صبحى سكر.وكان صديقا مقربا لطلاس وعائلته.وفى مكتبه بوزارة الدفاع جلسنا نتحدث فى الهم العربى والعروبة والقومية.وانتهى حديثنا إلى الكلام عن فيروز وأم كلثوم وعروض الأزياء فى لبنان والعالم العربى! كانت الزيارة إليه شخصية للسلام فقط، وصادف ذلك التاريخ بعد مقتل باسل الأسد فى حادث مرور بأيام قليلة، وحاولت أن أسأله عما يتردد فى الشارع العربى من أن باسل قد اغتيل بأيدى أنصار المعارضة السورية، فنفى ذلك تماما وبالأدلة القاطعة، وهى أن باسل الأسد كان فى رحلة سفر إلى ألمانيا الغربية، وقد تأخر على موعد إقلاع الطائرة. فقاد سيارته المرسيدس بسرعة جنونية متوجها إلى مطار دمشق وقبل وصوله بقليل اعترضه حمار يجر عربة فحاول أن يتلافاها فانقلبت سيارته المسرعة وارتطمت بجدار ومات على الفور وبقية الرواية معروفة للجميع!ولكن الشىء غير المعروف والذى أنشره لأول مرة.. هو

كيف وصل خبر وفاة باسل إلى والده حافظ الاسد ومن الذى تجرأ إبلاغه هذا الخبر الزلزال؟!
يـ قول مصطفى طلاس والابتسامة لاتفارق وجهه وهو يجلس أمامى بزيه العسكرى الأنيق..
إننى عندما علمت بالخبر لم أصدق للوهلة الاولى وتصورت أن هناك من يحاول أن يمزح معى.ولكن الخبر كان حقيقة لاتحتاج إلى التأويل.وتأكدنا على وجه السرعة بأن الحادث لم يكن بفعل فاعل وإنما قضاء وقدر.. على الفور اتصلت.والكلام لطلاس بزميلى حكمت الشهابى وكان رئـ يسا لأركان الجيش وكنت على خلافات بسيطه معه تخص مجال العمل، وأخبرته بالأمر وقلت له استعد فإننى سأمر عليك بسـ يارتى لنذهب سريعا للرئيس حافظ الأسد بمنزله لنبلغه الخبر لأن الأمر لا يحتمل التأجيل، وفى الوقت نفسه طلبت طبيـ ب الرئيس الخاص وهو طبيب اختصاصى فى القلب ومررت عليه وذهبنا ثلاثتنا إلى منزل الرئيس.واستغرب الحرس من وجودنا فى هذه الساعة دون موعد سابق.وأبلغوا الرئيس بأننى وحكمت الشهابى والطبيب موجودون فى صالون البيت..وكان الرئيس الأسد فى تلك السـاعـة يجلس فى حـد يقـة منزله يطالع فى كـتـاب.ودخل عليـنا وهو يرتدى البـ يجامة.وضحك عندما رآنا وتصور فى الحال أن الخلافات اشتدت بينى وبين حكمت الشهابى وقال..«هل سأقضى عمرى كله لكى أقوم بمصالحتكما، لماذا لاتتفقان وتنبذان عنكما هذه الخلافات التى أشغلتنى عن عملى»؟! ويستطرد مصطفى طلاس قائلا.. لقد انتظرت حتى انتهى الرئيس من كلامه معنا، وتشجعت وقمت أقبل رأسه قائلاً : لقد أعطاك ابننا باسل عمره.. ولم يهتز كثـ يرا أو أنه انفعل من وقع الخبر.. فقط قال أين جثته؟ فقلت له فى المستشفى سيدى الرئيس، وقام على الفور وارتدى بدلته بسرعة وركبنا معا فى سيارته دون أن تعرف الحراسة حتى بخروجه واتجهنا فورا إلى المستشفى الذى يرقد فـ يه جثمان باسل.ودخلنا إلى الغرفة معه أنا وحكمت الشهابى وطبـ يبه الخاص الذى أردنا أن يكون إلى جانبه خشـ ية أن يصاب بنوبة قلبية وهو يرى ابنه جثة هامدة.وماذا حدث بعد ذلك؟. يقول طلاس: قام الرئيس وكشف الغطاء عن وجه جثة ابنه وتأكد أنه بالفعل قد مات ونظر إلى قائلا :اخرجوا من الغرفة واتركونى هنا لوحدى، ورد طلاس عليه بالقول.. إننى ياسيدى الرئيس لم أخالف أوامرك طيلة عمرى ولكننى هذه المرة سأخالفك الرأى وأصر على أن أبقى معك ولن أتركك لحظة واحدة.. ويقول طلاس: أن الرئيس حافظ الأسد عندما طلب منا الخروج أراد أن يبقى لوحده حتى ينفجر بالبكاء وماكان يريد لأحد أن يراه وهو يبكى!وأخذ بعد ذلك يبكى موت ابنه باسل!

■■■

بشار.. الرئيس الأسد
ابن الرئيس الأسد

١٩٩٤ التحق بسلاح الإدارة
فى الجيش السورى برتبة نقيب
١٩٩٥ رقى إلى رتبة رائد
١٩٩٧ أصبح مقدم ركن
١٩٩٩ أصبح عقيد ركن
قائد الجيش والقوات المسلحة منذ ١١ يونيو ٢٠٠٠
رئيس الجمهورية بدءا من يونيه ٢٠٠٠



□□

■■

كل شىء تم فى حـ ياة الرئيس الأسد بالعجل، الرجل لم يبلغ الثالثة والأربعين بعد، لكنه عاش خبرات وتجارب، ورقى فى مناصب لا يصلون إليها إلا مع نهايات العقد السادس.

بشار حافظ الأسد (١١ سبتمبر ١٩٦٥) رئيس الجمهورية العربية السورية وابن الرئيس السورى السابق حافظ الأسد والذى استلم الرئاسة فى عام ٢٠٠٠ بعد وفاة ابيه إثر استفتاء عام سورى.

طبيب عـ يون تخرج من جامعة دمشق ودرس لفترة قصـ يرة فى لندن، ثم عاد عند وفاة أخيه باسل الأسد (فى حادث سيارة بدمشق عام ١٩٩٤).

تسلم بشار مقاليد الحكم فى سوريا عام ٢٠٠٠ بعد وفاة حافظ الأسد حـ ينما عدّل مجلس الشعب السورى الدستور بخفضه الحد الأدنى لعمر الرئيس من ٤٠ عاماً إلى ٣٤ عاماً لتمكين القيادة القطرية لـ حزب البعث العربى الاشتراكى من ترشيحه على مجلس الشعب لمنصب الرئاسة.

فـلاش بـــاك

لم يكن أحد يعرف شيئا عن بشار الأسد حتى مات أخوه باسل فى حادث سيارة فى عام ١٩٩٤، حيث كان لا بد من إعداده كبديل لأخـ يه فى خلافة والدهما الرئيس حافظ الأسد وبصورة سريعة.أصبح بشار المولود فى ١١ سبتمبر فجأة، وهو الذى درس الابتدائية والثانوية فى معهد الحرية وهو مدرسة فرنسية فى دمشق، العقيد الركن بشار الأسد.

جرى الإعداد السريع لبشار على عدة مستويات من أبرزها المستوى العسكرى، حيـ ث انتسب إلى القوات المسلحة وتدرج فى السلك العسكرى كالتالى:

١٩٩٤ التحق بسلاح الإدارة فى الجيش السورى برتبة نقيب.

١٩٩٥ رقى إلى رتبة رائد.

١٩٩٧ أصبح مقدم ركن.

١٩٩٩ أصبح عقيد ركن.

قائد الجيش والقوات المسلحة منذ ١١ يونيو ٢٠٠٠.

من طب العيون إلى الواجهة السياسية

وكما جرى الإعداد العسكرى السريع لبشار فقد اتسم إعداده السياسى بالطابع الاستعجالى كذلك، فبشار الأسد الذى درس الطب فى جامعة دمشق وتخرج طبيبا فى عام ١٩٨٨، ثم عمل فى مستشفى تشرين العسكرى بدمشق ليتخصص عام ١٩٩٢ فى بريطانيا فى طب العيون عاد عام ١٩٩٤ إلى دمشق ليولى وجهه شطر العمل السياسى تحضيرا لمهام خلافة أبيه. تم تكليفه بالملف اللبنانى عام ١٩٩٥ نظرا لتشابك العلاقات السورية اللبنانية، ثم لعب عام ١٩٩٨ دورا بارزا فى تنصيب الرئيس اللبنانى إميل لحود.كما زار بشار عددا من الدول العربية (الأردن، البحرين، السعودية، الكويت، عمان) ثم استقبله الرئيس الفرنسى جاك شيراك فى ٧ نوفمبر ١٩٩٩ فى قصر الإليزيه إذ كان لا بد من زيارة باريس التى تمسك جزءا هاما من خيوط الملف اللبنانى.

قطع الطريق أمام رفعت الأسد بعد وفاة حافظ الأسد فى ١٠ يونيو ٢٠٠٠ تم الحديث عن رفعت الأسد، عمّ بشار، الذى كان صاحب النفوذ الأكبر فى سوريا فى السبعينيات، وكان على راس سرايا الدفاع، كما كان يهيئ نفسه لخلافة شقيقه حسب رأى المراقبين. ولتفويت الفرصة على رفعت اجتمع البرلمان السورى لتعديل المادة رقم ٨٣ من الدستور السورى التى تنص على أن سن رئيس الجمهورية ينبغى أن تكون ٤٠ سنة فتم تعديلها، خلال أسرع تغيير دستور فى العالم فى اجتماع استمر ربع ساعة وفى تصويت جرى خلال ثلاث ثوان أصبحت المادة ٨٣ من الدستور تنص على أن سن الرئيس يمكن أن تكون ٣٤ سنة، ولذلك تمكن بشار الأسد دستوريا من تقلد منصب رئاسة البلاد، وبالتالى يتم سحب البساط من تحت أقدام رفعت الأسد. فانتخب بشار الأسد فى ١ يوليو ٢٠٠٠ رئيسا للجمهورية السورية.

الاهتمام بالمعلوماتية

استلم بشار رئاسة الجمعية السورية للمعلوماتية، التى تعتبر المركز السورى الوحيد لفتح البلاد أمام تقنيات الاتصال. وقد تزوج بشار بداية ٢٠٠١ من أسماء الأخرس وهى سورية مولودة فى بريطانيا متخصصة فى المعلوماتية.

يتكلم بشار الأسد اللغتين الإنجليزية والفرنسية إضافة إلى لغته الأم العربية.

الـزواج

أسماء فواز الأخرس الشهيرة باسم أسماء الأسد هى زوجة الرئيس السورى بشار الأسد، وتتحدر من مدينة حمص السورية. ولدت فى ١١ أغسطس ١٩٧٥ فى بريطانيا. تزوجت الرئيس السورى بشار الاسد فى ١٨ ديسمبر ٢٠٠٠.

هى ابنة طبيب قلب سورى بارز مقيم فى لندن وهو فواز الأخرس المتخصص فى أمراض القلب من مواليد حمص عام ١٩٤٦ سافر ليدرس الطب فى مصر ثم إلى بريطانيا لإكمال مسيرته العلمية فى القسطرة القلبية والأمراض الداخلية، ومتزوج من سحر العطرى من دمشق التى كانت تعمل فى السفارة السورية فى العاصمة البريطانية. أسماء الأخرس، ولدت ونشأت فى لندن وكانت تدرس فى إحدى مدارس لندن وكان أصدقاؤها يدللونها باسم إيما، حصلت على شهادة البكالوريوس فى علوم الكومبيوتر من كينجز كوليدج التابعة لجامعة لندن فى عام ١٩٩٦ قامت بالتدرب على العمل المصرفى فى نيويورك، حيث بدأت مع دويتشه ثم انتقلت إلى مصرف جى بى مورجان حيث عملت فى مجال الاندماج والاستحواذ. تتقن اللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والإسبانية.

وفيما لم يتحدث الرئيس بشار يوميا عن كيفية تعرفه إلى السيدة أسماء فإن بعض السوريين المقيمين فى بريطانيا يذكرون أن هذا التعارف تم خلال وجود الدكتور بشار فى لندن بين الأعوام ١٩٩٢ - ١٩٩٤ ومن خلال معرفته بوالدها الدكتور فواز الذى تردد أنه عمل وإياه فى مستشفى واحد لفترة معينة. حاليا أسماء الاخرس قليلة الظهور فى وسائل الإعلام ولكنها ترعى العديد من المشاريع الخيرية. أنجبت لبشار الأسد حافظ فى ٤ أكتوبر ٢٠٠١ ومن ثم زين فى أكتوبر ٢٠٠٣ وأخيراً أنجبت كريم.

ويشار إلى أن السيدة أسماء بدأت بإطلاق برامج فى جميع أنحاء سورية (لفتح العقول السورية الشابة على الأفكار الجديدة فى العالم)، حيث تولى أهمية خاصة لتدعيم الجهود والمشاريع لتفعيل دور الشباب بالمهارات، إضافة إلى متابعتها ومشاركتها فى العديد من المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية فى سورية.

الرئيس

٨ أعوام مرت على تولى الرئيس السورى بشار الأسد مقاليد الحكم فى سوريا عبر استفتاء شعبى، تخللها تجديد البيعة له لسبعة أعوام أخرى بدءا من ٢٧ مايو ٢٠٠٧، وحتى ٢٧

مايو ٢٠١٤. وفى ملفه كرئيس عدد من القضايا الملتهبة لا يسعنا هنا التعرض لها، خاصة وأننا نبحث فى الجوانب الشخصية أكثر منها السياسية، لذا سنكتفى هنا بعرض ما تيسر من مواجهات يخوضها الرئيس السورى وذلك من خلال كلمة له أمام مؤتمر تجديد الفكر القومى والمصير العربى عقد فى دمشق، تطرق الرئيس السورى فيها بشار الأسد إلى الحديث عن عدة عناوين تخص العالم العربى، كالأزمة اللبنانية وتحميل دمشق مسئوليتها، وكذلك الأوضاع فى الأراضى الفلسطينية المحتلة والضغوط الأوروبية والأمريكية على بلاده لطرد قادة الفصائل الفلسطينية.كما تحدث الأسد عن علاقة الدول العربية بإيران، ثم تطرق إلى استعداد سوريا لحرب محتملة مع إسرائيل، مشيرا إلى أن بلاده تتصرف على أساس أن الحرب مقبلة.وكان أهم ما ميز خطاب الأسد هو كشفه وللمرة الأولى بعضا من أسرار لقاءاته مع وزير الخارجية الأمريكية السابق كولن باول عقب سقوط العاصمة العراقية بغداد فى أيدى الغزاة فى التاسع من أبريل عام ٢٠٠٣.الملف العراقى قال الأسد بعد سقوط بغداد بيد الاحتلال الأمريكى بأسابيع قليلة: جاء باول إلى دمشق، وكان يتحدث بفخر عما أنجزه جيشه فى العراق، وفى مرات كان يقدم نفسه كقائد عسكرى أيضاً.وأضاف إن باول قرأ ما بات يعرف لاحقاً بدفتر الشروط، مشيراً إلى أن الوزير الأمريكى لم يطلب فقط إبعاد قادة المقاومة الفلسطينية من سوريا، بل أتى على أمر لم يسبق أن ذكرته، وهو أن على سوريا منع استضافة علماء العراق، ومنع استضافة المفكرين العراقيين على أراضيها، ليتبيّن فى وقت لاحق أن القوات الأمريكية استهدفت هؤلاء وقُتل منهم من قتل.وأضاف الأسد: تبين المراد الحقيقى للأمريكيين، لقد دمروا المتحف الوطنى العراقى بشكل منهجى، ونهبوا آثار العراق وسرقوها، وقد ظهر الكثير منها فى إسرائيل لاحقا، ثم عمدوا بعد ذلك إلى تدمير بنيته الثقافية والعلمية التحتية، وبدا واضحا منه أنهم يريدون العراق بلدا مدمر التراث والذاكرة والقدرة على الإنتاج الثقافى والفكرى.وأشار الرئيس السورى إلى أنه بعد احتلال العراق، كنا نتوقع قيام مقاومة عراقية بوجه قوات الاحتلال، ولكننى اليوم أقول إن المقاومة العراقية فاجأتنا من ناحية قدرتها على الانتقال إلى عمل كمى ونوعى فى فترة قياسية، بالنظر إلى تجارب المقاومة فى لبنان وفلسطين.وأوضح الأسد أنه ليست هناك رؤية موحدة عند العرب إزاء ملف العراق، هناك وحدة فى الكلام العاطفى، نحن الآن نمر فى مرحلة ضبابية، وهناك جمود فى ملفات كثيرة من بينها ملف العراق، وهناك محاولة لتقطيع الوقت، وربما هناك فى العالم العربى من يريد أن ينتظر الادارة الأمريكية الجديدة ليقرر خطوته اللاحقة سواء فى ما خص العراق أو غيره.

تصفية العلماء.

كانت تقارير عراقية قد ذكرت أن أكثر من ٥٥٠٠ عالم عراقى تمت تصفيتهم من قبل مسلحين مجهولين على مدى السنوات الخمس الماضية.أضافت التقارير أن عملية وأد العقول العراقية التى بدأت فى اليوم الثانى لسقوط بغداد، يتحمل مسئوليتها الموساد الذى أوفد مجموعات سرّية إلى العراق لمطاردة العلماء والباحثين والمفكّرين والأطباء، لا سيما الطاقمين النووى والكيميائى، وتصفيتهم بناء على قرار اتخذ على أعلى المستويات الأمنيّة فى إسرائيل.وأيضا المخابرات الأمريكية المركزية، التى قدّمت عروضاً مغرية للعلماء العراقيين من أجل التعاون معها، بينها تأمين عقود عمل لهم فى الولايات المتحدة وضمان سلامتهم، والذين رفضوا هذه العروض تمّت مطاردتهم وتصفيتهم على مراحل.والذى يؤكّد الدور الإسرائيلى فى خطف وقتل أو استقطاب العلماء العراقيين، التصريحات التى أدلى بها فى ٨ أبريل ٢٠٠٤ جنرال فرنسى متقاعد إلى القناة الخامسة فى التلفزيون الفرنسى، أكد فيها أن أكثر من ١٥٠ جندياً من وحدات الكوماندوز الإسرائيلية دخلوا الأراضى العراقية فى مهمة تستهدف اغتيال العلماء العراقيين الذين كانوا وراء برامج التسلّح العراقية الطموحة فى أيام النظام السابق، وقد قدّمت أسماء الإسرائيليين إلى لجنة مفتشى الأسلحة الدولية التى تراسها هانز بليكس فى حينه.ومما قاله الجنرال الفرنسى: إن مخطط الاغتيال هذا تمّ وضعه من قِبل مسئولين أمركيين وإسرائيليين، وأن لديه معلومات دقيقة عن الغرض المقصود منه، وهو تصفية العلماء الذى خطّطوا للقوّة الصاروخية العراقية ووضعوا أسس البرنامج النووى، كما ساهموا فى برنامج الأسلحة الكيميائية الذى أرعب إسرائيل، وعددهم ٣٥٠٠ عالم من ذوى الخبرات.

الملف اللبنانى

قال الأسد إنّ سوريا تعرف ما يجرى فى لبنان، وهى ليست على مسافة واحدة من الجميع، لكنّنا تصرفنا بمسئولية فى موضوع دعوة رئيس الحكومة اللبنانية فؤاد السنيورة إلى القمة العربية، رغم كل ما يوجه إلينا من إساءات من الفريق الذى ينتمى إليه السنيورة، لكننا نشعر بأن الولايات المتحدة راضية عن الوضع الحالى، ولا تريد التوصل إلى حل فى لبنان.وأضاف الأسد: نحن لا نمانع فى المبادرة العربية لحل الأزمة اللبنانية، ولكن ما الفائدة إذا كانت الأطراف التى تملك تأثيراً فى لبنان لا تريد ذلك، لقد التقيت وزير الخارجية

السعودى الأمير سعود الفيصل هنا فى سوريا، وقلت له إننا مستعدون للتعاون، وليس صحيحاً أننا نملك تأثيراً على فريق المعارضة أقوى من تأثيركم على فريق السلطة وتابع نحن نرى الأمور بوضوح، إنّ أى مبادرة من جانبنا تحتاج إلى علاقة جيدة مع الأطراف الأخرى المؤثرة فى لبنان، مثل السعودية ومصر. الملف الفلسطينى وفى الشأن الفلسطينى، قال الأسد نحن الآن، من موقعنا فى رئاسة القمة، ننسّق مع الإخوة الفلسطينيين فى أمور تخص مواجهة الحصار، لدينا الاتصالات المستمرة مع حركة حماس، وحتى مع الرئيس الفلسطينى محمود عباس، وربما لو كانت علاقتنا مع مصر جيدة، لساعدنا أكثر فى معالجة ملف الحصار المفروض على القطاع الآن وأضاف هناك حاجة لتحقيق مصالحة فلسطينية، وقد وجدنا فى المبادرة اليمنية مدخلاً مناسباً وقوياً، وحماس أبلغتنا أنها مستعدة للذهاب إلى الحد الأقصى ولإعادة الأمور إلى ما كانت عليه. لكننا لاحظنا أن الطرف الآخر ليس متحمساً، ما أعتقده أن المصالحة الفلسطينية الداخلية ممنوعة، وهو أمر صعب، ونحن لا نملك أدوات مباشرة للتدخل فى هذا الملف، ولكننا نعتقد أن المبادرة اليمنية مناسبة لإطلاق عملية المصالحة الفلسطينية. ونحن نسعى إلى منع تحويل حصار غزة إلى فتنة داخلية وتابع الرئيس السورى إن الوضع العام أفضل من السابق، ربما مررنا بأوضاع صعبة سابقاً، ولكننى متفائل الآن، والقضية مرتبطة بالزمن، وكل يوم تتحسن أوضاعنا وتتعقد أوضاع الآخرين من الخصوم والأعداء.

عن العلاقة بين العرب وإيران، قال الأسد هناك رغبة أمريكية وإسرائيلية فى جعل إيران عدواً للعرب، وما قالته وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبى ليفنى فى قطر قبل أيام يصبّ فى هذه الغاية. أضاف نحن نعرف أن إيران دولة لديها سياسات ومصالح، وقد تكون هناك أخطاء فى متابعة بعض الأمور، ولكن السؤال لا يجب أن يقوم على قاعدة أن إيران دولة عدوة، لقد قلت لقادة عرب يلومون سوريا على علاقتها بإيران، إن علينا أن نطرح الموضوعات والقضايا التى تهمّنا، مثل ملف المقاومة، ونرى، هل إيران معنا أم ضدنا، لا أن نتخذ منها موقفاً مطلقاً.

التوتر مع إسرائيل

وعن التوتر مع إسرائيل، قال الأسد إننا فى سوريا لا نستبعد الحرب، نعرف أن فى الإدارة الأمريكية من يريد هذه الحرب ونستعد للأسوأ، ونتصرف على أساس أن الحرب مقبلة ونستعد لها، لكننا لا نقرأ فى المعطيات القائمة حربا فى الأفق المنظور، والنقاش الدائر الآن

ي تعلق بما إذا كانت إسرائيل والولايات المتحدة ستشنان الحرب على إيران وحدها أم أن إسرائيل ستشن الحرب علينا وعلى لبنان فقط بتحريض من واشنطن.وتابع الأسد علينا قراءة الموقف من زاوية المصلحة الأمريكية، لأن حرب لبنان الاخيرة أظهرت أن إسرائيل كانت تريد التوقف فى لحظة معينة، ولكن الإدارة الاميركية كانت تجبرها على مواصلة الحرب.

وهكذا يتبين لنا كم أنضجت سنوات الحكم رجلا لم يزل حتى الآن فى سن يبدأ بالكاد عندها الشباب العربى حياتهم العملية.

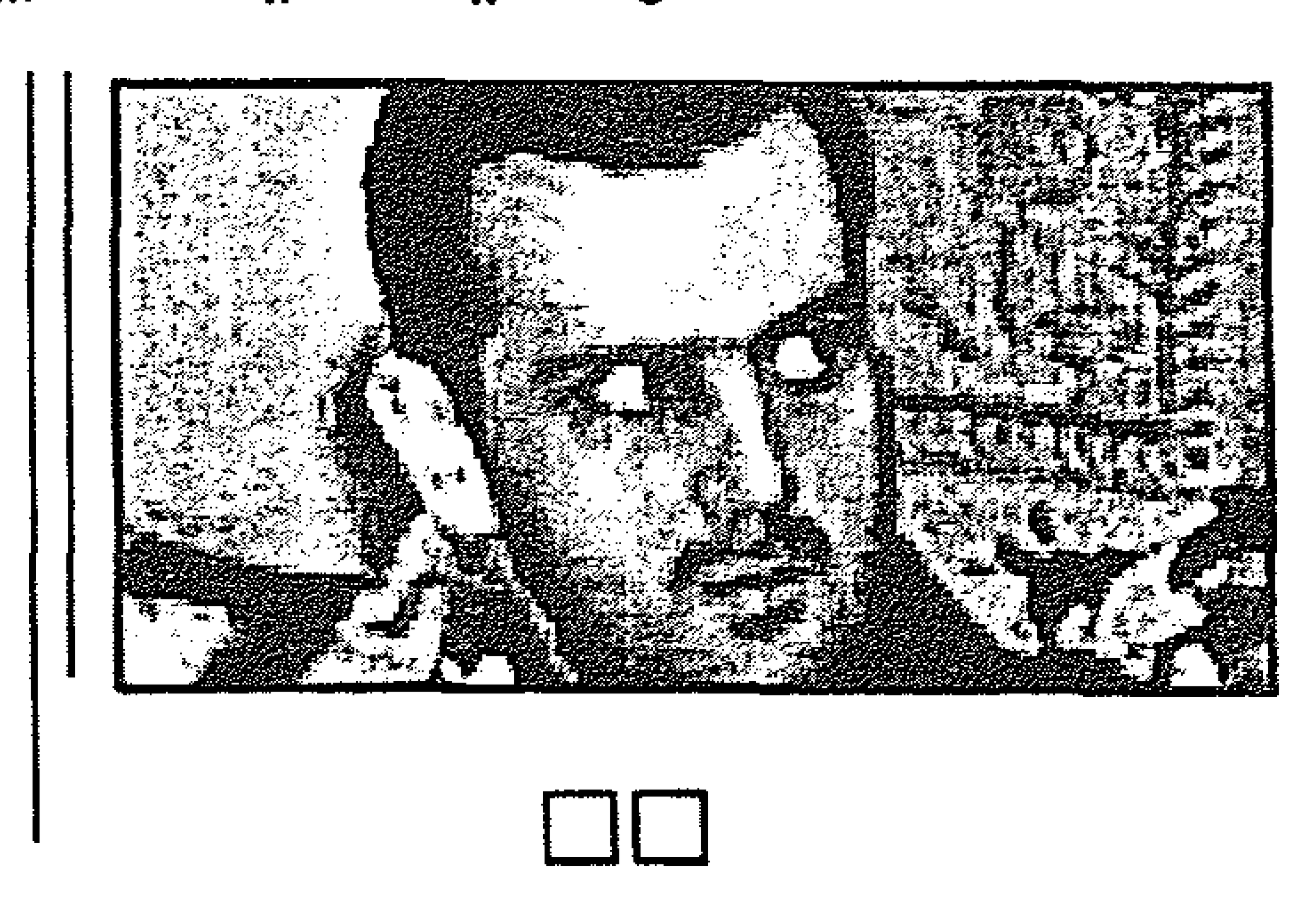
■ ■ ■

ماهـر الأسـد..
القـائد الصغيـر

«العقيد ماهر من أكثر الناس المستهدفين»

من شهادة هسام هسام الشاهد الرئيسى

فى قضية اغتيال الحريرى



□□

■■

شقيق الحاكم القائد العسكرى العقيد الركن ماهر حافظ الأسد عضو اللجنة المركزية وقائد الحرس الجمهورى.

العقيد ماهر حافظ الأسد مواليد دمشق ١٩٦٨يحمل شهادة فى الهندسة، بعد تخرجه التحق بالكلية الحربية وتخرج منها برتبة ملازم أول مهندس قيادى.التحق بالفرقة الرابعة وأجرى دورات قفز مظلى وكان ملازماً لشقيقه المرحوم باسل الأسد وكان باسل الأسد يشرف على تدريبه وتولى تدريباته وهو برتبة نقيب كتيبة المهام الخاصة وكانت هذه الكتيبة الانطلاقة الأولى له والتى تضم ضباطاً ولاؤهم لماهر وهم غسان بلال وملهم مهيوب وباسل العلى وأحمد بشقاق واحمد العبد الله الملحق العسكرى فى سفارة سوريا بفرنسا وغيرهم من الضباط.

الوضع العائلى: متزوج فتاة من عائلة جدعان وهى عائلة أصلها من محافظة دير الزور ولديه ثلاثة أولاد.وقد قفز اسم ماهر بداية من لحظة وفاة شقيقه باسل الأسد حيث كان جثمان الرائد المظلى باسل الأسد مسجى فى مسجد السيدة ناعسة (والدة الرئيس الراحل حافظ الأسد السيدة ناعسة شاليش) وكانت الوفود اللبنانية الرسمية خاصة تزحف إلى القرداحة للتعزية بالابن الأكبر للرئيس الأسد الذى كان يحمل اسم أبو سليمان وهو الاسم الحزبى الذى عرف به قبل ان يقرر تهيئة نجله الأكبر باسل ليرثه فى حكم الجمهورية العربية السورية فاعتمد تسمية أبو باسل، وكانت فرقة الأحباش اللبنانية للأناشيد الدينية تصدح بحناجرها ليل نهار، ولأسبوع كامل، أمضتها مؤاجرة الأسد وعائلته بفقدان الضابط الشاب الذى ذهب ضحية حادث سير مروع عند دوار مطار دمشق الدولى صبيحة يوم ممطر من شهر يناير ١٩٩٤.

كانت هتافات بعض الشباب تردد اسم الوريث البديل للأسد الأب هو نجله الثانى طبيب العيون بشار الذى جاء من لندن حيث يدرس وعلى عجل ليكون إلى جانب والده بعد أن استقر

رأيه على تسميته رئيساً ووريثاً بعده، وكان هناك نفر من الشباب المتحمس خاصة بين الجنود وصف الضباط يردد اسم الضابط المحترف ماهر وهو الابن الثالث للرئيس الأسد.

لم يكن للرئيس حافظ الأسد لتولية الضابط الشاب ماهر السلطة من بعده، لكنه في أفضل الأحوال ضمن وجوده داخل السلطة الحاكمة من خلال موقعه المتدرج من قيادة سرية دبابات (ت ٧٢) وهي كانت أفضل ما أنتجته المصانع السوفيتية يومها حتى أصبح في عهد شقيقه الذي حكم البلاد يوليو عام ٢٠٠٠ قائداً للواء الرابع مجهزاً بأحدث المعدات والأسلحة ممسكاً بكل مداخل ومخارج دمشق عسكرياً وأمنياً.

وفي ذلك العام (عام ٢٠٠٠) وكانت فرقة الأحباش اللبنانية عادت لتصدح بأناشيدها الدينية التقليدية في وداع الرئيس حافظ الأسد طيلة الأسبوع الممتد من ١١ إلى ٢٠٠٠/٦/١٨ خرجت صور كبيرة للمقدم ماهر الأسد الذي ترقى سريعاً ليحمل رتبة عقيد ثم يدخل اللجنة المركزية لحزب البعث العربي الاشتراكي بعد ان سمي المؤتمر القطري الذي طال أمد انتظار انعقاده شقيقه الطبيب بشار أميناً عاماً للحزب معطياً إياه رتبة فريق ليصبح هو نفسه الرئيس والأمين العام للحزب والقائد الأعلى للقوات المسلحة العربية السورية في سنة ٢٠٠٠ بعد، وقيل يومها إن نائب الرئيس عبد الحليم خدام كان يملك وحده التحكم بهذا التعديل وكان يكفيه سفراً كما هذه الأيام إلى باريس كي يوقع النظام كله في حيرة كان سيعجز عن الخروج منها.. لولا عبد الحليم خدام حيث كان أمل عبد الحليم خدام بأن يقيم بشار الأسد إصلاحات اقتصادية لتحسين أوضاع الشعب السوري.

ارتبط اسم ماهر بالصدام مع زوج شقيقته السيد آصف شوكت، رئيس جهاز الاستخبارات السورية، خاصة بعد ان أجرى شوكت حركة تنقلات عسكرية في محيط القصر لم تعجب ماهر الأسد. نتج عنها مشاجرة كلامية بين آصف وماهر أمام الرئيس حافظ الأسد حيث لم يسمح ماهر الأسد بتدخل آصف في شئون العائلة بعد أن دار حديث عن رفعت الأسد فتحدثت المصادر المطلعة عن إطلاق الأسد الابن النار على الصهر القوي آصف شوكت على أثرها غادر آصف شوكت إلى باريس ليتم علاجه في مشفى فالدوكراس في باريس وكان يمكن لهذه الواقعة أن تفعل فعلها لولا تدخل الوالدة السيدة أنيسة مخلوف لترطب الأجواء ويجري توزيع المهمات والمسؤوليات حتى لا تتكرر هذه الأحداث الخطيرة على النظام وعلى العائلة..

اليوم يقود ماهر الأسد الحرس الجمهوري، وينسب إليه أن قواته هي التي تحمي النظام اليوم. وماهر الأسد على ما يشاع عنه شجاع إلى حد كبير، وكما قلنا تتقاطع المعلومات عن خلافه مع زوج أخته اللواء آصف شوكت، وينسب إليه أنه أطلق النار عليه في بطنه حين

تمادى الأخير فى مهاجمة رفعت الأسد، ونقل شوكت على أثر تلك الإصابة إلى فرنسا للمعالجة وسط تكتم شديد. ويشاع الآن أن ماهر الأسد يصرح للمقربين منه أن السبب فيما وصلت إليه سوريا من عزلة خانقة، هو الانصياع لنصائح الصهر القوى آصف شوكت. وإنه آن الأوان ل يسدد كل واحد حسابه بالتفصيل. على كل حال، لم يعد سراً أن ماهر الأسد كان معارضاً لزواج أخته من الضابط الطموح، وأن أخاه الراحل باسل الأسد كان أيضاً ضد هذا الزواج، وقد عمد إلى سجن شوكت لمنعه من الزواج بأخته. لكن الأسد الأب وأمام إصرار الأخت على الزواج، بارك هذا الزواج الذى تم من دون علمه، وعقد مصالحة بين أفراد العائلة، ليصبح شوكت واحداً من أعضاء الدائرة الصغيرة التى تحيط بالرئيس بشار الأسد والتى تملك قرار سوريا وتتحكم فى مقدراتها. ويشاع أن الرئيس الأسد على فراش الموت أوصى ابنه الذى خلفه فى رئاسة الجمهورية بالإعتماد على شوكت، والثقة فيه.لا شك أن الأخوة الأسد، وفى القلب منهم ماهر ورثوا حملاً ثقـيلاً لا يستهان به. ورثوا دوراً لسوريا متضخماً صنعه والدهم. وورثوا نظاماً شديد المراس ويزخر بمراكز القوة التى لا يمكن تجاهلها. والأرجح أنه لم يكن ممكناً تكرار التجربة التى خاضها حافظ الأسد وصلاح جديد، وتكرار تجربة إعفاء الضباط الكبار من مناصبهم ليتسنى للقادة الجدد أن يقودوا من دون صعوبات وإحراجات. والحال هكذا فقد كان لابد من الصراع البطىء بمزيج من الحذر والشدة لي حكم قادة سوريا الشبان قبضتهم على سوريا مثلما كانت الحال مع والدهم.هكذا وجد أبناء الأسد انفسهم محكومين بالاستعانة بأقرباء آخرين، رغم بعض الخلافات معهم. فتحول آصف شوكت زوج بشرى الأسد أقوى الرجال فى النظام السورى، وعلى النحو نفسه، يبدو أن رامى مخلوف ابن خال الرئيس بشار الأسد يمسك بأعنة الاقتصاد السورى بيديه. عندما ذكر اسم ماهر الأسد كواحد من الذين حذفت أسماءهم فى تقرير ديتليف ميليس فى جريمة اغتيال رفيق الحريرى. بدا كما لو أن بشار الأسد محكوم بتكرار السيناريو نفسه الذى جرى بين والده وعمه رفعت. لكن ذلك لم يكن ممكناً على نحو قاطع. فالنظام الفتى لا يستطيع أن يغامر بكل أوراقه ويبقى عرضة لرياح الأرض الأربع من الداخل والخارج. والأرجح أن الأخوين سيتعاونان ما أمكنهما ذلك على تجنيب النظام وسوريا فيما بعد ما يمكن ان يكون مصيراً أسوأ مما نتخيل.

ميليس

ويبدو حادث اغتيال رئيس الوزراء اللبنانى الراحل رفيق الحريرى من أهم محطات حياة ماهر الأسد، ويقال إن اسمه ورد فى النسخة المبدئية لتقرير ميليس المحقق الألمانى الشهير

حول الحادث، ثم تم رفعه فى النسخة النهائية، ورفض ميليس الاعتراف بأية نسخة أخرى غير النسخة النهائية، غير أن ما كان وراء حذف اسم ماهر الأسد هو شهادة هسام طاهر هسام، الشاهد الرئيس فى القضية، والذى عدل كلية عن شهادته أمام التلفزيون السورى فى حديث أكد فيه أن من كان يلقنه المعلومات هم سعد الحريرى ومستشاريه الدكتور غطاس خورى وفارس خشان صاحب برنامج تحقيق لأجل لبنان على قناة المستقبل ووزير الداخلية حسن السبع والرائد سمير شحادة رئيس فرع المعلومات موضحا أن هؤلاء كانوا الأساسيين إضافة إلى اثنين أجانب كانوا يلقنوننى المعلومات ويتكلمون باللغة الإنجليزية وهم ليسوا من لجنة التحقيق وإنما أصدقاء سعد كما قالوا له مؤكداً أنه لم يرهم فى المونتى فردى وأنهم هم من يشترى الشهود، ويدفعون كثيرا من المال.ومن أهم ما أدلى به الشاهد السورى المقنع هسام للجنة التحقيق بحسب المعلومات التى لقنها له فارس خشان والآخرين هى أن:

- سيارة ميتسوبيشي فخخت بسوريا وذهبت إلى قيادة الفرقة العاشرة بقطنا ثم أخليت من المتفجرات ودخلت إلى لبنان فيما نقلت المتفجرات بسيارة إسعاف وفخخت بلبنان بعد اختفائها فى البقاع ١٥ يوما وأضاف هسام طلبوا منى أن أقول إنى رأيتها فى بحمانا فى ١١ و١٢ و١٣ و١٤ ثم خرجت ونزلت إلى بيروت ثم انتقلت إلى موقع الجريمة.

- أما قصة المتفجرات فقد لقننى إياها الرائد سمير رئيس فرع المعلومات وبحضور فارس خشان حيث أحضروا لى ثلاثة أكياس من المتفجرات (ت ن ت) وسيفور وطلبوا منى أن أشهد أن المعلومات التى لقنونى إياها هى التى نفذها السوريون و(مفادها أنهم زعموا أنها أتت من سوريا وهم من أعطونى إياه..)، لافتا إلى أنه من خلال التفاصيل التى قدموها فإن المتفجرات كانت من عند الحكومة اللبنانية.

- أما قصة احمد أبو عدس فقد لقننى إياها فارس خشان وطلب منى أن أقول أن أبو عدس خطف من بيته على طريق جديدة ونزل إلى عنجر حيث استقبله العميد رستم كم يوم، ثم أرسل العقيد ماهر سيارة خاصة من عنده نقلته إلى الشام، وأن العقيد ماهر هو من أطلق عليه النار بيده ودفن فى منطقة معرية تبعد ٢٠ كم وتابعة للحرس الجمهورى وأن العقيد ماهر رفض تذويبها بالأسيد لأنها ستلزم مستقبلا.وأكد هسام الذى نجح فى عملية الهرب إلى سوريا بعد عدة محاولات فاشلة أنه وبناء على التفاصيل الدقيقة التى يملكها جماعة الحريرى عن القطع العسكرية وغيرها فإنه يوجد لديهم ضباط هنا وناس يساعدونهم ويزودونهم بمعلومات، مشددا على أن أبو عدس ليس انتحاريًا وأن هناك انتحاريًا غيره

والدولة اللبنانية تعرفه مشيرا إلى أنهم طلبوا أيضا منى أن أقول أن الرئيس بشار الأسد هدد الحريرى لكنى رفضت.

فبركة الشهود

وكشف هسام فى حديثه للتلفزيون السورى أنه التقى فى المونتى فيردى بمى شدياق وبالسفير الفرنسى مرتين، وجبران توينى ومروان حمادة ووليد جنبلاط، مؤكدا أن الثلاثة الأخيرين الذين وصفهم بـ أصحاب الضمائر الميتة هم من يحضرون الشهود ولكل شاهد كان له اسم مزور يقول هسام: أنا كان اسمى سامى والشاهد الذى أحضره جبران توينى كان اسمه زياد الحلبى ولجنة التحقيق مبسوطة منه مشيرا إلى أن هدف توينى الأساسى هو توريط حزب الله بأى طريقة، وأعرب هسام عن اعتقاده أن يكون حادث السيارة الذى أودى بحياة الشاهد نوار الذى باع خطوط المحمول إلى خمسة من مدبرى الجريمة كما تزعم اللجنة مدبّراً، مضيفا أن زهير الصديق أخذه وليد جنبلاط ومروان حمادة بسيارتهم إلى سفارة دولة عربية لن أذكر اسمها وبقى هناك ثلاثة أيام وأعطوه ٢٢ ألف دولار ووليد جنبلاط هو من سفره ولفت هسام إلى أن سعد الحريرى عرض عليه إغراءات كثيرة وقال له أنهم سيحضرون أهلى إلى هنا وسأقبر الفقر كما أن مستشارى الحريرى فارس خشان والمستشار الأخر عرضوا عليه مليون و٣٠٠ ألف دولار وضعوها على طاولة وزير الداخلية السبع لكنى رفضتها .وفيما أشار هسام إلى أنهم فى كل مرة حاول بها الهرب كانوا يعذبونه بإعطائه إبر تبقيه مرخى الأعصاب لمدة ١٢ يوما لفت إلى أنهم مارسوا عليه أيضا ضغوطا نفسية على يد رئيس فرع المعلومات اللبنانى الرائد سمير شحادة الذى كان يقول له كيف يدع أكراد وسنّة سوريا نصف مليون علوى يتحكمون فيكم؟ وأضاف هسام: حاول أن يستغلوا وضعنا كأكراد بأنهم محسوبون على رفيق الحريرى مشيرا إلى أنهم آخذون فكرة أن الأكراد ضد سوريا ولا يعرفون أننا سوريون. وقال إن فارس خشان بدوره قال له: إن المرحوم حافظ الأسد منذ استلامه الحكم إلى أن مات، أعدم ٥٠٠ ألف كردى فقلت له حافظ الأسد لا يعدم أحدًا إلا إذا كان مجرماً، فقال لى: قولك (رأيك) الرئيس بشار أحسن، قلت له: أحسن، قال: انظر قتل الحريرى، قلت له مستغربا: قتل الحريرى؟!! يعنى انت مثل الذى كذب كذبة ويصدقها، فلماذا إذاً تطلب منى أن أقول ما تريده وأشار الشاهد هسام إلى أنه ضغط على كثيرا واستطعت الهروب إلى سوريا لأكشف فضائحهم، محذرًا من أن العقيد ماهر واللواء آصف أكثر أناس مستهدفين لجعلهم الرؤوس المدبرة لعملية اغتيال الحريرى وكشف أن زهرة بدران التى تحدث معها كما ظهر على

قناة (نيو تى في) هى التى تنسق مع جماعة الحريرى والسفارة الأمريكية وأنها عرضت عليه أن يجلس مع المخابرات الأمريكية سى آى إى، وإف بى أى، وهو طلب كانت لجنة التحقيق عرضته عليه حيث قالوا لى إن هناك ناس آخرين أمريكيين سيجلسون معى وعندما شددت على رفضى القاطع لذلك وهددتهم بأنى سأخربها على رؤوسهم لم يفتحوا معى الموضوع مرة أخرى.وشدد هسام على أن عملية التحقيق فى اغتيال الحريرى كلها لعبة وتمثيلية يريدون سوريا الأسد وإيران وحزب الله كاشفا أن لجنة التحقيق جهزت له ٤٥ سؤالاً طلبوا منى كتابتها بخط يدى كى أسأل العميد رستم غزالى، إضافة إلى أنى سأوجه أسئلة للواء آصف ولكل من سيذهب إلى فيينا وطلبوا منى أن أواجه للواء آصف بأنى مقرب منه وأنه يثق بى.. وأضاف هسام قلت لهم أنا لم أرَ اللواء آصف بحياتى فأحضروا لى صورته من جريدة البلد .وقال الشاهد هسام: طلبوا منى قبل يومين أن أذهب يوم الاثنين إلى المونتى فردى وبعدها لن أخرج منه لأنه مساء الثلاثاء أو الأربعاء سنتوجه إلى فيينا للقاء المسئولين السوريين وطلبوا منى أن أواجههم بأن كل التخطيط جرى أمامى. وأكدوا أن أحدا لن يعود منهم.وأضاف هسام أن سعد الحريرى قال له بأنه سيتم نقله بعد فينا إلى فرنسا ليجروا له عمليات تجميل، وأن سعد الحريرى أخبره بأنه تكلم مع جاك شيراك لإعطائه الجنسية الفرنسية ثم ستتم إعادته إلى لبنان بعد أن تكون معالم وجهه تغيرت وفيها سيمنح الجنسية اللبنانية.وفيما أعرب هسام من خلال اطلاعه على دقائق التحقيق . كونه الشاهد الأساسى . عن ظنه بأن ميليس يعرف باللعبة رغم الغموض الذى يشعرك بأن اللجنة لا تعرف، أكد أن ورثة الحريرى هم من قتلوا رفيق الحريرى وأن جميل السيد وريمون عازار ومصطفى حمدان أبرياء ولم يقتلوه معربا عن اعتذاره منهم لأنه شهد ضدهم وقال العملية أكبر منهم وأشار إلى أن ورثة الحريرى مدربون ويريدون تلبيس الجريمة للواء آصف ورستم غزالى، «وما فى مجال يريدون أن يضعوا العقيد ماهر مسؤول عنها وأحمد جبريل والأحباش». وخلص إلى أنهم يريدون أن يثبتوا أن ٤٥ شخص هم من نفذوا الجريمة وقال إنها لعبة حقيرة.وزاد هسام يريدون رأس كل إنسان شريف بسوريا يريدون إسقاط نظام دولتنا وأنهم يريدون لسوريا أن تركع لأمريكا .وإذ أكد الشاهد هسام انه إذا نزعت شهادته من تقرير ميليس لا يبقى منه سوى خمسة صفحات فقط، شدد على أنه مستعد للشهادة فى مئة محكمة دولية وقال اتيت لأكشف كذبهم وتمثيلهم بعد أن كنت ومنذ أربعة أشهر أحلم بهذا اليوم مضيفا أنه قال لفارس خشان والرائد سمير شحادة بعد أن تمكن من الهروب ووصل إلى

الحدود السورية «تركت لكم خازوقًا» ينتظركم على الحدود وهو السيارة التى أعطتنى إياها لجنة التحقيق واحتفظت بمفتاحها وهو (مع المذيع الذى أجرى اللقاء) وقال حمارى فى الضيعة أحسن من سيارة ديتلف ميليس «مضيفا» لا يوجد إنسان لا يحب أن يعيش حياة كريمة ويركب سيارة ولكن ليس على حساب كرامة وطنه وأمه وأبيه وأخواته وعائلته مشيرا إلى أن أصعب شىء عليه كان أن يقولوا لعائلته أهل الخاين.

بالطبع نحن هنا لا نحقق فى مقتل الحريرى، فهذا ليس مجالنا، وإن كان الأمر يستحق بحثا مفصلا، إلا أننا فقط نريد أن نكشف جانبا مهما من جوانب شخصية ماهر الأسد، وهو مدى تنفذه (وصوله) على قلوب السوريين، إما حبا أو سطوة، أو كليهما.

■■■

بشرى..
ديانا العـــربيـــة

تتشابه قصة بشرى مع قصة ديانا
من حيث أن كلتيهما أحبت رجلا من الرعية
رغم أنها من الأسرة الحاكمة،
بالطبع لابد أن نأخذ بعين الاعتبار تلك
الفروق الجوهرية،
إلا أن التشابه الأكبر يبدو فى إرادة
السيدتين القوية





■■

تبدو قصتها متشابهة إلى حد ما مع قصة الأميرة ديانا الشهيرة التى تم اغتيالها عام ١٩٩٧، غير أنها تختلف معها فى نقاط كثيرة.

المرأة الحديدية كما يلقبها المقرّبون من العائلة، العارفون بأسرارها ومراكز القوّة فيها ، درست الصيدلة فى دمشق.

بدأ الشعب يتحدث عنها سنة ١٩٨٦ عندمت تعرفت على زوجها الحالى آصف شوكت

اللواء آصف شوكت

آصف شوكت الشخصية الغامضة الذى ظهر مؤخراولد فى مدينة طرطوس الساحلية ١٩٥٠ ونشأ فى بيئة متواضعة. فى عام ١٩٦٨، رحل إلى دمشق ليتابع تعليمه العالى فى حقل القانون. تخرج فى ١٩٧٢، وعندما وجد نفسه مشدودا إلى الآداب، فقد سجل فى كلية التاريخ فى جامعة دمشق، وكانت رسالته عن الثورة السورية الكبرى فى ١٩٢٥، ورؤساء الفلاحين الذين قادوها. لأسباب غير معروفة، فقد اهتمامه بالموضوع، مما أدى إلى رسوبه، وعندما وجد أن لا خيار أمامه، فقد كتب رسالته، وحصل على درجته فى ١٩٧٦بالعودة إلى الحياة الواقعية، وجد شوكت فرصا قليلة متوافرة لخبير فى التاريخ والقانون، وبقى لعدة سنوات غير موظف، يعيش على نفقة والده المتواضعة، وفى أواخر عقد السبعينيات وجد خلاصه فى الجيش السورى وتطوع للخدمة، حيث لم يواجه مشكلة فى قبوله، فقد كان بعد كل شىء(علويا بعثيا)، وهما الشرطان الأساسيان للنجاح. ورحب به رؤساؤه فى الجيش، وأثبت أنه داهية ومتفان. مع الوقت كسب احترام كل هؤلاء الذين عرفوه، غالبا كان دمثا ومؤدبا، لكنه مع ذلك لم يحرز رتبة رسمية فى الدولة بعد، وكرجل طموح انتظر فرصة ليتحرك، وكانت هذه عندما تعرف إلى بشرى ابنة حافظ الأسد الأصغر منه بعشر سنوات، والتى عرفت كفتاة ذكية ولامعة بطريقة

استثنائية، والتى كانت تدرس الصيدلة فى ذلك الوقت فى جامعة دمشق. والذى جذبها إلى شوكت بقى غامضا، فبعد كل شيء كانت أكثر فتاة مؤهلة فى دمشق، وكانت تستطيع الحصول على أى شاب (مؤسس) تستحق، ولكنها اختارت ضابطا صغيرا بإمكانيات متواضعة، مصدر قوته الوحيد كان تعليمه الجامعى، كيف وأين التقيا؟؟ لم يكشف أبدا. المعروف أن الراحل باسل شقيق بشرى الأكبر عارض بقوة علاقتهما، حيث اعتبر شوكت كبيرا بالنسبة لها، وطامعًا فى ثروتها. ووضح صراحة أنه بالرغم من كونه علويا فقد كان من طبيقة دنيا!!، ولا ينبغى أن يصاهر عائلة الأسد. وعندما أصر شوكت، أعتقله باسل، حيث وضع خلف القضبان أربع مرات لمنع الاثنين من اللقاء. فى ١٩٩٤/١/٢١ انتهت مخاوف شوكت بمقتل باسل فى حادث سيارة فى طريقه إلى مطار دمشق وأصبح الطريق مفتوحا أمامه ليقوم بتحركه. بعد سنة واحدة هربت بشرى مع شوكت، وتزوجته وأخذا سكنا فى المزة، ولم تحصل على مباركة والدها ولا على موافقة العائلة. بعد عدة أيام وضع لهم الرئيس حافظ الأسد حارسا على الباب، قد يكون لحمايتهم، وعندما بدأت الشائعات تنتشر عن زواجهما، قرر الأسد وضع حد للكلام، واستدعاهم للقصر وأعطاهم موافقته حيث أصبح شوكت صهر الأسد الوحيد. وليكافئ متطلبات وضعه الجديد فقد رقى إلى رتبة لواء خلال هذه المدة وبينما كان شوكت يحاول رفع شعبيته فى العائلة، ليصبح صديقا لشقيق بشرى بشار، طبيب العيون وقتها، الذى عاد من لندن ليحل محل أخيه الراحل، أصبح آصف صديقا جيدا لبشار. وبدأ بشار مع الوقت يعتمد على صهره آصف لمرافقته. وأمنه واثقا بقدراته. فى هذه الأثناء بارك الرئيس حافظ الأسد هذه العلاقة وطلب من آصف أن يدعم بشارا وأن يلازمه، فقبل آصف المهمة ووعد أن يقوم بها بصدق وإخلاص ومع عام ١٩٩٨ أُشيع بأن آصف شوكت أصبح أقوى رجل فى سوريا. وقد زاد من تدعيم موقعه احتلال صديقه (على أصلان) رئاسة الأركان وذلك بعد إحالة الجنرال حكمت الشهابى إلى التقاعد فى ١/ ١٩٩٨.

أمور داخلية

حدث ذات يوم أن وجه آصف شوكت انتقادا غيابيا حادا لرفعت بوجود ماهر الولد الثالث لحافظ الأسد الذى بادر بدوره بتوجيه كلمات نابية لآصف، طالبا إليه السكوت وعدم التدخل فى شأن عائلى يخص آل الأسد. ولكن آصف أجابه بحدة مماثلة بأنه أصبح جزءا من العائلة. فأصر ماهر على موقفه قائلا لآصف بأنه لم يكن ولن يكون كذلك ولو كان باسل حيا لكان له شأن آخر. ثم سحب مسدسه وأطلق النار عليه فأصابه فى معدته قصة الخلاف انتشرت عبر

دمشق ووصلت أخيرا إلى صحيفة الحرية الفرنسية، التى حررت تقريرا ذكرت فيه الواقعة، وأن آصف يتعالج فى باريس من جراحه وتحت وساطة الأسد الأب تمت المصالحة بين ماهر وآصف، وعُين آصف نائبا لرئيس الأستخبارات العسكرية (حسن خليل) حيث يقال بأنه صانع القرار الحقيقى وأن حسن هو الرئيس الفخرى للدائرة فى ٢٠٠٠/٦/١٠ توفى حافظ الأسد، فكان آصف شوكت أحد الأشخاص الرئيسين الذين تقبلوا العزاء باسم العائلة، ومنذ ذلك الوقت اعتمد بشار على شوكت لتقوية النظام، ولفترة طويلة ما تزال هناك شائعات بأن شوكت يحتل موقع الرجل القوى خلف الستار جوهر الأمر إن قوة شوكت مستقاة من عائلة الأسد فهو لا يملك قاعدة قوية ليستند إليها، وبما أنه ينتمى إلى أسرة علوية متواضعة فإنه لا يستطيع الاعتماد على الطائفة العلوية لدعمه. وفى الحقيقة فإنه لا شك فى أن هناك بعض الذين اغتاظوا من تقدمه السريع عليهم وأنهم يتربصون به. إن فرصته الوحيدة فى استمرار الوجود السياسى عبر اتحاده مع الرئيس بشار ومهادنته للشقيق الصغير ماهر. سيظل شوكت فى مركز التطورات السياسية والأمنية فى سوريا مادام محتفظا بهذه الموازنة، وإلى أن تنشأ موازنات ومعادلات جديدة قد لا تغيب عنها أنيسة مخلوف زوجة الرئيس الراحل، ووالدة بشرى والتى يقال أنها تتمتع من خلال أخوال الرئيس بشار بقدر لا يستهان به من التأثير والتوجيه.

وتتشابه قصة بشرى مع قصة ديانا من حيث أن كلتيهما أحبت رجلا من الرعية رغم أنها من الأسرة الحاكمة، بالطبع لابد أن نأخذ بعين الاعتبار تلك الفروق الجوهرية، فديانا كانت متزوجة من الأمير تشارلز، وتستعد للانفصال عنه حين أحبت دودى الفايد. بينما كان آصف هو أول بخت بشرى.

كما أن الفايد كان مليارديرًا بينما استمد آصف قوته من الارتباط بآل الأسد. وصحيح أنهم فى إنجلترا اغتالوا ديانا بمنتهى الغباء بينما تعاملت عائلة الأسد مع الأمر بعقل منفتح، وقلب عطوف. إلا أن التشابه الأكبر يبدو فى إرادة السيدتين القوية (ديانا وبشرى).

اللجوء السياسى

ويبدو أن التاريخ لا يريد أن ينقضى دون أن تلقى بشرى مصيرا مأساويا ما، فها هى الآن تقضى فترة من التشرد خارج البلاد على خلفية توتر العلاقات بين شقيقها وزوجها. ونعنى هنا شقيقها بشار وليس ماهر الحانق منذ البداية على شوكت، هنا تبدو الأمور غريبة بعض الشىء.

أكدت معلومات من داخل الأوساط السورية والسياسية الفرنسية فى باريس أن السيدة بشرى الأسد زوجة اللواء آصف شوكت وأخت الرئيس بشار الأسد سبق ووصلت إلى باريس مع أولادها وأنها حاولت بحكم علاقة سابقة مع الرئيس نيكولا ساركوزى يوم كان وزيراً للداخلية الحصول على لجوء سياسى، غير أن طلبها تم رفضه مما اضطرها للبحث عن دولة أخرى تذهب للإقامة فيها وقد اختارت مبدئياً دولة الإمارات بحكم أن ابن خالها رامى مخلوف سبق ووظف فيها مليارى دولار فى أعمال البناء بتوجيه من الرئيس الأسد.

غير أن خلفية وصول السيدة الأسد إلى باريس وأسبابها هى ما تتناقله الأوساط السياسية وتتحدث عنه. تقول المعلومات الواردة من سورية إن صراعاً عنيفاً يدور بين الرئيس الأسد وصهره آصف شوكت على خلفية شكوك متبادلة بين الاثنين، وقد تفجر الصراع فى أعقاب اغتيال عماد مغنية فى دمشق. وقد أكدت معلومات الرئيس وأجهزة أمنه أن صهره اللواء شوكت ضالع فى تصفية مغنية سواء مباشرة، أو فى إطار علاقاته مع الأجهزة الخارجية. وقد أدى الاغتيال وما تسرب من دور لآصف شوكت إلى توتر صامت فى العلاقة بين طهران ودمشق إضافة إلى «حزب الله»، وانعكس هذا التوتر على أطراف عائلة الأسد الحاكمة بين الأخوين بشار وماهر وصهرهما آصف شوكت. ولأن بشرى تتخذ موقفاً من أخيها بشار فى إطار زواجه من السيدة أسماء الأخرس الأسد وتعتبر هذا الزواج خطأ، فقد وجدت نفسها داخل الصراع بين أخيها الأسد وزوجها آصف، ثم بين أخيها الآخر ماهر وزوجها أيضاً. وقد نصحها زوجها بمغادرة سوريا مع أولادها لأنه يعتزم شيئاً لم يفصح عنه، وربما كان تفجير الخلاف داخل المؤسسات ومن خلفه أكثر من مؤسسة أمنية خارجية، إضافة لما أقامه من علاقات بعدد من ضباط الجيش. ويؤكد الذين يتابعون أنباء الخلاف وما وصل إليه أن من الصعب استمراره بالشروط التى قام عليها فى أعقاب تولى الأسد رئاسة الدولة، وأن أحد الفريقين سوف يأكل الآخر..للأسف غير أن هناك رؤية أخرى تقول إن هذا اللجوء هو تمثيل، لا ليس تمثيلا سياسيا، بل تمثيل من ذلك النوع الذى يحدث على خشبة المسرح فقد اكد مصدر سورى لموقع آرام ان الضجة الإعلامية الدائرة حول تنحية آصف شوكت صهر الرئيس السورى حافظ الاسد من موقعه القيادى المخابراتى وسفر زوجته بشرى إلى باريس قبيل تمركزها الدائم فى دولة قطر ما هى إلا مسرحية نجح النظام السورى من خلالها إيهام العالم أجمع بأن آصف تم الاستغناء عنه نهائيا وأن شقيقة الرئيس السورى تم ترحيلها مع أولادها.

ويضيف المصدر الذى رفض الكشف عن اسمه بأن هذه المسرحية تأتى قبيل الكشف عن نتائج التحقيق بجريمة اغتيال رئيس وزراء لبنان الراحل رفيق الحريرى حيث تسربت بعض المعلومات عن تأكيد تورط اجهزة المخابرات السورية بالاغتيال، وتأتى خطوة التحية لإبعاد شوكت عن الأنظار حيث توقع المصدر أن يختفى شوكت بطريقة ما أو أن تجرى مسرحية انتحار جديدة.

كما ربط المصدر بمسرحية شوكت والإنذار المبطن الموجه من وزيرة الخارجية الأميركية كونداليزا رايس التى استبعدت عقد أى صفقة مع سوريا تقضى بتجنيب عائلة الرئيس السورى بشار الأسد فى قضية اغتيال رئيس الوزراء اللبنانى الأسبق رفيق الحريرى.

حيث لم يسبق أن تحدثت رايس عن مثل هذا الرابط المباشر بين اغتيال الحريرى والرئيس السورى وقد أدلت بتصريحاتها ردا على السناتور الجمهورى من ولاية بنسلفانيا آرلن سبكتر الذى اقترح بدء مفاوضات مع دمشق حول احتمال تخفيض العقوبات فى هذه القضية لقاء تحقيق تقدم سياسى فى المنطقة.

وعجلت أخبار شوكت وتنحيته فى قضية الشاهد الملك زهير والخوف عليه من أى عملية انتقامية قبيل البدء بالمحاكمة حيث قالت صحيفة السياسة الكويتية إنها تلقت اتصالا من الشاهد الرئيسى فى قضية اغتيال الحريرى، أكد فيه أنه يختبئ فى أوروبا، بالقرب من مقر المحكمة الدولية. وقال الصديق الذى أثار اختفاؤه من الأراضى فرنسية جدلا واسعا، انه يقيم فى مخبأ سرى آمن على مقربة من الأراضى الفرنسية، والمحكمة الدولية لمحاكمة المتهمين باغتيال الحريرى ومقرها لاهاى، وإنه بصحة جيدة. وأكد أنه يختبئ لحماية نفسه من أى استهداف يتعرض له.

وأضاف الضابط السابق فى الاستخبارات السورية أن الشائعات التى أطلقت حول اختفائه كانت اما موجهة ومدسوسة، أو كانت عبارة عن تكهنات وتحليلات صحفية. والصديق شاهد فى القضية ومشتبه به كذلك، وقد صدرت مذكرة لإلقاء القبض عليه بحقه من قبل القضاء اللبنانى. واتهم شقيقه فى حديث إلى صحيفة سورية الأربعاء، السلطات الفرنسية بأنها سهلت اختفاءه أو قامت بتصفيته.

وكان الصديق قال فى شهادته أمام لجنة التحقيق أن الرئيس اللبنانى السابق إميل لحود والرئيس السورى بشار الأسد أمرا باغتيال الحريرى وأن المنظومة الأمنية اللبنانية السورية فى لبنان نفذت هذا الاغتيال.

أضافت السياسة أن الصديق أكد لها أنه أرسل رسائل عدة إلى لجنة التحقيق الدولية وإلى القضاء اللبناني يعلمهما فيها أن حياته فى خطر وأنه تعرض لثلاث محاولات اغتيال (..) كان آخرها محاولة قتله بالسم لكنه نجا منها بأعجوبة. وأوضح أنه نتيجة عدم تحرك لجنة التحقيق لحمايته قرر الاختفاء عن الأنظار والإقامة فى مكان سرى إلى حين فتح المحكمة الدولية أبوابها ليكون أول الداخلين اليها.

وبحسب الصحيفة، هدد الصديق بمقاضاة لجنة التحقيق الدولية اذا لم تقم بتحمل مسئولياتها وتقديم الحماية المطلوبة له ولأفراد عائلته.

وتعليقا على محاولات إطلاق سراح الضباط اللبنانيين الأربعة الموقوفين بتهمة التورط فى اغتيال الحريرى قال الصديق: أنا مازلت مصرا على أن الضباط الأربعة وشركاءهم السوريين هم الذين قتلوا الرئيس الحريرى، وأنا أملك الأدلة الدامغة التى سيجرى تقديمها إلى المحكمة الدولية فى موعدها كما أننى مازلت مصرا على شهادتى التى أدليت بها أمام لجنة التحقيق الدولية.

ترى هل يكون مصير بشرى فى النهاية هو، لا قدر الله، نفس مصير ديانا؟!

■■■

4

أبناء الشيخ زايد رحمه الله..



«إن البترول العربي ليس بأغلى من الدم العربي»

من مقولات الشيخ زايد

□□

■■

كثيرون هم المصريون الذين ذهبوا إلى دولة الإمارات الشقيقة، أكثرهم بالطبع للعمل، ولا يمكن أن تكون مصريا ولا تقابل أو تعرف من بين أقاربك وأصدقائك عددا لا بأس به ممن ذهبوا إلى الإمارات. شخصيا أعرف الكثير منهم، والكثيرون الذين أعرفهم، مختلفون فى التوجهات والأفكار والأيدلوجيات، والطباع الشخصية. ورغم اختلافهم هذا فإننى لم أجد من يهاجم الشيخ زايد.

وعندما قررت التصدى لمهمة البحث فى أنجال الزعماء، لم يكن فى خاطرى أن أتعرف على أبناء الشيخ زايد، وذلك لأن فكرتى هى التعرف على أبناء الزعماء فقط فى الدول التى تحمل الشكل الجمهورى، ولو كان شكلا دون أن يكون جمهوريا.

غير أننى وجدت أنه من الأنسب، ونحن نتحدث عن الزعماء أن نطل إطلالة سريعة على الشيخ زايد رحمه الله وعلى أبنائه.

هو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم دولة الإمارات الراحل، ومؤسس دولة الإمارات العربية المتحدة، وأحد الشخصيات الهامة المؤثرة فى الساحة العربية والعالمية، وصاحب الفضل فى توحيد دولة الإمارات العربية المتحدة، حظى بشعبية هائلة بين أفراد شعبه بالإضافة للمكانة الطيبة والاحترام الذى يكنه له ملوك ورؤساء العديد من الدول العربية والأجنبية.

وبحسب الأوراق الرسمية لدولة الإمارات عبر الملف الذى أعدته الصحفية مى كمال الدين عقب وفاته، فقد عمل الشيخ زايد بن سلطان دائماً على تحقيق الوحدة والتضامن سواء بين الإمارات المختلفة، أو بين دول الخليج بل بين دول العالم العربى ككل، وفيما قاله عن التضامن بين دول الخليج نذكر قوله: إن قوة الخليج فى وحدته الاقتصادية، لأنها التحدى الحقيقى

الذى سيثبت فيه الإنسان الخليجى مكانته التى يستحقها، ولأن القوة الاقتصادية هى المقياس الحقيقى للقوة الذاتية الخليجية، تعويضاً للتخلف، واندفاعا نحو التقدم والرقى.

ولد الشيخ زايد بن سلطان فى عام ١٩١٨م، بقصر الحصن بإمارة أبو ظبى بدولة الإمارات العربية المتحدة، ويأتى ترتيبه الرابع بين أبناء الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان والذى قام بحكم إمارة أبو ظبى فى الفترة مابين ١٩٢٢- ١٩٢٦م، انتقل بعد ذلك هو وأسرته إلى منطقة العين هذه المنطقة التى تعد مركزاً لتجمعات البدو والتى يتقابلون بها لتبادل السلع والمنتجات، حيث نشأ بها وتعلم الكثير من أمور الصحراء وحياة البدو بين جبالها وأوديتها وكان لها تأثير كبير فى تشكيل شخصيته بعد ذلك.

قام الشيخ زايد بن سلطان بتعلم أحكام الدين الإسلامى، بالإضافة لحفظه القرآن الكريم، كما كان يهوى الاطلاع والمعرفة، وكانت له العديد من الهوايات والتى برع فيها منها الصيد حيث كان يقوم بالعديد من رحلات الصيد، وأيضاً كان له اهتمام وشغف كبير بالرماية، وركوب الجمال والخيل والسباقات، فكان لديه إلمام كبير بأمور الصحراء وجبالها ودروبها والحياة البدوية، بالإضافة لاهتمامه بالجلوس إلى كبار المشايخ للتعرف إلى تاريخ الأجداد وغيرها من الأمور التاريخية الخاصة بشبه الجزيرة العربية.

ونظراً لاهتمامه الكبير بالحياة الطبيعية والصحراء والموارد الطبيعية الموجودة بها، اكتسب حب واحترام البدو الأمر الذى أدى بعد ذلك لمساهماتهم فى دعمه فى العديد من الأمور والتى كان من أهمها مشروع الوحدة، ونتيجة لتعلمه وخبرته الكبيرة فى الصحراء وقع الاختيار عليه ليكون مرشداً لأعضاء شركة حضرت إلى الإمارات فى هذه الفترة للتنقيب عن البترول.

فى عام ١٩٤٦م وقع الاختيار على الشيخ زايد بن سلطان ليكون ممثلاً للحاكم فى منطقة العين على الرغم من حداثة سنه حينذاك، إلى حد ما، وذلك نظراً لحب الناس له واحترامهم وثقتهم به، وبالفعل تولى مسئولية إدارة منطقة العين والتى كانت تتكون من تسع قرى، حيث تمكن من خلال إدارته لها من تحقيق العديد من الإنجازات منها قيامه بتعديل ملكية الموارد المائية وتوزيعها بالتساوى على جميع المناطق مما أدى إلى زيادة الإنتاج بالمنطقة وتحقيق ازدهار ملحوظ بها، كما نجح فى تنمية الزراعة، وقام بإصلاح الأفلاج القديمة والفلج هو مجرى مائى صغير يجرى فيه الماء من المنبع إلى المصب بفعل انحدار الأرض وذلك لرى الأراضى الزراعية، كما حفر الأفلاج والآبار الجديدة للتوسع فى زراعة الأراضى ويعد فلج الصاروج هو واحد من أكبر أفلاج مدينة العين وأكثرها غزارة والذى أستغرق حفره ثمانية

عشر عاماً، ولقد تخصص فى هذا العمل الضخم جماعة من قبيلة العوامر من حلفاء بنى ياس الذين تخصصوا فى حفر الأفلاج كل هذا تحت رعاية وإشراف الشيخ زايد والذى كان لا يكتفى بالإشراف فحسب بل كان يمد يده بالمساعدة المباشرة أيضاً، بالإضافة لقيامه بتشجير منطقة العين مما جعلها تبرز كإحدى أجمل المدن فى المنطقة.

تغيرت منطقة العين خلال العشرين عاماً التى قضاها حاكماً لها فأصبحت جنة خضراء، فبرزت أهميته كشخصية تجمعت فيه جميع العناصر التى تبشر بزعيم وقائد.

إمارة أبو ظبى

أصبح الشيخ زايد بن سلطان حاكماً لإمارة أبو ظبى فى ٦ أغسطس ١٩٦٦م، بعد أن تنازل له أخوه الشيخ شخبوط عنها، وبعد أن تولى الشيخ زايد مقاليد الحكم فى إمارة أبو ظبى قام بتنفيذ العديد من المشاريع الضخمة فقام بتشييد المدارس والمستشفيات بالإضافة لمشاريع الطرق ومشاريع الإسكان، فشهدت أبو ظبى فى خلال فترة حكمه العديد من الإنجازات ونهضة عمرانية واضحة، كما بدأ ينظر للبترول كوسيلة لبناء المجتمع.

على الرغم من الإنجازات التى حققها فى فترة حكمه لإمارة أبو ظبى، إلا أنه كان يراوده حلم بتحقيق الوحدة بين العديد من الإمارات المختلفة، وهو الأمر الذى تحقق بعد ذلك لتتكون دولة الإمارات العربية المتحدة كما حلم بها.

توحيد الإمارات

فى عام ١٩٦٨م، أعلنت بريطانيا قرارها بالانسحاب من المنطقة الواقعة شرقى قناة السويس، بما فيهم الإمارات على أن يتم الانسحاب الكلى قبل نهاية عام ١٩٧١م، حيث كانت بريطانيا قد وقعت اتفاقية مع شيوخ الأمارات فى عام ١٨٩١م بعدم التصرف فى أى أراضى لها أو أجراء مباحثات مع أى دولة أجنبية دون الرجوع لبريطانيا وأن تتولى هى مسئولية العلاقات الخارجية والدفاع عن الإمارات وتترك لهم مسئولية الشئون الداخلية.

ونتيجة لهذا الانسحاب البريطانى، تطلع كل من الشيخ زايد حاكم إمارة أبو ظبى والشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم إمارة دبى للوحدة بين كل من الإمارات المختلفة والبحرين وقطر ولكن هذا الحلم لم يكتمل نظراً لعدم رغبة كل من البحرين وقطر فى الوحدة، وعلى الرغم من هذا سعى كل من الشيخين من أجل إكمال وحدة الإمارات العربية، وبعد العديد من

الاجتماعات والمناقشات تم الاتفاق بين حكام الإمارات الست أبوظبى، دبى، الشارقة، عجمان، أم القيوين، الفجيرة على إعلان الاتحاد بينهم، وذلك فى ٢ ديسمبر عام ١٩٧١م، هذا التاريخ الذى يعد نقطة البداية فى بداية الدولة الإماراتية، حيث إنه فى هذا التاريخ تم إعلان تأسيس دولة الإمارات مع أصحاب السمو حكام الإمارات المختلفة فى دار الاتحاد بدبى، كما تولى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئاسة الدولة، ونظراً لجهوده المبذولة وإخلاصه من أجل الوحدة بين الإمارات المختلفة تم اختياره أكثر من مرة من قبل حكام الإمارات أعضاء المجلس الأعلى للاتحاد لفترات حكم متعاقبة، كما تم تعيين الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم نائباً للرئيس، وفى العام التالى للاتحاد بين الإمارات انضمت إمارة رأس الخيّمة للاتحاد.

التكريم

نظراً لجهوده المبذولة فى العديد من المجالات حصد الشيخ زايد بن سلطان التكريم والجوائز المختلفة من العديد من الجهات منها: فى عام ١٩٨٥م تسلم الوثيقة الذهبية التى تم منحها له من قبل المنظمة الدولية للأجانب ومقرها فى جينيف وذلك تقديراً منها لجهوده فى المجالات الإنسانية المختلفة ورعاية الجاليات الأجنبية العاملة فى الدولة.

وفى استطلاع للرأى عام ١٩٩٠م على مائة ألف مواطن عربى تم اختياره من ضمن عشر شخصيات عربية وعالمية لها دور بارز فى مجال الإنماء السياسى والاجتماعى.

كما اختير زايد بن سلطان آل نهيان رجلاً لعام ١٩٩١م وذلك فى استفتاء جماهيرى قامت به مجلة الاثنين اللبنانية.

ونال الشيخ زايد بن سلطان عددًا من الأوسمة أيضاً: منها وسامان من منظمة الليونز العالمية تقديراً لمواقفه فى بناء دولة الإمارات فى عام ١٩٩٢م، كما حصل على الوسام الذهبى للتاريخ العربى المقدم من جمعية المؤرخين المغاربة.

اختير الشخصية الإنمائية لعام ١٩٩٥م على مستوى العالم فى استطلاع للرأى قام به مركز الشرق الأوسط للبحوث والدراسات الإعلامية فى جدة حيث شارك فى هذا الاستطلاع أكثر من نصف مليون عربى والجاليات العربية حول العالم.

كما وقع اختيار صحيفة العرب العالمية التى تصدر فى لندن على صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان شخصية العام ١٩٩٧م، وذلك بفضل جهوده وأعماله الجليلة فى رأب الصدع بين مختلف الأقطار العربية التى وجدت بينها العديد من الخلافات.

كما احتلت سيرة سمو الشيخ الراحل زايد بن سلطان آل نهيان العديد من الكتب التى تناولت حياته، وكفاحه من أجل الوحدة والتقدم ببلده سواء من خلال السرد عن طريق الكلمات أو من خلال الصور الفوتوغرافية المعبرة والتى تم التقاطها فى العديد من الأحداث والمناسبات ونذكر من هذه الكتب مايلى:

كتاب الشيخ زايد بن سلطان... شهادات تبقى صدر هذا الكتاب باللغة العربية عن وزارة الإعلام والثقافة متضمناً بعض الكتابات التى نشرت فى الصحف العربية والأجنبية عنه.

كما صدر كتاب آخر بعنوان زايد رحلة فوتوغرافية وهو يتضمن مجموعة من الصور التى تجسد حياة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، ويعتبر هذا الكتاب سجلا شاملاً لحياة الشيخ زايد ويتناول خلفيته البدوية وشغفه بالطبيعة وحبه للصيد بالصقور وركوب الجمال والخيل، وأيضاً يتناول نضاله من أجل شعبه ضد الظروف الاقتصادية القاسية التى كانت تعانى منها البلاد فى أوائل القرن العشرين، وغيرها العديد من الأحداث التى أثرت به أو أثر هو بها فى تاريخ الإمارات.

وكتاب آخر صدر بعنوان «الشيخ زايد حياة وأزمان» ١٩١٨- ٢٠٠٤ وهو أيضاً عبارة عن مجموعة صور فوتوغرافية قام بالتقاطها المصور نور على الراشد وهو المصور الرسمى للشيخ زايد ولديوان الرئاسة وهى مجموعة صور نادرة لعدد من الوقائع التى حدثت فى الماضى، كما يضم صور للشيخ زايد فى كلا مرحلتى حكمه سواء كحاكم لإمارة أبوظبى، أو كرئيس لدولة الأمارات، كما يضم بعض الصور الشخصية والأسرية له، ونظراً لأهمية هذا الكتاب فهو يعد مرجع أكاديمى للعديد من الجامعات والمؤسسات التعليمية.

كما قام الشيخ زايد نفسه بإصدار كتاب عن رياضته المفضلة وهى الصيد بالصقور فقدم كتاب رياضة الصيد بالصقور والذى يعد دراسة عن هذه الرياضة المحببة عند أهل الجزيرة العربية منذ القدم والتى تحتل مركز الصدارة فى الرياضات العربية الأصيلة فحرص الشيخ زايد بن سلطان فى هذا الكتاب أن يعرض ما كتب قديماً عن هذه الرياضة بالإضافة لتجربته هو الشخصية من خلال ممارسته لها وخبرته العميقة فيها.

الوفـــاة

توفى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله فى ٢ نوفمبر عام ٢٠٠٤م، بعد أن قدم لبلاده الوحدة بين مختلف إماراتها والعديد من الإنجازات الأخرى.

أبناء الشيخ زايد ومناصبهم بالدولة

- خليفة بن زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة آل نهيان (رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة) نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة.رئيس المجلس التنفيذى.رئيس المجلس الأعلى للبترول بإمارة أبو ظبى.الرئيس الفخرى لنادى الوحدة ونادى العين.تايخ الميلاد :١٩٤٨م.

- سلطان بن زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة آل نهيان نائب رئيس مجلس الوزراء.رئيس دائرة الأشغال بإمارة أبو ظبى.رئيس نادى تراث الإمارات.تخرج من كلية ساند هيرست العسكرية عام ١٩٧٣ م.تايخ الميلاد: ١٩٥٥م

- محمد بن زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة آل نهيان ولى عهد أبو ظبى.رئيس أركان القوات المسلحة.نائب رئيس المجلس التنفيذى بإمارة أبو ظبى.عضو المجلس الأعلى للبترول.رئيس نادى العين الرياضى الثقافى ورئيس مجلس الشرف العيناوى.تخرج من كلية ساندهيرست العسكرية عام ١٩٧٩ .تاريخ الميلاد:١٩٦١م.

- حمدان بن زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة آل نهيان.نائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء.وزير الدولة لشؤون الخارجية.رئيس هيئة الهلال الأحمر للأعمال الخيرية .رئيس اتحاد الإمارات لسباقات الهجن العربية .الرئيس الفخرى لنادى الجزيرة الرياضى الثقافيرئيس مجلس الشرف الجزراوى

- هزاع بن زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة آل نهيان.رئيس نادى العين الرياضى الثقافى.نائب رئيس مجلس الشرف العيناوى.

- سعيد بن زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة آل نهيان.رئيس دائرة الموانى البحرية بإمارة أبو ظبى. عضو المجلس التنفيذى.رئيس نادى الوحدة الرياضى الثقافى رئيس مجلس الشرف الوحداوى.

- هيان بن زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة آل نهيان.قائد الحرس الأميرى.نائب رئيس نادى الوحدة الرياضى الثقافى نائب رئيس مجلس الشرف الوحداوى

- سيف بن زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة آل نهيان.وكيل وزارة الداخلية .رئيس نادى بنى ياس الرياضى الثقافى.

- ذياب بن زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة آل نهيان.مدير ديوان الرئاسة .رئيس هيئة الكهرباء والماء بإمارة أبو ظبى.

ـ طحنون بن زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة آل نهيان.رئيس الدائرة الخاصة لصحاب السمو رئيس الدولة.

ـ منصور بن زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة آل نهيان.رئيس مكتب صاحب السمو رئيس الدولة.رئيس نادى الجزيرة الرياضى الثقافى نائب رئيس مجلس الشرف الجزراوى

– حامد بن زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة آل نهيان.رئيس دائرة الاقتصاد بإمارة أبو ظبى.رئيس هيئة الخدمات الطبية والصحية.عضو المجلس التنفيذى بإمارة أبو ظبى.نائب رئيس نادى بنى ياس الرياضى الثقافى.

ـ عبدالله بن زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة آل نهيان.وزير الإعلام والثقافة.

ـ فلاح بن زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة آل نهيان.خريج كلية شرطة أبوظبى برتبة رائد.

ـ عيسى بن زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة آل نهيان.وكيل دائرة الاشغال بإمارة أبو ظبى.

ـ ناصر بن زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة آل نهيان.خريج كلية شرطة أبوظبى برتبة مقدم.

ـ أحمد بن زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة آل نهيان.وكيل وزارة المالية والصناعة، رئيس مؤسسة زايد للأعمال الخيرية والإنسانية..

ـ عمر بن زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة آل نهيان.المرافق العسكرى لصاحب السمو رئيس الدولة.

ـ خالد بن زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة آل نهيان.خريج جامعة الإمارات كلية العلوم السياسية.

■■■

5

أبناء الرئيس الراحل المخلوع الشهيد الطاغية المقبور البطل

صدام حسين

الســـيرك القومـــى

«نحن عائلة تعودت أن تواجه الظروف الصعبة»

رغد صدام حسين

□□

عـــدى..
الأســــطـــــورة

«إن كثيرا من الفضل فى نجاحنا يعود إليك»

مسئول بقناة الجزيرة مخاطبا

عدى صدام حسين



□□

■■

السيرك القومى

رحل صدام حسين، نعم رحل بغض النظر عن معاتيه النت الذى يروجون إلى أنه لم يعدم ولم يقبضوا عليه، وربما لم يكن هناك صدام من الأساس، وربما أنا لست أنا وأنت لست أنا وعلى رأى اللمبى: أنا وانت واتنين غيرنا. ورحل كذلك ابنه الكبير عدى، وابنه الأصغر قصى.

رحلوا جميعا، لكن لم ترحل حكاياتهم. كان صدام حسين حاكما للعراق منذ عام ١٩٧٩ وحتى سقوط تمثاله عام ٢٠٠٣. أى ظل حاكما لها ٢٤ عاما. وعندما نقول العراق فلابد أن تنتبه، نحن نتحدث عن ذلك البلد الذى يتناول أهله اللحوم البيضاء فى طعام الإفطار، البلد الذى حكمه الحجاج بن يوسف الثقفى، وزياد بن أبيه وما أدراك ما زياد بن أبيه، فى تقديرنا إنه يفوق الحجاج غلظة وقسوة وعدم اكتراث بالإنسان، بغض النظر عن الاكتراث بحقوقه.

لكن هذا ليس بحثا فى التاريخ، وإن كان التاريخ مهما، بل إن صدام نفسه أصبح اليوم تاريخا، أليس كذلك؟

ولأن صدام حسين حكم العراق فى وقت حساس، وفى زمن تذاع فيه الحروب على الهواء مباشرة، ولأن سقوطه ارتبط بعودة الاحتلال، الذى لم تألف أجيالنا وجوده، فقد أصبح أسطورة. أسطره محبوه، وأسطره كارهوه بصورة أكبر.

يرى محبوه وقابضو كوبوناته ومتسلمو الدولارات بالكرتونة أن صدام شهيد نصف نبى، كان بطلا مقاتلا مناضلا سار على خطى الزعماء الكبار، وقاوم الاحتلال العراقى، راهن هؤلاء على الثقافة الشعبية العربية التى فى القائد البطل أنه لا يكون كذلك إلا بأن يكون أبا. بكل ما تعنيه الأبوة من حب لأبنائه (الشعب) ورعاية وسهر على مصلحته، وأخذهم بالشدة إن أخطؤوا.

أذكر أن السيد سامى شرف قال تعليقا على قصة الراحل أشرف مروان: لو كان عبد الناصر يعرف أنه جاسوس لضربه بالرصاص بنفسه.

لاحظ أن الرجل الذى عايش عبد الناصر سنوات قالها وبفخر، دلالة على حزم وحسم الرئيس الراحل عبد الناصر من أجل المصلحة العامة حتى مع ذويه.

وكما قالها بفخر فقد قالها بعفوية، فاته أن يكون سياسيا دبلوماسيا فيقول مثلا: لو كان الرئيس يعرف أنه جاسوس لقدمه للمحاكمة.

وعندما كنت طفلا كان أبى يحب ناصر، ويعلق له صورة أكبر من صورة والده (جدى)، ويحب صدام حسين ويحكى لى كيف أن ناصر راجل، ويحكى كيف أن صدام يشبه الرئيس الراحل، وأنه ما يعجبوش الحال المايل. وهو تعبير مصرى يدل على الحسم والحزم من أجل الصح.

وفى قريتنا فى الصعيد ولد أطفال كثيرون يحملون اسم صدام، تيمنا بالقائد البطل الذى كان يمشى فى الشارع دون خوف، ويوفر لشعبه كل شىء.

هذه النظرة الشعبية جدا كلفت الأمة العربية كثيرا فى الماضى ومازالت تكلفه، فما يحكون عنه ليس دور الرئيس فى الدول التى تريد أن تنهض، فالدول تختلف عن القبائل، لكن من قال إننا خرجنا ثقافيا من عهد القبائل؟!!

لكن إذا عذرنا الشعب فى رؤيته الشعبية فبماذا نعذر الساسة؟

أما كارهو صدام حسين وولديه (وهم كثر) فيرون فيهم أسطورة، ولكن بصورة مغايرة، إنها أسطورة الشيطان الذى يحكم عاصمة جهنم بالحديد والنار، يقتلون ويسرقون ويغتصبون ويفتكون بالبشر وهم يضحكون، ويتباكى حملة الدولارات بشيكات على حقوق الإنسان التى ضاعت فى العراق على يد الطاغية وولديه.

ويتناسى هؤلاء أن صدام كشخص حتى لو كان مريضا نفسيا فإنه لا يستطيع أن يفعل كل تلك الأفاعيل، من دون أن تكون هناك طغمة تحميه، وهذه الطغمة لا يمكن أن تكون فردا أو فردين أو حتى كتيبة كاملة، لابد أن يكون هناك نظام حكم، ونظام الحكم مهما كان فهو نتاج لذلك الشعب، الذى لا يرى فى الوسائل العقابية نوعا من انتهاك حقوق الإنسان.

وإذا كان أبى يحب عبد الناصر وصدام، فإن أمى كانت تفزع من هذا ومن ذاك، وكانت تقول: مالكش دعوة يا ابنى بالسياسة إحنا مش قد الناس دى.

وقد حظى ابنه الأكبر عدى صدام حسين بنصيب الأسد من تلك الأساطير، خاصة بعد سقوط بغداد، ثم اغتياله فى يوليو عام ٢٠٠٣، ومع قوة الآلة الإعلامية الغربية، ظهرت فضائح وفظائع لا يمكن وصفها ناهيك عن تصديقها، وأصبحت الصحافة الغربية، والعربية نقلا عنها، مرتعا للمرتزقة ومحبى الأضواء، فانتشرت عناوين من قبيل: أنا الابن الشرعى لصدام حسين، كنت شبيها لصدام، اغتصبنى عدى صدام حسين، والآن استيقظ ضميرى، عايشت ابن الرئيس، ابن الرئيس وضع لى المسدس فى المهلبية. كما ظهر لكل فرد من أفراد العائلة أبناء شرعيون وأبناء فى الحرام وزوجات سريات، وصديقات وعشيقات وأشباه.

ولو تتبعنا كل حكاية من تلك الحكاوى التى تصلح للتسلية بديلا عن أفلام الظهيرة لاحتجنا مجلدا كاملا، يتم تجديده كل شهر بشكل دورى، لتغطية وقائع لو صحت لآمنا بأن البعث العراقى لم يكن ذلك الحزب القومى الذى نعرفه بل السيرك القومى الذى لا نعرف عنه شيئا.

سنحاول أن نرسم بورتريه منطقيا لعدى صدام حسين، وليساعدنا الله على ذكر الحقيقة.

صورة عامة

عدى من مواليد عام ١٩٦٤ وأمه هى ساجدة خير الله طلفاح المسلط زوجة الرئيس العراقى السابق أو الراحل أو المخلوع أو الشهيد صدام حسين، وهى ابنة خير الله طلفاح المسلط، خال صدام حسين الذى يختلف العراقيون بشأنه كالعادة فهو عند البعض مفكر له مؤلفات عن الحضارة الإسلامية وباحث وعند الآخرين مستبد سلطوى له مناصب حساسة، وأخت وزير الدفاع السابق عدنان خير الله طلفاح، تزوجت صدام حسين قبيل سفره للدراسة فى مصر. وأنجبت له خمسة أبناء.

تخرج مهندسا من جامعة بغداد كما حصل على دكتوراه فى العلوم السياسية!! ومما لا شك فيه أن عدى كان معروفا عنه القساوة وحب للعنف وتقلب مزاجه ومغامراته النسائية وحبه للسيارات الباهظة الثمن.

وتعرض عدى فى ديسمبر عام ١٩٩٦ لمحاولة اغتيال نجا منها بأعجوبة، إلا أنه لم يشف تماما من إصاباته وظهر ذلك فى مشيته المتثاقلة البطيئة. تسلم عدى مسئوليات إعلامية عدة مثل الإشراف على صحيفة وتلفزيون وترؤس تنظيمات شبابية ورياضية انتخب (مجازا) عضوا فى المجلس الوطنى العراقى (البرلمان) عام ٢٠٠٠ محاولا دخول المعترك السياسى.

وعسكريا كان مسئولا عن المليشيات المعروفة باسم «فدائيو صدام»وقبل تعرضه لمحاولة الاغتيال كان يعتبر وريث والده، إلا أن نجم شقيقه قصى عاد وصعد خلال السنوات القليلة الماضية ليصبح المفضل لدى والده.ومهما يقول محبو صدام فقد استفاد عدى من السلطة التى كان يتمتع بها بصفته ابن رئيس الدولة لإقامة إمبراطورية مالية وتجارية، وتردد أنه كان يشرف مباشرة على تهريب النفط إلى تركيا بشكل خاص فى خرق لقرارات الولايات المتحدة (عفوا نقصد الأمم المتحدة)،وبعد سقوط بغداد فى التاسع من أبريل بأيدى القوات الأميركية توارى عدى عن الأنظار مثله مثل شقيقه قصى ووالده وبعض رموز النظام الكبار،وجاء عدى فى المرتبة الثالثة على لائحة الشخصيات العراقية التى تلاحقها القوات الأميركية فى العراق، ونقلت بعض الصحف الأميركية معلومات تفيد بأنه حاول الاتصال بالقوات الأميركية عبر وسيط لتسليم نفسه خوفا من تعرضه للقتل على أيدى عراقيين إذا كشف مكان وجوده.

وقد أعلن القضاء على عدى صدام حسين وشقيقه قصى وابن شقيقه مصطفى على يد القوات الأمريكية المحتلة فى صباح يوم من أيام يوليو ٢٠٠٣.

ملامـــح

لا يهمنا عندما نتحدث عن عدى صدام أن نسرد يومياته على طريقة ولد وعاش ومات، لكن هناك ملامح ومحطات لا غنى عنها لكشف شخصية الابن الأكبر لصدام حسين سنتوقف خلال مسيرة حياته أمام عدة ملامح ومحطات، سنتعرف أولا على قصة تورطه فى اغتيال زوج أخته السيد حسين كامل المجيد، ثم نتحدث عن محاولة اغتياله هو شخصيا، ولابد لنا من المرور على شهادة لاعب دولى عراقى يروى حقيقة تعذيبه للاعبى العراق فى حالة الخسارة، وأخيرا نختم بقصة لطيفة، هى قصة لطيف، الذى يقال إنه كان يلعب دور الدوبلير لعدى، والموجود حاليا فى أوروبا للعلاج النفسى بينما ترقد رفات عدى نفسه فى تكريت، فابقوا معنا.

قتـــل الصهر

كان حسين كامل المجيد قريبا لصدام حسين، وكان يعمل سائقا فى المخابرات قبل تولى قريبه للسلطة، وعندما تولى صدام السلطة، كان ابنه عدى دون الخامسة عشر، وأحس حسين بأنه يمكنه أن يلعب دور الابن الأكبر للزعيم القادم، وهكذا تقرب إلى زوجة الرئيس السيدة ساجدة خير الله طلفاح، حتى استطاع أن يتزوج رغد ابنة الرئيس الكبرى وتزوج شقيقه من

رنا الابنة الثانية للرئيس، وهكذا أصبح لحسين كامل دور كبير فى السلطة وبمرور الأيام اتسعت رقعة سلطته ونفوذه حتى أصبح الرجل الثانى فى الدولة، لكن دوام الحال من المحال والابن الحقيقى للرئيس كبر، بل وله شقيق كذلك وهكذا دبت الغيرة بين حسين كامل وابنى صدام، وكان الرئيس يميل بطبيعة الحال إلى نجليه وهكذا تم تصعيد عدى وقصى.

أصيب حسين كامل فى (فبراير) ١٩٩٤ بأعراض مرضية حيث كانت تنتابه فجأة نوبة من فقدان الوعى لبضع دقائق يستفيق بعدها ناسياً كلياً ما حصل أثناء الحالة. تولى فحص حالته الطبيب العراقى المتخصص في الأمراض العصبية سعد هاشم الوترى فرافقه إلى عمّان حيث أجرى له جرّاح فرنسى استقدم خصيصاً، عملية جراحية فى مستشفى مدينة الحسين الطبية العسكرى فأزال الورم الذى فحص فتبين أنه ورم حميد غير سرطانى. وأخبر سعد الوترى بعض أصدقائه عند عودته أنه كان باستطاعته إجراء هذه العملية فى بغداد إذ سبق له أن أجرى عشرات العمليات الأعقد منها لمرضى عراقيين غير أنه خشى على نفسه من تبعات أية مضاعفات قد تحدث لحسين كامل خلال العملية أو بعدها.

عند عودة حسين كامل إلى بغداد وجد أن قصى بن صدام قد نُصِّبَ مشرفاً على الحرس الجمهورى الخاص وعلى قوات الحرس الجمهورى وأخذ يشعر بأن سطوته أخذت تتقلص يوماً بعد يوم. ولم يبقَ له من إمبراطوريته الواسعة سوى وزارة الصناعة والمعادن وهيئة التصنيع العسكرى التى احتفت بسلامة عودته باحتفالات صاخبة حيث دقت طبول الفرح ونُحِرت الخراف فى كل مرفق من مرافق الصناعة المدنية والعسكرية إذ تولّى منتسبو مكتبه ومنتسبو منظومة أمن وحماية منشآت التصنيع العسكرى تنظيم الاحتفالات والطلب من كل مدير عام أن تظهر دائرته معالم الابتهاج والزينة.

ثم توالت الأيام وفى شهر يونيه من عام ١٩٩٥ غادر حسين كامل على رأس وفد من هيئة التصنيع العسكرى لزيارة بيلاروسيا من طريق عمّان فموسكو وفى اليوم التالى لمغادرته دعا صدام قيادات فروع حزب البعث لمؤتمر قطرى (أى على مستوى الدولة) يتولى انتخاب قيادة قطرية جديدة للحزب وفاتت على حسين كامل فرصة الصعود إلى عضوية القيادة القطرية ذات السلطة الواسعة، إذ لا يُجيز النظام الداخلى للحزب ترشيح أى شخص للقيادة إن لم يكن حاضراً فى جلسات المؤتمر القطرى. ولا يمكننا أن نتكهن ما إذا كان إجراء صدام هذا متعمداً لإبعاد حسين كامل عن قيادة الحزب أم لشأن آخر غير أننا ندرك أن صدام لم يكن ليرتضى وجود عضو جرىء أو ذى فكر مستقل ليعتلى أى منصب قيادى فى الحزب أو الدولة

وكان يحيط نفسه بتابعين ضعاف النفوس لا يقوى أحدهم أن يقول لصدام كلمة واحدة قد تغضبه. ولا نزال نروى الأحداث المحيطة بحسين كامل فنقرأ خبر عقده لقاءً انفرادياً فى عمّان مع الملك حسين بن طلال ملك الأردن ولساعتين كاملتين وأغلب الظن أن هذا اللقاء كان تمهيداً لهربه من العراق وربما يكون قد حصل على الضوء الأخضر من ملك الأردن.

ونعتقد بأن عدى (الابن الأكبر لصدام) بدأ ومنذ مطلع عام ١٩٩٥ ينظر بعين الحسد إلى حسين كامل حيث رآه منافساً قوياً على موقع الابن المدلل لصدام وعلى حسابه بالذات ولابدّ أن يكون قد اقتنع بأن وجود حسين كامل خطر على مقامه وعلى مستقبله السياسى فبدأ ينبش فى أفعال وتصرفات زوج أخته للسنين الماضية إذ لم يكن خافياً على أحد أن حسين كان يستغل الإمكانات المادية والبشرية لهيئة التصنيع العسكرى لبناء قصوره الخاصة وتنظيم مزارعه العديدة، فبدأ عبد حميد محمود (المعروف بعبد حمود) منذ بداية ١٩٩٥ يتحرى عن مخالفات حسين كامل وتصرفه السابق غير القانونى بالمال العام وربما فعل عبد حمود ذلك بتحريض من عدى ولكن لا بدّ أن يكون قد حصل على موافقة رئيسه صدام على إجراءاته تلك إذ كيف يجرؤ على طرح أسئلة على حسين كامل من دون سند قوى من صدام؟! وإثر تزايد الضغوطات عليه لا بدّ أن يكون قد أطلق العنان لتصوراته بإمكانية قيادة المعارضة فى الخارج مع الحصول على دعم أمريكى لعلّه يستطيع يوماً أن يطيح برأس عمه صدام ويعتلى سدة الحكم فى العراق لا سيما وأنه كان قد اطلع على عدد من التقارير الصحافية التى تشير إلى أن الإدارة الأمريكية تبحث عن جنرال تكريتى يستطيع قيادة المعارضة والإطاحة بصدام وتراءى له بأنه ذلك الجنرال ناسياً أو متناسياً أنه كان شرطياً قبل أن يعينه صدام ضمن طاقم حراسته وأن رتبة فريق أول التى يحملها على كتفيه لا تساوى أكثر من ثمن معدنها أو رمزه من القماش وأنه ربما لا يفهم من الشئون العسكرية غير تسلسل الرتب.

وفى صباح يوم الاثنين ١٩٩٥/٨/٧ غادر حسين كامل بغداد في طريقه إلى عمّان فى موكب ضمّ زوجته (رغد بنت صدام) وأولاده وضمّ أخاه (صدام كامل ومعه زوجته أيضاً) (رنا بنت صدام) وعدداً من أركان حاشيته ونقل معه جميع موجودات هيئة التصنيع العسكرى من العملة الصعبة ومقدارها ٩,٥ مليون دولار أمريكى نقداً ولم يكن باستطاعة أحد تفتيش حمولاته من الخزائن عند حدود البلدين كما أنه غادر بطريقة رسمية بحجة اصطحاب عائلته فى فسحة صيفية.

وفى الأردن بدأ يطلق العنان لتصريحات ناقدة وكأنه لم يكن الشخص الثانى فى سلطة اتهمها بالديكتاتورية والتسلط والغباء السياسى وبدأت جموع رجال المخابرات العربية

والأجنبية تتهال عليه فى مقر إقامته الفخم فى عمّان لاستطلاع ما يحمل من أنباء ومعلومات وهو يتباهى بالأضواء المسلطة عليه وبالاهتمام الذى أولاه له رجال الإعلام والسياسة والمخابرات فى عمّان.

ويقول علاء بشير طبيب صدام الخاص فى مذكراته:

كان الخريف والشتاء فى عمان صعبين على زوجى ابنتى صدام. فى البداية كان لا يزال الأمر مشوقا. استقبلت مخابرات الدول الغربية وعلى رأسها وكالة المخابرات الأميركية بنهم ما كان عندهما من حكايات، وهو ما انطبق أيضا على رولف إيكيوس، رئيس فريق التفتيش على الأسلحة التابع للأمم المتحدة. ولكن بعد أن روى لهم حسين كامل كل ما يعرفه عن برنامج التسليح العراقى، وبعد فشل أخيه صدام فى تقديم معلومات على درجة خاصة من الأهمية عن حياة النظام العراقى، بدأت الحياة اليومية الكئيبة فى العاصمة الأردنية عمان تزحف سريعا عليهما وعلى عائلتيهما. لم يعد هناك من يهتم بهما، كما أن العراقيين فى المنفى بمجموعاتهم المعارضة لم يريدوا أن تربطهم علاقة بهما لأن زوجى ابنتى صدام كانا مسئولين بصفة شخصية عن جزء من القمع وبعض جرائم الحرب. كان الانتقال من الحياة المترفة فى مركز السلطة فى بغداد إلى كيان كان يزداد ضآلة يوما بعد يوم فى المنفى فى عمان أشد مما كانا يتوقعانه، ارتفعت أصوات الإشاعات أن حسين كامل كان مشتاقا إلى البيت لأنه ليس فى أحسن أحواله الصحية، كان عنده مشاكل نفسية عميقة. ألمح الوزراء الذين تحدثت معهم أن مبعوث عائلة الخريبط القوية ذات النفوذ فى مدينة الرمادى، توجه كوسيط للرئيس فى زيارة لعمان، وعرض على زوجى الابنتين حرية الحركة إذا أرادا ذلك. كما أخبرهما بأن صدام يعدهما بألا يعاقبهما.

وتستمر حكاية صهرى صدام ومن خلال شاهد عيان للواقعة فإنه قبل دقائق من وصول حسين كامل وشقيقه وكريمتى الرئيس صدام حسين إلى أرض الوطن كانت قد وصلت إلى الحدود طائرة مروحية تحمل السيدة ساجدة خير الله طلفاح زوجة الرئيس صدام حسين وأم كريمتيه العائدتين، يرافقها عدى صدام حسين، الذى كان السبب الأول فى خروج حسين كامل من العراق، وعلى أثر خلافات حادة وتهديد عدى لحسين كامل بالقتل بعد تزايد نفوذه، شعر حسين كامل يومها بأنه لم يعد له مكان فى السلطة وكان مجىء عدى إلى الحدود علامة أقلقت حسين كامل وأخافته، لما عرف عن عدى من ممارسات مجنونة وعنف واضح وعدم اتزان، وكانت قد وصلت أيضاً مجموعة من السيارات المحملة بفدائيى صدام ومنتسبى الحرس الرئاسى، ويبدو أن مهمتهم كانت هى التأكد من أن كل شىء سيجرى مثلما يريد

عدى، فقد أخذت الأم ابنتيها بالأحضان والبكاء وكذلك الأولاد ولم يتصافح عدى وأمه مع صهريهما وتمتم عدى بكلمات فهم حسين كامل منها التهديد والوعيد وأن مصيراً مجهولاً ينتظره وفكرصدام كامل بالعودة ثانية إلى الأردن وقال لحسين كامل ألم أقل لك إنك تأخذنا إلى الموت، دعنا نعود من هنا، رفض حسين كامل وأصر على المواجهة مفترضاً أن ما قاله عدى يمثل موقفه الشخصى وإن الرئيس سيحترم توقيعه والعهد الذى قطعه بالعفو عنه.أخذ عدى أمه وأختيه وأولادهما فى الطائرة المروحية وترك حسين كامل وصدام كامل وعبد الحكيم كامل بمفردهم بسياراتهم، ويبدو أن تعليمات واضحة قد صدرت على الحدود بعدم السماح لهم بالخروج ثانية وبقى بعض فدائيى صدام والحرس الرئاسى فى نقطة طريبيل الحدودية لإفشال أية محاولة قد يقوم بها حسين كامل وأخواه بالخروج من العراق بعدما لاحظوا الأجواء التى قوبلوا بها عند الدخول.

فى الصحراء الممتدة بين الحدود وبغداد اقترح صدام كامل على شقيقه الأكبر حسين أن يهربا عبر طرق البادية وقال له إنهم سيقتلوننا، وما دام الرئيس قد ترك حسم الأمور لعدى فإن الأشياء لن تكون على خير، وعدى لن ينسى رفضك مقابلته لشقيقتيه عند مجيئه إلى عمان، أما فى الطائرة فقد جرى عتاب بين عدى وأختيه وسألهما كيف رفضتا الحديث معه على الهاتف عندما حضر إلى عمان وهاتفهما بحضور الملك حسين..؟ أنكرتا معرفتهما بهذا الأمر ووضحتا أنهما كانتا أشبه بالمعتقلتين وممنوع عليهما استخدام الهاتف أو استقبال الزوار، وحتى الأميرات من الأسرة الملكية كان يسمح لهن بالزيارة وبمقابلتهن بحضور الأزواج وحاولتا بوسائل شتى أن يوصلا هذه المعلومات إلى السلطات الأردنية وربما قد تمكنتا من ذلك فى وقت متأخر وتحدثتا عن الخدعة التى تعرضتا لها من قبل حسين كامل وكيف غرر بهما عندما غادروا العراق بحجة الذهاب للسياحة أو الإقامة المؤقتة فى عمان لحين تسوية الأمور بشكل هادئ مع عدى عبر توسط الملك حسين، وأنهما لم تعرفا بقصة المؤتمر الصحفى إلا فى وقت متأخر، وتدخل الأولاد يؤيدون كلام أمهما. قالوا إنهم منعوا من الذهاب إلى المدرسة واللعب مع أحد.. وإن أقصى ما أتيح لهم اللعب معهما هما كلبان صغيران طلبهما الأب من ألمانيا.. وإن الأولاد كانوا أشبه بالمحتجزين..!! واشتاط عدى غضبا وتوعد، وحاولت زوجة صدام أن تقول إن زوجها لا علاقة له بكل هذه القضية وأنه أيضاً أرغم على كل ما جرى لكن عدى لم يقتنع بهذا الكلام وقال كان بإمكانه أن يتصل أو يتمرد أو يرفض المؤتمر الصحفى أو يحرركما من قيود الإقامة الجبرية وقالت زوجته إنها كانت تخرج معه وإنها ليست مقيدة بالمفهوم المطلق

كما هو حال أم على - تقصد زوجة حسين كامل -، لكن لم يكن بمقدورها أن تعود إلى العراق أو تتصل بأهلها.كان الطريق إلى بغداد طويلاً، هبطت الطائرة على سطح أحد القصور ومن هناك انتقلوا بالسيارات إلى حيث كان الرئيس صدام حسين ينتظر فى أحد المواقع السرية..أما حسين كامل وأشقاؤه وشقيقته أم عمر زوجة عز الدين وأطفالها الخمسة فقد ذهبوا إلى منزل يملكه الأب فى منطقة - السيدية - أحد أحياء مدينة بغداد الواسعة وهناك كان بانتظارهم والدهم ووالدتهم، أما شقيقهم الآخر جمال فقد رفض الحضور للسلام عليهم وكان الأب قد ملأ البيت بالأسلحة وكان يعرف أن أشقاءه الآخرين وأبناء عمومته ينوون قتل العائدين، وحاول بكل الطرق أن يثنيهم عن ذلك ولم يتمكن، وذهب لمقابلة الرئيس صدام حسين، الا أنه اعتذر عن مقابلته، وقام وفد من العشيرة يضم على حسن المجيد عضو القيادة العراقية وعم حسين كامل وجمال مصطفى زوج حلا البنت الصغرى للرئيس صدام حسين، وثائر عبد القادر ابن عمة حسين كامل وزوج كريمة الرئيس الراحل أحمد حسن البكر، وعشرة أخرين يمثل كل منهم العوائل فى الأسرة الحاكمة وقابلوا مجتمعين الرئيس صدام حسين وقال على الذى يسميه العراقيون - على كيماوى - لمسئوليته المباشرة عن المجزرة التى تعرض لها الأكراد فى مدينة حلبجة عندما قصفت بالسلاح الكيميائى وقتل فيها الآلاف من الأبرياء وأحرقت الأرض يوم كان هو مسئولاً عن كل ما يتعلق بملف كردستان العراق، قال على للرئيس الذى هو ابن عمه فى ذات الوقت، إنك عفوت يا سيادة الرئيس عن الجزء المتعلق بحق الدولة وعفوت عن الجزء المتعلق بحقك الشخصى لكننا لا نعفو عن حق العشيرة، فهذا جزء فاسد فى العشيرة فما هو مصير الجزء الفاسد؟ قال الرئيس تعلمنا أن الجزء الفاسد يبتر قبل أن يستشرى. وحق العشيرة مسئوليتكم ولا أتدخل أنا فيما تريدون أن تفعلوا، لكننى أتمكن من منع أولادى من المشاركة المباشرة فى أى عمل تنوون القيام به، فأنا حين أعفيت، أعفيت عن حقى وحق أولادى.لقد فهم الزوار أنها مباركة وتأييد من الرئيس وعليهم أن يهيئوا أنفسهم للتنفيذ، وكانوا يدركون أيضاً أن حسين كامل ليس خصماً سهلاً وأنه سيقاتل وقال أحد الحضور للرئيس صدام حسين: سيادة الرئيس إنهما مازالا صهريك من الناحية القانونية والشرعية وليس بمقدورنا أن نقتلهما، فأمر الرئيس على الفور بأن يقوم حسين وصدام كامل بتطليق زوجتيهما لكى لا توصفا على أنهما أرملتا خائنين، واتفق الجميع على أن يطلب من قاضى بغداد الأول إجراءات مستعجلة لإجراء الطلاق بناءً على طلب خطى تقدمه كريمتا الرئيس صدام حسين. ووعد عدى الحضور أنه سيهيئ الطلبات..انصرف الجميع وعرفوا مهمتهم القادمة.كان هذا يوم ١٩٩٦/٢/٢٠م وكان حسين

كامل ومن معه قد وصلوا العراق يوم ١٩٩٦/٢/١٩م، ذهب عدى إلى شقيقته وطلب منهما التوقيع على طلبات القاضى الشرعى لكى يتم الطلاق وأحضر عدى هذه الأوراق بعد أن وقعت الشقيقتان عليها، دون أى اعتراض، ويقال إن زوجة صدام كامل حاولت الدفاع عن زوجها ورفضت ما يجرى وقالت افعلوا بحسين ما تريدون لكن صدام لا علاقة له بهذا، لكن الأوامر كانت حاسمة وعندما أفهموهما أن العشيرة ستقتلهما وأنهم لا دخل لهم فى هذا، رفضت أم أحمد زوجة صدام وانهارت لكنها لم تستطع أن تفعل شيئاً.؟! لقد تم استدعاء الأب من قبل أشقائه وطلبوا منه أن يذهب حسين كامل وشقيقه إلى المحكمة لتطليق زوجتيهما، رفض الأب، ولكنهم هددوه ومن ثم وعده أشقاؤه أن الطريقة الوحيدة التى يستطيع أن يحافظ بها على حياة ابنيه هى أن يقوما بتطليق زوجتيهما وهو وعد آخر قطعته العائلة وسينقض أيضاً.. وافق الأب وذهب إلى ولديه اللذين رضخا للأمر وصحبهما إلى حيث قاضى بغداد الأول عبد القادر إبراهيم الذى قام بالإجراءات القانونية والشرعية للطلاق.أما على الجانب الآخر، وبحسب أقوال شاهد عيان، فقد شعر بالفزع كل من التقى بحسين كامل أثناء إقامته فى الأردن وكنت أنا واحداً منهم وكان هذا الشعور يستند إلى عدة مخاوف أولها أن يستغل النظام عودة حسين كامل ويرتب معه مقابلة تلفزيونية يقوم خلالها بتلفيق قصص عنا نحن من عمل أو تعامل معه كأن يقول أننا طلبنا منه العمل مع هذه الجهة الأجنبية أو تلك أو أردنا إقناعه بتقسيم العراق أو علم بصلات لنا مزعومة مع أعدائنا بما يمكن النظام من إسقاطنا وطنياً فى نظر أهالينا ومؤيدينا داخل العراق، وثانى المخاوف هو أن بعضنا قد أسّر حسين كامل بعلاقاته مع من هم لازالوا فى داخل العراق، وجرى ذلك فى جلسات تبادل معلومات وتقييم لمن هم لازالوا فى خندق السلطة. فمثلما كنا نعرف من هم الذين اتصلوا بحسين كامل أو أرسلوا بعض من يثقون به إليه معلنين تأييدهم له، عرف حسين كامل بعض مناصرينا فى مؤسسة الحكم، وكان يقلقنا أن حالة الإحباط التى يشعر بها حسين كامل من المعارضة العراقية التى دفعته للعودة إلى العراق ستجعله يقدم هذه المعلومات للسلطات العراقية ويتسبب بمجزرة كبيرة وخلال العودة، وقبل معرفة ما جرى فى العراق، سأل الشاهد الذي تجرى القضية على لسانه مسئولاً سوريا مهما، ماذا تفعل لو كنت أنت الرئيس صدام حسين قال: وأعتقد أنه كان فى هذا الجواب ينهل من تراث بنى أمية : سأقول أن خروج حسين كامل كان عبارة عن مسرحية وأنه قام بدور وطنى لمعرفة مشاريع الأعداء ضد بلده وأيضاً فى محاولة لاختراق المعارضة العراقية وتوريط أمريكا بمعلومات مشوهة لا أساس لها من الصحة وكنا نريد أن نعرف أعداءنا من أصدقائنا، وخاصة حقيقة الموقف الأردنى الذى هو بوابة

العراق الوحيدة إلى العالم، وحين انتهت مهمته عاد إلى الوطن، وقدم كل هذا الكم من المعلومات وسيكون من اليوم مسئولاً عن أحد أجهزة الأمن المعنية بملف المعارضة العراقية والشئون العراقية لكن من أين للرئيس صدام حسين، بردود فعله الغاضبة، هذه الحكمة والصبر التى لو كان لديه منهما، لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه، حيث ربع الشعب مهجّر فى اتجاهات الأرض الأربعة تبتلع بعضهم حيتان البحار والوحوش الكاسرة فى البحار التى يقطعونها بطرق بدائية بحثاً عن مكان يأويهم بأمان وقد لا تتوفر الفرصة فى وقت آخر أن أشير إلى أن الصحفى رئيس تحرير جريدة البلاد الذى أقام الدعوى على حسين كامل بتحريض من المخابرات الأردنية قد اعتقل فى عمان من قبل جهاز آخر هو جهاز الأمن الوقائى وأحيل إلى القضاء وجرت محاكمته علناً بتهمة استلامه أموالاً من المخابرات العراقية والتخابر مع دولة أجنبية، وأثناء المحاكمات وعند الدفاع عن نفسه طلب شهادة أحد ضباط المخابرات الأردنية الذى كان مسئولاً عنه مدعياً أن صلاته مع المخابرات العراقية كانت بعلم المخابرات الأردنية وأنه وكيل معتمد لدى المخابرات الأردنية وقد حضر مندوب من المخابرات الأردنية وأعطى إفادة أيد فيها ادعاءات هذا الصحفى المخبر وأطلق سراحه، وهو ما يؤكد أن قصة الدعوى التى أقيمت ضد حسين كامل واعتبرتها السلطات الأردنية سبب المواجهة معه هى مفتعلة من قبل المخابرات الأردنية بهدف إبعاد حسين كامل الذى رفض تأييد مشروع الفيدرالية الذى تبناه الأردن كمشروع سياسى للعراق لما بعد الرئيس صدام حسين.كان والد حسين كامل ووالدته قد صدّقوا إلى حد ما أن أولادهم قد أصبحوا بمأمن، لكنهم علموا بطريقة ما أن جميع مداخل بغداد وبواباتها قد وضعت تحت سيطرة جهاز الأمن الخاص وفدائيى صدام، وبدأ تفتيش دقيق للسيارات الداخلة والخارجة، وكان لدى نقاط التفتيش أوامر صارمة بمنع حسين كامل وأشقائه من مغادرة بغداد، وهذا ما يؤكد أن السلطة كانت جزءاً مما سيحدث لاحقاً أى أنهم ما كانوا يريدون له أن يخرج من بغداد، كأن يذهب إلى معقل أهله فى قرية - العوجة - فى ضواحى تكريت ١٦٠كم- شمال بغداد - فى المساء طرقت بابهم سيدة مسنة كانت تسكن إلى جوار المنزل الذى يتواجدون فيه وقالت لوالدة حسين كامل التى تربطها بها علاقة جوار وصداقة تخبرها إن مفرزة من جهاز الأمن الخاص قد حضرت إليهم وأبلغتهم أن يخلوا المنزل خلال ثلاث ساعات وأن الدولة ستوفر لهم سكناً فى أحد الفنادق إذا لم يكن لهم أقارب من الممكن أن يناموا عندهم هذه الليلة، وإن هذا الموضوع يتعلق بأمنهم وحمايتهم وافترضت السيدة أن الدولة ربما بصدد مهاجمة منزل عائلة حسين كامل ونصحتهم بالمغادرة. ولقد تم إخلاء الحى الذى يوجد فيه حسين كامل وأشقاؤه وشقيقاته

ووالداه من السكان وانتشر في المنطقة أشخاص يرتدون ملابس سوداء وأقنعة لا تظهر من وجوههم غير العيون ومدججين بمختلف الأسلحة. كما ذكرنا فإن الوالد كان قد كدس أنواعاً مختلفة من الأسلحة وبعد أن عرفوا بما أبلغتهم به الجارة خرج الوالد للاجتماع مع أشقائه الذين هم أصغر منه سناً وأقربائه الآخرين الذين كان أغلبهم من أولاد شقيقاته، وسألهم عن الوعد الذى قطعوه من أنهم لن يصيبوا ولديه بسوء إن هما طلقّا زوجتيهما. قالوا له لم نتمكن فقد اتخذت العشيرة قراراً بقتل أولادك ولا يستطيع أحد إلغاء هذا الأمر غير السيد الرئيس صدام حسين ونحن نطلب منك أن تغادر المنزل أنت وزوجتك وبناتك وأطفالهن وعلى أولادك أن لا يحتموا بك أو بالأطفال، وإن أمر قتلهم قد اتخذ ولا رجعة فيه، أدرك الحاج كامل إن شقيقه علياً الذى بدأ حياته مساعداً فى الجيش - نائب ضابط - وأصبح عضواً فى القيادة القطرية ومجلس قيادة الثورة ويحمل رتبة فريق ركن وتبوء منصب وزير الدفاع، والمعروف بقسوته وميله للعنف الشديد، وحصل على كل هذه المواقع والامتيازات بسبب طاعته العمياء لابن عمه الرئيس صدام حسين وما عرف عنه من أنه كان يطلق الرصاص على رأس بعض المعتقلين عندما كان مديراً للأمن العام ويرديهم قتلى دون محاكمة.أدرك أن لا فائدة من الحوار مع هذا الأخ وعليه أن يسعى لمقابلة ابن عمه الرئيس صدام حسين، فذهب إلى القصر الجمهورى وحاول التحدث مع كل من يعرفه من أقاربه الذين كان أغلبهم يتهرب من الحديث معه فى تلك الليلة الحامية، لكنه لم يستطع الوصول إلى الرئيس صدام حسين، فتبين أن أغلب الذين أراد أن يوسطهم واسطة لتأمين مقابلته مع الرئيس وهم مرافقوه الشخصيون مثل ابن أخته اللواء روكان رزوقى أو ابن عمه شبيب كانوا مع القوات المتجمعة للهجوم على منزله. عاد إلى المنزل وأخبر أولاده بما جرى واتفق الجميع على المقاومة. نصبوا أسلحتهم فوق سطح المنزل. واتفقوا أن يكون لكل منهم دور فى حماية المنزل من الهجوم المرتقب، مر الليل طويلاً ولم يأت أحد. لم ينم أو يأكل أحد حتى الصباح الباكر حيث قالت أم حسين كامل إلى أبنائها، طالما عاملنى الرئيس بود واحترام وأنا من أسميت أولادى الكبير على اسم والده عندما مات والأصغر على اسمه يوم كان مطارداً من قبل السلطة ومشاكساً لا يستقبله أحد من أقربائه، فربما سيقابلنى وأطلب منه التدخل لحمايتكم، ومنع ما يخطط له أعمامكم وعندما خرجت من المنزل شاهدت الحى وقد ازدحم بمختلف أنواع السيارات والأشخاص الملثمين استقلت السيارة بصحبة أحد السائقين وعند أحد الحواجز قال لها شخص من الملثمين يا عمتى إذا لم تستطيعى خلال ساعة أن تجعلى الرئيس يأمر بإيقاف الهجوم فسيقتل كل من فى البيت شكرته دون أن تعرفه وقد خمنت أنه بالتأكيد أحد أقاربها.

ذهبت إلى القصر الجمهورى. ووعدت بالمقابلة وكانت تنتظر التشريفات على أمل أن تحضر سيارة تقلها إلى أحد المواقع التى يتواجد بها الرئيس صدام حسين حيث لا يعرف مكانه إلا أقرب المقربين إليه. وفى هذه الأثناء وفى العاشرة صباحاً وقف على حسن المجيد يتقدم أقاربه ونادى بمكبرات الصوت على شقيقه الحاج كامل أن يخرج من المنزل هو والنساء والأطفال وإلا سيقتل كل من فى المنزل رفض الحاج كامل المغادرة وقال لهم سأموت مع أولادى فأعطونى فرصة لبعض الوقت لأن أم حسين ذهبت لمقابلة الرئيس وربما تحصل على عفو.كان إلى جوار على واحد من أكثر المتحمسين لقتل حسين كامل، وهو ثائر عبد القادر المجيد، ويقول شاهد العيان الذي روى الواقعة: ثائر هذا كان قد قال لى عنه حسين كامل يوم كنا سوية فى عمان إنه قد أرسل رسالة إليه وأعلن عن استعداده وقدرته على اغتيال الرئيس صدام حسين إن طلب منه حسين كامل ذلك وفيما إذا رتب أوضاعه مع الدول الكبرى والإقليمية، ويبدو أن ثائراً كان خائفاً من أن تكون هذه المعلومة قد سربت أو ستسرب مما جعله يحاول أن يكون متحمساً وفى مقدمة المهاجمين للقضاء على حسين كامل. لقد بدأ المهاجمون بإطلاق النار على المنزل الذى يضم كامل حسن المجيد وأولاده حسين وصدام وعبد الحكيم وابنته أم عمر زوجة عز الدين، الذى رفض العودة، وأولادها الخمسة الذين كان أكبرهم فى الثانية عشرة من عمره ولم يكن أولاد حسين كامل وصدام كامل المنشورة صورهم هذه الصفحة وقد أصبحوا شباباً لم يكونوا فى المنزل وقت شن الهجوم.

لقد رد من فى البيت على مطلقى النار، وكان أول من قتل من المهاجمين هو ثائر ابن أخت الحاج كامل، وقتل شخص أخر هو أحمد رزوقى سليمان المجيد وهو أيضاً ابن شقيقة أخرى للحاج كامل أى أنهم يتقدمون الصفوف لقتل خالهم وأولاده، لقد قاتل من فى البيت قتالاً شرساً ويمكننى القول اليوم أن حسين كامل لم يكن يجيد مهنة أفضل من القتال. لقد استمرت المواجهات عدة ساعات ولم يستسلم من فى البيت أما الوالدة فكانت لا تزال تنتظر فى تشريفات القصر الجمهورى دون أن تعرف شيئاً عما حل بأولادها.بعد ست ساعات من المواجهات كان هناك ستون شخصاً بين قتيل وجريح من المهاجمين وتراجع على حسن المجيد ومن معه من المقدمة وتركوا الهجوم للملثمين من منتسبى فدائيى صدام الذين كان أغلب الضحايا من بينهم.لقد قال لى أحد المشاركين فى ذلك الهجوم أنه بانت على سطح المنزل راية بيضاء فهم المهاجمون أنها علامة استسلام الموجودين فى المنزل، وهو ما جعل على حسن المجيد يقول لأحد الرماة عندما يظهر رأس ما صوّب عليه أياً كان. وقبل أن يعرف إن كان

هو أحد الأطفال أو شقيقه أو ابنة شقيقه رجلاً كان أم امرأة. وفعلاً سرعان ما ظهر الرأس وإذا به صدام كامل ونفذ الرامى تعليمات على المجيد وأصابه فى فمه وأرداه قتيلاً فى الحال، بعد أن تناثر رأسه.

هذه الراية لم تزد المهاجمين إلا إصراراً على الاستمرار، وصدرت الأوامر باستعمال الأسلحة المتوسطة ومن أجل هدّ البيت وحرقه على من فيه، ويبدو أن أغلب الموجودين فى الداخل قد قتل، وخرج حسين كامل من المنزل جريحاً إلى حديقة الدار موافقاً على الاستسلام الذى لا يريدونه بقدر ما يريدون قتله وهو ما تحقق فعلاً، إذ أردى قتيلاً فى حديقة المنزل وذهب إليه عمه على المجيد وحرك رأسه بحذائه ورفس الجثة ليتأكد من مقتله وعندما شعر أن فى الجثة بقايا روح صوب مسدسه نحو رأسه ونثره أيضاً.وتوقف إطلاق النار ودخل المهاجمون إلى أطلال المنزل ليجدوا الحاج كامل وابنته وخمسة أطفال هم مجموع أطفال عز الدين محمد قد قتلوا إضافة إلى عبد الحكيم وصدام وحسين كامل فى الوقت الذى كانت الأم تنتظر فيه موافقة الرئيس على استرحامها والعفو عن أبنائها من خلال تدخله لإيقاف الهجوم الذى كانت بدايته قد لاحت حين مغادرتها المنزل، وبقيت هناك دون أن يتجرأ أحد على إبلاغها بما حدث، وعندما حل الليل وعادت أدراجها منعت من الوصول إلى البيت وأبلغت بأن تعليمات مشددة قد صدرت بعدم الوصول إلى الموقع حيث قتل كل من فيه والأوامر تمنع دفن الجثث وتركها على الرصيف .لقد تركت الجثث أربعة أيام حتى انتفخت وانبعثت منها رائحة كريهة بحيث اشتكى جيران المنزل الذين سمح لهم بالعودة فى اليوم الرابع لإعمار ما أصاب بيوتهم من ضرر من الرائحة الكريهة فصدرت الأوامر أن تنقل الجثث إلى إحدى المقابر لدفنها.

فى اليوم الثانى لهذه المجزرة تعرضت جدارية للرئيس صدام حسين فى مدخل قريته العوجة بعد رميها بالرصاص للتشويه، وفى نفس اليوم تعرض منزل عبد الحميد الخربيط فى أطراف مدينة الرمادى إلى هجوم مسلح قيل إن مرتكبيه قد حضروا بسيارات يفهم منها أنها مثل تلك التى يستعملها الحرس الخاص وفسر البعض ذلك بأن الذين قاموا بالهجوم هم موالون لحسين كامل أو أن شقيقه جمال مع آخرين قد قاموا بالهجوم على المنزل الذى لم يكن بداخله غير الحرس فى محاولة للانتقام لمقتل شقيقه معتبراً أن عودة حسين كامل جاءت بسبب وساطة عبد الحميد الخربيط وأنه هو الذى غرر بشقيقه ومن معه وأغراهم بالعودة إلى العراق.أما عز الدين والذى ترك الأردن لاحقاً بسبب مضايقات السلطات الأردنية فقد

انتقل للإقامة بين بريطانيا وأبو ظبى، بعد أن فقد زوجته وأولاده جميعاً فى تلك المجزرة الرهيبة.

أما أولاد حسين كامل وصدام كامل فقد انتقلوا للعيش مع أميهما برعاية جدتهم زوجة الرئيس صدام حسين السيدة ساجدة خير الله طلفاح، ولم يلقوا مصرعهم كما ذكرت وسائل الإعلام عندما نقلت أخبار المجزرة،أما والدة حسين كامل والتى بقيت فى رعاية ابنها الأصغر جمال، فقد وجدت مذبوحة قبل عدة أشهر فى منزلها ببغداد حيث كانت بمفردها. وقد قال البعض إنها ذبحت بسبب تعليقاتها المتكررة وتعرضها بالسب للرئيس صدام حسين وللذين قاموا بالمجزرة بحق أبنائها فى حين ادعت السلطات العراقية إن القتلة هم مجرمون محترفون ذبحوها بهدف السرقة وقد تم إلقاء القبض عليهم وأحيلوا إلى القضاء ونالوا جزاءهم العادل.والسؤال هو.. أى حكام هؤلاء..؟ وأى حظ عاثر أصاب العراق حتى يحكمه أفراد لازالوا يتصرفون بعقلية العصابات..؟ وكيف يمكن للمرء أن يثق بحكم مثل هذا أو قيادة بلد لا تحترم العهد ولا الميثاق ولا الكلمة؟ فإذا كانوا قد فعلوا كل هذا بأفراد أسرهم وبأشقائهم وبأبناء عمومتهم، فماذا كانوا يفعلون بخصومهم أو بمن يتجرأ على إعلان خصومته لهم؟..

حقًا.. إنها مجزرة!!

وبعد مرور عام على هذه المجزرة أصدر الرئيس صدام حسين مرسوماً جمهورياً اعتبر فيه الضحايا شهداء الغضب ربما حتى لا يسمى أحفاده أبناءً خونةً وما استمر الرئيسُ يطلق لقب الشهداء بمرسوم جمهورى.

حقاً إنها مسخرة!!

محاولة اغتيال عدى

لكل حاكم مهما كان عادلا ومهما كان مستبدا طاغية خصوم ومعارضون، والعلاقة بين الحاكم والمعارضة تحكمها ثقافة الشعب قبل أن يتحكم فيها طبيعة الحاكم الشخصية أو طبيعة المعارضين. ولأن صدام لم يعترف بوجود المعارضة، فهى كذلك لم تعترف به حاكما، ولذا فإن العلاقة بينهما كانت حربا، صحيح أنها غير متكافئة لكنها تبقى حربا، وفى الحروب لا يمكن أن يتعايش الطرفان، بل يكون تفكير كل طرف هو كيفية إزالة الطرف الآخر من الوجود.

وكانت المحافظات الجنوبية فى العراق مثالاً لذلك، فقد دفعت هذه المدن ثمناً غالياً لوقفتها فى وجه صدام، فدفعوا دماء أبنائهم وأرواحهم على طريق المعارضة أو المقاومة أو التحدى، (سمها كما تشاء) وتحولت الأهوار فى الجنوب إلى ملاذٍ للثوار والمعارضين، ومنطلق لعملياتهم ضد النظام ورموزه لا سـ يما بعد انتفاضة شعبـ ية جرت أحداثها فى مارس منْ عام ألف وتسعمائة وواحد وتسعين، الذى وافق شهر شعبان هجريا، ونظراً لطبيعتها الوعرة والقاسية، وتعذر وصول الحكومة بسهولة إلـ يها، فضلاً عن استعداد سكانها للتعاطف والمؤازرة مع المعارضة، كما كان الوضع فى كردستان عاملاً مشجعاً لهم، حيث سبقتهم المعارضة الكردية من اتخاذ جبال كردستان ساحة «لعملياتهم الجهادية».شكلت فى أهوار العراق ولا سيما أهوار ميسان وذى قار قواعد للمعارضة بعد الانتفاضة الشعبية عام ألف وتسعمائة وواحد وتسعين، وقامت بتنفـ يذ جملة من العمليات النوعـ ية داخل المدن القـريـبة وعلى أطرافها، وباتت تشكل تهديداً وخطراً وإزعاجاً لرموز السلطة، إلا أن المعارضين لم يقفوا عند هذا الحد بل أخذوا يفكرون بشكل جدى لتطوير عملهم نوعياً، والانتقال به إلى العاصمة بغداد، والقيام بعمليات تستهدف الخط الأول من عناصر النظام ورموزه، وذلك لسببين أولهما هو كسر حاجز الخوف والتردد عند المعارضين لهذا النظام، والثانى محاولة حقيقية لتفنيد نظرية الطوق والحاجز الأمنى الحديدى الذى كان النظام يحتمى ويتباهى به، فانتقلوا نتـ يجة ذلك إلى واقع التخطيط والتنفيذ، متجاوزين مرحلة التنظير والأحلام والرغبات.قامت حركة الخامس عشر من شعبان برئاسة (رزاق ياسر مطهر، الملقب سيد حمزة)، وهى أحدى مجاميع المعارضة التى تتخذ من أهوار ذى قار، وبالذات فى مناطق عشائر آل جويبر مقراً لها بعد انتفاضة مارس التى ذكرناها بدراسة إمكانية نقل العمل العسكرى إلى بغداد، وجرى اختـ يار العناصر المؤهلة، وإرسالها إلى بغداد لتأسيس قيادة ميدانية تعمل على إنضاج العمل العسكرى ضد النظام، وكان على رأس هذه المجموعة (سلمان شريف دفار، الملقب أبو أحمد البزاز)، وبعد مرور مدة على العمل الاستطلاعى الميدانى توافرت معلومات تفـ يد بالوجود شبه المنتظم فى منطقة المنصور لـ (عدى).

قامت قـ يادة الحركة بدراسة المعلومات الاستخبارية وتحليلها التى تم إرسالها من قبل القيادة الميدانية، بعدها تم التوصل إلى قرار البدء بالتخطيط ومن ثم الأنتقال لتنفيذ عملية الاغتيال. بعد جهد جهيد تم جمع المعلومات الاستخبارية الدقيـ قة عن تحرك (عدى) فى منطقة المنصور وجرى تحليل المعلومات ودراستها مع قيادة الحركة فى أهوار ذى قار وخصوصاً

عند عشائر آل جو يبر فى منطقة (الزورة)، وبعد توافر القناعة، والاطمئنان إلى صحة المعلومات، ومع وجود أدوات التنفـيذ، وبإمكانيات بسيطة وتمويل ذاتى من الحركة دون دعم خارجى تم اتخاذ قرار العملية، واختـيرت المجموعة التى ستقوم بتنفـيذ العملية.انتقلت المجموعة المكلفة بالتنفيذ إلى بغداد، لتستقر فى دار مؤجرة فى منطقة (الزعفرانية)، وأخذت بالتجهيز وشراء سيارة خاصة تستخدم فى العملية المرتقبة، بعدها جرى نقل السلاح وعلى شكل مراحل من ذى قار إلى بغداد من قبل (حـيدر رشـيد الخالدى، الملقب أبو زهراء) و(تحسين مجـيد عليوى)، بعد معاناة طويلة وقاسـية.استطلعت المجموعة بالكامل منطقة التنفـيذ ودرست مداخل المنطقة ومخارجها، ومنطقة القتل المثلى، ومن ثم شرعوا بمرحلة التنفـيذ الحقـيقى لأصطياد الهدف، إلا أن طارئاً قد حدث وهو إن الهدف لم يتردد على المنطقة فى الأسابيع الثلاثة الأولى، وعرف فيما بعد أن السبب وراء هذا الانقطاع هو اشتغال (عدى) بمتابعة المسابقات الدولية بكرة القدم.تأخر تنفيذ العملية أكثر من المدة المقررة المتفق عليها، مما دعا قـيادة الحركة أن تقلق وتتخوف على عناصرها من الكشف والوقوع بأيدى السلطة، فأوفدت (حيدر رشيد الخالدى) إلى بغداد ليبلغ المجموعة المنفذة بضرورة الانسحاب والعودة للأهوار، إلا أن قائد المجموعة (سلمان شريف دفار) طلب من الموفد عن القـيادة أن يمهلوهم أسبوعاً آخر، وكفرصة أخيرة، فتمت الموافقة على ذلك فى مساء يوم الخميس ١٢/ ١٢/ ١٩٩٦، وتحديداً فى الأسبوع الرابع من عملـية الرصد والانتظار لاصطياد الفريسة، جرى توزيع المجموعة فى منطقة المنصور وتحديداً بالقرب من محلات الرواد، وكانت على الشكل التالى، (مؤيد راضى وتحسين عبد مكتوب) يقومان بالرمى على الهدف عند وصوله بعد تسلم الإشارة من (سلمان شريف دفار) حين مشاهدته لوصول الهدف كما سيقوم إضافة إلى ذلك بعملـية الإسناد والتغطية، أما الرابع (عبدالحسين جليد عاشور) فسـيمكث فى السيارة استعداداً لنقل المجموعة بعد التنفيذ، وفى تمام الساعة السابعة ظهرت سيارة (عدى) البورش، وعلى بعد خمسة عشر متراً من المجموعة المنفذة كان (سلمان شريف دفار) يقف لـيعطى الإشارة، وبمجرد تلقى الأمر وثب المكلفان بالرمى وبطريق الصاعقة، فأمطروا الهدف بوابل من رصاصات رشاش كلاشنكوف روسى الصنع، وبعد أن تأكدوا من إصابتهم الهدف، انسحبوا على إثرها بسرعة فائقة لم ينتبه لهم أحد من المارة أو الموجودين فى المنطقة، واختفت المجموعة من ساحة الرواد، بعد أن جعلت الشارع والأجهزة الأمنية المنتشرة فى المنطقة بحالة من الصدمة والذهول، وهى ترى (عدى) مضرجاً بدمائه.انسحبت المجموعة بعد العملية مباشرة إلى القواعد فى الأهوار، ما خلا (سلمان شريف) الذى التحق بهم بعد أيام من تنفيذ

العملية، وبعد أن استطاع أن يموه على الأجهزة الأمنية التى انطلقت بتنفيذ عمليات مسعورة من الاعتقالات العشوائية فى العاصمة بغداد وخاصة فى المدن التى لا توالى النظام ذعرت الأجهزة الأمنية وصدمت، ومن قبلهم (صدام حسين) نفسه، الذين كانوا يعتقدون أنهم فى منأى عن أيدى المعارضة، وأن أجهزتهم الأمنية والجدار الحديدى الذى يضرب حولهم، والتى كانوا يتباهون بها لن تخترق، فتبادر إلى ذهنهم أن خيانة حدثت من داخل صفوفهم، فجرت حملة اعتقالات عشوائية طالت الكثير من ضباط الجيش وعناصر الأجهزة الحزبية والأمنية المشكوك بولائها للنظام، ولكن دون جدوى.ثم أعلنت (حركة الخامس عشر من شعبان) مسئوليتها عن تنفيذ العملية، وتناقلت وسائل الإعلام ذلك، فجن جنون النظام، فقام بتجهيز حملة عسكرية ضخمة بقوة فرقة، وبإسناد الأجهزة الأمنية، وبالجيش الشعبى، وكان على رأس هذه القوة (قصى صدام حسين) و(عزة الدورى) و(على حسن المجيد) وغيرهم من القيادات الحزبية والعسكرية، وتم تطويق الهور ومنطقة آل جويبر حيث قواعد المجاهدين، وكانت تحد المنطقة سدود ترابية أقامها النظام فيما سبق لأغراض أمنية، وادعى فى حينها أنه يقوم بمشاريع تطويرية واستصلاح للأراضى، فى حين كانت فى الواقع تشكل جزءاً من حملة لتجفيف الأهوار لغرض السيطرة عليها. قصفت منطقة (الزورة)، حيث القواعد الرئيسية لمعارضة بالطائرات والمدفعية، وجرت معركة غير متكافئة بين القوات الحكومية وبين المجاهدين والأهالى، وبعد سبعة أيام من القتال أدرك فيها المعارضون بخطر الاستمرار فى القتال المباشر مع العسكر، فتم وضع خطة سريعة، تتلخص بفتح ثغرة فى الجدار الذى ضرب حولهم والانتقال إلى الجانب الآخر للتخلص من هذا الطوق، وبعملية شبه خيالية استطاعت المعارضة الانتقال إلى الجانب الآخر، بعدها قام الجيش باقتحام المكان دون أن يقتل أو يجرح أى شخص، فضلاً عن عدم حصولهم على أى شىء يذكر من وثائق أو معدات وموجودات المعارضين، صعق القائمون على العملية العسكرية من هذا الموقف وكأنهم كانوا يقاتلون أشباحاً، فقاموا، كرد فعل، بإعدام مجموعة من الضباط فى المكان نفسه، وفوق السدود الترابية بتهمة التعاون مع المعارضين، وتسهيل مهمة هروبهم، وجرى بعد ذلك هدم الدور والقناطر الصغيرة وتجريف المبانى البسيطة فى المنطقة، وتمت عمليات اعتقال طالت النساء والأطفال والشيوخ، وجرى إبعاد الكثير من العوائل إلى محافظة السماوة، وبذلك رجع النظام مصاباً بخيبة الأمل. قررت قيادة الحركة إلزام المجموعة المنفذة بالسفر إلى خارج العراق حفظاً على سلامتهم، عقب ذلك قام النظام باعتقال جميع عوائل المجموعة المنفذة للعملية، ومن ثم إعدامهم، وهدم دورهم وتجريفها، وبعد مدة استطاع النظام وعن طريق الصدفة من اعتقال

أحد المشاركين فى عملية الاغتيال فى بغداد وهو (عبد الحسين جليد عاشور)، ليكشف عن تفاصيل العملية والجهة المنفذة ومن هم الأشخاص الذين نفذوا الضربة.

وقبل أن نغادر قصة محاولة اغتيال عدى فلابد من الإشارة إلى أن تلك المحاولة لم تكن، كما هو واضح من أحداثها، شعبية تهدف إلى القصاص من مغتصب الفتيات السكير العربيد، بل كانت عملا عسكريا مرتبطا بقتال نفذته فرق شيعية مناوئة للنظام تستخدم السلاح وسيلة للمعارضة.

وهنا لابد أن أذكر قصة جرت بالمصادفة فى العراق، فقد روت مسئولة أمريكية أنها كانت تستقل سيارتها التى يحميها مرتزقة بلاك ووتر، وصدمت تلك السيارة سيارة أخرى لرجل عراقى وزوجته وأولاده دون أن تهتم حتى بمحاولة الاعتذار، وقالت إنها سألت المسئولين عن حمايتها فقالوا لها: من يدرى، ربما كانوا إرهابيين، فردت: ربما، وربما لا، لكن المؤكد أنهم منذ الآن كذلك.

موضع الشاهد هنا أن صدام ربما كان طاغية، وربما لا، لكنه عندما تكون المعارضة هكذا فلابد أن يصبح الرئيس ديكتاتورا، والعكس طبعا صحيح.

عدى والجزيرة

بثت قناة الحرة أمريكية الهوى شريطا يجمع بين عدى صدام حسين ومسئول بقناة الجزيرة فى إشارة إلى وجود علاقة بين النظام العراقى الذى صار بائدا وبين القناة التى لم يتم إبادتها بعد.

ردت قناة الجزيرة الفضائية القطرية على الشريط الذى بثته قناة الحرة الأمريكية وظهر فيه مديرها العام السابق محمد جاسم العلى مع نجل الرئيس العراقى المخلوع عدى صدام، يتحدثان عن العلاقات بين المحطة والعراق، وقالت إن اللقاء كان لقاء مجاملة.

وكانت قناة الحرة الأمريكية الناطقة باللغة العربية، قد بثت لقطات مأخوذة من شريط فيديو صور خلال استقبال عدى لجاسم العلى فى سنة ٢٠٠٠.

ويظهر محمد جاسم العلى فى هذه اللقطات وهو يقول لعدى صدام حسين فى مواجهة مع الجيش الأميركى فى الموصل فى شمال العراق، إن كثيرا من الفضل فى نجاحنا يعود إليك. ثم يضيف وأيضا للإخوان الذين ينفذون تعليماتك.

وجاء بث تلك اللقطات ضمن برنامج «أشياء من عدى» الذى يظهر لقاءاته المسجلة مع عدد من الإعلاميين وأشخاص آخرين.

وأعرب عدى خلال ذلك اللقاء عن ارتياحه البالغ تجاه قناة الجزيرة، مشيراً إلى قبول القناة لأفكار طرحها على المدير السابق للمحطة.

ونشرت صحيفة الشرق الأوسط مقتطفات من اللقاء، ويظهر فى الشريط جاسم العلى وهو يدخل إلى مكتب عدى لابسا بدلة رسمية وهو يسلم على عدى مرددا: يا هلا ومرحبا، كيف صحتك؟ ويرد عليه عدى متسائلا: أنت اليوم بلا عقال يعنى اليوم أنت مدنى.

ويظهر البرنامج صورة سبق أن نشرت فى مواقع عربية لمقدم برنامج الاتجاه المعاكس فيصل القاسم مع إياد محيى الدين الذى تصفه قناة الحرة فى برنامجها بأنه مسئول محطة المخابرات العراقية فى الدوحة. ويُذَكر البرنامج المشاهدين بأنه جرى تغيير مدير قناة الجزيرة فيما بعد.

ويبدو أن اللقاء لم يكن الأول من نوعه وفقا لسياق الحوار، فقد سبقته لقاءات كانت نتائجها إيجابية حسب وصف عدى، إذ أن نصائح وتوجيهات أسفرت عن ظهور وجوه جديدة فى قناة الجزيرة من بينها مقدم برنامج بلا حدود المذيع المعروف أحمد منصور الذى يصفه عدى بالولد منصور ويعجز عن تذكر اسمه الكامل.

وبعد ذلك علق عدى على إحدى حلقات برنامج الاتجاه المعاكس وأشار إلى أن محمد جاسم العلى قال إن قناة الجزيرة «هى قناتكم» وبالتالى فإن من حق عدى إبداء ملاحظاته.

ويقول عدى: أنا أتكلم معكم بحكم العلاقة التى تمتد إلى ثلاث سنوات، ولكنك تعرف البشر من شكله ومشيته وهذا الكلام فى الحقيقة غير موجه لك بقدر ما هو موجه لأصحاب القرار الآخرين فى مجلس الإدارة.

تجدر الإشارة إلى أن لقاء محمد جاسم العلى بعدى صدام حسين تلاه لقاء آخر فى أكتوبر٢٠٠٢، مع الرئيس العراقى صدام حسين واصطحب العلى معه فى اللقاء مقدم برنامج الاتجاه المعاكس فيصل القاسم، وقد سجلت كاميرات الجزيرة وقائع اللقاء، إلى جانب كاميرات التلفزيون العراقى، لكن الجزيرة امتنعت عن بثه بحجة حدوث خلل فنى أثناء تسجيل اللقاء.

وقال الناطق باسم الجزيرة جهاد بلوط فى تصريحات نقلتها وكالة الصحافة الفرنسية إن اللقطات جاءت مجتزأة من سياقها العام. وأضاف: من الواضح تماما أن الحوار الذى دار بين

المدير العام السابق للجزيرة وبين عدى صدام حسين كان عبارة عن مجاملات تحدث بين أى شخصيتين عربيتين، لا سيما إذا كان أحدهما فى موقع السلطة.

وعقبت «الجزيرة» على بث تلك اللقطات ببيان صحفى من محامى القناة القطرية فى لندن قالت فيه إنها مستمرة فى الوفاء بمتطلبات الكلمة الصادقة وإنها لن تنجر وراء المحاولات الرامية إلى شغلها عن رسالتها المهنية والى إشاعة أجواء من التشكيك والاتهام تعتبرها القناة لا أساس لها من الصحة جملة وتفصيلا.

وأضاف البيان إن قناة الجزيرة تعرضت خلال مسيرتها المهنية لمضايقات متكررة من أنظمة شمولية فى المنطقة ومن جهات خارجية لم يرق لها تمسك الجزيرة بمنهج الرأى والرأى الآخر.

وفى تعليقه على ما بثته الحرة، قال بلوط إن الملم بشئون العراق وقت حدوث المقابلة يعرف أن أى إعلامى عربى أو أجنبى يريد العمل من العراق كان يتوجب عليه الالتقاء بعدى الذى كان يمسك بملف الإعلام.

وأضاف بالتالى فإن لقاء مسئول الجزيرة السابق بعدى لا يتعدى المجاملة.

وقد أعفى العلى من منصبه بعد سقوط النظام العراقى فى أبريل (نيسان) ٢٠٠٣ وسط اتهامات بأنه كان يتعاون مع أجهزة صدام حسين.

وقال بلوط إن البيان الذى أصدرته القناة يأتى على خلفية الحملة الشرسة التى تتعرض لها الجزيرة منذ فترة والتى اشتدت فى الآونة الأخيرة بشكل غير مسبوق فى بعض وسائل الإعلام العربية وغير العربية الناطقة باللغة العربية.

وغالبا ما ينتقد المسئولون الأميركيون قناة الجزيرة التى يرون فيها تحريضا على العداء لأميركا. كما أنها تثير انتقادات كثيرة لدى بعض الأنظمة العربية. وقد تم إقفال مكتبها فى بغداد منذ أغسطس ٢٠٠٤ بعد أن اتهمتها الحكومة العراقية بالتحريض على العنف.

من جهته طالب النائب خالد العدوة بقيام تلفزيون الكويت والقناة الفضائية ببث برنامج أشياء من عدى الذى بثته قناة الحرة مؤخرا وتسليط الضوء عليه بما يكفل انتشاره وإحاطة شعوب المنطقة به.

وأشار العدوة فى اقتراح برغبة تقدم به فى هذا الشأن إلى ما عرضه البرنامج من وقائع تفضح الكثير من المرتشين والمطبلين للنظام العراقى وكيف وثقت عمليات رشوتهم من خلال

تبديد النظام السابق لثروات العراق من خلال شراء الضمائر الخربة لدى الصحافيين والإعلاميين العرب.

ونوه العدوة هنا إلى أن البرنامج بين بالوثائق الدامغة كيف كانت هذه المجموعة من الإعلاميين والصحافيين يحصلون على دعم سخى بعشرات الملايين لكل واحد منهم نظير مساندتهم له.

ومن تلك الوقائع تطرق العدوة إلى حصول صحفية مغمورة تدعى حميدة نعنع على كوبونات من ملايين البراميل تصل قيمتها إلى ٤٢ مليون يورو. علاوة على اعترافات مدير عام محطة الجزيرة جاسم العلى بتلقى الدعم المباشر من المالك عدى صدام حسين.

الذى ظهر يعطى تعليماته المباشرة والمحددة فى مسار قناة الجزيرة والأسماء التى يجب أن تظهر مثل المذيع احمد منصور وفيصل القاسم الذى ظهرت صوره مع مدير المخابرات العراقى للنظام الذى أصبح بائدا.

تبقى الإشارة إلى أن هذا يحمل فى طياته عدة ملاحظات نخرج بها من قصة عدى مع الجزيرة يمكن إجمالها كالتالى:

- عدى صدام كان مسئولا مسئولية تامة عن الجانب الإعلامى لنظام والده صدام حسين سواء كان اللقاء مجاملة أو غيره.
- قناة الجزيرة كان لها دور سياسى، وما يزال هذا الدور يشكل علامة استفهام حول طبيعة تلك القناة، بغض النظر عن الخدمة الإعلامية المميزة التى تقدمها.
- لماذا لم تقم قناة الجزيرة ببث برامجها ونداءاتها وتحذيراتها من النظام العراقى المستبد الذى كان يجبر مسئولى القناة على لقاء ابن الرئيس مجاملة كلما أرادت عملا، كما تصرخ فى البلدان الأخرى ومنها مصر، ولماذا لا تقدم تلك التنازلات نفسها فى بلدان أخرى لكى تمشى حالها إذا كانت تلك سياستها؟
- النقطة الأهم، وهى لجوء عدى صدام حسين إلى، وضلوعه فى، مجاملة وسائل إعلام عربية للتأثير على ما ينقل عن العراق.

روح عدى الرياضية

كما قلنا فإن هناك أساطير تروى عن عدى الابن الأكبر لصدام حسين، ومن أطرف تلك الأساطير هو أنه كان يقوم بتعذيب لاعبى المنتخب العراقى إذا فشلوا فى الفوز فى مباريات

كرة القدم، ونحن نؤمن بأن هذا مجرد تخاريف، لكنها تخاريف تشبه الدخان لا ينتشر من دون نار، فلنتعرف على تلك النيران من خلال شهادة أحمد ماضى لاعب المنتخب العراقى فى عهد صدام، وفى عز تحكمات ابنه عدى، وهذه الشهادة كانت من خلال حوار دار بين اللاعب وجريدة الشرق الأوسط، فلنقرأ الحوار أولا ثم نحاول أن نستشف منه حقيقة تلك الظاهرة، نشرت الجريدة ما يلى:

خرج أحمد راضى نجم الكرة العراقية وهدّاف العرب سابقا وعضو اتحاد الكرة عن صمته وكشف عن أسرار تعرض لها نجوم الكرة العراقية، إثر كل خسارة كانت تلحق بالمنتخب الوطنى. وأجاب بكل شفافية وصراحة عن تساؤلات «الشرق الأوسط» حول ما أثير عن تعرض اللاعبين العراقيين للتعذيب والسجن والعقاب بأشكال مختلفة من قبل رئيس اللجنة الأولمبية العراقية واتحاد الكرة العراقى عدى صدام حسين النجل الأكبر للرئيس العراقى السابق.وإذا كان أحمد راضى الذى اقتسم مع زميله حسين سعيد لقب لاعب القرن فى العراق اعترف بالعقوبات غير التقليدية التى تلقاها وبعض الرياضيين العراقيين من قبل عدى صدام حسين، فإنه اعترف بالوقت ذاته بكونه كان محظوظا بمكافأة كبيرة عينية ومالية من قبل الرئيس العراقى صدام حسين ونجله عدى خاصة فى عقد الثمانينات، مشيرا إلى أنه التقى صدام حسين مرتين الأولى عام ٧٩ بعد فترة وجيزة على تسلم صدام مقاليد السلطة، وذلك بعد عودة منتخب العراق للأشبال بكأس بطولة فى السويد والثانية فى عام ٨٢ بعد العودة من نيودلهى بالميدالية الذهبية لمسابقة الكرة فى دورة الألعاب الآسيوية.ونوه راضى بأن صدام كافأه بـ٦ سيارات وشقة عبر مراحل مختلفة من تاريخه الرياضى فى عقد الثمانينات، كما أشار إلى أنه التقى عدى صدام حسين مرات كثيرة، حيث كان عدى حريصا على حضور تدريبات المنتخب العراقى ونادى الرشيد الذى كان يرأسه عدى قبل إلغائه مطلع التسعينات.وعلق راضى على إعلان الشيخ أحمد الفهد رئيس المجلس الأولمبى الآسيوى تشكيل عدد من الرياضيين العراقيين لجنة عراقية مؤقتة لإدارة شئون الحركة الرياضية فى العراق فى الفترة المقبلة بقوله: «هذا تدخل فى شئون الرياضة العراقية، ومن يريد أن يرشح نفسه ويخوض صراع الانتخابات الرياضية، فالأولى أن يحقق من داخل العراق وليس بعيدا عنه وما سمعناه عبر وكالات الأنباء من أن الشيخ أحمد الفهد الذى يشغل أيضا منصب وزير الإعلام الكويتى ووزير النفط بالوكالة حول اتصالات واسعة ومكثفة استطاع المجلس الأولمبى الآسيوى حث الرياضيين العراقيين فى المنفى من لاعبين وقياديين على التجمع

وعقد اجتماعهم الأول بمشاركة أكثر من ٢٠٠ رياضى يمثلون كافة الاتجاهات لإطلاق (المجموعة العراقية الأولمبية الحرة) ما سمعناه لا يمثل فى نظرنا اكثر من هواء فى الشباك ولا يعدو كونه مسألة من أجل الحضور من قبل الذين تداعو لحضور هذا الاجتماع،وكان الشيخ أحمد الفهد قد أعلن أن المجتمعين اتفقوا بعد إجراء انتخابات حرة اختيار اللاعب العراقى السابق شرار حيدر رئيساً للجنة واللاعب السابق حارس محمد نائبا له وغازى ناجى أمينا للسر وجعفر المظفر مديرا للعلاقات الدولية.

- تحدث الإعلام عن تعرض لاعبى المنتخب العراقى للتعذيب والاعتقال بسبب خسارة مباراة أو تدنى مستوى الأداء فيها. فهل هذا صحيح؟

هذا أصبح شيئا من الماضى، وإذا كنت سأتحدث عن ذلك، فإنما أتحدث وانظر إلى المستقبل المشرق الذى ينتظر الرياضة العراقية فى المرحلة المقبلة. خاصة أن المرحلة الماضية انتهت بمشاكلها وصعوبة العمل فيها. ولعل أهم ما اتسمت به المرحلة الماضية هو وقوعنا نحن اللاعبين والرياضيين تحت تأثير الضغط النفسى والرعب والخوف من العقوبة التى تنتظرنا عقب نهاية المباراة. ولا أبالغ إذا قلت إن مكالمة هاتفية كانت تأتى من بغداد بين شوطى المباراة التى يكون المنتخب العراقى طرفا فيها فى أى ملعب وفى أى مكان فى العالم كانت تكفى لاستبعاد اللاعب الفلانى من اللعب فى الشوط الثانى. وهذا كان سببا فى وقوع اللاعبين فى دائرة الرعب من العقوبة التى تنتظرهم فى بغداد عند العودة وغالبا ما كانت العواقب وخيمة وتأثيراتها النفسية سلبية للغاية على اللاعبين سواءً داخل الملعب أو خارجه.

- لكن هذا قد يشكل حافزا لأداء أفضل، خاصة أن المنتخب العراقى يوصف بكتيبة المقاتلين فى الميدان؟

- صحيح أن اللاعب العراقى يوصف بالمقاتل داخل الملعب وهذه هى صفة عامة للاعبين العراقيين جميعهم، ولم تكن نتيجة للخوف من العقاب إطلاقا، بل هى تخضع للمعايير الفنية والبدنية التى يوصف بها اللاعب العراقى. ولو كانت العقوبات التى يخشاها اللاعبون سببا فى وصفهم بالمقاتلين لكان الأحسن والأفضل أن تتم قيادة الفرق والمنتخبات العراقية من قبل الضباط العسكريين. لكن العكس هو الصحيح بمعنى أنه كان من المفترض أن يتم التعامل مع اللاعبين تعاملا إنسانيا وفنيا بحتاً وبهذا يمكن أن نفجر طاقات اللاعبين كلها الفنية والبدنية. خاصة أن اللاعب هو إنسان بحاجة إلى رعاية ومعاملة إنسانية وبأقل الضغوط النفسية وعندها سيكون من الصعب أن تسجل فى مرمى المنتخب العراقى ٤ أهداف، لكن الذى

ساد خلال المرحلة الماضية وما رافقها من خوف ورعب من العقوبة عند العودة إلى بغداد، كان سببا كافيا لوصف الفريق العراقى بالهزيل والضعيف واستقبال مرماه لأربعة أهداف.

- هل تعرضت شخصيا لعقوبة غير تقليدية؟

- نعم تعرضت وكنت الشخصية الرياضية الثانية التى تتعرض للعقوبة بعد اللاعب «حبيب جعفر» الذى عانى أكثر من غيره من الرياضيين.

- كيف كانت العقوبة؟

- تعرضت لأنواع من العقوبات فمرة «حلق شعر رأسى» وأخرى سجنت تأديبيا، والسجن أنواع هناك، قد يكون داخل معسكر للجيش وقد يكون داخل السجن المعروف «وأنت ونصيبك» كما تعرضت لعقوبة «الإنزال فى الماء الوسخ».

- هل هذا بسبب خسارة مباراة فقط؟

- نعم.. ومنها أذكر أنه فى تصفيات كأس آسيا ٩٦ التى لعبناها فى الأردن التى ضمت فرق الأردن وباكستان والعراق، وبعد نهاية الشوط الثانى من المباراة التى جمعتنا مع المنتخب الأردنى الشقيق صفر - صفر، اتصل عدى صدام حسين بمدرب المنتخب العراقى عمو بابا بين الشوطين وقال له قعّد أحمد أى لا تلاعبه فى الشوط الثانى من المباراة. فاستبعدنى بابا من الشوط الثانى وبعد العودة إلى بغداد عوقبت، بسبب هبوط مستواى، بالسجن لمدة ٧ أيام مع الضبط، الذى يشمل الضرب والعقاب الجسدى، لكن القائمين على السجن ساعدونى ولم أتعرض للضرب إلا فى اليوم الأخير.

- هل هذه هى العقوبة الوحيدة؟

- لا.. لم تكن الوحيدة، حيث سجنت ٣ مرات و«زين شعرى» مرتين وطردت من اتحاد الكرة.

- لكننا نسمع أنك والعديد من اللاعبين قد تمت مكافأتكم وأن صدام حسين شخصيا كان وراء مكافآتكم؟

- نعم لقد كانت هناك مكافآت وأنا شخصيا كافأنى صدام حسين حيث حصلت على ٦ سيارات وشقة.

- هل قابلت الرئيس صدام حسين؟

ـ قابلته مرتين الأولى فى عام ١٩٧٩ عندما كنت لاعبا فى منتخب الناشئين الذى فاز ببطولة السويد. وكافأنا الرئيس برحلة إلى إسبانيا لزيارة المعالم الإسلامية هناك. والمرة الثانية عام ١٩٨٢ بعد فوزنا بذهبية الألعاب الآسيوية فى الهند. وأهدانا الرئيس صدام حسين شقة لكل لاعب.

ـ كيف كان لقاؤكم بصدام حسين؟

ـ صافحنا واحدا واحدا وجلس معنا، وتحدث قليلا مع عمو بابا واستغرق لقاؤه ١٠ دقائق التقطنا معه صورا تذكارية ثم غادرنا وكان هذا فى القصر الجمهورى ببغداد.

ـ تحدثت أن عقد الثمانينات شهد مكافآت اللاعبين، هل كان هذا بسبب عدم وجود عدى صدام حسين على رأس القيادة الرياضية فى العراق؟

ـ ليس هذا هو السبب خاصة أن عدى كان موجودا فى تلك الفترة ولكنه كان يهدف إلى تجميل صورته أمام الحركة الرياضية العراقية، ولكنه فى التسعينيات أهمل الرياضة وانشغل بالعقود التجارية لدرجة أن والده عرف بذلك فأمر بتشكيل هيئة لدعم الرياضة والشباب للتمويل المالى، فالتف عليها عدى وبدأ يبيع التجهيزات والأدوات الرياضية للأندية واللاعبين.

ـ هذا يعنى أن تجربتك مع عدى مؤلمة؟

ـ نعم وهذا سببه العقوبات التى تعرضت لها بأمر شخصى منه.

ـ هل كنت تقابل عدى صدام حسين؟

ـ قابلته كثيرا، خاصة أنه كان غالبا ما يحضر تدريبات فريق نادى الرشيد والمنتخب العراقى.

ـ هل كرمّك عدى؟

ـ نعم كرمنى عدى وكنت أشعر أننى قريب منه فى فترة من الفترات لكنه تغير كثيرا فى التسعينيات.

ـ هل تم تكريمك فى التسعينات؟

ـ لا لم أكرم فى تلك الفترة بل تعرضت لعقوبات علما أنه تم تكريم بعض اللاعبين بمبالغ بسيطة جدا. وأستطيع القول أن عقوبات عدى هى من الفظائع التى يشهد عليها الرياضيون العراقيون. وما قلته هو الشىء القليل والمبسّط عن عقوبات عدى.

- هل تعتقد أن الأمريكيين جادون فى إعادة بناء الرياضة العراقية؟

- التقينا بالأميركيين بمبادرة منا وكان اللقاء فى القصر الجمهورى بعد أن تمّ حلّ اللجنة الأولمبية العراقية وكان اللقاء يدور حول إعادة البناء للرياضة العراقية من حيث تشكيل اللجان الفنية والإدارية.

- كيف ترى المرحلة المقبلة وهل ستشهد دخول رأس المال فى مجال الاستثمار بالرياضة العراقية؟

- لقد تعطل الاستثمار فى الرياضة العراقية خلال الحقبة الماضية وذلك لأسباب عديدة تأتى فى مقدمتها المصالح الشخصية للمسئولين عن الرياضة العراقية وطلبهم الرشاوى من هذه الشركات. وأضاف: لكن المرحلة الجديدة المقبلة ستشهد تشجيع الاستثمار فى الرياضية العراقية خاصة أن الإعلام هو من أهم عناصر النجاح فى التسويق الرياضى وهذا لم يكن متاحا فى المرحلة الماضية ولذلك فإننا سنعمل على خلق إعلام فضائى مفتوح، الأمر الذى من شأنه أن يشجع الرياضة وبالتالى يحقق النجاح للاستثمار فى الرياضة العراقية.

- ما رأيك فى ما كانت تقوم به اللجنة الأولمبية العراقية السابقة باستقطاع نسبة من قيمة عقد الاحتراف للاعب العراقى، قد عطل كثيرا فكرة الاحتراف؟

- إذا ما أضيف هذا إلى التعقيدات الإجرائية فى انتقال اللاعب وسفره خارج العراق بهدف الاحتراف فإننا نلمس كيف كانت اللجنة الأولمبية تعرقل احتراف اللاعب العراقى خارجيا. خاصة أن مراحل معقدة كان على اللاعب أن يمر بها قبل حصوله على إذن السفر خارج العراق بدءا من موافقة الأجهزة الأمنية واللجنة الأولمبية ومجلس الوزراء ومديرية التجنيد. وتابع راضى قائلا: رغم كل الظروف السابقة التى عاشتها الكرة العراقية، إلا أنها كانت لها فرصة جيدة للوصول إلى كأس العالم وما نراه فى المستقبل القريب هو أننا لدينا إمكانية للظهور مرة أخرى فى نهائيات كأس العالم. وفى نهاية الحوار، لم يستطع راضى أن يخفى حزنه على ما آل إليه ملعب الشعب. وأشار إلى أن هذا الملعب فى بغداد هو الوحيد فى العراق المنشأ بمواصفات عالمية وقد تحول إلى ثكنة عسكرية أمريكية ممنوع الاقتراب منه.وقال: لم أستطع الوصول إلى ملعب الشعب منذ بداية الحرب وحتى اليوم خاصة أنه تحول إلى مقر عسكرى أمريكى والدبابات تتجمع على أرضيته الخضراء الأمر الذى تسبب فى خرابه.

ومن هذا الحوار نستشف ما يلى:

- كان عدى الابن الأكبر لصدام حسين متدخلا فى شئون الرياضة بما لا يجوز، على الأقل بالنسبة لسياسى عليه أن ينفق وقته فى مجاله.
- الحكايات التى تروى عن تعذيب عدى للاعبين بها مبالغات كثيرة، وإن لم نكن نقر بما كان يفعله فى الحقيقة إلا أن المبالغات لن تخدم المفهوم الذى نحاول إيصاله عن الروح الرياضية وما إلى ذلك، لأن المبالغة فى عرض أى قضية يفسدها، ويصرف النظر عنها، وعن الرسالة المراد إيصالها.
- كما كان عدى يعاقب اللاعبين فإنه كان يكافئهم مكافآت كبيرة، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من أن مفهوم السلطة لدى نظام حزب البعث هو الأب الذى يثيب ويعاقب.
- نلاحظ حنيناً واضحا لا شك فيه فى كلمات اللاعب الدولى إلى عراق صدام التى خربها الاحتلال ممثلا فى استاد الشعب.

الشبيــــه

لاهاى ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٣ فجر العراقى لطيف يحيى شبيه عدى صدام حسين حملة تشكيك لدى الاستخبارات الأوروبية والرأى العام، بإعلانه أن عدى لم يقتل على يد الأمريكيين، وأنه لا يثق فى الرواية الأمريكية، وأكد أنه فحص صورة مقتله بالعدسات المكبرة ولديه شكوك فى أن المقتول عدى.وقال لطيف إنه تلقى رسالة إلكترونية من عدى قبل أسبوعين، وإنه فوجئ بأن الرسالة كانت مشفرة بشفرة خاصة لا يعرفها سواه وعدى وذلك على الرغم من مضى مدة طويلة على انتهاء العلاقة بينهما، وكانت الرسالة تحمل جملا تقول لن أهدأ حتى أنتقم ممن ظلمونى وقام لطيف بتسليم الرسالة إلى الشرطة النمساوية وإلى عناصر من الاستخبارات الأوروبية التى تتعاون معه، وطلب منهم حمايته من احتمالات القتل على يد عدى أو أعوانه، وقال إن هذه الرسالة ستكون دليلا يرشد الشرطة إلى من سيعرض حياته للخطر حال تعرضه للقتل.ويعد لطيف نسخة مطابقة لعدى، وكان يقوم بنسبة ٦٠٪ من أدواره فى الحياة الاجتماعية السياسية بالعراق. وجاءت تصريحات شبيه عدى المقيم كلاجئ سياسى فى النمسا فى حوار أجرته معه مجلة فراى نيدرلاند الهولندية الأسبوعية. وأكد لطيف يحيى أنه عند تلقيه رسالة بالبريد الإلكترونى موقعة من عدى، شعر أن قلبه سيتوقف من الخوف ورجح أن الرسالة ليست إلا مزحة سخيفة من أحد أصدقائه.وقال

بالرغم من ذلك تضمنت الرسالة رمزاً سرياً وشفرة للتراسل بينى وبين عدى لا يعرفها إلا عدى وأنا وقام بتسليم الرسالة للشرطة، وأكد لطيف يحيى أنه يعالج الآن فى النمسا من أمراضه النفسية التى سببها له عدى وتقمصه لشخصيته، فقد فشل فى حياته الزوجية الثانية، والآن تزوج من ثالثة وهى إيرلندية.وأكد لطيف أن عدى كان يتاجر فى السيارات الثمينة بين أوروبا والعراق، وأنه سرق مئات السيارات من الكويت إبان عملية الغزو للاتجار بها، وكان يعتبرها غنيمة.وقال: كنت أقوم بدلا منه بإنهاء إجراءات بيع هذه السيارات، وأن عدى تكسب من عمليات البيع هذه ملايين من الدولارات، إلى أن انتشرت المعلومات حول تجارته هذه، مما أساء للنظام الحاكم ولوالده صدام، فقام صدام بتنبيهه لذلك حتى لا يسىء إلى سمعته.إلا أنه – عدى – كان يجد فى لطيف وسيلة للهرب من أفعاله، ويلصقها بلطيف مدعيا أن لطيف يرتكب هذه الأفعال باسمه وبدون علمه.وفى ٩ نوفمبر عام ١٩٩٠ أمرنى عدى بالاعتراف زورا عن جرائم لم ارتكبها، وأنه هو من ارتكب كل المخالفات التى قام بها، وتبييض وجه النظام وذلك عبر إجباره لى على قراءة بيان صاغه عدى بنفسه فى التلفزيون الحكومى.يقول مضمون البيان: أنا لطيف يحيى من مواليد ١٤ يونيو ١٩٦٤م، أنا شبيه عدى صدام حسين، وقد استخدمت وجه الشبه الكبير بينى وبين عدى لسرقة السيارات من الكويت وتصديرها إلى بغداد، وقمت ببيعها حبا فى الثراء، وإن عدى بعيد كل البعد عن هذه الجرائم، وإن عدى مواطن صالح.وبعد إلقاء لطيف البيان، ظهر قارئ النشرة بوجه صارم معلنا أنه سيتم إعدام لطيف بعد يومين، وذلك لتهدئة الرأى العام، وإنهاء الانتقادات الدولية، لكن لم يعدم لطيف.ويقول لقد تم إخفائى عن العيون عدة أشهر بعد هذا البيان، ولم أعد أعمل، ثم بعد ذلك انفصلت عن عدى، لكنهم أعادوا القبض علىّ، وسجنت فى سجن الرشيد، وتعرضت للعذاب الشديد عدة أسابيع بتهمة التحدث عن عدى، ثم ألقى بى فى الصحراء بالقرب من مسكن أسرتى، وكانت هذه نهاية شخصيتى الشبيهة بعدى فى الحياة العملية.وكشف لطيف بداية اختيار عدى له ليقوم بدوره فى الحياة، وقال حدث ذلك فى ٢٣ سبتمبر عام ١٩٨٧م عندما كان عمره ٢٢ سنة، وقال كان موجوداً فى الجبهة العراقية فى منطقة جنوب شرق، ليقضى خدمته العسكرية إبان الحرب العراقية الإيرانية، حينها فوجئ بأفراد من حرس عدى يأتون أليه لاصطحابه لملاقاة عدى، واصطحبوه داخل سيارة ليموزين ذات زجاج أسود، وظن فى البداية أن حراس القصر جاءوا لاصطحابه إلى عدى ليتلقى شكرا على جهده، وقيامه بمهام عسكرية، لكن سبب اصطحابه لعدى كان مختلفا، حيث وضعت عصابة سوداء على عينيه، واقتادوه إلى زنزانة جدرانها ذات طلاء أحمر ومسلطة عليها

الأضواء ليل نهار، وبقى بالحبس الانفرادى أسبوعا كاملا، ثم أخذ لعدى، الذى طلب منه أن يلعب دور الدوبلير له.ولم يجد أى خيار إلا الموافقة، وتعرض إلى عدة عمليات جراحية تجميلية لإزالة كل الفوارق فى الوجه والجسد التى تفرقه عن عدى، وقد خضع لتلك العمليات حتى أصبح نسخة مطابقة لعدى، وكان الفارق الوحيد الذى تبقى هو الطول، حيث كان عدى أطول منه بـ ٣ سنتيمترات، فكانت تصنع له أحذية مخصصه لمعالجة هذا الفرق.كما خضع لطيف لذات التدريبات التى تلقاها عدى على أيدى ضباط من المخابرات العراقية، على طريقة السير والسلوك، وكان الرئيس العراقى يمتدحه، ويقبله فى رأسه، ويقول له: لقد منحنىَ الله ولدين، وبك أصبح لى ثلاثة أولاد.وخضع لطيف لتدريبات عدة أشهر عبر الاستخبارات العراقية، وعرضوا أمامه حينئذ عشرات الشرائط من الفيديو المسجل عليها عمليات تعذيب يمارسها عدى حتى يقوم هو بدوره بممارستها فيما بعد، كما تعرض لعمليات استخباراتية كغسيل مخ، ولتحويل مسارات تفكيره، حتى شعر أنه يفكر تماما كما يفكر عدى وفقا لما قاله للمجلة الهولندية.ولفترة ٥ أعوام متواصلة كان لطيف يحيى شبيه عدى الابن الأكبر لصدام حسين يمارس كل الأفعال والأعمال التى يقوم بها عدى ما عدا القتل، وكان يفعل كل ما يأمره به سيده.ووفقا لحديث لطيف لـ المجلة الهولندية هو الفدائى المضحى بحياته من أجل سيده عدى حال تعرض الأخير لأى خطر، وكان تحت إمرته على مدار الـ٢٤ ساعة، ويوجد بدلا منه فى مناطق الزحام والخطر، فكان ينوب عنه فى حضور المباريات، ولقاءات بعض المسئولين، بل أيضا فى اللقاءات التلفزيونية، وكان يزور كتائب القوات العسكرية دون أن يكتشف أمره أحد.وعندما كان عدى يجلس فى القصر دون مهام توكل إليه، لا يجد يحيى ما يفعله، فيجلس فى الجناح المخصص له فى القصر يحتسى الكحوليات ويشاهد شرائط الفيديو، وكان يتم تجهيز الطعام الخاص به ولعدى من قبل طهاة غربيين، وكان يتم استيراد أنواع الطعام النادرة من أوروبا بطائرات خاصة.ويروى لطيف جانبا من جرائم عدى التى عايشها قائلا: إن عدى كان يسير ذات يوم على الشاطئ وشاهد ضابطا بالجيش يسير مع خطيبته متشابكى الأيدى، ونادى الضابط فرفض الاستماع له، فأمر حراسه باختطاف الفتاة، وحملها الحراس لقصره، حيث ضربها بعصا كهربائية، ثم اغتصبها، وعقب اغتصابها حاولت الفتاة الهرب من إحدى شرفات القصر، لكنها سقطت قتيلة، ثم قام عدى بمحاكمة الضابط الشاب عسكريا بتهمة شتم عدى ونفذ فيه حكم الإعدام.وقال لطيف إن عدى كان يطلب من حراسه أن يحضروا له ظهيرة كل يوم من ٣ إلى ٤ فتيات لاغتصابهن، وكان لا ينام إلا مخمورا، وكان فى الملهى الليلى المعروف باسم بابل أوبرى فى

منطقة الرشيد يقوم بإطلاق الأعيرة النارية فى سقف الملهى كلما أصيب بالسكر الشديد، ويرقص على المناضد، ويأمر كل الحاضرين من نساء ورجال بخلع ملابسهم.وكان سادياً، يتلذذ بتعذيب النساء، على الرغم من ذلك كان هو الابن المدلل والمقرب لوالدته، ولم تكن علاقته بوالده على مستوى جيد، على الرغم من ذلك كان يكره كل النساء، ويرى فيهن صورة يمكن أن تسىء لأمه التى يحبها، وكان يرى أن معاملة صدام حسين لوالدته ليست معاملة جيدة.واعترف لطيف أنه كان شاهدا على عشرات الجرائم التى ارتكبها عدى، وكان الكثير منها يتم رغما عن أجهزة الاستخبارات العراقية ودون علمها، وكان لا يعبأ بتنفيذ إرشادات كبار ضباط المخابرات، بل يتصرف بمحض إرادته.

ويقول لطيف إنه نجا من ١٢ محاولة اغتيال كان عدى هو المستهدف فيها، وأنه كان يكره عمله ويرغب فى التخلص منه، لكن على الرغم من ذلك انعكس عمله على حياته الخاصة فتغيرت، وأصبح ذوقه عاليا فى اختيار الملابس والحلى وأنواع الطعام، كما أصبح مريضا بالولع بالنساء مثل عدى، وأصبح يقلده فى كل تصرفاته مع النساء، وأن حياته الزوجية وأسرته دمرت بسبب سلوكياته التى اكتسبها من عدى، لإصابته بحالة من الغرور، حتى أنه أصبح يشك فى شخصيته، وينتابه شعور بأنه عدى، وأنه يعيش حتى الآن أزمة الذات، ويسأل نفسه من أنا؟!.

ومن الواضح من تلك الشهادة العجيبة أن السيد لطيف هو من المعاتيه، ومن مجانين الشهرة، هذا رأينا، ولو كان عدى يستعين بشبيه لما جرت محاولة لاغتياله أثرت على صحته، كما أن محاولة تصوير ابن الرئيس بأنه مختل عقليا ليست سبة فى حقه، بل إنها سبة فى حق شعب بأكمله، سمح لمجانين من هذا الطراز بالوصول إلى السلطة وحكمهم والتحكم فيهم، واستقطاب قيادات تعمل تحت لوائه، وتكوين فدائيين يحملون اسمه، ناهيك عن تدريبهم وقيادتهم فى ظروف حصار امتد ١٣ عاما، وصبرهم كل تلك المدة. إن تلك الشهادة تذكرنى بشهادة بعض المهاويس الذين قالوا إن عبد الناصر كان يشرف على تعذيبهم بنفسه لعدة ساعات يوميا. كيف يمكن حينئذ أن يكون دولة قوية، لها معارضة مسلحة مستيقظة كما نوهنا فى محاولة اغتيال عدى. وكيف يمكنه قيادة حكومة عاتية تقود دولة أعتى، تسمى دولة العراق.

النهاية الحزينة

بعد سقوط بغداد، هرب عدى وشقيقه قصى، وأصبحا الاسمين الثانى والثالث فى قائمة المطلوبين من الاحتلال الأمريكى، ولأن عدى عندما كان ملء السمع والأبصار كان يلقب

الإعلامى أحمد منصور بـ الولد منصور فإننا اخترنا أن نستقرئ خبر مقتل قصى فى صبيحة ٢١ يوليو ٢٠٠٣ من خلال تقرير كتبه أحمد منصور نفسه من بغداد، حيث كتب الولد منصور:

رغم زخات الرصاص التى قعقعت فى سماء بغداد فور تأكيد القوات الأمريكية لمقتل عدى وقصى نجلى الرئيس العراقى السابق صدام حسين فى هجوم على بيت كانا يختفيان فيه فى الموصل يوم الثلاثاء الماضى إلا أنى من خلال مراقبتى لعملية إطلاق الرصاص من على سطح أستوديو قناة الجزيرة فى بغداد من أول طلقة إلى نهايتها ومحاولتى تسمع البعيد منها طوال ما يقرب من عشرين دقيقة فإن تقييمى لها أنها لم تكن بالحجم الذى يشير إلى أن كل العراقيين أو معظمهم قد فرح بما حدث أو اقتنع أو حتى كان معنيا به، فالهموم التى يعيشها الناس والحقائق المفزعة التى صحوا عليها بعد سقوط النظام جعلت مثل هذه الأحداث تهم الأمريكيين الذين صنعوها من أولها إلى آخرها أكثر مما تهم العراقيين الذين يعيشون هم الجوع والخوف.

وكنت قبل ذلك قد نزلت مباشرة إلى شوارع بغداد لمعرفة ردود فعل الناس على مقتل عدى وقصى فور تأكيد الخبر، كانت الساعة حينها تقترب من السابعة مساء فوجدت أن معظم الناس لا يكادون يصدقون الخبر غير أنى حينما وصلت قرب الثامنة مساء إلى منطقة الكرادة التى عادة ما تكتظ بالناس إلى قبيل موعد حظر التجول فى العاشرة مساء كان الهمس قد بدأ لكن الأغلبية لم تكن على قناعة بأن عدى وقصى قد قتلا، وقال لى أحد العراقيين مكذبا ليست المرة الأولى التى يعلنون فيها ذلك أما أحد الذين أدركت من حوارى معه أنه ربما يكون مسئولا كبيرا فى النظام السابق حتى أنه رفض بشدة أن يذكر لى اسمه أو كنيته بعد نقاش مطول معه أذكر أنى حينما قلت له فى البداية: ما رأيك فيما أعلن عن أن الأمريكيين قد قتلوا عدى وقصى؟ فتح الرجل عينيه وفغر فاه وكان كمن صعق ثم قال لى بصوت مرتفع: مستحيل.. مستحيل... قلت له: لماذا؟ قال لأن عدى وقصى لا يمكن أن يجتمعا أو يناما فى مكان واحد لمدة طويلة هذه كانت تعليمات السيد الرئيس والكلمة الأخيرة السيد الرئيس مازال يرددها بعض العراقيين الذين إما كانوا جزءا من النظام أو البسطاء الذين مازالوا يعتقدون أن صدام حسين سوف يعود وأن كل ما يحدث ليس سوى كابوس سوف ينتهى مع خروج الأمريكيين قريبا، وهذا ما لمسته فى كثير من المناطق التى مررت عليها خارج بغداد لاسيما لدى العامة الذين مازالوا يخافون من الحديث عن صدام أو أبنائه بأى سوء خوفا من عودته وحسابه لهم على أى كلمة يقولونها ضده أو ضد أبنائه.

ورغم الروايات الكثيرة التى تداولتها الصحافة العالمية حول مقتل عدى وقصى فإنى أكاد أكون على قناعة تامة بالرواية التى عاصرتها بنفسى من اللحظة الأولى مع الزميل ياسر أبوهلالة، منذ أن خرج صباح الثلاثاء من بغداد باتجاه دهوك لتغطية بعض الأحداث بين الأكراد هناك لكنه غير مساره إلى الموصل فور ورود أنباء عن هجوم أمريكى على أحد البيوت فى الصباح، حيث كان ياسر من أوائل الصحفـ يين الذين وصلوا إلى المكان الذى دارت فيه المعركة بسبب قربه بالمصادفة منها وظل طوال اليوم يتابع التطورات ويستمع إلى روايات الناس، وكنت على اتصال دائم معه حتى استطاع أن يجمع أطراف رواية ربما تكون هى الأرجح، حيث يصر ياسر فى روايته على أن صاحب البيت الذى قتل فيه عدى وقصى الشيخ نواف محمد الزيدان زعيم عشيرة بوعيسى فى الموصل لم يكن هو الواشى بهما رغم أن كل الروايات التى تداولتها وسائل الاعلام تصر على أنه الواشى، كما يؤكد أن الأمريكيين حينما جاءوا وأخذوا الرجل وابنه إلى بيت مجاور لم يكونوا يعلمون من الذين يؤويهم الرجل فى بيته وأنهم كانوا يعتقدون أنهم ربما يكونون من المجاهدين العرب أو بعض المطلوبين، وأن المؤكد أن أحد جيران الرجل الذى لاحظ تغير عاداته ربما يكون هو الذى وشى به حيث تعود الرجل أن يجلس كل يوم عند العصر خارج بيته يتحدث مع جيرانه، لكنه انقطع عن هذه العادة منذ أكثر من أسبوع واشترى مولدات كهرباء كبيرة جديدة وكان يطلب كثيرا من الطعام إلى بيته وكانت هناك سيارات تروح وتأتى بشكل لافت لمن يتابع بدقة، مما أكد وجود أغراب عنده، لكن الشكوك لم تذهب مطلقا إلى أنه كان يؤوى عدى وقصى، ولأن الخوف يتحكم فى كل تصرفات الأمريكيين وكثيرا ما جاءتهم وشايات كاذبة من أناس على آخرين ذهب فيها كثير من الأبرياء ضحايا، فقد جاءوا إلى الرجل واعتقلوه وابنه وأخذوهما إلى بيت جيرانه ليتأكدوا من المعلومات التى وصلتهم قبل فعل أى شىء، وكان البيت الذى أخذا إليه به أيضا بعض العمال الذين شاهدوا ما جرى وقد روى شهود العيان أن أحد الضباط الأمريكيين أخذ يضرب الولد بكعب مسدسه بعنف أمام أبيه وهو يمسك بخناقه وآخر يضع فوهة رشاشه على رأس الأب ويقول له بعنف: اعترف من عندك فى البيت ؟ فانهار الرجل الذى لم يتحمل ما يحدث أمام عينيه لابنه والتهديد المباشر له وقال بهدوء شديد لدى عدى وقصى ومصطفى نجل قصى (١٤ عاما) وأحد رجال الحماية الخاصة لهم يدعى عبد الصمد، سيطرت الدهشة حتى على الأمريكيين الذين ربما لم يصدقوا هم الآخرون وجود هذا الصيد الثمين، فجلبوا جيشا جرارا للمنطقة وطوقوا المنزل الذى يقع فى منطقة لا تتكاثر

فـ يها المنازل وطلبوا ممن داخل المنزل فى البداية عبر مكبرات الصوت أن يستسلموا لكن أحدهم خرج وفتح رشاشه عليهم معلنا بداية معركة مع الأربعة المحاصرين فى البيـت استمرت حسب تصريحات الليفتاننت جنرال ريكاردو سانشـيز فى المؤتمر الصحفى الذى عقده فى بغداد مساء الثلاثاء الماضى ست ساعات وانتهت بمقتل الأربعة حـيث استخدم الأمريكيون مقتل عدى وقصى الذى قالوا إنه الأهم منذ احتلالهم للعراق منقذا حتى يخرجوا به من الأزمات التى تلاحقهم والتى ربما تعصف ببوش وحكومته فى النهاية، هذا عند الأمريكيين أما عند العراقيين فكما كانت حياة عدى وقصى ضربا من الخرافة والأساطير سـيظلون يتحدثون عنها عشرات السنين فإن موتهما كذلك بهذه الطريقة حيث كانوا أربعة أفراد فقط بينهم طفل خاضوا معركة استمرت مع جيش أمريكى جرار عدة ساعات لن يكون أيضا سوى ضرب من ضروب الخرافة والأساطير الذى ربما تكتمل به الصورة.

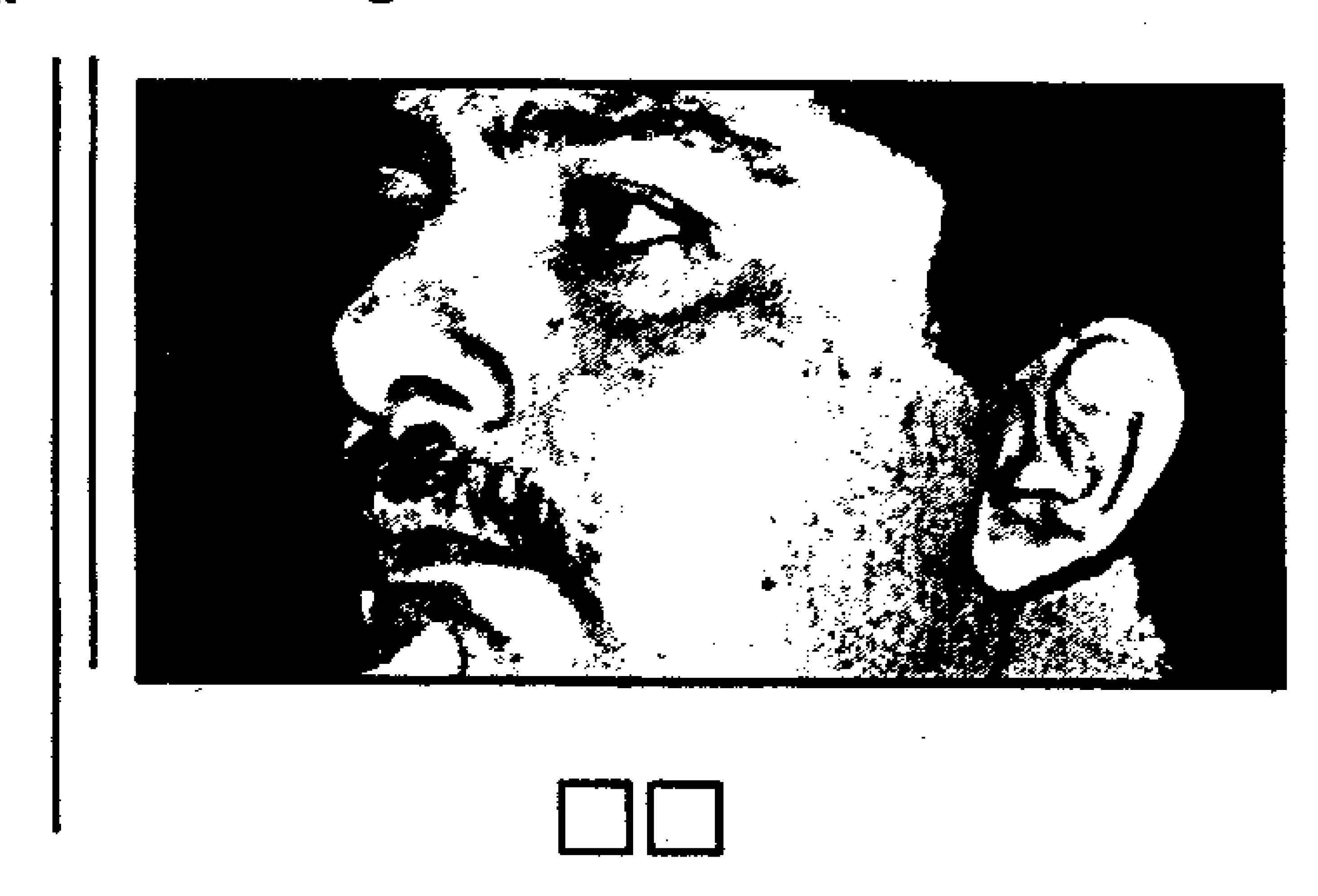
ولندع اللهجة التى كتب بها أحمد منصور التقرير، ولنقل إن ما فعلته القوات الأمريكية بجثتى عدى وقصى، كان قمة الخسة والنذالة وعدم احترام الموت وجثث الموتى التى فاضت روحها إلى بارئها مهما يقال عن وحشية عدى أو غلظته التى كانت.

■■■

قصـــي..
الأفــــــعى

إن وضعنا لا يسمح بالخطأ ولا تنفع به الثقة بأحد.

قصي صدام حسين



□□

■■

بورتريــــه..

فى ١٧ مـايو ١٩٦٦ ولد الابن الثـانى للرئيس العـراقى السـابق الراحل المخلوع الشهـيد الطاغية صدام حسين.

قصى هو شقيق عدى الأصغر وكما عرفنا فإن عدى كان ينظر إليه باعتباره خليفة لصدام حتى إصابته فى محاولة الاغتيال عام ١٩٩٦ أوكل إليه والده مسئولية حمايته، كما وكلت له مهمة قيادة قطاعات الجيش فى منطقة بغداد خلال حرب العراق عام ٢٠٠٣.

واحتل قصى صدام حسين النجل الأصغر للرئيس العراقى المخلوع المرتبة الثانية فى قائمة المطلوبين الخمسة والخمسين من رموز النظام السـابق الذين تسعى القوات الأمـريكية لاعتقالهم.

وقد درس قصى الحقوق فى جامعة بغداد وهو متزوج وأب لأربعة أولاد،أقصد كان، كما كان يشرف شخصيا على توزيع المناصب العليا فى البلاد مع والده، كما كان يشرف أيضا على توزيع مكاسب عمليات التهريب خلال الحظر المفروض على العراق على أفراد العائلة من التكريتيين.

وخلال وجوده إلى جانب والده على قمة النظام الحاكم تمتع قصى بسلطات واسعة أهمها إشرافه على الأجهزة الأمنية والحرس الجمهورى رغم عدم ولعه بالظهور على الساحة الإعلامية كشقيقه الأكبر عدى.

وتقول وكالة أنباء أسوشيتد برس إن العراقيين كانوا يلقبون قصى بـ «الأفعى» فى إشارة إلى إفراطه فى القسوة دون أن يكون ظاهرا للعيان.

قيادة قصى لقوات الحرس الجمهورى التى كانت تتألف من حوالى ٨٠ ألف جعله الأقرب إلى والده والشخص المرشح لخلافته لو استمر النظام رغم أنه لم يتجاوز السابعة والثلاثين من العمر.

ويقول المراقبون إن قصى لم يلعب دورا يذكر فى حرب الخليج الثانية عام واحد وتسعين لكنه قاد عملية تجفيف الأهوار فى أعقاب الانتفاضة التى قام بها الشيعة فى جنوب العراق بعد الحرب والتى يقول المراقبون إنها أدت إلى تجفيف ٨٢٠٠ كيلومتر مربع كان يلجأ للاختباء فيها المعارضون والفارون من بطش النظام.

وقد تولى قصى فى عام ألفين مسئولية الجناح العسكرى لحزب البعث وهو ما كان معناه عمليا وضع الجيش بكامله تحت إشرافه.

ولم ينخرط قصى فى الخدمة العسكرية الإجبارية التى كان يؤديها العراقيون فى ظل النظام السابق، وتزوج من ابنة قائد عسكرى كبير ثم طلقها، وتقول التقارير إن ابنه كان معه وسقط بين القتلى فى الهجوم الأمريكى.

وذكرت مجلة «التايم» الأمريكية إن أحد الأشخاص شهد قصى شخصيا بينما كان يطلق الرصاص على أربعة مسلمين شيعة على الأقل بعد تجميع حوالى ٣٠٠ شخصا منهم فى أحد الحقول.

ولم يعرف سوى القليل عن حياة قصى الشخصية سوى أن لديه أربعة أولاد على الرغم من الاعتقاد بأنه كان يتمتع بأسلوب حياة بذخ كآخرين فى النظام البعثى كما أشيع أن له عددا من العشيقات.

ومثل أخيه الأكبر نجا قصى هو الآخر من محاولتى اغتيال أحدهما فى عام ٢٠٠١ والأخرى فى أغسطس ٢٠٠٢ كما ذكرت التقارير أنه أصيب فى ذراعه.

وفى مايو ٢٠٠١ تقلد قصى منصبا قياديا فى حزب البعث الحاكم. وذكر العديد من المعلقين فى العالم العربى أن هذه الخطوة تعد علامة واضحة على أن الصراع من أجل اعتلاء عرش البلاد تقرر أن يكون لصالح قصى.

وأشيع أيضا أن قصى كان يدير الشئون اليومية فى العراق حيث كان مسؤولا عن حماية بغداد ومدينة تكريت، مسقط رأس صدام حسين خلال الحرب على العراق عام٢٠٠٣.

تزوج قصى من ابنة اللواء ماهر عبد الرشيد، وهو أحد رجال القوات المسلحة العراقية وأنجب منها أبناءه الأربعة، وكانت هذه الزوجة هى الثانية له عقب تطليقه لامرأة عراقية لم يستمر زواجه منها كثيرا.

وتعتبر الأيام الأخيرة لقصى صدام حسين هى الأيام الأكثر صخبا فى حياته، حيث برز على الساحة بقوة نظرا لمناصبه الحساسة فى الحزب وفى القوات المسلحة، وقد ارتبط اسمه بالعديد من النقاط الفاصلة فى تلك الأيام فنسبوا إليه أنه هدد بغزو الكويت قبيل سقوط بغداد بأيام، كما اتهمه بعض قيادات الجيش العراقى بأنه كان السبب المباشر فى سقوط بغداد، ومن الواضح أن مقاليد الأمور كانت له بالفعل فى الأيام الأخيرة حتى إنه قاد رحلة هروب تضمه هو وشقيقه عدى إلى سوريا، وذلك قبل أيام من رحيله الدراماتيكى فى ٢٢ يوليو ٢٠٠٣.

غزو الكويت

وجه قصى صدام حسين، نجل الرئيس العراقى السابق صدام حسين، رسالة الى مكتب والده يوم ١٨ مارس٢٠٠٣ (بغداد سقطت يوم ٩ أبريل ٢٠٠٣ وإن كنا نشك فى أن هناك من ينسى هذا التاريخ) أبلغ قصى والده فى الرسالة بتهيئة قوات عراقية لمهاجمة الكويت. وأضاف قصى فى وثيقة نشرتها وزارة الدفاع الأميركية (البنتاجون) بعد سقوط بغداد بثلاثة أعوام، أنه فى حال اجتياح القوات الاميركية العاصمة العراقية، ستجعل القوات الخاضعة لأوامر قصى «أرض الكويت أنهارا من الدماء وبراكين من النار». وتشير الوثيقة التى حملت ختم «جهاز الأمن الخاص» العراقى، إلى أن الحرس الجمهورى العراقى أعد عمليات لشن هجمات على الكويت، وأعلن عن هذه الاستعدادات قبل يوم من بدء الحرب على العراق بقيادة أميركية. وقال قصى فى الرسالة الموجهة لسكرتير رئاسة الجمهورية «يرجى علمكم بتهيئة القوات الاقتحامية من الفدائيين لمهاجمة أهداف استراتيجية داخل الكويت وفى العمق». وتضيف الرسالة أنه فى حال «تمكنت القوات الأنجلو ـ الأميركية من دخول بغداد، سوف نجعل أرض الكويت أنهارا من الدماء والبراكين من النار على رؤوس أعدائنا من عملاء الاستعمار». وتأتى هذه الوثيقة ضمن جملة من الوثائق والتقارير والصور التى أخذ البنتاجون ينشرها على موقع خاص بإحدى معاهده. وعلى الرغم من أن الإدارة الأميركية تدعى أن الجيش الاميركى حصل على هذه الوثائق بعد اجتياحه العراق، إلا أن الموقع لا يقول فى مقدمته إنه لا يتحمل مسئولية دقة الوثائق، كما أنها تنشر من دون تفسير لمكان العثور عليها ولا تخضع لتسلسل زمنى أو منهجى. وبالنسبة إلى هذه الوثيقة بالذات، لم تطبق الخطط التى نصها قصى صدام حسين على الرغم من وصول القوات الأميركية الى بغداد خلال أيام من صدور أمر مهاجمة الكويت فى حال سقطت العاصمة من سيطرة النظام العراقى السابق.

وتتكاثر ردود الفعل فى الأوساط الأميركية وخاصة على شبكة الإنترنت، من الوثائق العراقية. ونشرت صحيفة نيويورك تايمز خبرا، عن الوثائق ينقل عن عضو الكونجرس بيتر هوكسترا، وهو رئيس لجنة الاستخبارات فى مجلس النواب الأميركى والذى قاد الحملة لإقناع الجيش الأميركى بنشر الوثائق، قوله إن الجانب الأميركى لم يدقق بما فيه الكفاية بهذه المعلومات. وأضاف إنه يجب استخدام «طاقة الانترنت» لترجمة الوثائق وتحليلها. وتنص إحدى الوثائق المنشورة أيضاً على خطط الإخلاء والانتشار فى حال الحرب على العراق. ووقع الفريق الركن رعد مجيد رشيد الوثيقة المؤرخة فى ٢١ سبتمبر ٢٠٠١، وهى بعد عشرة أيام من هجمات ١١ سبتمبر فى نيويورك، وقد أشارت وثيقة أخرى إلى مخاوف عراقية من مهاجمة الولايات المتحدة العراق فى حال ثبتت علاقة بين تنظيم القاعدة والنظام العراقى السابق.

ومن الواضح لنا أن هذه الوثيقة كغيرها من الوثائق الأمريكية الدعائية كانت بغرض تشويه سمعة صدام وولديه، ففى حال صحة تلك المعلومات فإن الخزى سيلاحق قصى فى قبره من الناحيتين، خزى لأنه فكر فى جعل أرض عربية مسرحا للانتقام من الأمريكان، وخزى لأنه لم يتسطع تنفيذ خطته. وفى تقديرنا أيضا أن تعاطف العرب مع العراق فى حربها ضد أمريكا، على عكس ما توقعت إدارة بوش، قد جعلهم يقومون ببث تلك الدعايات بصورة عشوائية دون حساب مسبق.

قصى يسقط بغداد

كانت كل القنوات العربية وكذلك المحللون الغربيون يحذرون من الحرس الجمهورى، بينما صدام كان يراه خطرًا عليه، وفى عام ٢٠٠١ قرر صدام تعيين ابنه الأصغر قصى فى رئاسة هذا الجهاز ليكون قائدًا لجيش النخبة فى العراق، على الرغم من أن كل خبرة قصى فى الحرب هى زيارة الجبهة العراقية الإيرانية ومراقبة الحرب من بعيد لساعات قليلة عام ١٩٨٤.

ويقول سلطان هاشم أحمد فى معرض إفادته للجنة الأمريكية، نشرتها مجلة فورين افريس (العلاقات الخارجية) حول هذا الموضوع: «العمل مع قصى صدام حسين كان خطأ، لم يكن على علم بشىء. كان يفهم الأشياء العامة حاله حال أى رجل مدنى، كنا نحضر المعلومات له لكى يقبلها أو يرفضها باعتباره القائد العام لقوات الحرس الجمهورى، وغالبًا ما كان يستعين بمجموعة من المستشارين لاتخاذ القرارات». كان على قصى اتخاذ القرارات النهائية

بعد عرض المعلومات الأساسية عليه، ما لم يتدخل صدام حسين بنفسه. وكان الكثير من قادة هذا الجيش يبدون امتعاضهم من قراراته، وقليلون انتقدوا هذه القرارات بصورة علنية ولو محدودة.

بعد انتهاء الحرب، الكثير من كبار قادة هذا الجيش اشتكوا من أن قصى لم يكن يأخذ حتى بنصائحهم. ولكن فى النهاية، يبقى أن قصى هو أحد الأسباب الرئيسة لسقوط بغداد، وليس كل تلك الأسباب. وقد تبين فيما بعد أن حتى المستشارين الذين استعان بهم قصى، وقد عرفت هوياتهم بعد الحرب، لم يكونوا مؤهلين لإبداء النصيحة. فيما تم الإبقاء على المؤهلين صامتين حتى حينما كانت تمنح لهم فرصة بالكلام.

كان (برزان عبد الغفور سليمان المجيد) قائد قوات الحرس الجمهورى الخاصة أحد الذين يعول عليهم العراقيون فى هذه الحرب، لكن تبين أن أقرباء الرئيس كانوا الأسوأ فى أداء المهمات. يقول أحد قادة الحرس الجمهورى المقربين من المجيد عن ملابسات اختياره قائداً لهذه القوات: كان ابن عم الرئيس... إضافة إلى ميزتين إضافيتين جعلته المفضل للمهمة، هى أنه لم يكن ذكيًا لكى يمثل خطرًا على النظام، والثانية لم يكن شجاعًا لكى يشارك فى مخططات قلب النظام قد يقوم بها آخرون.

الأكثر من ذلك، أن برزان نفسه كان خائفًا من الحرب، وخائفًا من المركز الذى هو فيه. ووصف المجيد فى مقابلة بعد انتهاء الحرب مهمته بالقول: تم استدعائى إلى بغداد، وقد كنت فى عطلة وقيل لى أن اتولى قيادة قوات الحرس الجمهورى الخاصة، لم يكن لدى خيار. لقد كنت غير راضٍ على تولى القيادة، لأنها كانت أخطر وظيفة فى النظام كله. هذا الرجل الذى كان عليه ان يكون الملاذ الأخير لصدام حسين قضى الحرب وهو... مختبئ!

كان سلطان هاشم الطائى وزير الدفاع هو الرجل الوحيد فى المكان الصحيح فى كل نظام الرئيس صدام حسين. كان منافسًا لصدام حسين داخل المنظومة العسكرية، وصوله إلى الوزارة تطلب منه الصمت أكثر داخل اجتماعات التخطيط. فى واحدة من الاجتماعات التخطيطية تكلم كل الجنرالات حول خطة، وافق صدام عليها لحماية بغداد بينما اختار هو الصمت، يقول أحد القادة الحاضرين فى الإجتماع،إن العديد من الجنرالات الموجودين هناك كان هدفهم إسعاد صدام حسين، بينما كان وزير الدفاع رجلاً نبيلاً، واختار ألا يتدخل بالتعليق على الخطة تاركًا رؤاه الاستراتيجية لنفسه.

كان دور فريق هاشم سلطان أحمد فى تقليل خسائر العراق فى مفاوضات خيمة صفوان بعد حرب الخليج ١٩٩١ واضحًا، شهد له حتى قائد القوات الأمريكية آنذاك شوارتسكوف، كما كان أبناؤه على غير عادة كل أبناء الوزراء فى العراق الأكثر اقترابًا من الناس، وخصوصًا ابنه البكر (عامر) الذى عرف بالتزامه بمبادئ الدين أثناء دراسته فى بغداد، كما لم يسجل أنه استخدم سلطاته ضد أى من مخالفيه أو منتقدى النظام العراقى أمامه.

فى عام ٢٠٠٢، قرر الرئيس العراقى صدام حسين وضع الفريق سلطان فى صورة خطة لحماية العراق، وفوجئ رجال الحرس الجمهورى بعد أيام بدعوتهم لمناقشة خطة جديدة، يقول قائد الفرقة الثانية/حرس جمهورى: تقرر دعوة كل قادة الحرس الجمهورى فى مركز القيادة وحينما سألت لماذا؟ قالوا لى إن لدى الحرس الجمهورى خطة جديدة لحماية بغداد. وسألت نفسى لماذا بغداد؟ أليس من واجبنا حماية العراق كله وليس فقط بغداد، وحينما ذهبت هناك وجدت قصى صدام حسين.

ويضيف: تم إيجاز المهمة من خلال شرحها على خريطة حائط كبيرة والتى وضحت الجزء الوسطى من العراق، كانت بغداد موضوعة فى وسط ٤ حلقات. وكل حلقة كان لديها لون، والحلقة الداخلية كانت حمراء وعلى بعد ١٠ كيلومترات هناك الحلقة الزرقاء ثم ٧ كيلومترات ووجدنا الحلقة السوداء والحلقة الأخيرة كانت صفراء، كانت طريقة عرض الخطة غير ملائمة بالمرة وبسيطة مثل قوات حمورابى ستدافع عن شمال المدينة بينما قوات المدينة فى الجنوب والنداء فى الشرق وسيكون هناك قوات خاصة فى الغرب.

ويضيف أنه حينما وصل الأمريكيون إلى الحلقة الأولى جاء أمر من صدام حسين بانسحاب القوات على الحلقة الأولى إلى الخلف. وتم تكرار هذا الموضوع مع كل حلقة فيما بعد، حتى تم الوصول إلى الحلقة الحمراء وهناك بدأت القوات المتواجدة على الدائرة الحمراء القتال حتى الموت. مؤكدًا: إن ما جرى كان سطحيًا وسخيفا، وقيل لنا فيما بعد، إنها كانت الخطة الموضوعة لحماية البلاد. وقال قصى إن الخطة تم مباركتها من قبل صدام حسين وأنه كان على أنا (المتحدث) تفعيلها، لقد قلت لقصى إن الجيش صاحب تاريخ يمتد إلى ٨٢ عامًا، ولا يستطيع القتال بهذه الطريقة، ولكن قصى قال إنه لايمكن التغيير الآن لأن صدام قد وقع على الخطة!.

بالمقارنة مع الخطة التى وضعها الجيش العراقى لحماية العراق أثناء الحرب، كانت الخطة الجديدة تتعمد التسطيح، وأهملت كل مبادئ الجيش الأساسية مثل الجغرافيا، ولم توضح

تلك الخطة كيف يمكن للقوات الانسحاب من أى دائرة من الدوائر الموضحة فى الوقت الذى عليها الاستعداد لأى اشتباك مع قوات العدو، وحماية نفسها من الضربات الجوية. والمشكلة أيضًا أنه حتى بالإشارة إلى هذا الخلل على مستوى القيادات، لم يكلف عدد من قادة فرق الحرس الجمهورى أنفسهم عناء التحضير لمعالجته ولو على صعيد فرقهم. أما بالنسبة إلى صدام، فإن تسلمه لرسالة توضح أن كل تعليماته قد نفذت كانت كافية.

الهروب الكبير.. الهروب الفاشل

وبغض النظر عن صحة مسئولية قصى عن وثيقة غزو الكويت أو عن سقوط بغداد، فإن هناك حادثا آخر يبدو الأمر بالنسبة لنا أن احتمال وقوعه كبير، بل نصل إلى حد تأكيد ذلك، وهو قصة محاولة هروب قصى وعدى إلى سوريا قبيل اغتيالهما فى الموصل. حيث كشفت صحيفة الحياة أن نجلى الرئيس العراقى السابق صدام حسين حاولا فى أيامهما الأخيرة الفرار إلى سوريا، وأنهما لجآ إلى بعض معارفهم قرب مركز ربيعة الحدودى، ووصلا بالفعل إلى مشارف مدينة حلب، وهناك إثر تبديل إطار سيارتهما المتعطل أوقفتهم السلطات السورية التى أمرت بإرجاعهما إلى العراق حيث لقيا حتفهم بعدها بأيام، وفى ما يلى نورد قصة الفصل الأخير من حياة عدى وقصى كما نقلها مراسل صحيفة الحياة اللندنية ميسر الشمرى:يقول مواطن عراقى من سكان المنطقة الواقعة جنوب جبل سنجار فى محافظة الموصل (شمال العراق) إنه وجد نفسه فجأة، ومن دون سابق معرفة، أمام ابنى الرئيس العراقى المخلوع عدى وقصى صدام حسين يرافقهما السكرتير الشخصى للرئيس الفريق عبد حمود التكريتى.وقال المواطن الذى فضل الإشارة إلى الأحرف الأولى من اسمه ع.م. والذى التقته الحياة فى منطقة ربيعة على الحدود السورية إنه وبينما كان فى منزله بعيد سقوط بغداد فى قبضة القوات الأمريكية فوجئ بسيارة ضالة من نوع فان ترجل منها رجل فى الأربعين من العمر وبادر بالسؤال: هل أنت من قبيلة شمر؟ فأجابه نعم، فطلب منه أن يدله على بيت ع.ص. فقال له إن الوقت متأخر وإن بيت ع.ص. بعيد بعض الشىء من هنا، والوضع غير آمن، أضف إلى ذلك أن العادات لا تسمح لنا بمرورك من دون القيام بواجب الضيافة.ويستمر تقرير جريدة الحياة فى شهادة المواطن البسيط: وأوضح المواطن ع. م. الذى روى لـالحياة الأيام الأخيرة لنجلى الرئيس العراقى المخلوع وطلب منا عدم نشرها إلى أن يعطينا الإشارة بذلك، أن الرجل طلب منه استشارة زملائه فى السيارة مشيراً إلى أنه فى هذه الأثناء ترجل قصى صدام حسين من السيارة وكان فى يده رشاش فيه ثلاثة مخازن

مربوطة بشريط لاصق أسود اللون وقال لى: نحن بحاجة إلى الراحة، هل المكان آمن؟ فقلت له على الرحب والسعة. وأوضح ع.م. أنه بعد ذلك ترجل عدى صدام حسين وكان يرتدى زياً عربياً ويتزنر (يتحزم) بمسدس ٩ ملم وفى يده رشاس كلاشينكوف فضى اللون ثم ترجل بعد ذلك عبد حمود وكان يرتدى الزى العربى، أيضاً، وهو يتأبط مسدساً من نوع كولت سمث، فيما توجه السائق إلى السيارة ووضعها فى وضع استعداد أمام المنزل. بعد ذلك، قال ع.م: اتصلت عبر الهاتف بشقيقى وطلبت منه الحضور مع أبناء عمى ولما حضروا هب قصى صدام حسين موجهاً سلاحه صوبهم، فطلبت منه التريث لأن هؤلاء أخى وأبناء عمى وطلبت منهم الحضور لتأمين الحماية اللازمة لكم، وعندما عرَّفت قصى بأخى قلت: هذا شقيقى أ.م. فنهض عدى من مكانه، وقال موجهاً الكلام لشقيقى: لقد صدرت بحقك أحكام عدة بسبب التهريب، كيف تخلصت منها، فأجابه أخى: باللجوء إلى الصحراء كما تفعل أنت الآن، وأضاف أخى: تلك مرحلة وانقضت يا أستاذ عدى، وانتم، الآن، فى حمايتنا إلى أن يفرجها الله بعد ذلك ارتاح الضيوف ووزعت أخى وأبناء عمى حول المنزل فى شكل غير ملحوظ، وطلب قصى من السائق إنزال الأسلحة والصندوق ووضعها فى الغرفة التى كانوا يجلسون فيها، ثم قام عبد حمود وفتح الصندوق وطلب منى أن آخذ من الدولارات التى فيه ما أريد، فرددت عليه: لم نتعود أن نأخذ من ضيوفنا أثناء استقبالهم وحمايتهم يا عبد حمود، وأنت تعرف ذلك، فما كان من قصى إلا أن وبخ عبد حمود، قائلا: ألا تعرف عادات العرب وأنت منهم وبعد تناول العشاء أضاف ع.م: خلدوا إلى النوم باستثناء قصى الذى بقى يسامرنى حتى الفجر. ولما غالبه النعاس طلب من عبد حمود أن يستيقظ لإكمال الحراسة. فى الصباح وبعد تناول الإفطار طلب قصى أن أوصله إلى منزل ع.ص. فقلت له إنه خارج العراق، فقال: أعرف ذلك، ولكننى أريد أن أصل إلى منزله، فقلت له إن منزله وسط الصحراء وبعيد بعض الشىء فدعنى أرسل من يستطلع الوضع هناك، مشيراً إلى أن قصى وافق على رأيى، ولكن عدياً أصر على الذهاب، وعندما وافقت على إيصالهم شرط أن أقود السيارة بنفسى وان يقود شقيقى سيارتى أمامنا بمسافة كافية، وافق الجميع وشرح ع.م. الذى وجد نفسه بين ورطتين: الأولى تتمثل بحمايته نجلى الرئيس الذى شرد شقيقه على مدى ثلاث سنوات والثانية أعرافه وتقاليده البدوية التى تفرض عليه حمايتهما، بحسب قوله، إنه وأثناء السير فى الصحراء لاحظت أن شقيقى ينحرف عن الطريق الصحراوى فى شكل مفاجئ ويزيد سرعة سيارته فما كان منى إلا أن انحرفت إلى اليسار حيث كان بالقرب منى واد صغير لكننى فوجئت بقصى يضع رشاشه خلف رأسى، فأوقفت السيارة وترجلت وبيدى سلاحى، وقلت لقصى: ليس من طبعى الخيانة،

وانا الآن أقدم لك ولأخيك خدمة ليس لأنكما نجلا الرئيس صدام حسين بل لأنكما لجأتما إلى منزلى، ولو كنت أريد الخيانة لقمت بتسليمكما إلى أقرب دورية أميركية عندما مررنا فى مدينة بعاج وكانت الدوريات الاميركية منتشرة فيها. بعد أن أنهيت كلامى، يقول المواطن العراقى، ترجل قصى من السيارة واعتذر إلىّ، وقال: إن وضعنا لا يسمح بالخطأ ولا تنفع به الثقة بأحد، مشيراً إلى أنه فى هذه الأثناء ترجل الجميع وقضى بعضهم حاجته وفجأة قرر قصى أن أغير وجهة السير بطلبه منى أن أنقله إلى منزل المواطن أ م. وهو من البدو المقربين من الرئيس المخلوع صدام حسين. وأوضح ع.م. لضيوفه أنه لا بد من استشارة المواطن أ م. فى ما إذا كان فى إمكانه استقبالكم أم لا، لكن قصى أصر على الذهاب، ونزولاً عند رغبته قمت بإيصاله إلى المكان الذى طلبه وعدت وشقيقى إلى منزلنا بعد ثلاثة أيام، يقول ع.م. فوجئت بالسيارة نفسها تقف أمام منزلى، وعلى الفور ترجل عدى وقصى وعبد حمود ورحبت بهما وطلبت إليهم الجلوس. وبعد تناول القهوة طلبوا منى أن أوصلهم إلى الحدود السورية فى المنطقة الواقعة إلى الشمال من ربيعة، وقالوا: ان لديهم الاستعداد لدفع أى مبلغ أحدده، وأضافوا: إن مواطناً سورياً نافذاً اسمه ن.ع. سيكون بانتظار اتصال منهم وان مهمتى تقتصر على إيصالهم إلى الحدود وليس داخل سوريا. وأشار ع.م. إلى أنه وافق على إيصالهما بعد أن يتحدث مع المواطن السورى لأنه يعرفه جيداً ولا يريد إحراجه، وعلى الفور، يقول ع.م. قام عبد حمود بالاتصال عبر هاتف فضائى بالمواطن السورى وقال له: تكلم مع فلان (يقصد ع.م) ولما تحدثت إليه أبدى استعداده لاستقبال عدى وقصى، ولما سألته عن عبد حمود، قال: إن عبد حمود سيستقل سيارة الفان مع السائق ويعود إلى تكريت بعد أن يعبر عدى وقصى الحدود. وقال المواطن ع.م. إنه قام بأخذ عدى وقصى بعد أن أخذا صندوقاً من الدولارات وعدداً من الأسلحة والرمانات اليدوية وقمت بعبور جبل سنجار ومن ثم الأراضى الزراعية شمال الجبل إلى أن وصلت إلى المكان المحدد فأوقفت سيارتى فى أحد الأودية بانتظار الإشارة المتفق عليها مع المواطن السورى وبعد قليل استلمنا الإشارة وتركت سيارتى وذهبت معهم سيراً على الأقدام إلى أن سلمتهما إلى ن.ع. وعدت إلى سيارتى ومن ثم إلى منزلى فى الليلة نفسها. بعد أقل من ٤٨ ساعة اتصل المواطن السورى ن.ع. بالمواطن العراقى ع.م. وهم أقرباء وطلب منه أن يلتقيه فى المكان نفسه، يقول المواطن العراقى، وذهبت إلى الموعد فوجدت عدى وقصى وعرفت أن السلطات السورية أعادتهما وطلبا (عدى وقصى) مساعدتهما فى الوصول إلى منزل المواطن العراقى ا م. الذى التجأ إليه لمدة ثلاثة أيام، قبل أن

يطلبا منى إيصالهما إلى سوريا. وأشار المواطن العراقى ع.م. إلى أنه نقل عدى وقصى من الحدود إلى منزله وأنهما قضيا تلك الليلة فى ضيافته وطلبا منه فى الصباح إيصالهما إلى منزل أ.م. بعدما طلبا من عبد حمود هاتفياً الحضور إلى المنزل نفسه قبل مغيب الشمس، لافتاً إلى انه نقلهما إلى حيث يريدان بعدما استبدل سيارته البيك أب بسيارة مظللة، ولما . ، إلى المكان المحدد كان عبد حمود ينتظر. بعد ذلك، توجه ع.م. إلى سوريا، عبر مركز ربيعة الحدودى، والتقى المواطن السورى الذى استقبل عدى وقصى وعرف منه أنه نقلهما فى . يارته إلى مدينة حلب بناء على طلبهما لكن السلطات السورية أوقفته على مشارف المدينة بعدما تعطل الإطار الأمامى لسيارته، وطلبت منه إعادتهما إلى المكان الذى جاءا منه .ويضيف ع.م: بعد ذلك عدت فى اليوم نفسه إلى العراق وفى اليوم التالى توجهت إلى منزل المواطن أ.م. حيث التقيت عدى وقصى وعرفت من صاحب المنزل أنه مستاء من وجودهما لكن الأعراف والتقاليد لا تسمح له بطردهما، وأضاف: كان عبد حمود لا يقيم معهما بل تردد عليهما على مدى أربعة أيام وفى اليوم الرابع غادرا منزل المواطن أ.م. برفقة عبد حمود باتجاه الموصل، وهناك احتمى عدى وقصى فى منزل نواف الزيدان والتحق بهما مصطفى قصى الذى كان يقيم مع جده لأمه الفريق أول ركن متقاعد ماهر عبدالرشيد، كما زارتهما والدتهما ساجدة طلفاح وابنتها الصغرى حلا صدام حسين فجر اليوم الذى قتل فيه عدى وقصى ومصطفى.وقال المواطن العراقى إن عبد حمود الذى ألقى القبض عليه فى ١٨ يونيو ٢٠٠٣ تركهما فى منزل الزيدان وغادر إلى جهة مجهولة للعناية بالرئيس صدام حسين، بحسب قول قصى الذى التقيته بضع مرات فى أماكن متفرقة من الموصل بعدما ارتاح إلى إلى درجة أنه كان يطلب منى الجلوس بجانبه والعمل معه لكننى كنت أرفض ذلك، مشيراً إلى أنه سأل قصى قبل مقتله بأيام اذا كانت لديه نية للخروج من العراق، فأجاب نجل الرئيس المخلوع: لم يعد هذا وارداً. سأبقى فى العراق بانتظار تعليمات السيد الوالد. وكان ذلك يوم ١٦ يوليو ٢٠٠٣، وبعد سبعة أيام قتل عدى وقصى ومصطفى ومرافقهما فى منزل نواف الزيدان بعد معركة حامية الوطيس مع القوات الأميركية.

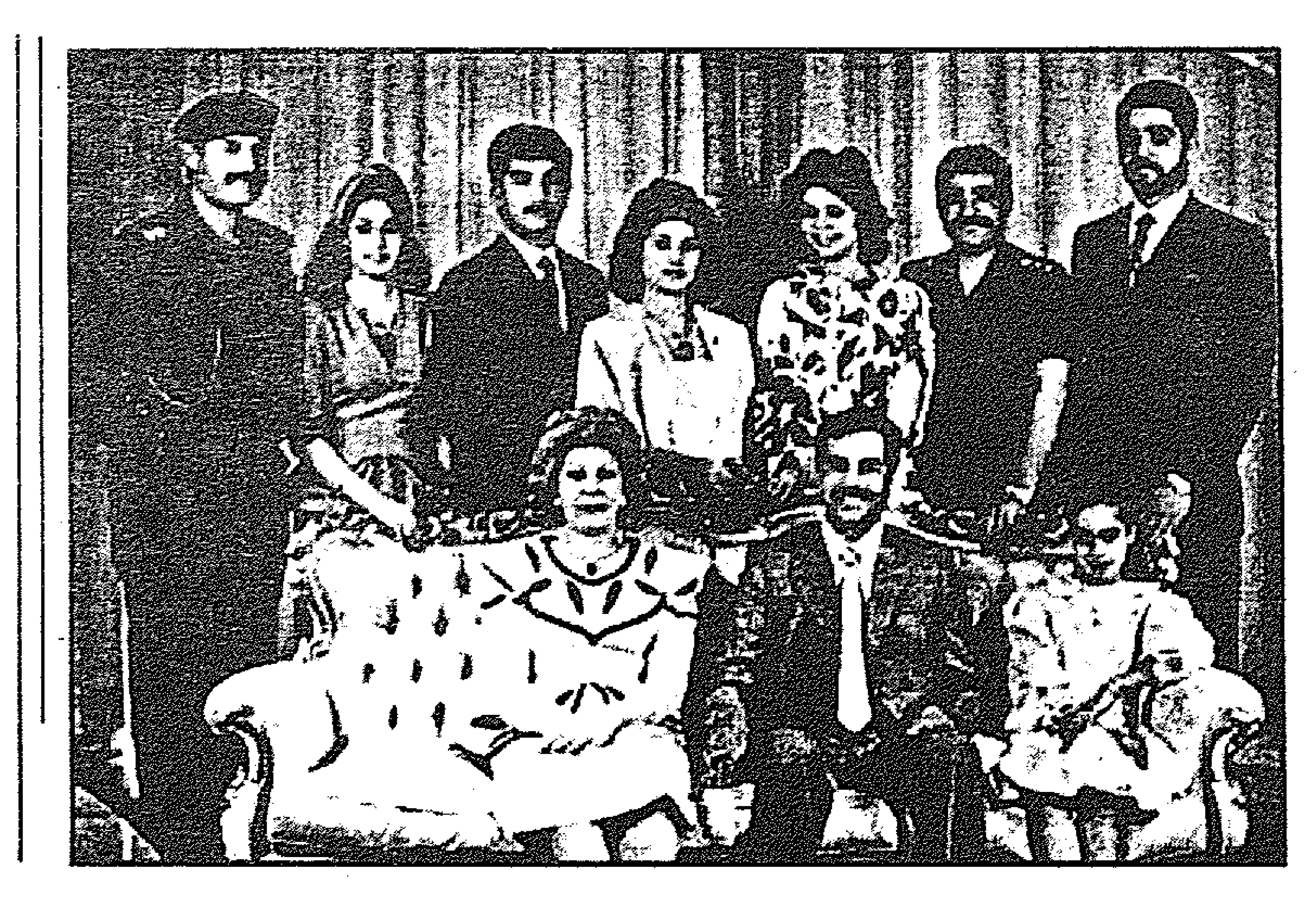
وأخير أقول: بجد، بجد قلبى وجعنى. ملعون أبو السلطة إذا كان هذا هو ثمنها، وتلك هى عاقبتها.

■■■

بنات صدام..
سنوات الألم والدم

«إذا ما قيست الأعمار بالأحزان والكرب،
فسأكون قد شارفت الثمانين من العمر الآن»

رغد صدام حسين



□□

■■

مأساة تلو أخرى، ودموع تتبعها دموع، دماء فى كل محطة، إعدام الأب، وتصفية الزوج أو تشريده، اغتيال الأخ وابن الأخ، كل أنواع اليتم والترمل والثكل والفقد . هذا هو ملخص حياة بنات صدام!!

ولا أعرف كيف يستسيغ البعض التشفى فى هؤلاء النساء، حتى لو كنت أكره صدام حسين، حتى لو كنت أراه طاغية أو مجرما أو حتى الشيطان نفسه. فما ذنب بناته، خاصة وأنهن لا حول لهن ولا قوة، ولا فرصة فى اختيار الحياة، ولا قدرة على اتخاذ القرارات، لقد كن ضحايا لحكم والدهن، كن ضحايا لبطولته أو لطغيانه، لحرصه على شعبه أو لاستبداده، لقتاله ضد أمريكا أو لموالاته لها فى البداية.

رغد الابنة الكبرى لصدام وثالثة أبنائه والمولودة عام ١٩٦٧ هى النموذ الأمثل والأوضح لبنات صدام حسين، لم تكد سنوات طفولتها تنتهى وتبدأ فى أن تعى الحياة من حولها حتى أصبح والدها رئيسا للعراق، وأى رئيس!!

ولم تصل إلى الثامنة عشر حتى وجدت نفسها مرتبطة بحسين كامل المجيد، الذى شبهه البعض براسبوتين، من حيث الاستحواذ على رأس وقلب السيدة ساجدة زوجة الرئيس، كابن، وبالتالى اقترانه بابنة الرئيس حتى أصبح هو الرجل الثانى بالدولة. خاصة بعد أن أنجبت منه رغد خمسة أبناء.

ولكن رغد لها شقيقان بدآ فى دخول عالم الرجال من حيث السن. وهكذا عاشت رغد سنوات فى العذاب وهى ترى شقيقها يتنازع مع زوجها بمساعدة شقيقها الثانى على نيل رضا أبيها (رغد لم تصل إلى الأربعين حتى كانت قد فقدت الأربعة جميعا)

ورأينا كيف انتهى النزاع بين شقيقيها وزوجها بمقتل الأخير على يد الشقيقين. ليكون الزوج هو أول ما تفقده رغد (قصة رنا نسخة طبق الأصل من رغد فزوجها كان شقيق زوج رغد وعاش نفس الصراع مع نفس الشقيقين، ولقى نفس المصير).

لقد قام زوجها بخيانة أبيها، على غير ما تتوقع وما تحب، وسافر إلى الأردن واصطحبها معه، ثم قام بالعودة على غير ما تتوقع أو تحب، فقتلوه تماما كما كانت تتوقع، وإن كان على عكس ما تحب. ورنا شاركتها المصير وإن كانت قد حاولت الفصل بينها وبين شقيقتها، من خلال مطالبة والدتها بالفصل بين زوجها صدام كامل، وزوج أختها حسين كامل، على اعتبار أن زوجها لا يد له فى الأمر، وأنه مجرد تابع لكن المكتوب مكتوب، لذا ارتبط مصيرها بشقيقتها وفقدت زوجها، لتشارك شقيقتها فى طعم الترمل.

كان ذلك عام ١٩٩٦، فتقضى الابنتان سنوات من الجفاء مع الشقيق، وربما كانتا تظنان أن فقد الزوج هو نهاية المطاف فى مسيرة الفقد، غير أن ما حدث هو أن مسيرة الفقد كانت قد بدأت لتوها، ومع مطلع عام ٢٠٠٣، كانتا على موعد لفقد كل شيء: الأب، والأشقاء، والأم.... والوطن. بالإضافة إلى فقد أشياء أخرى ربما لا نجد كلمات تصفها.

وقالت رغد صدام حسين فى مقابلة مع مجلة سيدتى إن حياتها ليست سوى سلسلة من المآسى، مشيرة إلى أن الأعمار إذا ما قيست بالأحزان والكرب، فسأكون قد شارفت الثمانين من العمر الآن بحسب وكالة الأسوشيتدبرس.

وتحدثت رغد، فى ذلك اللقاء عن المحن التى قالت إنها لم تزحزح ثقتها فى الله.

وكانت رغد التى قد أجرت مقابلتين تلفزيونيتين، إحداها مع CNN، منذ أن طلبت حق اللجوء السياسى فى الأردن برفقة شقيقتها رنا وأنجالهما عام ٢٠٠٣.

وعاشت الشقيقتان، حياة خاصة ومنعزلة فى أعقاب تنفيذ والدهما لحكم الإعدام بحق زوجيهما عام ١٩٩٦. وتصالحت الابنتان مع الوالد فى السنوات القليلة الماضية بعد نفور أعقب عمليات الإعدام. وأشارت رغد فى حديثهما للمجلة إلى تلقيها، عبر الصليب الأحمر الدولى، لخطاب من والدها تم شطب ثلاثة أسطر من أسطره الست.

وجاء فى الخطاب، الذى تعرض لرقابة من قبل الجيش الأمريكى، بسم الله الرحمن الرحيم، تحية إلى عائلتى الصغيرة والكبيرة فى إشارة إلى الشعب العراقى أما فيما يتعلق بروحى فهى تتألق دائماً بدعم من الخالق.

ولم تشر رغد إلى زمن تلقيها الخطاب. وفى معرض ردها على سؤال حول اشتياقها للعراق ردت رغد قائلة: بالطبع، وإذا ما أتيحت لى الفرصة فسأرجع إلى هناك بأسرع مما تتصور.

وتابعت قائلة أنا لا أخشى الموت، بل الفضيحة...

وتحدثت رغد عن شعورها بالوحدة بالرغم من وجود أنجالها الخمس، الذين تتراوح أعمارهم من سن العاشرة إلى العشرين، قائلة أطفالى فى سن المراهقة، وهى مرحلة صعبة لأم دون زوج.

وقالت الابنة الكبرى لصدام إنها لم تزر والدتها، ساجدة خ ير الله طلفاح، وشق يقتها الصغرى، هلا، المقيمتين فى قطر.

وكانت رغد قد لجأت إلى الأردن عقب سقوط بغداد، وبحسب ما بثته وكالات الأنباء فى تلك الأيام، فقد أكد بيان رسمى أردنى أن العاهل الأردنى الملك عبدالله الثانى قد شمل برعايته ابنتى الرئيس العراقى السابق رنا ورغد صدام حسين وبرفقتهما تسعة أطفال من عائلتيهما .. حيث قرر استضافتهما فى عمان.وصرح وزيرالإعلام الأردنى الدكتور نبيل الشريف بأن رعاية العاهل الأردنى لابنتى الرئيس العراقى السابق هى لأسباب إنسانية بحتة.. ولم يدل الوزيرالأردنى بالمزيد من التفاصيل.وكان مصدر أردنى مسئول قد أكد لمراسل وكالة أنباء الشرق الأوسط بعمان وصول اثنتين من كريمات الرئيس العراقى المخلوع صدام حسين هما رنا ورغد أمس إلى عمان وبرفقتهما تسعة أطفال.. من أحفاد صدام. وقال المصدر إن رنا ورغد ومن معهما يستف يدون من حماية أردنية بعد موافقة الملك عبدالله على استضافتهما فى الأردن.وهكذا لجأت رغد ورنا للمرة الثانية خلال ثمانية اعوم،حيث كانتا تختبئان فى سوريا، إلى الأردن الذى منحهما الحماية مع أطفالهما التسعة بعد (ضوء أخضر من الولايات المتحدة).وقال أحد المقربين من رغد ورنا صدام حسين، إن ابنتى الرئيس العراقى وعائلتيهما الذين لجأوا إلى سوريا بعد سقوط النظام العراقى فى أبريل، وصلوا إلى الأردن الخميس على متن طائرة أردنية قادمين من سوريا.وأضاف لفرانس برس طالبا عدم الكشف عن هويته أن ابنتى صدام حسين كانتا فى سوريا حـ يث لجأتا بعد أسبوعين على سقوط بغداد أى حوالى نهاية أبريل.وقال قريب أخر للعائلة لوكالة فرانس برس أمس الجمعة ردا على سؤال حول مصـ ير والدتهما ساجدة، زوجة الرئيس العراقى المخلوع، إنها لا تزال موجودة فى سوريا .وقال المصدر الذى طلب عدم الكشف عن هويته لقد هربت من العراق مع ابنتـ يها وأطفالهما إلى سوريا غير أنها قررت عدم مرافقتهم إلى الأردن طالما لا يزال مصير زوجها

مجهولا .وقال جمال كامل حسن وهو شقيق زوجى رغد ورنا لوكالة فرانس برس وقتها إنه وصل قبل بضعة ايام إلى الأردن بطلب من رغد ورنا وتقدم بطلب إلى السلطات الأردنية للسماح لهما بالإقامة فى الأردن.وأضاف أن الأردن طلب موافقة الأمريكيين قبل استقبالهما، ولم يعترض الأمـ يريكيون على ذلك فابنتا صدام حسين لم تكونا معنيتين بجرائم والدهما وخصوصا أنهما هربتا منه عام ١٩٩٥ .وقال جمال كمال إن شقـ يقة العاهل الأردنى الأمـ يرة عائشة الحسين استقبلت رنا ورغد لدى وصولهما إلى عمان.وأضاف إن الأميرة عائشة استقبلتهما فى المطار حيث كنت موجودا شخصيا موضحا أن ابنتى صدام حسين وأطفالهما يقيـ مون فى أحد المنازل الملكية فى عمان.وأوضح أن رغد أرملة حسين كامل، جاءت مع أطفالها الخمسة وهم ثلاثة أولاد وبنتان (على وصدام ووهج وحر ير وبنان). أما رنا، أرملة صدام كامل، فقد قدمت مع أطفالها الأربعة وهم ثلاثة أولاد وبنت (أحمد وسعد وحسين ونبع).ويروى جمال كمال وهو الوحـ يد من عائلة حسن الذى لا يزال على قـ يد الحـ ياة عندما أعلن أخوتى انشقاقهم عن النظام، اعتقلت فى بغداد وأفرج عنى لدى عودتهم فى فبراير ١٩٩٦ .لقد تمكنت من رؤيتهم فى يوم واحد إذ تناولنا طعام العشاء فى منزل عدى الذى كان يتصرف وكأن الأمور طبيـ عية جدا. وبعد ذلك، غادرت إلى تكريت (معقل الرئيس العراقى على بعد ١٨٠كيلومترا شمال بغداد) فى حين توجهوا إلى المنزل العائلى فى بغداد حيث قتلوا .وقد قتل فى اليوم نفسه الأشقاء الثلاثة الذين كانوا لجأوا إلى الأردن وشقـ يقة انضمت إليهم فى عمان مع أولادها الأربعة، وشقـ يقة أخرى وابنها ووالدهم.وأضاف جمال كمال والدتى شعرت بالخطر وحاولت لقاء عزة إبراهيم لمناشدته مساعدة عائلتها، لذلك لم تكن موجودة فى المنزل عندما تعرض للهجوم على يد رجال صدام الذين قتلوا كل من كان موجودا فـ يه، لكنها قتلت بعد ذلك طعنا بالسكين.وكان على حسن المجـ يد (المعروف باسم على الكـ يماوى) عم حسـ ين وصدام كامل حسن المجيد، هو الذى أشرف على عملية تصفية العائلة فى منزلها فى بغداد.

كان شرط بقاء رغد فى الأردن أن تكتم فاها وتصون لسانها ولا تتكلم فى السـ ياسة، لكن ماذا إذا كانت السياسة تلك تعنى أباها وسـ يرته ومحاكمته؟ وهكذا وعندما بثت رغد فى أول ظهور تلفزيونى لها فى أعقاب اعتقال والدها مع CNN شكوكها فى تلقى صدام حسـ ين لمحاكمة عادلة، وعزت ذلك إلى أن المحكمة ستدار بواسطة مجلس الحكم العراقى الإنتقالى، وهو طرف غير معترف به على الصعيدين الدولى أو العربى.

وترى ابنة صدام أن والدها الذى شاهدته على شاشات التلفزة العالمية إبان اعتقاله فى مخبأ بالقرب من مسقط رأسه فى تكريت، فى ديسمبر ٢٠٠٣ قد تم تخديره، وليس بالوالد الذى تعرفه.

وقالت رغد فى هذا السياق كل من له نظرة ثاقبة يستطيع للوهلة الأولى أن يجزم بأن والدى لم يكن بكامل وعيه.. وبصفتى ابنته، أقول لكم من البداية، وأنا متأكدة مائة فى المائة، بأنه كان مخدراً.

ولتعزيز نظرية التخدير، رددت الابنة الكبرى لصدام قائلة توقعاتى الشخصية أن أحد الأشخاص الذين يعتمد عليهم والدى قد دس له شيئاً فى الطعام، أو أنها تقنية عسكرية، نوع من الغاز له تأثير مخدر.. لأننى أعرف والدى وهو لا يستسلم أبداً.

ووصفت رغد وقع خبر اعتقال والدها الذى سمعته عبر التغطيات التلفزيونية الذى ظلت تشاهده وهى حالة من الذهول وعدم التصديق فى انتظار خبر تكذيب ينفى واقعة الاعتقال.

غير أنها تقبلت الأمر الواقع بعد ساعات من الانتظار، لتنهار على الأرض وتنخرط فى البكاء.

وتحدثت عن مدى تأثرها بالمشاهد الأولى التى تعرض لصدام حسين فى أعقاب اعتقاله وقد ظهر بلحية مستعارة كثيفة غير مشذبة لقد كانت مرعبة، ومؤلمة وقاسية للغاية.. قد أصابتنى فى الصميم.

واستنكرت رغد التقارير المتناقلة عن ردة فعل والدها إبان اكتشاف القوات الأمريكية لمخبئه حيث تقدم معرفاً نفسه بصدام حسين.. رئيس العراق، وأريد التفاوض. متسائلة عن مغزى عدم تصوير القوات الأمريكية للحظات الاعتقال التى انتظرتها الإدارة الأمريكية طويلاً مؤكدة ما عُرف عن والدها من شجاعة وثبات.

كما وصفت رغد والدها بالبطل والأسد وصاحب القضية الذى ضحى بكرسيه وعائلته من أجل بلده.

وقالت رغد فى حديث عبر الهاتف لتلفزيون العربية، إنها كانت تتابع وقائع محاكمة والدها عبر شاشة التلفاز، وإلى جانبها أولادها الذين كانوا يتباهون بجدهم على حد قولها.

وقالت إن تماسك والدها وعمّها أمام المحكمة لم يفاجئها، وأضافت: لم يكن لدينا شك بالنسبة لهذا الأمر، نحن عائلة تعودت أن تواجه الظروف الصعبة... فهم ولدوا فى ظروف صعبة وبنوا أنفسهم فى ظروف صعبة.

وقالت ابنة صدام حسين، التى تعيش فى الأردن منذ سقوط نظام والدها، لم يتوقف هاتفى عن الرنين وأشارت إلى أن المتصلين وصفوا صدام بالبطل.

ووصفت رغد والدها صدام حسين بأنه أسد لأنه يقاوم الاحتلال، وهو ضحى بعائلته فى وجه الاحتلال... وضحى بكرسيه من أجل مبادئه ومن أجل بلده.

وختمت حديثها داعية الله أن ينصر الأمة العربية.

وإذا كان هذا هو حال رغد وقت سقوط صدام فكيف عاشت ليلة إعدامه؟ تعال لنتعرف:

ففى حوالى التاسعة صباحا من يوم ٢٩ ديسمبر عام ٢٠٠٦، علمت رغد، التى تلقب بـ صدام الصغير، بأن إعدام والدها قد بات وشيكا جداً.

وفور انتشار النبأ، تحلق حول رغد فى فيلتها فى منفاها بضاحية عبدون فى العاصمة الأردنية عمان كل من ابنها صدام وابنتها وعائلة أختها وعدد من صديقاتها العراقيات، إذ راح الجميع ينتظرون بقلق بالغ حتى الساعة الخامسة والنصف من صبيحة اليوم التالى بالتوقيت المحلى عندما أعلن خبر إعدام صدام عبر إحدى محطات التلفزيون الفضائية العربية.

ففى تقرير جاء على كامل صفحتيها السادسة والسابعة نشرت صحيفة التايمز اللندنية الصادرة صبيحة يوم السبت تفاصيل أطول ليل فى حياة رغد صدام حسين وأفراد أسرتها عشية إعدام والدها، إذ نقلت الصحيفة عن مديرة مكتبها رشا عودة قولها:

لقد أمضوا الكثير من الوقت بتلاوة القرآن وطلبوا من الله أن يمنحه (صدام) العزم لتجاوز تلك الدقائق.

وتضيف عودة: كان هناك مجرد دموع حارة كحالك إذ تبكى عندما تعلم أنه ليس بمقدورك فعل شىء تقدم من خلاله النجدة.

وتتابع الصحيفة رصد تفاصيل رد الفعل الأولى فتقول إن أحد أبناء رغد حاول مواساتها بالكلمات التالية: لا تبك لأن أباك هو صدام حسين.

وبعدها غادرت شقيقتها رنا المكان فى تمام الساعة السابعة، ومن ثم خلدت رغد إلى النوم فى السابعة والربع لتستيقظ بعد أربع ساعات وتتلقى الصدمة الكبرى برؤية الصور التلفزيونية الرسمية لإعدام والدها.

تقول عودة: كانت لوحدها وقد استيقظت لتوها. لقد أخبرتنى فى الأمس قائلة إننى عندما أجلس وحيدة لبرهة، تظل هذه المشاهد تتدفق إلى مخيلتى وتظل صور الإعدام تتوارد إلى ذهنى من جديد.

وتضيف أن رغد لم تر ولم تطلب أن تشاهد الصور غير الرسمية التى التقطت بكاميرا جهاز الهاتف النقال للحظات المرتبكة لإعدام أبيها.

وتصف الصحيفة كيف أن رغد كسرت حاجز الصمت، الذى يحكمه اتفاق مكتوب وقعته مع الحكومة الأردنية يقضى بمنحها وأختها حق اللجوء السياسى طالما بقيت هادئة ولم تمارس نشاطا سياسيا، عندما قررت يوم الاثنين الماضى مخالفة أراء مساعديها وحضرت حشدا لأنصار والدها وسط عمان حيث خاطبتهم من خلال الميكروفون قائلة:

بارك الله بكم وأشكركم على تكريم صدام الشهيد.

وترفق الصحيفة التحقيق بصورتين تجمع الأولى صدام مع رغد، بينما تظهر فى الصورة الثانية رنا واقفة إلى جانب والدها وبدا الاثنان فى غاية السعادة.

اللافت أنه مع سقوط والد رغد بعد سقوط وطنها سقطت أشياء أخرى، وكما تقول هى بأنها لا تخشى الموت بل الفضيحة، وفى تقديرنا أنه لا تعنى بالفضيحة ذلك الكلام الذى تبثه مواقع الإنترنت عن فضائح لها ولا لعائلتها، فهناك مواقع مأفونة لا تنشر إلا حديث المراهقين، وقد تجد رابطا يقول لك: ادخل لترى فضائح حياة أولاد صدام، فتدخل لتجد صورة من حفل عيد ميلاد أو زفاف فى العراق، قبل سقوط بغداد. حفلات عادية جدا، وكثير منها يشبه تماما ما يحدث فى بيوتنا من حفلات زفاف، فأشهر مقاطع الفيديو فى هذا الصدد، ستجده عبارة عن مقاطع لرغد وهى ترقص فى حفل عيد ميلاد أو زفاف، وكل الموجودات من النساء!! ومن الواضح أن إحداهن التقطت تلك المقاطع على حين غفلة، وكأنه حرام على ابنة الرئيس أن ترقص أمام شقيقاتها وصديقاتها!!

رغد لا تخشى فضائح من ذلك النوع، أما الفضيحة التى تخشاها حقا فهى أن يتجرأ عليها أولئك الذين كانوا يخشون مجرد ذكر اسمها أثناء حياة والدها.

هل لك أن تتخيل أن شاعرا مغمورا من السعودية أشاع أنه طلب يدها وأنها وافقت، وأن وسائل إعلام يفترض أنها كبيرة، انساقت إلى دعواه تلك:

فقد أكد الشاعر السعودى منصور شعوان الشيبانى، والذى يعرف باسم منصور الغازى أيضا، للعربية نت أنه تقدم لخطبة رغد صدام حسين، كاشفا أن ذلك حصل فى اليمن منذ شهرين عقب قصيدة غزل برغد عبّر فيها عن أمنيته بالزواج منها فحاولت العربية نت، لا أعرف لماذا، الاتصال برغد صدام حسين، إلا أنها فضلت عدم التعليق على الموضوع، فيما استبعدت مصادر أخرى مقربة

من عائلة صدام أن تكون الخطبة قد تمت. هكذا تم تداول الموضوع وكأنه بجد. وقال الشاعر منصور الشيبانى للعربية نت إنه كتب قصيدة منذ أكثر من ٣ أشهر، يعبّر فيها عن إعجابه برغد صدام حسين ويتمنى أن تقبل الزواج به، ثم وصلت القصيدة إلى رغد عن طريق قريبة لها هى صديقة للشاعر وهى شاعرة وسيدة أعمال. وتابع بعد ذلك أدخلتنى قريبتها فى اتصال هاتفى معها، لم يكن مباشرا بل مكالمة جماعية. فسمعت رغد القصيدة منى مباشرة، وأعجبت بها، وعبّرت عن أمنيتها بلقائى. وعن مكان وزمان الخطبة، قال الشيبانى للعربية نت إن قريبتها رتبت اللقاء فى اليمن منذ أكثر من شهرين، خلال زيارة رغد لليمن بعد وفاة والدها. ووصف الشيبانى تقدمه لخطبة رغد بأنه لم يكن رسميا. وأضاف: كنت أنا وهى، وقريبتها ومجموعة أشخاص من نساء ورجال من مجموعة دول فى دائرة حكومية باليمن، وحضرها أشخاص واصلون، وفى اليوم التالى حصل لقاء آخر بيننا بناء على طلبها هى بحضور قريبتها وشخص عراقى، وأكّدت لها رغبتى بالزواج ووعدت بالخير.. دون أن يتم تحديد موعد للزواج.ونفى الشيبانى بشدة ما تناقلته بعض المنتديات على شبكة الانترنت بأنه تم عقد القران وقال إن ما جرى فقط أننى تقدمت لخطبتها ولم نتفق بعد على عقد القران والتواصل مستمر معها.. (لا، حقانى حقانى،) وعن أبرز المعانى فى قصيدة غزله برغد صدام حسين، يقول منصور الشيبانى: التعبير عن أمنيتى بالزواج من رغد صدام لقوة شخصيتها وقوة والدها وشجاعته، وأتمنى فى القصيدة الزواج بها والإنجاب منها ثلاثة أبناء الأول يحرر العراق والثانى يحرر فلسطين وأخر يكون نصيرا لخادم الحرمين الشريفين جلالة الملك عبد الله بن عبد العزيز. ااااوقال الشاعر الشيبانى إن عمره ٢٦ عاما (أصغر من رغد بخمسة عشر عاما) رافضا الكشف عن وظيفته وعمله فى السعودية غير نشاطه الأدبى والشعرى..إن كان له وظيفة، وينشر قصائده فى المجلات والصحف السعودية، كما توجد له قصائد على شبكة الانترنت بصوته والقصيدة التى كتبها الشاعر منصور الشيبانى برغد صدام حسين باللهجة العامية السعودية.

وبعد تلك الشائعة التى تناولت حياتها الشخصية والتى ذكرت خطبتها من شاعر سعودى انتقدت رغد ابنة الرئيس العراقى الراحل صدام حسين بعض أجهزة الإعلام المليئة بالكذب الرخيص وبعض القنوات الفضائية العربية التى اعتادت على الاساءة واستسهلتها.

واستهلت رغد بيانها بالآية الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾. وقالت لقد مللنا لغة بعض أجهزة الاعلام المليئة بالكذب الرخيص والتى جعلتها تفقد المصداقية لدى المتابع.

وأضافت لذا فإن عائلة الرئيس الشهيد صدام حسين وأختكم رغد تتوجه اليكم أيها الأحبة وتقول إن المسئولية الأخلاقية فى حماية عائلة رمزكم الذى أحببتموه هى أمانة فى أعناقكم وفى أعناق كل الشرفاء من أبناء وطننا وأمتنا وتترك لكم مهمة الدفاع عنها ضد أية جهة تصدر منها الإساءة سيما بعض القنوات الفضائية العربية التى اعتادت على ذلك واستسهلتها.

وتابعت رغد لقد وضع (الشهيد)، تقصد والدها، مسئولية حمايتنا على كاهلكم فى احدى جلسات ما تسمى بالمحاكمة، هذا الواجب الأخلاقى يمليه عليكم ديننا وعروبتنا وقيمنا لأننا نترفع وكما اعتدنا عن الرد أو التكذيب لاية اساءة توجه لنا مستقبلا ونترك ذلك لكم.

فقد أكدت وسائل الإعلام، نفيها المطلق لشائعات خطبتها. وقالت المصادر المقربة جداً من رغد إنها ابتسمت عندما سئلت عن الأمر، واكتفت بالسخرية من هذا الموضوع.

وأشارت مصادر فى السعودية إلى أن هذه الإشاعة قامت برفع اسم الشاعر النبطى المجهول الهوية إلى السماء جراء ربطه باسم رغد صدام حسين، مشيرة إلى أنه يبدو قد استغل ذلك بعد اتصال وسائل الإعلام به. وهكذا تستمر الحياة فى السخرية من رغد التى لا يختلف مصير شقيقتها رنا التى تقيم معها، والمولودة عام ١٩٧٠، فتقريبا يشتركان فى كل شىء.

أما الأخت الصغرى حلا، فقد ظلت بصحبة والدتها فى قطر، ورفضت الأردن استقبالها، لأن لها زوجا، هو جمال مصطفى، حيث تخوفت الأردن من وجود رجال كانوا مقربين من صدام على أراضيها، ليتمزق شمل العائلة، ربما إلى الأبد!!

■■■

6

أبناء الملك عبد الله..
العـــــــــــرش



« إننا لم نحقق ما حققناه من أمن وأمان ورخاء ورفاه
إلا بفضل العقيدة الإسلامية »

خادم الحرمين الملك عبد الله بن العزيز

■■

الملك عبد الله بن عبدالعزيز (تاريخ الميلاد ١٩٢١) ملك المملكة العربية السعودية ويلقب بخادم الحرمين الشريفين الذى اتخذه الملك فهد سابقا، ولد الملك عبد الله فى الرياض وهو الابن العاشر من أبناء الملك عبدالعزيز آل سعود الذكور وأمه فهدة بنت العاصى بن شريم من قبيلة شمر. فى عام ١٩٩٥ استلم إدارة شؤون الدولة بعد إصابة الملك فهد بن عبدالعزيز بجلطة ومتاعب صحية. وبعد وفاة الملك فهد فى ١ أغسطس ٢٠٠٥، تولى الملك عبدالله الحكم. وبالإضافة لكونه ملكا للدولة، يشغل الملك عبدالله منصب رئيس الوزراء تبعا لأحكام النظام الأساسى للحكم القاضية بأن يكون الملك رئيساً للوزراء.

فى الحادى عشر من شهر رمضان عام ١٣٨٢هـ الموافق ١٩٦٣ أصدر الملك سعود مرسوما ملكيا يقضى بتعيين عبدالله بن عبدالعزيز رئيسا للحرس الوطنى إذ كان هذا الحدث نقلة نوعيّة للحرس الوطنى، بتحويله من قوات شبه عسكرية إلى قوات حديثة، فى تجهيزها وتدريبها.

فى سنة ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥ م عين نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء ورئيساً للحرس الوطنى. وكان ذلك أثناء فترة حكم الملك خالد بن عبدالعزيز.

وفى يوم الأحد ٢١ شعبان ١٤٠٢هـ الموافق ١٣ يونيو ١٩٨٢ بايع الشعب الملك فهد بن عبدالعزيز ملكاً للملكة العربية السعودية، والأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولياً للعهد وفى اليوم نفسه أصدر أمر تعيين الأمير عبدالله بن عبدالعزيز نائباً أول لرئيس مجلس الوزراء ورئيساً للحرس الوطنى بالإضافة إلى ولاية العهد.

وقد تولى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز عدداً من المناصب، ومن ذلك:

رئيس مجلس العائلة.

رئيس المجلس الاقتصادى الأعلى.

نائب رئيس المجلس الأعلى لشئون البترول والمعادن.

رئيس المجلس الأعلى للمعوقين.

رئيس مؤسسة الملك عبدالله بن عبدالعزيز لوالديه للإسكان التنموى.

رئيس نادى الفروسية.

حبّ الاطلاع أُولى هوايات الملك عبدالله، ولعلّ خير معبّر عن ذلك قوله: لا يغنيك كتاب قرأته فى المساء عن كتاب تقرأه الصباح، فالثقافة المعاصرة مسرعة إلى الإنسان بكل ما عندها، وهو شئ يتجدد ولا ينفذ، فمن لا يقرأ العلم المعاصر ويصغى إليه سيجد نفسه معزولاً فى عالم مهمل. هوايته الثانية مصدرها حبه للصحراء التى يخرج إليها كلما وجد هناك متسعاً من الوقت. أمّا هوايته الثالثة فهى الفروسية من خلال ما تحققه من إحياء للتراث العربى الأصيل، لذلك فأكثر الخيل أصالة فى أعراقها جمعها ولا زال يجمعها ويحتفظ بها. وحين خشى أن تندثر هذه الرياضة، وتفقد الخيل أصالتها وخصائصها العربية أسس نادى الفروسية فى مدينة الرياض، وشجع الآخرين على المحافظة على هذه الرياضة الأصيلة التى لازمت الدولة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها.

قام بالعديد من الزّيارات لكثير من الدّول الصّديقة فى العالم -بالإضافة للدول العربية- لتوطيد ودعم علاقة المملكة العربيّة السعوديّة مع جميع الدّول الصّديقة، كما رأس وفد المملكة فى العديد من المؤتمرات الخليجيّة والعربيّة، وفى العديد من المؤتمرات الدوليّة والإقليمية.

ومن أبرز ما قام به خلال السنوات الأخيرة من ولايته للعهد هو إطلاق مبادرته للسلام فى الشرق الأوسط والتى قدمها فى القمة العربية التى عقدت فى بيروت عام ٢٠٠٢.

كما أنه قام بدعوة القاده الفلسطينيين من فتح وحماس إلى مؤتمر فى مكة المكرمة وذلك لحل المشاكل بينهم وإنشاء حكومة وحدة وطنية فلسطينية فى العام ١٤٢٧هـ الموافق ٢٠٠٧.

فى يوم الاثنين ١٤٢٦/٦/٢٦ تمّت مبايعته ملكاً للمملكة العربية السعودية خلفاً لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، وبويع أخوه الأمير سلطان بن عبد العزيز ولياً للعهد فى نفس اليوم.

زوجاته والأبناء

زوجاته

آل شيخ والدة الأمير متعب الأول ـ منفصلة

حصة بنت طراد الشعلان، والدة الأمير منصور.

هيفاء بنت مهنا بن عبدالرحمن آل مهنا والدة الأمراء بدر وبندر وأخواته.

مليكة الجريا والدة الأمير مشهور تاضى بنت مشعان الفيصل آل جريا ـ والدة الأمير مشعل.

أبناؤه:

الأمير متعب (توفى صغيرا)

الأمير خالد

الأمير متعب (بعد أخيه)

الأمير عبدالعزيز

الأمير فيصل

الأمير مشعل

الأمير تركى

الأمير سعود

الأمير منصور

الأمير محمد

الأمير ماجد

الأمير سعد

الأمير مشهور

الأمير بدر

الأمير بندر

الأمير سلطان

الأميرة عبير بن عبدالله

الأميرة فهده

الأميرة نايفة

الأميرة نوف

الأميرة عالية

الأميرة عادلة

الأميرة صيتة

الأميرة سيفة

الأميرة سارة

الأميرة هيفاء

الأميرة سحر

الأميرة مها

الأميرة هلا

الأميرة جواهر

الأميرة ريم

الأميرة بسمة

الأميرة عريب

الأميرة الهنوف

الأميرة مضاوى

الأميرة سحاب

الأميرة شعالة

نبذة عن أبرز الأبناء

● الأمير خالد بن عبدالله بن عبدالعزيز هو ثانى أكبر أبناء الملك عبدالله بن عبد العزيز بعد متعب الأول بن عبدالله الذى توفى صغيراً.

خالد العبد الله رجل أعمال ومن المهتمين بالرياضة السعودية. حيث إنه من أهم أعضاء شرف نادى الأهلى السعودى ويعد داعمه الأول بلا منازع، ولا يشغل اى منصب حكومى. ولد الأمـير خالد بن عبدالله بن عبدالعزيز فى عام ١٩٤٩م.. ولقد اهتم فى بداية حـياته بالدراسة.. إلاّ أنه كغيره كان يميل إلى ممارسة كرة القدم.. وما إن تخطى المرحلة الثانوية والتحق بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة حتى أخذ يمارس كرة القدم باهتمام أكبر.

واستطاع بهذا أن يثبت مهاراته الفائقة كلاعب من لاعبى الوسط.. حتى تقدم إليه النادى الأهلى وضمه إلى صفوف الدرجة الأولى وكان الأمير خالد يتميز بمراوغاته الدقيقة وسيطرته التامة على الكرة وتحكمه فى مناولاته.. حتى قيل عنه بأنه أحسن من يعطى (الباص) لزميله وسط اللعب.

يضاف إلى ذلك قوة ضرباته فى المرمى.. مما أعطاه ميزة لاعب الوسط الناجح.. ومع إن هذه المميزات التى توافرت له.. إلاّ أن حظه فى مشاركته الأهلى لم تواز مهاراته.. وبعد ذلك اعتزل الأمير اللاعب فتقدم إليه نادى الاتحاد النادى المنافس للأهلى وقدم إليه عضوية الشرف فرحب بها ومع أواخر عام ١٩٧٥م طلبت منه الجمعية العمومية للنادى الأهلى قبول ترشيح نفسه لرئاسة مجلس إدارة النادى.

وفعلاً وافق على ذلك، وتم انتخابه من قبل الجمعية العمومية بالإجماع.. ولقد بادر سموه منذ تسلم زمام النادى إلى وضع سياسة محددة من شأنها أن تعيد للنادى بطولاته الغابرة.. ولقد ركزت إدارته على التدريب كأداة طولى لتعزيز قدرات فرق كرة القدم بالنادى، وهى اللعبة الشعبية الأولى فى المملكة العربية السعودية.. وفعلاً حقق أكبر صفقة مع مدرب عالمى، وهو المدرب البرازيلى (ديدى)، ثم سانتانا مدرب المنتخب البرازيلى ونتيجة لهذا كسب الفريق الأول لكرة القدم بطولة الكأس والدورى لسنوات متعددة.. ولكن رغم هذه البطولات حالت المشاغل بينه وبين الاستمرار فى الرئاسة فقدم استقالته من رئاسة المجلس وظل يدعم النادى من خلال عضويته فى مجلس الشرف ولكن لم يلبث فى عام ١٤٠٦هـ أن لبى دعوة جمهور النادى وعاد إلى رئاسته.

وهو أول من أسس أكاديمية كرة قدم رسمية ومعترف بها دولياً بالمملكة العربية السعودية تعرف باسم (أكاديمية النادى الأهلى لكرة القدم) ويشغل منصب رئيس مجلس الأمناء بالأكاديمية.

يتمتع بأخلاقة الفاضلة وقربه من الناس حيث إنه لايحب أن يفصله عنهم شيئًا ولذلك أسماه جمهور الفريق الأهلاوى قلب الأهلى النابض.

● الأمير متعب بن عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود هو ثالث أبناء الملك السعودى عبدالله بن عبدالعزيز. وُلد بعد متعب الأول، والذى توفى صغيراً، وخالد. ويخطئ الكثيرون فى الاعتقاد بأنه أكبر أبناء الملك عبدالله بن عبدالعزيز لأن الملك يكنى بأبو متعب. نسبة للابن الأكبر متعب الأول. متزوج.

يشغل منصب نائب الرئيس المساعد للشئون العسكرية للحرس الوطنى السعودى برتبة فريق أول، وتقلد عدة مناصب منها نائب رئيس الجهاز العسكرى بالحرس الوطنى السعودى وقائد كلية الملك خالد العسكرية، له اهتمامات كبيرة بالخيل وهو عضو بارز وفاعل بنادى الفروسية وله اهتمامات ثقافية تتجلى بإشرافه الميدانى على المهرجان الوطنى للتراث والثقافة (الجنادرية) الذى يعقد برعاية ملكية كل عام وينظمه الحرس الوطنى السعودى. متزوج من الأميره جواهر بنت عبدالله بن محمد آل سعود وله ستة أبناء؛ ثلاثة أولاد (عبدالله، سعد، وخالد) وثلاث بنات. والدته من آل العطيشان من بريدة وكان جده الأمير محمد بن عبدالله العطيشان أمير قرية بالصمان شمال السعودية ومؤسس شرطة الرياض وأحد رجال الملك عبدالعزيز آل سعود.

ولد فى الرياض وتلقى تعليمه الابتدائى والمتوسط والثانوى فى الرياض وجدة. التحق بجامعة الملك سعود بالرياض لمدة عام دراسى واحد ثم قرر دخول المجال العسكرى. ابتُعث إلى أكاديمية ساندهيرست العسكرية الملكية فى بريطانيا، وتخرج منها برتبة ملازم.

عين فى مدارس الحرس الوطنى العسكرية بالرياض، كما قام برئاسة اللجنة المكلفة بدراسة مناهج كلية الملك خالد العسكرية المزمع انشاؤهاعام ١٩٨٢م. وفى عام ١٩٨٣م صدر أمر خادم الحرمين الشريفين القائد الأعلى للقوات المسلحة الملك فهد بن عبدالعزيز - يرحمه الله - بترقية النقيب متعب بن عبدالله إلى رتبة عقيد. كما أصدر خادم الحرمين الشريفين عبدالله بن عبدالعزيز حين كان ولياً للعهد أمراً بتعيين العقيد متعب بن عبدالله قائداً لكلية الملك خالد العسكرية. واستطاع الأمير الشاب بطموحه واجتهاده أن يجعل من هذه الكلية الأنموذج للأكاديمية العسكرية التى تستوعب كل العلوم والمعارف وفق أحدث الأساليب المتطورة التى تواكب مستجدات الصناعة العسكرية الحديثة علماً وتطبيقاً. وتدرج الأمير متعب بن عبدالله فى الرتب العسكرية حتى حصل على رتبة عميد، ثم التحق بكلية القيادة والأركان فى الرياض وحصل على درجة الماجستير فى العلوم العسكرية بتقدير امتياز وكان ترتيبه الأول،ثم ترقى إلى رتبة لواء. وفى عام ١٩٩٠م أصدر ولى العهد أمره بتعيين اللواء متعب بن عبدالله نائباً لرئيس الجهاز العسكرى برئاسة الحرس الوطنى، إضافة إلى عمله قائداً لكلية الملك خالد العسكرية. وفى عام ١٩٩٥ صدر الأمر بترقيته إلى رتبة فريق. وفى ٢١ ديسمبر ٢٠٠٠ أصدر خادم الحرمين الشريفين القائد الأعلى للقوات المسلحة أمراً بترقية الفريق ركن متعب بن عبدالله إلى رتبة فريق أول، وتعيينه نائباً لرئيس

الحرس الوطنى المساعد للشئون العسكرية. وقد اضطلع الفريق أول ركن الأمير متعب بن عبدالله بالعديد من المهام العسكرية حيث تولى قيادة العديد من التمارين الميدانية التى ينفذها الحرس الوطنى وتشارك فيها كافة وحداته العسكرية، ويشرف على عمل هيئة الأركان فى الحرس الوطنى ويتابع عملية التطوير التى يشهدها هذا القطاع، كما يشرف على تنفيذ المهام الأمنية التى يقوم بها الحرس الوطنى للحفاظ على أمن واستقرار الوطن، وفى الجانب السياسى قام سموه بزيارات إلى العديد من دول العالم والتقى بقادتها ورؤسائها، ويرتبط الأمير متعب بن عبد الله بعلاقات صداقة وثيقة مع عدد من زعماء ورؤساء العالم والشخصيات القيادية.

نائب رئيس اللجنة العليا للمهرجان الوطنى للتراث والثقافة.

رئيس اللجان الفنية بنادى الفروسية.

عضو مجلس إدارة مكتبة الملك عبدالعزيز العامة.

واكب المهرجان الوطنى للتراث والثقافة منذ بدايته الأولى عام ١٩٨٥ وقد اختير عضواً فى اللجنة العليا للمهرجان. وفى عام ١٩٩٧، أُعيد تشكيل لجان المهرجان وكلف الأمير متعب بن عبدالله نائباً لرئيس اللجنة العليا، وقد استطاع أن يطور المهرجان. كما استطاع من خلال علاقاته واتصالاته مع بعض المثقفين والمبدعين والإعلاميين أن يوفر لمهرجان الجنادرية سبل النجاح.

- الأمير عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود

مستشار فى ديوان والده الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود منذ أن كان ولياً للعهد.

رئيس مجلس أمناء صندوق المئوية.

أمه من عائلة فستق ذات الأصول اللبنانية.

- الأمير فيصل بن عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

عين رئيسا للهلال الأحمر السعودى عام ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م يذكر أن الأمير فيصل أنهى دراسته الجامعية بالجامعة الأمريكية، وحصل على الإجازة فى العلوم العسكرية من معهد بكنز فيلدج العسكرى فى بريطانيا، الذى التحق به فى أوائل العام ١٩٨٦، كما التحق أيضا فى العام ١٩٨٨ بالدورة الأمنية الخاصة بالجيش البريطانى، وفى العام ١٩٩١ صدر تعيينه

مديرا عاما لإدارة الوثائق وشعبة المعلومات فى الحرس الوطنى، حيث بقى فى الحرس حتى العام ٢٠٠٠ عندما تم تعيينه مستشارا لرئيس الاستخبارات العامة حتى صدور الأمر بتعيينه فى منصبه الجديد.

وشارك الأمير فيصل بن عبد الله خلال عمله مستشارا لرئيس الاستخبارات فى العديد من اللجان فى الداخل والخارج ومثل بلاده خارجـ يا فى العديد من اللجان المشتركة وأشرف على عدد من المكاتب الخارجية، كما حصل على عدد من الدورات المتخصصة المتقدمة فى عدد من دول العـالم، وله العـد يد من المساهمات فى الأنشطة الخـ يـر ية والإنسـانيـة فى الداخل والخارج.

● مشعل

وزير مفوض (فئة أ) بوزارة الخارجية السعودية منذ أبريل ٢٠٠٦عضو شرف بنادى الهلال السعودى.

● صاحب السمو الملكى المقدم الطيار تركى بن عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

هوالابن السابع من أبناء خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز ووالدته هى الأميرة تاضىء الجربا من قبيلة شمر وهو يعمل فى قاعدة الملك عبد العزيز الجوية فى الظهران وتمت ترقـ يـتـه إلى رتبـة مـقـدم يوم السبت ١٢جـمـادى الآخـر١٤٢٧هـ الموافق ٩ يو ليو٢٠٠٦م وأحد وكلائه الشرعـ يين فهد بن سليمان أزهر وشر يكه التجارى فى الأمور العقارية.

● الأمير سعود بن عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

أحد أبناء الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ولادته سنة١٩٧٧ مستشفى التخصصى والدته هى الأميرة نورة بنت عجمى بن خميس بن منيخر من قبيلة العجمان المعروفة وله أخ من والدتة هو الأمير سلطان بن بطى بن منيخر وجده هوالشيخ عجمى بن منيخر المستشار الخاص والمقرب من الملك خالد بن عبدالعزيز رحمه الله وأمير آل سفران من العجمان (رحمه الله) أبناؤه هم: صاحب السمو الملكى الأمير عبدالله بن سعود بن عبدالله صاحب السمو الملكى الأمير عبدالعزيز بن سعود بن عبدالله.

شخص رياضى واحد أعضاء شرف نادى النصر السعودى ويقال أنه رجل أعمال وليس له عمل حكومى. وخواله اسرة الجربا.

• سمو الأمير ماجد بن عبد الله

مستشار خاص لخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز آل سعود مرافق دائم له منذ صغره.. عضو شرف فعال فى نادى الهلال السعودى.

• الأميرة فهدة بنت عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

هى أكبر بنات الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود. وهى حرم الأمير: نواف بن فواز بن نواف بن النورى الشعلان.ووالدتها حصه بنت مانع بن جمعه يرحمها الله شيوخ آل ضاعن من قبيلة العجمان..

■■■

7

أبناء الرئيس

محمد حسنى مبارك

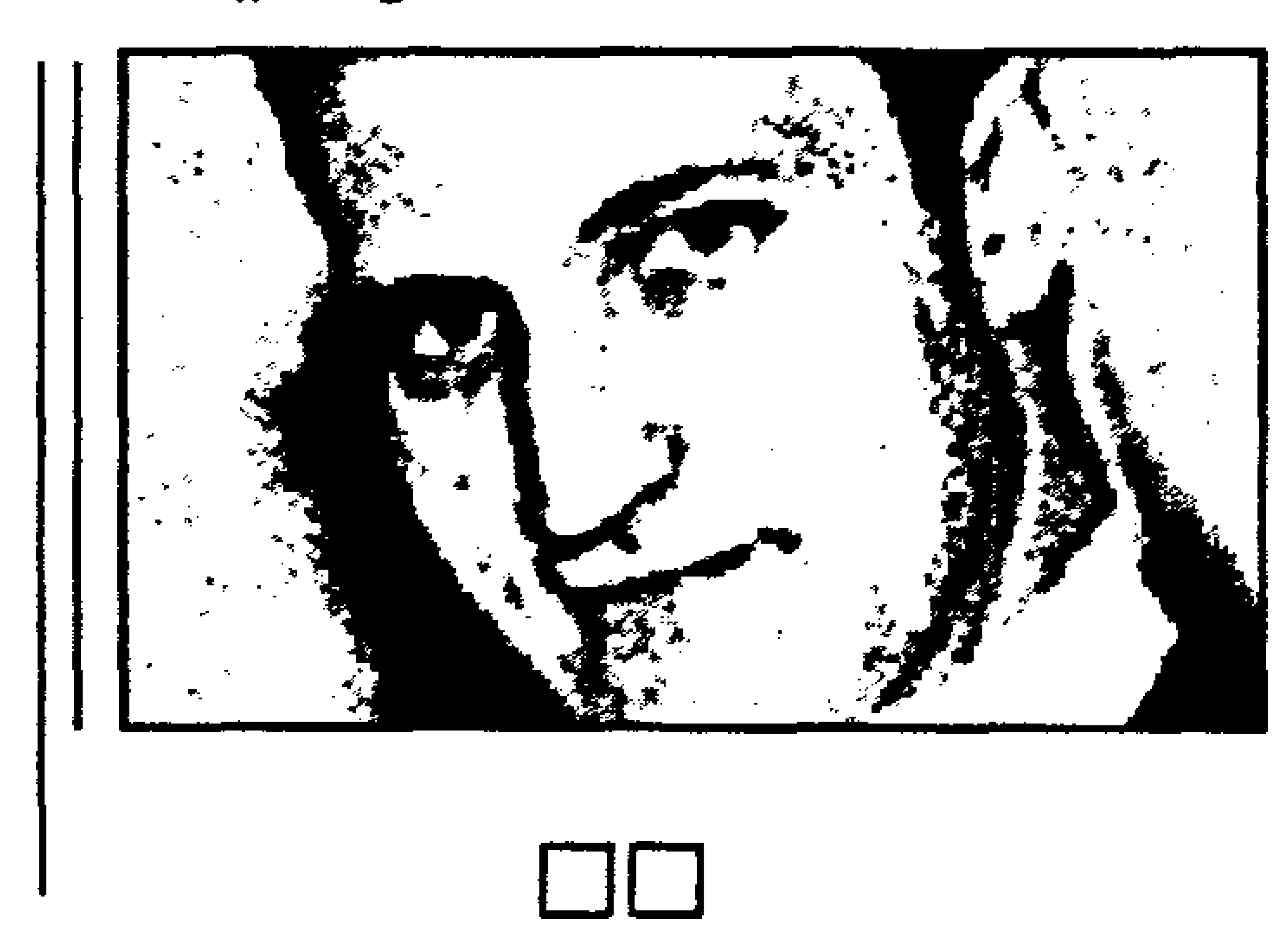
أحاديث الاقتصاد والسياسة

□□

علاء..
الاقتصاد

« أنا يا بنى أسمع كثيرا لدرجة أننى لا أسمع شيئا »

مولانا الشيخ مخاطبا سعيد مهران
فى الفيلم الشهير



□□

■■

كثير من الكلام قليل من الحقيقة

بداية نؤكد على أننا عندما نتناول حياة نجلى الرئيس الحالى محمد حسنى مبارك فنحن نتصدى لمهمة ثقيلة، نحن نعلم تماما أن هناك ترقبا قد يصل لحد التحفز لهذا الفصل تحديدا، وفى تقديرنا أن صعوبة هذا الفصل تكمن فى أننا نتحدث عن حياة رئيسنا الحالى الذى تولى رئاسة الجمهورية فى يوم ١٤ أكتوبر ١٩٨١.

وتأتى سخونة هذا الفصل من أن كلاما كثيرا جدا قيل وكتب عن عائلة الرئيس مبارك، وأتمنى ألا يتهمنا أحد بالنفاق إذا قلنا إن ما كتب عن نجلى الرئيس مبارك أكثر بكثير مما كتب عن نجل أى رئيس آخر أثناء وجوده فى السلطة.

فالرئيس عبد الناصر عندما رحل كانت كريمته هدى وزوجها حاتم صادق فى رئاسة الجمهورية، ومنى فى دار المعارف وزوجها أشرف مروان فى رئاسة الجمهورية، وخالد فى السنة النهائية لكلية الهندسة، وعبد الحميد طالب فى الكلية البحرية، وعبد الحكيم تلميذ فى الثانوية. أى أن أبناءه كانوا فى جميع المجالات تقريبا، مع ذلك لا نكاد نجد ذكر اسم لأحدهم ولو عرضا فى وسيلة من وسائل الإعلام فى ذلك الوقت.

وكذلك الرئيس السادات كان أبناؤه السبعة فى أعمار مختلفة ووظائف مختلفة غير أن أحدا منهم لم يكن يعمل فى السياسة أو الرئاسة من قريب أو من بعيد. ومع ذلك فلن تجد شيئا ذا بال إلا صورًا للعائلة باعتبارها عائلة الرئيس دون تمييز.

أما الرئيس مبارك، فله ولدان كما هو معروف. الأول هو علاء الذى سنتحدث عنه فى هذا الفصل، والثانى هو جمال الذى تتحدث عنه مصر كلها تقريبا. ولا يمكن تصور حجم المقالات والدراسات والأخبار التى تتناول اسم نجلى الرئيس. بالطبع ساهم تقدم وسائل الإعلام فى تلك

الحالة، فإلى جانب التلفزيون والإذاعة والصحف هناك القنوات الفضائية، وشبكة الإنترنت العملاقة التى تتميز بمسحة غير مسبوقة من حرية التعبير، ربما بشكل يفوق أى محاولة لتقنينها أو تهذيبها أو الرقابة عليها، أو حصارها أو ملاحقتها أو..... (قل كما تشاء).

على أن تلك الحالة الحادثة الآن لا تعنى على الإطلاق أن الحقائق مكشوفة للجميع، وما زلت أذكر مشهدا خالدا فى فيلم اللص والكلاب، عندما ذهب سعيد مهران وهو مطارد ليستنجد بمولانا الشيخ، فتوجه سعيد بالسؤال للشيخ: إنت سمعت يا مولانا اللى حصل لى؟ فرد الشيخ ردا حكيما للغاية: أنا يا بنى أسمع كثيرا لدرجة أننى لا أسمع شيئا.

وفى حالتنا تلك فإنها بالفعل ينطبق عليها كلام مولانا الشيخ، فإننا نقرأ كثيرا لدرجة أنك تشعر أنك لا تقرأ شيئا، كثير من الكلام، قليل جدا من المنطق، وبالتالى من الحقيقة.

وبالتالى فإننا لا نملك هنا إلا سرد المعلومات الرسمية الدامغة التى لا شك فيها ولا جدال، تاركين للزمن مهمة استخراج الحقيقة من باطن الأيام!!

الرئيس مبارك

تقول أوراق التعريف بالرئيس مبارك حسب الهيئة العامة للاستعلامات:

ولد الرئيس محمد حسنى مبارك فى قرية كفر مصيلحة محافظة المنوفية، بمنطقة الدلتا بقلب مصر، فى ٤ مايو ١٩٢٨ .وفى عام ١٩٥٠، التحق بالكلية الجوية حيث حصل على درجة البكالوريوس فى العلوم الجوية وتدرج بعد ذلك فى عدد من المناصب القيادية فى القوات الجوية المصرية: كطيار، ثم مدرس، فقائد تشكيلات، فقائد لقاعدة جوية، وتلقى دراسات عليا بأكاديمية فرونز العسكرية فى الاتحاد السوفيتى.وقد تميز الرئيس مبارك طوال فترة عمله بالقوات الجوية بالانضباط والتميز، وهو ما أهله لأن يعين فى عام ١٩٦٤ قائداً لإحدى القواعد الجوية غرب القاهرة، ليكون أصغر طيار يقود قاعدة جوية. وفى عام ١٩٦٧ عُين مديراً للكلية الحربية، ثم رئيساً لأركان حرب القوات الجوية المصرية. وهو المنصب الذى ظل يشغله حتى تم تعيينه قائداً للقوات الجوية عام ١٩٧٢. وخلال هذه الفترة، تمكن من إعداد كوادر جوية مقاتلة خاضت معركة أكتوبر ١٩٧٣ وكان الرئيس مبارك صاحب خطة الضربة الجوية الأولى.عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣، رقى لمنصب فريق جوى. وفى عام ١٩٧٥، اختاره الرئيس السادات نائبا لرئيس الجمهورية، ثم عُين نائباً لرئيس الحزب الوطنى الديمقراطى عام ١٩٧٨ .وفى عام ١٩٨١، انتخب مبارك رئيساً لجمهورية مصر العربية،

ورئيساً للحزب الوطنى الديمقراطى. وأعيد انتخابه كرئيس للجمهورية فى أعوام ١٩٨٧، ١٩٩٣، و١٩٩٩ لثلاث فترات متتالية وحصل مبارك على عدد من الاوسمة والجوائز والمناصب الرسمية والشرفية من بينها انتخابه مرتين رئيسا لمنظمة الوحدة الافريقية خلال الفترة من ١٩٨٩ إلى ١٩٩٠ و١٩٩٣ إلى ١٩٩٤ وحصل أيضا على جائزة رجل السلام عام ١٩٨٣ وشخصية العام عام ١٩٩٤ وميدالية الإسطرلاب عام ١٩٨٩ وجائزة حقوق الإنسان الديمقراطية عام ١٩٩٠ والدكتوراه الفخرية عام ١٩٩١ وجائزة الأمم المتحدة للسكان ١٩٩٤ إضافة إلى عدد كبير من الأوسمة المصرية والعربية. وتعرض مبارك خلال فترة رئاسته للجمهورية لمحاولة اغتيال نجا منها فى العاصمة الاثيوبية أديس أبابا عام ١٩٩٥. والرئيس مبارك متزوج من السيدة سوزان ثابت ولديه ولدان:علاء مبارك وجمال مبارك رئيس لجنة السياسات بالحزب الوطنى الديمقراطى

وعن زواجه بالسيدة سوزان مبارك تقول سيدة مصر الأولى: لم يكن تقليديا.. الريس كان مدرسا لشقيقى الطيار فى القوات الجوية (تقصد اللواء منير ثابت).. عندما تخرج أخى قام بدعوة أستاذه لتناول العشاء على مائدتنا فى البيت، ودائما هناك ارتباط وثيق بين الطيار وطالب الطيران، خصوصا أن الطائرة تحلق بهما فى الأجواء العليا معا، وتعددت دعوات العشاء مرة واتنين ورابعة وخامسة ومن هنا جاء التعارف الأسرى وليس زواج صالونات.. وهكذا واحدة واحدة..

عـــلاء

ولد علاء مبارك عام ١٩٦٠، كان والده فى هذا الوقت أستاذا للطيران، وقضى سنواته الأولى ملتصقا بوالدته السيدة سوزان مبارك، فكما تقول هى عن تلك الأيام فى حوارها للصحفية البديعة سناء البيسى:

كانت شقتنا فى ظهر نادى سبورتنج، وكنت آخذ الأولاد للرياضة والسباحة ولا أتركهم لحظة، وبعدما راح علاء وجمال المدرسة، والريس غير موجود كعادته فى عمله شعرت بفراغ كبير فلم أكن سيدة مجتمع ولا أزور صديقة ولا أخرج وحدى ولا هناك قعدات.. فى تلك الأيام لم تكن هناك مثل تلك الأمور.. كانت هناك هموم كثيرة وظروف صعبة وحروب من بعد حروب..

كنا فى البيت مع الأولاد وروتين اليوم بلا تغيير.. بعدما يرجع الأولاد من المدرسة أقعد أذاكر لهم وأحميهم وأعشيهم وأنيمهم وأصبح الصبح أفطرهم.. ومع استمرار غيابهم عن

البيت حتى الرابعة بعد الظهر شعرت أنى مفتقدة شيئا.. أن بداخلى حاجة ملحة لاستكمال مسيرة التعليم.. هنا فكرت جديا فى الالتحاق بالجامعة بعد الزواج والإنجاب.. قبل الزواج كنت قد فكرت أيضا بعد انتهائى من دراستى فى مدرسة سانت كلير من الالتحاق بالجامعة، وكان هناك طلب كبير على مدرسات اللغة الإنجليزية، لأن المدرسات الأجانب تركن المدارس بعد تأميمها وأصبح البحث جاريا والفرص متاحة لخريجات المدارس الأجنبية مثلى.. مكثت أفكر وأوازن خصوصا أن هناك مجموعة من الصديقات قد استغلت الفرصة فمنهن من عملت مدرسة، ومنهن من انشغلن فى تعلم موضة الكتابة بالآلة الكاتبة التايبريتر.. أما أنا فلم يتسع أمامى الوقت.. الريس لم يعطنى الفرصة..

درس علاء مبارك بمدرسة مسز وودلى الابتدائية بمصر الجديدة وهى مدرسة عادية بالقياس إلى عمل والده آنذاك، كما أنها غير معروفة ولا توجد عنها معلومات كثيرة باستثناء أنها مدرسة للراهبات الكاثوليك، شأنها شأن مئات المدارس المصرية التى أسستها إرساليات كاثوليكية وتشرف عليها وزارة التربية والتعليم المصرية. انتقل بعدها إلى مدرسة سان جورج حتى حصل على الشهادة الثانوية، ثم تخرج من الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

وفى يوم السادس من أكتوبر تم اغتيال الرئيس الراحل أنور السادات، وللرئيس مبارك شهادة عن ذلك اليوم وموقع أبنائه فيه، جاءت خلال حلقات كلمتى للتاريخ الشهيرة التى سجلها مع الإعلامى عماد أديب خلال الحملة الانتخابية لانتخابات الرئاسة عام ٢٠٠٥، حيث جاء الحوار كالتالى:

عماد أديب: سيادة الرئيس.. حادث المنصة سيادتك خرجت منه بإصابة، رأيناك وأنت تلقى البيان الخاص بإعلان وفاة الرئيس محمد أنور السادات- رحمه الله- ويدك مربوطة؟ ماذا حدث بالضبط، وماذا كانت إصابتك؟

مبارك: هى لم تكن إصابة وانما مجرد زجاجة أو شىء خرج من الأشياء الموجودة ودخلت فى يدى فربطتها.

عماد أديب: لم تكن رصاصة؟

مبارك: لم تكن رصاصة وربما تكون شظية صغيرة لا يزيد حجمها عن مللى.

عماد أديب: كانت فى يدك اليسرى؟

مبارك: لا أتذكر فى أى يد.

عماد أديب: لكن لم يكن فيها ألم؟

مبارك: لم يكن فيها شىء ولم أعرفها إلا بعد ذلك. ورآها الدكتور ونصحنى بأن أربطها.

عماد أديب: السيدة سوزان حرم سيادتك ونجلاك علاء وجمال وقتها كانوا موجودين فى المنصة؟

مبارك: زوجتى وقتها كانت موجودة فى الخلف مع السيدة جـ يهان وجمال كان فى الصف الخلفى مباشرة وعلاء كان فى المنزل يشاهد العرض على شاشة التليفزيون.

عماد أديب: بالطبع الثلاثة كانوا فى حالة قلق شديد. لأن العائلة لم تكن مجتمعة وقت الحادث.

مبارك: لا.. لا..

عماد أديب: سيادتك ذهبت للمستشفى والسيدة سوزان موجودة مع السيدة جيهان ورأت الحادث؟

مبارك: وجمال أيضا رأى الحادث.

عماد أديب: وسيادتك بعد انتهاء اطلاق الرصاص مباشرة ألم تنظر إليه؟

مبارك: نظرت وبعد ذلك أخذونى فى السيارة إلى المستشفى.

عماد أديب: وهو ذاهب للمنزل. ألم يأخذه أحد؟

مبارك: لا أتذكر بالضبط. أعتقد أنه ذهب للمنزل.

عماد أديب: كم كان عمره فى ذلك الوقت؟

مبارك: كان فى الجامعة الأمريكية.

عماد أديب: كان لايزال طالبا وبالطبع كانت تجربة مؤلمة بالنسبة له؟

مبارك: بالطبع.

عماد أديب: ومؤلمة أيضا للسيدة سوزان؟

مبارك: بالطبع وكذلك علاء الموجود فى المنزل حدث له نوع من عدم التركيز وفقدان الوعى، فهو لم يكن موجودا فى مكان الحادث ولا يعلم ماذا حدث.

عماد أديب: الحادث من الناحية الإنسانية مؤلم للجميع؟

مبارك: مؤلم للجميع بلا جدال.

عماد أديب: هل تمكنت من الاتصال بالسيدة سوزان لتطمئنها عليك؟

مبارك: لا. هى كانت تتصل وكان البعض يطمئنها ويبلغها ولكننى أنا لم أتصل بأحد فالظروف لم تكن تسمح بأن أتصل بها، فالظروف كانت صعبة.

ورغم صعوبة ذلك اليوم وتلك الفترة، إلا أنها شهدت تولى الرئيس مبارك لمقاليد الأمور، ورئاسة الجمهورية، ومنذ ذلك اليوم أصبح السيد علاء محمد حسنى مبارك نجلا لرئيس الجمهورية.

السنوات الأولى فى قصر الرئاسة

ربما تكون الصفة الأكثر حضورا فى شخصية علاء مبارك هى ابتعاده عن الأضواء، هو لا يحبها، ولا يحب أن تنتشر قصص حياته الخاصة على الألسن، وهو يستقبل ما يقال من شائعات عنه بعدم اهتمام. وذات مرة كان فى إحدى القرى الترفيهية يصطحب طفليه للنزهة، ففصلوا بينهما وبين الأطفال العاديين من باب الإجراءات الأمنية إلا أنه غضب بشدة من هذا، واعتبر هذا جذبا للانتباه.

وهكذا انطلق بهدوء علاء مبارك فى مجال المال والأعمال، وهو الملف الذى لا يمكن تناوله بأى حال من الأحوال، فلا توجد مجلة اقتصادية كفوربس مثلا تضعه فى مصاف الأثرياء، ولا توجد شركة معينة يرأس هو مجلس إدارتها، ولا شىء من هذا القبيل. فقط شائعات ونكات ومبالغات لا يمكن الاعتماد عليها للأسف.

حتى زواجه من السيدة هايدى كريمة اللواء مجدى راسخ رجل الأعمال المعروف لم يكن صاخبا، تم فى هدوء تام فى بدايات التسعينات، ولم تشر إليه الصحف، ولم يتعرف المصريون على اسم زوجته ولا اسم طفليه حتى وقت قريب، وكان ظهور طفله محمد أول مرة فى صحبة جده الرئيس مبارك وهو يداعب حفيده. وقد كان أول ظهور للسيدة هايدى فى بطولة كأس الأمم الأفريقية عام ٢٠٠٦ باستاد القاهرة.

واللواء مجدى راسخ حما علاء مبارك هو رجل أعمال معروف وزوجته كريمة مسئول سابق فى هيئة قناة السويس اسمه عيد أنجب ست بنات تزوجت إحداهن من اللواء راسخ والأخرى من المغربى رجل الأعمال المعروف.

عمل مجدى راسخ مع رجل الأعمال محمد نصير صاحب فودافون للاتصالات حتى مصاهرته للرئيس..وهو رئيس مجلس إدارة شركة السادس من أكتوبر للتنمية والاستثمار سورك وهى شركة كبرى من أبرز أعضاء مجلس إدارتها والمشاركين فيها شفيق البغدادى

المدير المالى والإدارى.. ويصل رأس المال المصرح به إلى خمسمئة مليون جنيه مصرى ورأس المال المصدر مئة مليون جنيه مصرى.. وهو رئيس شركة النيل للاتصالات ورئيس شركة رينجو للاتصالات التى تعد من أكبر شركات كيائن الاتصالات فى مصر.

اتجه مجدى راسخ إلى الاستثمار فى الغاز وأسس الشركة الوطنية للغاز (ش.م.م) فى عام ألف وتسعمئة وثمانية وتسعين عقب صدور قانون الهيئة العامة للاستثمار والمناطق الحرة رقم تسعمئة وواحد وستين لسنة ألف وتسعمئة وثمانية وتسعين. وتعمل الشركة فى مجال نقل وتوزيع الغاز الطبيعى من مناطق الإنتاج إلى العملاء بالمنازل والعملاء فى مجال التجارة والصناعة. وهو من أبرز المساهمين فى الشبكة الثالثة للمحمول فى مصر.كما أنه وكيل شركة كاتيك الصينية التى تصنع الجرارات وتعمل فى مجال السكك الحديدية.

ومن المعروف أن الرئيس حسنى مبارك يهيم حبا فى طفلى نجله، ويعدهما أكبر فرحة فى الدنيا. حيث رزق علاء بطفلين هما محمد وعمر.

الرياضى

من أهم ملامح السيد علاء مبارك هى اهتمامه الشديد بالرياضة، وقد كان أول ظهور له من خلال لعبه كرة القدم للصالات التى مازال يمارسها حتى الآن، وعائلة الرئيس مبارك كلها رياضية فالرئيس ظل حتى وقت قريب يمارس رياضة الإسكواش المشهور بها، وقد أخذ عنه نجلاه تلك الصفة، وإلى جانب كرة القدم فإنهما يمارسان السباحة والإسكواش.

غير أن علاء من المعروف عنه كذلك ارتباطه بالوسط الرياضى ومتابعة أحداثه، فتراه يذهب إلى تدريبات المنتخب، ويهنئ ويبارك عندما يفوز منتخبنا، بل إنه هنأ النادى الإسماعيلى بحصوله على المركز الثانى فى بطولة الدورى العام.

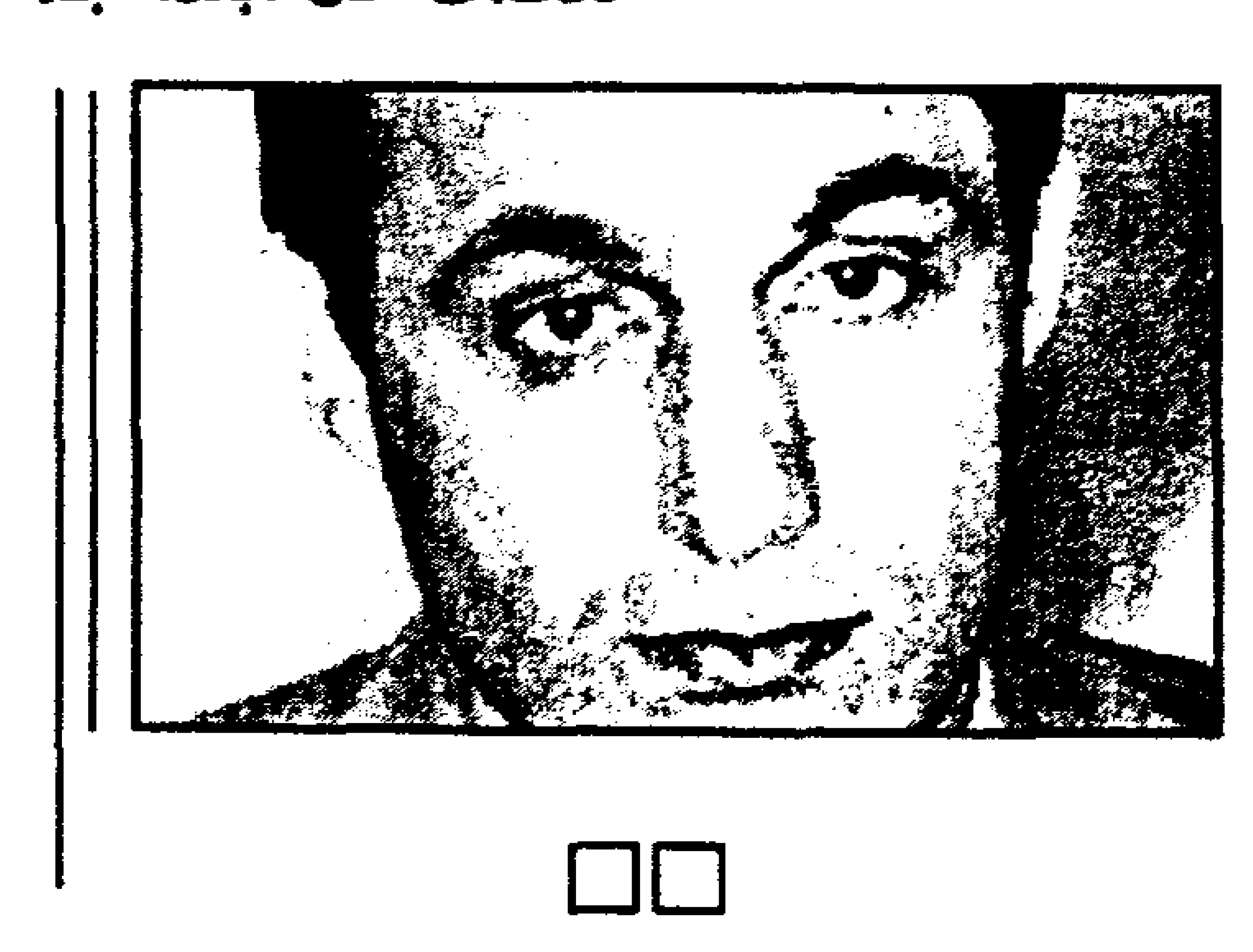
وهكذا ليس من المستغرب أن تجده فى قلب أى حدث رياضى، وقد يتدخل فى فض أى نزاعات بين رموز الوسط الرياضى، وأثناء أزمة عصام الحضرى حارس مرمى النادى الأهلى، الذى ترك ناديه ورحل للاحتراف الخارجى، افتخر الحارس بأن السيد علاء مبارك يسانده بقوة!!

■■■

جمـــال..
الســيــاســة

«طالع زى والده
شغل شغل شغل
وطالع عنده الإحساس بالمسئولية
وحب مصر.. وهو معطاء
ويعمل إلى ما لانهاية..»

السيدة سوزان مبارك
تتحدث عن ابنها جمال



□□

■■

كما نوهنا فإننا عندما نتحدث عن جمال محمد حسنى مبارك فى سياق هذا الكتاب، فإنه لا يعنينا من قريب أو بعيد أن نتناول الموضوع الذى يشغل حاليا الشارع المصرى تماما، وهو بالطبع احتمالية أن يتولى جمال مبارك مقاليد الحكم فى مصر مستقبلا، والمعروف باسم ملف التوريث.

إن جمال بالنسبة لنا هنا هو مجرد ابن للرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية الحالى ومنذ عام ١٩٨١.

ويمكن القول بأنه حتى منتصف التسعينات لم يكن جمال هو محور حديث المدينة بل كان شقيقه الأكبر علاء هو نجم تلك الأيام، بعد أن انتشر اسمه فى عالم المال والأعمال، ولكن بعد زواج علاء من السيدة هايدى راسخ، وإنجابها لعمر ومحمد، اللذين يهيم بهما الرئيس مبارك واللذين ظهرا بصحبته كثيرا فى مباريات كرة القدم، غير أن حكايات الشارع المصرى والمجالس الخاصة تراجعت عن علاء، وبدأت تتجه صوب شقيقه الأصغر جمال، الذى كان حينئذ يعيش فى لندن ويعمل فى أحد البنوك الأمريكية غير أنه عاد إلى مصر ليستقر بها نهائيا وسرعان ما جرى تصعيد جمال، فاستحدث له منصبًا بارزًا فى الحزب الوطنى (الحاكم). ولد الفتى فى القاهرة عام ١٩٦٣، وفى هذا الوقت كان والده يعمل مديرا للكلية الجوية، كانت هذه السنوات هى قمة سنوات الازدهار للرئيس الراحل جمال عبد الناصر فأسماه أبوه جمال تيمنا بالزعيم خالد الذكر، غير أنه لم يكن متفردا بهذا فقد كانت تسمية جمال سائدة فى الشارع المصرى، وقد بينا أن الرئيس الراحل أنور السادات رزق هو الآخر قبل ذلك بسنوات بمولود فأسماه جمال كذلك. ووالدته من مواليد المنيا ولها أصول إنجليزية وهى تحمل درجة الماجستير من الجامعة الأمريكية وقبلها كانت تحمل دبلومة الثانوية الأمريكية من مدرسة سانت كلير بمصر الجديدة وهى مؤسسة مركز سوزان مبارك الدولى للمرأة من أجل السلام ومقره جنيف واسمها مرفوع على العديد من المدارس والحدائق.

درس جمال مبارك كأخيه بمدرسة مسز وودلى الابتدائية بمصر الجديدة وهى مدرسة عادية بالقياس إلى عمل والده آنذاك، كما أنها غير معروفة ولا توجد عنها معلومات كثيرة باستثناء أنها مدرسة للراهبات الكاثوليك، شأنها شأنها مئات المدارس المصرية التى أسستها إرساليات كاثوليكية وتشرف عليها وزارة التربية والتعليم المصرية. انتقل جمال بعدها إلى مدرسة سان جورج الإعدادية وحصل على الشهادة الثانوية فى عام ١٩٨٠ثم تخرج من الجامعة الأمريكية بالقاهرة فى مجال الأعمال وحصل على ماجستير فى إدارة الأعمال.

بدأ جمال حياته العملية كموظف بالبنك الأمريكى فرع القاهرة، ثم انتقل إلى فرع لندن حتى وصل إلى مدير الفرع، وهو يعمل بصفة عامة فى مجال الاستثمار البنكى. مجلة أتلانتك الأمريكية نشرت تقريرا مطولا عن جمال قالت فيه بأنه يتميز بقامته الطويلة وجسده الرياضى المتناسق وملامحه البريئة وابتسامته الجذابة، ويبدو أقرب شبها إلى السيدة والدته التى تختلط أصولها المصرية، بأخرى من أمها التى تتحدر من منطقة (ويلز) البريطانية وتضيف المجلة الأمريكية التى نشرت تقريراً موسعاً عن جمال مبارك أن الرجل ذو الأنف الحادة، والشعر الداكن، والعينان السوداوان يحب ارتداء الملابس التى تتفق مع أحداث خطوط الموضة، وإن بات يفضل الآن بشكل خاص الحلل الرسمية التى تفصل يدويا من أجود الأصواف الإنجليزية، والأحذية الإيطالية..!

وأوضح أحد الدبلوماسيين الأمريكيين والذى عمل سابقاً فى القاهرة والتقى بجمال مبارك عدة مرات أنه يترك انطباعات إيجابية جداً لدى كل من تعامل معه، فهو يبدو واثقاً من نفسه للغاية ويفهم أكثر من والده كيف يجب التعامل مع الأميركيين والغربيين.ويشعر جمال مبارك بالارتياح فى صحبة رجال الأعمال المصريين الأثرياء، ومن أصدقائه المقربين أحمد عز ومحمود محيى الدين والأول هو أشهر منتج للحديد فى مصر والثانى هو وزير الاستثمار فى حكومة أحمد نظيف، غير أن صداقتهما بنجل الرئيس بدأت قبل أن يتبوءا أماكنهما الحالية.

السياسة

عقب عودة السيد جمال مبارك من لندن بدأ مشواره السياسى برئاسة مجلس جمعية جيل المستقبل التى تكونت عام ١٩٩٨، وكانت الفكرة وقتها أن تضم جيل الوسط من كافة التيارات السياسية، وطرحت وقتها عدة أسماء للانضمام لذلك التيار الجديد، يبدو ذكر

بعض تلك الأسماء الآن غير ذى جدوى وإن كنا نطرحها من قبيل إنعاش الذاكرة، ومنهم حمدين صباحى ومصطفى بكرى وسامح عاشور وحسام بدراوى وغيرهم.

لا نعلم أين ذهبت الفكرة إلا أن الجمعية بقيت، ولما كان تواجدها لا يتعارض مع انضمام السيد جمال لحزب سياسى، فمن هنا كان انضمامه إلى الحزب الوطنى عام ٢٠٠٠، غير أن صعوده السياسى بدأ يظهر بوضوح منذ المؤتمر العام الأول للحزب الوطنى الديمقراطى الحاكم فى سبتمبر ٢٠٠٢، الذى طرح شعار فكر جديد تعبيرا عن التوجهات الإصلاحية التى يقودها جمال مبارك. واتخذ هذا المنحى سبيلا جادا بإنشاء ما يسمى لجنة السياسات التى يرأسها جمال مبارك إلى جانب عضويته فى هيئة مكتب الأمانة العامة للحزب الوطنى. وتضم اللجنة مجموعة من النخب الفكرية والثقافية المصرية، وبدت للكثيرين بمثابة دينامو الحزب الحاكم فى رسم الخطوط العريضة للسياسات العامة.

وقد أثار هذا الأمر الارتياح لدى البعض والغضب لدى البعض الآخر داخل الحزب الوطنى نفسه. وظهرت تجليات متعددة تؤكد أن هناك صراعا خفيا بين طرفين فى الحزب. أحدهما يقوده جمال مبارك ومعه عدد من الرموز الشبابية النشطة فى المجالين السياسى والاقتصادى وأطلق عليهم الحرس الجديد وأخذت مكانا بارزا فى الحكومة. والآخر وصف بـ الحرس القديم وأبرز رموزه صفوت الشريف وكمال الشاذلى. وبدأت معالم الخلاف التى وصلت إلى حد التضارب تتكشف فى بعض التقديرات السياسية.

لكن أكثر من مرة أشار جمال مبارك إلى ضرورة أن يغير الحزب الوطنى من ممارساته بما يواكب العصر فى إشارة إلى أهمية التجديد فى مفاصل الحزب الحاكم. وحذر من عدم قدرة مصر على مواجهة التحديات الصعبة، ما لم تنجح فى تطوير المؤسسات السياسية والاقتصادية الراهنة وإقناع المواطنين بممارسة حقوق المواطنة وتعميق المشاركة فى اتخاذ القرار.

ومع أن هذا الخلاف بدأ يتسرب إلى بعض وسائل الإعلام،فإن جمال كان حريصا على ربط تصوراته بسياق الإصلاح العام، محاولا الابتعاد عن تقويم الأشخاص فى الحزب، رغبة فى الحفاظ على وحدته. ولجأ للتغيير عبر أداتين:

الأولى: فتح الطريق للشباب للتفاعل مع الحزب وأشرف على جمعية شباب المستقبل التى تمركزت مهمتها فى خلق جيل جديد على دراية كبيرة بتطورات العصر ومفرداته السياسية والاقتصادية، وحاولت صحيفة المستقبل الكشف عن أبعاد هذا الدور.

والثانية: تركيز الأضواء على توجهاته الإصلاحية بصورة عملية وحواراته الفكرية النظرية لخلق انطباع يعزز حظوظه السياسية فى الشارع المصرى.

ورغم دوره الواضح داخل الحزب الوطنى وخارجه، لاسيما فى الشق الاقتصادى، فإنه لم يتبوأ مناصب رسمية إلى جانب مهماته الحزبية.

الــزواج

«ياريت، ندعو كل يوم لكنه دخل نفسه فى دوامة الشغل.. طالع زى والده شغل شغل وطالع عنده الإحساس بالمسئولية وحب مصر وهو معطاء ويعمل إلى ما لانهاية»..

هذه الجملة وردت على لسان السيدة سوزان مبارك عندما سألتها الصحفية اللامعة سناء البيسى: النجل جمال ألم يحن الوقت بعد ليمتعك مع السيد الرئيس بأبنائه هو الآخر؟

سيدة مصر الأولى قالت هذا الكلام عام ٢٠٠٤ أى قبل أن يتزوج السيد جمال أو حتى قبل إعلان خطوبته بعامين.

وقد استجاب الله عز وجل لدعوة الأم، وهكذا طالعتنا جريدة الأهرام يوم الأحد ٢٦ فبراير ٢٠٠٦ خبرا مقتضبا ذكرت فيه أن جمال مبارك نجل الرئيس حسنى مبارك سيحتفل بخطوبته يوم الجمعة القادم فى حفل عائلى خاص.وقالت الصحيفة فى خبر نشرته فى صفحتها الأخيرة إن خطيبة مبارك الابن هى ابنة المهندس محمود يحيى الجمال، ولكنها لم تذكر أى تفاصيل أخرى.

وعلى عكس زواج شقيقه علاء الذى تم فى هدوء، فإن خطوبة جمال وبعد ذلك زفافه أصبح حديث الشارع المصرى، وبمجرد إعلان الخطوبة تحولت الصحف ومواقع الإنترنت إلى ساحة للتخمينات والتكهنات والشائعات. غير أن الثابت هو أن العروس هى خديجة الجمال ٢٣ عاماً . الابنة الوحيدة لوالدها، درست فى المدرسة الألمانى وتخرجت من الجامعة الأمريكية مثل عريسها.أما أبوها فهو رجل الأعمال المرموق محمود يحى الجمال، مهندس معمارى تخرج فى كلية الهندسة جامعة القاهرة، دمياطى يملك شركة استيراد وتصدير وشركة جلاله للتنمية السياحية ومتخصص فى إنشاء القرى السياحية وله قرية العين التى أنشئت على ٤٥٠ فداناً فى العين السخنة وبواجهة كيلو متر على البحر متدين حريص على أداء العمرة كل عام، رب أسرة شرقى محافظ، وزوج تقليدى له ابنة وحيدة هى خديجة العروس التى خطبها جمال

مبارك.ينتمى محمود الجمال إلى أسرة الجمال الدمياطية العريقة، وتتمتع أسرته بشهرة واسعة، سمعة طيبة، والدته من عائلة الطاهرى المعروفة، وهى أسرة كبيرة، كان تلميذاً فى مدرسة الجزويت الفرنسية ليست له علاقة بالسياسة أبدا، ولم ينتم لأى حزب أو تيار أو جماعة وعاش حياته كلها بعيداً عن صخب الخلافات والصراعات السياسية، رفض أن يعمل فى الحكومة واختار منذ تخرجه العمل الحر (العمل الخاص ثقافة الأسر الدمياطية) يملك الجمال شركة جلالة للتنمية السياحية ومقرها فى شارع شجر الدر بالزمالك، وتخصصت الشركة فى إقامة وإنشاء القرى السياحية.ومن أبرز مشروعاتها قرية خليج العين السخنة (١٢٢ كيلو متراً جنوب القاهرة) وهى ثانى مشروعات الشركات بعد مشروع منتجع العين واقيمت القرية على مساحة ٤٥٠ فداناً وبطول كيلو متراً واجهة على مياه البحر الأحمر فى عام ١٩٨٧ أسس شركات أيكات للمشروعات والمعارض وهى شركة تصدير واستيراد، تخصصت فى مجال أنظمة الرى ومعالجة مياه الشرب، بعدها جاءت جلالة للتنمية السياحية يتميز الجمال بأنه قليل الظهور فى المجتمعات العامة غير محب للإعلام وليست لديه رغبة أو تطلع أى تلميع حسب تعبير رجل الأعمال صلاح دياب.

أقيمت الخطوبة يوم ٣ مارس عام ٢٠٠٦ فى حفل عائلى خاص، وفى دار القوات الجوية التى أدار منها الرئيس مبارك معركة أكتوبر تم عقد القران بعد هذا التاريخ بعام، وبالتحديد فى ٢٨ أبريل ٢٠٠٧ حيث قام بعقد القرآن فضيلة الامام الاكبر د.محمد سيد طنطاوى شيخ الجامع الازهر. وقد أقيم بهذه المناسبة حفل محدود فى دار القوات الجوية اقتصر على الأسرتين والأصدقاء.

أما حفل الزفاف فقد تم فى الرابع من مايو عام ٢٠٠٧، والرابع من مايو هو تاريخ ميلاد السيد الرئيس محمد حسنى مبارك، قبل يوم زفاف ابنه بتسع وسبعين سنة. وكان مكان إقامته هو مدينة شرم الشيخ التى كانت تشهد فى تلك الفترة مؤتمرا سياسيا عن العراق. وقد أقيم الحفل على البحر فى فندق «فورسيزونز» وحضره ما يزيد على (٢٥٠) فرداً، غالبيتهم من أقارب العروسين والمسئولين، بالإضافة إلى الأصدقاء المقربين جداً، وكان من أبرز المشاركين عمرو موسى الأمين العام للجامعة العربية، وأحمد ماهر وزير الخارجية السابق، ورشيد محمد رشيد وزير التجارة والصناعة.

أحيا الحفل المطرب عمرو دياب الذى غنى حوالى ساعة وربع الساعة، وكان جمال مبارك قد ذكر خلال لقاء أجراه معه الإعلامى جمال عنايت فى قناة «الصفوة» أن دياب صديق

شخصى، وسيغنى فى الحفل، وبعد انتهائه من تقديم فقرته غنت المطربة الأمريكية فانيسا ويليامز، واحتفل علاء مبارك الشقيق الأكبر للعريس وزوجته هايدى ووالدته سوزان مبارك مع العروسين.

وبحسب جريدة المصرى اليوم فى عددها الصادر بتاريخ ٦ مايو ٢٠٠٧ فإن الإجراءات الأمنية فى الحفل لم تكن مشددة بالشكل المتوقع على اعتبار أن شرم الشيخ بالكامل خضعت لتأمين صارم لاستضافتها المؤتمر الدولى ومؤتمر الجوار العراقى فى نفس توقيت الزفاف، ولكن الدخول لم يكن مسموحاً به إلا بتصريح مسبق، وتم منع الهواتف المحمولة وسمح للحضور بالانصراف بعد مغادرة الرئيس، ولم يشارك فى الحفل أى من الضيوف الرسميين لمؤتمر العراق أو الشخصيات العامة أو الصحفيين.

كانت تقارير ذكرت قبل الزفاف أن مصمم الحفل هو «محمود آكى» أحد أشهر مصممى حفلات الزفاف فى العالم، حيث صمم حفل كريمة رفعت الأسد، عم الرئيس السورى بشار الأسد، الذى أقيم فى إسبانيا، كما صمم حفل زفاف الشيخ منصور، نجل الشيخ زايد بن سلطان الرئيس الإماراتى الراحل، وكثيراً من حفلات العائلات والأمراء والملوك.

واكتفى محمود آكى، الذى رفض الحديث عن تفاصيل الحفل، بالقول إنه يتوافق مع شخصية العروسين الهادئة، خاصة جمال المعروف بوقاره وعمليته وعزوفه عن الصخب والضجيج والبذخ وميله إلى الكلاسيكية.

■■■

8

أبناء الرئيس الأسبق الراحل محمد نجيب التاريخ بأثر رجعى



« أبى، ألم تكن فى يوم من الأيام رئيسًا للجمهورية؟ »

فاروق ابن الرئيس الأسبق الراحل محمد نجيب
مستنكرا استسلام والده تجاه تجاهل الثورة له

□□

■■

عندما تقلب فى أوراق ثورة يوليو ستخرج بيقين واحد، وهو أن حقائق تلك الأيام، لنقل معظمها، قد ذهب مع أصحابه. وأننا لن نعرف شيئا واضحا عن تلك للأبد.

نعلم بالطبع أن التاريخ بشكل عام لا يقين فيه، وإنما مرويات مهما بلغت دقتها وموضوعيتها فإنها فى النهاية روايات لأشخاص بشر لهم طبائع البشر وهفواتهم ونزواتهم وسقطاتهم ومصالحهم وأذواقهم وانتماءاتهم الفكرية ومعتقداتهم الدينية وخلفياتهم التعليمية، وكل هذا يؤثر بشكل أو بآخر على رواية الناس الذين اصطلحنا على تسميتهم مؤرخون لوقائع الأحداث.

لكن هذا يجعلنا لا ننفى أن هناك ما يمكن تسميته بهامش الحقيقة، وهى الأحداث التى لا يختلف أحد على حدوثها، وإن اختلفوا فى تفسيرها، ناهيك عن تقييمها واستخلاص الآراء والمواقف من خلالها.

لا أحد ينكر مثلا أن حربا عالمية قد وقعت وأن ضحايا بالملايين قد سقطوا فيها، ولا أحد ينكر أنه كان هناك ملك يحكم مصر اسمه الملك فاروق رحل عنها فى يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ولم يعد.

لكننا نتوقف عند هذه النقطة لنجد الروايات تتناقض وتتعقد وتتقاطع، ولا يمكنك أن تحصل على نتيجة شافية أو حقيقة مؤكدة أو حتى شبه مؤكدة، والغريب أن هذا لا يتوقف عند حدود، فمن أول شخصية قائد الثورة، وحتى الطريقة التى رحل بها ناصر الذى حكم باسم الثورة ١٦ عاما، ستجد روايات وحكايات وألف وجه للحادثة الواحدة ولو كانت حفل شاى فى بيت أحدهم.

وفى تقديرنا فإن القبضة الحديدية التى حكمت البلد إبان الثورة قد تسببت، عن عمد أو بحكم طبائع الأشياء، فى سقوط تاريخ تلك الفترة. وأصبحت سنوات ما بعد رحيل ناصر

مرتعا لحرب المذكرات، فى مذكرات فلان تجده يحكى بالتفصيل ماذا حدث؟ ولماذا؟ ومع من؟ وممن؟ ثم تأتى مذكرات علان لتقول لك إنه كان حاضرا الموقف وأن فلانا الأول لم يكن موجودا من أصله والحقيقة هى كيت وكيت وكيت!!! وعليك أن تختار بنفسك الجواب النهائى دون أن تستعين بصديق أو تستشير الجمهور، المثير للأسى هنا أن مثل تلك الأمور لا يجوز فيها كذلك أن تعمل بمبدأ استفت قلبك، فقط عليك أن تؤلف حقيقة ما وتقتنع بها، على الأدق تقنع نفسك بها، وتعيش وبها، وخلاص.

الرئيس الأسبق محمد نجيب وأولاده كانوا مثالا واضحا على تلك الظاهرة، فمحبو عبد الناصر ومريدوه وأشياعه وأتباعه ودراويشه يتجاهلون محمد نجيب بالكلية، ولا يرد ذكره إلا على الهامش وهم بالطبع ينكرون أن ناصر قد حبس نجيب أو حدد إقامته ويصورون حياته بعد إبعاده عن الرئاسة وكأنها الجنة!!

أما كارهو عبد الناصر ومعارضوه ورافضو أفكاره والحاقدون عليه والثائرون عليه فإنهم يضعون اللواء محمد نجيب فى مكانة الزعيم الثائر المظلوم المغدور، ويتفننون فى تصوير معاناته ومعاناة أولاده وأحفاده من بعده، إلى حد يصل إلى تجريم ناصر ورجاله، واتهامهم بأبشع التهم التى يعد أقلها الغدر بزعيمهم!!!

على أية حال سنحاول هنا سرد تاريخ أبناء محمد نجيب من خلال قراءاتنا بصورة موضوعية قدر ما نستطيع، ونحن هنا نعد القارئ بالأمانة إذ يتعذر أن نعده بالحقيقة الكاملة.

محمد نجيب الأب

من المنصف أن نقول إن نجيب كانت له شخصيته وشعبيته المحببة للشعب المصرى، حتى قبل توليه قيادة الثورة، إذ كان من أعلام العسكرية المصرية وقتذاك، وحصل على نجمة فؤاد الأول مرتين لبسالته، وشارك فى الحرب ضد القوات الألمانية عام ١٩٤٢م، كما حارب فى فلسطين عام ١٩٤٨م، ونال شرف الإصابة فيها ٣ مرات، وحصل على رتبة لواء أركان حرب وقد رُشّحَ نجيب وزيرًا للحربية فى وزارة نجيب الهلالى، لكن القصر الملكى عارض ذلك! البعض يعزى هذا الرفض إلى شخصيته المحبوبة بين الضباط، المهم أنه بعد أيام من انتخابه رئيسًا لنادى الضباط فى يوليو ١٩٥٢م، قامت الثورة على حكم الملك فاروق، وحاصرت قوات الجيش قصر عابدين.ولم تكد تمر أيام حتى أجبر رجالُ الثورة، الملكَ فاروق على مغادرة البلاد، والتفت الجموع حول محمد نجيب، الذى أعلن أن الجيش سيؤدى ما عليه، ويرجع

ثانية للثكنات، تاركًا الحكم لأُولِى الأمر، مما أعطى للثورة مصداقيتها وحقق لها النجاح عند قطاع عريض من طوائف الشعب المصرى، ليشكل محمد نجيب، فى ٧ سبتمبر ١٩٥٢م، أول حكومة للثورة، قبل أن يعلن، فى ١٨ يونيو ١٩٥٣م، تحول مصر لنظام جمهورى، وليصبح أول مصرى يتولى حكم بلاده فى تاريخها الحديث، كما تولى رئاسة الجمهورية إلى جانب رئاسته للوزراء.لكن نجيب لم يستمر فى منصبه سوى شهور، بعد أن قرر مجلس قيادة الثورة، فى فبراير ١٩٥٤م، عزله من منصب الرئاسة لأول مرة، مما أثار سلاح الفرسان وبقية الجيش، وطالبوا بعودته، فعاد ثانية بعد أسبوع من عزله وفى ١٧ إبريل من العام ذاته، تولى جمال عبد الناصر رئاسة مجلس الوزراء، وتم تقليص سلطة محمد نجيب على رئاسة الجمهورية، حتى وقعت حادثة المنشية، عندما تعرض عبد الناصر لمحاولة اغتيال، وهو يخطب فى ميدان المنشية بالإسكندرية، فى ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤م وذكرت التحقيقات الرسمية أن مرتكب الحادث عضو فى جماعة الإخوان وأن نجيب كان على اتصال بالإخوان، وأنه كان يعتزم تأييدهم إذا نجحوا فى قلب نظام الحكم، ليقرر مجلس قيادة الثورة، فى ١٤ نوفمبر ١٩٥٤م، إعفاء محمد نجيب من جميع مناصبه وتم وضعه تحت الإقامة الجبرية، فى قصر فى ضاحية المرج المنعزلة وقتها، ويقول الكاتب عادل حمودة: إن كشف حساب محمد نجيب فى البنك بعد أقل من شهرين على إقالته يكشف أن رصيده لم يزد عن ٨٩٩ جنيهًا وبضعة مليمات، وكانت ميزانية بيته فى شهر إبريل عام ١٩٥٧م تؤكد أنه كان ينفق ١٢٠ جنيهًا، بخلاف مصاريف تعليم أولاده، ونفقات علاجه وعلاج زوجته، وكان ذلك كله أكبر من معاشه الذى كان لا يزيد عن ١٨٣ جنيهًا وكان راتبه، وهو رئيس جمهورية، فى حدود ٦ آلاف جنيه، وقد تنازل عن نصفه فى خطاب وجهه إلى وزير المالية.. كما سبق أن تنازل عن رتبة الفريق - وهى رتبة منحته مرتب وزير- وقد صدر بها أمر ملكى من مجلس الوصاية على العرش بعد الثورة مباشرة، يوم ٢٤ يوليو ١٩٥٢م. ولأنه تنازل عن نصف راتبه فقد انخفض معاشه إلى النصف، وكان هذا المعاش هو كل دخله تقريبًا، وقد زاد معاشه ١٠٠ جنيه بعد قرار الرئيس أنور السادات بإلغاء قرار تحديد إقامته عام ١٩٧١م، وقد دفعته الضائقة المالية إلى أن يكتب إلى وزير المالية، طالبًا منه استبدال جزء من معاشه، مثله مثل صغار الموظفين فى مصر.

فاروق محمد نجيب

ودفع نجيب وأسرته ثمن غضب رجال الثورة عليه، والكلام مازال لحمودة، إلى حد مثير للحزن والأسى، فبعد تحديد إقامته بعامين، عاد ابنه الأكبر فاروق من المدرسة ليسأله والدموع

فى عينيه: أبى، ألم تكن فى يوم من الأيام رئيسًا للجمهورية؟.. وتعجب نجيب، لكنه ابتسم، وداعبه، وقال له: نعم يا بنى.. لكن لماذا تسأل هذا السؤال؟.. هذا تاريخ مضى وانقضى وفوجئ نجيب بابنه وهو يقدم له كتابًا مدرسيًا قائلاً: إن كتاب التاريخ الذى وزعوه علينا اليوم فيه أن جمال عبد الناصر هو أول رئيس جمهورية.. لقد شطبوا اسمك من التاريخ.. وتعاملوا معك كأنك لم توجد.. ولم تولد.. تعاملوا معك كأنك كذبة أو خرافة أو شائعة.

طبعا لغة عادل حمودة واضحة، ليست فقط هى الواضحة بل طريقة عادل نفسها فى نقل الوقائع. واسمحوا لى هنا أن أقول إن حمودة عادة ما يهتم بأناقة الكلام، ربما على حساب مطابقته للواقع إنه، فى تقديرى، يطبق المثل المصرى القائل: كدب مساوى ولا صدق ملخبط أى أن الكذب المساوى أى المنمق الذى تمت صياغته ببراعة أفضل من الصدق الملخبط أى غير المرتب. فما بالك إننا حين نتحدث عن كتابة عادل جمودة فإننا نعنى أكثر من مجرد كلام مساوى أو منمق، إننا نتحدث عن الكلمات فى أبهى حللها.

وبعد وفاة النجم اللامع أحمد زكى كتب عادل حمودة فى صوت الأمة أن الراحل العملاق أحمد زكى قال له: اكتب تاريخى أنت يا عادل حتى لا يشوهه الآخرون. أعجبتنى الجملة والموقف فى بداية الأمر ثم سرعان ما تذكرت أننى قرأته من قبل، وبقليل من البحث عرفت أنها جملة شكسبيرية قالها على لسان هاملت إذ يقول لصديقه شيلوك: اكتب تاريخى أنت يا شيلوك حتى لا يشوهه الآخرون. هكذا قرأ عادل حمودة الجملة وهكذا أعجبته، وهكذا وضعها فى مكانها. حين جاء أوانها!

بالطبع لا أعرف على وجه الدقة إن كان زكى قد قال لحمودة شيئا من هذا القبيل أم لا، لكن المؤكد أن يد حمودة تدخلت فى الصياغة.

لماذا نقول هذا الآن:

لسببين: أولهما أن هذا الموقف الدقيق انتشر فى الكتابات التى كتبت عن نجيب انتشار النار فى الهشيم باعتبارها حقيقة، لذا لزم وضع علامات الاستفهام حول الموقف للتنبه إلى أنه ربما كان من خيال عادل جزئيا أو كليا

والسبب الثانى هو أن عادل نفسه يبنى على هذا الموقف قصة حياة هذا الابن ويرى أن هذا الموقف كان هو العامل الوحيد فى مسيرة فاروق محمد نجيب إذ يقول:

حاول نجيب تفسير ما حدث، لكن ابنه دخل فى أزمة نفسية حادة جعلته لا يقدر على مواصلة دراسته فى مصر، وسافر إلى ألمانيا ليحصل على شهادة جامعية من هناك، لكن

نفسية الابن تحطمت تمامًا بسبب الظروف التى أحاطت بوالده، فلم يفلح فى الحصول على الشهادة التى سافر لأجلها إلى الخارج وبعد عودته إلى القاهرة، غرق فاروق الذى كان والده يصفه فى إحدى خطاباته له بالاستقامة والتدين - فى الخمر، التى ألقت عليه بمصائب لم يحتملها، فقد اتُهم بمعاداة النظام، بعد أن افتعل معه أحد أفراد الشرطة مشاجرة، إثر خروجه من أحد البارات، ليزَجَّ به فى السجن، ويبقى فيه خمسة شهور ونصف الشهر، تعرض خلالها لأشد ألوان التعذيب النفسى والجسدى، ثم خرج ليموت بعد شهور كمدًا وقهرًا، إثر إصابته بأزمة قلبية، وكان ذلك فى عام ١٩٦٩م.

إذن فإن فاروق ابن محمد نجيب كان مثالا للاستقامة والتدين، لكنه لما رأى فى المدرسة أنهم لا يقولون عن أبيه أنه كان رئيسا للبلاد غرق فى الخمر، لكن المتوحشين لم يكتفوا بذلك فافتعلوا معه شجارا حتى أدخلوه المعتقل وعذبوه بكل صنوف التعذيب ليخرج منه فيموت كمدا.

على أية حال تستمر حكايات أبناء محمد نجيب وبحسب محمد ثروت، الكاتب الصحفى الذى تخصص فى محمد نجيب، فإن فاروق ابن محمد نجيب (لا تسأل لماذا أسماه فاروق)، كان حساسا جدا ولم يكمل تعليمه وكان من المفترض أن يسافر إلى ألمانيا ليدرس مع أخوه على وعلى كان دفعه الدكتور النشائى وكان الأول على جامعة هانوفر بألمانيا وكان ممكن أن يبقى متخصص فى الهندسه النووية ويكون له شهرة عالمية لكن قيل إنه قتل من قبل اليهود أو نظام جمال عبدالناصر وسبب وفاته غامض حتى الآن وقتل فى ألمانيا.

ويستمر ثروت فيحكى عن أسباب سجن فاروق فيقول:

فاروق مات بعد خروجه من المعتقل، اعتقل فى نفس فترة اعتقال أبيه، أحد المخبرين قال له: أبوك ماكنش رئيس جمهورية قال له ازاى واصطدم معه، وفاروق كان قويا ضرب المخبر وأخذه المخبر مع أحد الحراس وأدخله السجن.

أما عن «على» فيقول ثروت:

عندما توفى على فى ألمانيا رفضوا طلب والده أن يرى جثته وقال إنهم لم يسمحوا له أن يرى جثته نظرة الوداع أما الابن الأخير يوسف فلم يكمل تعليمه وفصل من شركة المقاولون العرب وعمل سواق تاكسى وكان مأساة إنسانية توفى بعد والده بأربع سنوات ١٩٨٨ وأبوه توفى ١٩٨٤.

أما عادل حمودة فيروى عن على، الذى يصر محمد نجيب أنه قُتِل فى ألمانيا فى عام ١٩٦٨م، أنه كان يقوم أثناء دراسته بألمانيا، بنشاط مهم فى الدفاع عن القضية العربية وعن

مصر ضد من يهاجمونها، وكان له نشاط واسع ضد اليهود فى جامعته، وكان يقيم المؤتمرات السياسية، التى يدافع فيها عن بلاده وثورتها، وحق الفلسطينيين فى العودة إلى بلادهم.وينقل عادل حمودة عن نجيب قوله: إن هذا النشاط لم يكن يعجب رجال صلاح نصر (رئيس المخابرات المصرية آنذاك)، إذ اعتبروا ما يفعله إحياء لذكرى أبيه!!.. وفى ليلة ما كان يوصل أحد زملائه بعد أن انتهيا من استذكار دروسهما، فإذا بسيارة جيب، بها ثلاثة رجال وامرأة، تهجم عليه وتحاول قتله.وعندما هرب اندفعت السيارة وراءه حتى حشرته بينها وبين حائط، ونزل الرجال الثلاثة من السيارة، وأشبعوه ضربًا حتى خارت قواه ونزف حتى الموت، ورشوا عليه زجاجات نبيذ حتى لا يقترب أحد منه وينقذه.. كأنه يرقد من كثافة الخمر لا شدة الضرب.. وتمدد على غارقًا فى دمائه على الأرض، دون أن يفكر أحد فى إنقاذه.. ونقل جثمانه بالطائرة إلى القاهرة، ومُنع الأب رغم توسلاته من استقبال نعش ابنه أو الصلاة عليه!! ولم يتبق له من الدنيا سوى ابنه الأصغر يوسف، الذى تعثر فى دراسته، وحصل على دبلوم أحد معاهد اللاسلكى الخاصة، ثم التحق للعمل بالحكومة فى شركة النصر للإلكترونيات، لكنه تم فصله من عمله بقرار رئاسى، بعد أن تشاجر مع أحد أقارب شمس بدران (أحد رجال المخابرات فى عهد عبد الناصر)، ولم يجد أمامه إلا أن يعمل سائقًا للتاكسى على سيارة أرياف بالنفر من أجل أن يعيش. وقد اشتكى ابن نجيب من ظروف وقسوة الحياة مرارًا، لدرجة أنه وجد صعوبة فى الحصول على شقة، مثل ملايين المصريين، بعد أن وجد نفسه مطرودًا من الفيلا التى كان يقيم بها مع والده، وهو ما جعل الرئيس حسنى مبارك يأمر بتخصيص بيت له فى حى كوبرى القبة.لكن يوسف توفى، وترك أسرة تعانى من شظف العيش حاليًا، وتشكو مرارة الحياة وقسوتها بعد وفاة عائلها، الأمر الذى دفع نجله محمد أخيرًا، إلى أن يرسل رسالة إلى الرئيس مبارك عبر صحيفة الكرامة يطلب فيها السماح له بإقامة كشك لبيع السجائر، أو الحصول على إعانة حكومية تساعده فى إقامة مشروع صغير، ليقتات منه هو وأخوته وأمه المسنة، خاصة وأنه لا يزال يدرس فى إحدى كليات جامعة بورسعيد، وليس له دخل سوى معاش والده.

وبرغم تعدد الكتابات حول أبناء محمد نجيب إلا أنها تحتوى على مساحة قليلة من المعلومات عن هؤلاء الأولاد ومساحة ضخمة من البلاغة عن المآسى التى تعرضوا لها.

وقد كتب الصحفى عزمى عبد الوهاب فى مجلة الأهرام العربى مقالا يلخص التعامل مع سيرة حياة محمد نجيب فيقول: يبدو محمد نجيب فى سيرته، وكأنه خارج من قلب

أسطورة إغريقية، حيث تتوافر فيه وحوله كل الأسباب التى تجعله بطلا تراجيديا، يواجه النكران والجحود طوال حياته عقب خروجه من قصر عابدين إلى فيلا زينب الوكيل فى منطقة المرج، مقيما فى هذا المنفى الصحراوى إقامة جبرية، تطارده لعنة الصراع على السلطة حتى آخر يوم من حياته، بل تمتد هذه اللعنة لتطال أحفاده.فى يوم١٤ نوفمبر١٩٥٤ أعفى محمد نجيب من رئاسة الجمهورية بقرار من مجلس قيادة الثورة، وقال له عبدالحكيم عامر: إن إقامتك فى فيلا زينب الوكيل لن تزيد على بضعة أيام، تعود بعدها إلى بيتك، لكن العودة إلى بيته استغرقت ٢٩ عاما، مع أنه لم يعد هناك ما كان يسمى مجلس قيادة الثورة أو رفاق وأعداء الأمس، كلهم كانوا قد ذهبوا إلى ذمة التاريخ، لذلك خرج محمد نجيب من فيلا زينب الوكيل بالمرج بموجب حكم صدر من محكمة جنوب القاهرة فى٢٧ يناير١٩٨٣، بتمكين ورثة زينب الوكيل من الفيلا.قد يرى محمد ثروت صاحب كتاب الأوراق السرية لمحمد نجيب فى ذلك مؤامرة على أول رئيس لجمهورية مصر العربية، لكنه لا يستطيع أن يرى أبعد من سرير متواضع فى غرفة مهملة، احتوت نجيب فى شيخوخته، هو لا يستطيع أن يرى. إن كانت هناك مؤامرة. إن آلاف الفلاحين طردوا من أراضى الإصلاح الزراعى، بعودة الإقطاع، وبموجب أحكام قضائية، لا لشىء إلا لأن ثورة يوليو قد انتهت، لذلك لا يرى ثروت فى مصرع على ابن نجيب بألمانيا إلا مؤامرة، كان على يدرس هناك، وقبل هذا يكتب ثروت إنه قاد مظاهرة للطلاب العرب ضد اليهود، بعد ١٩٦٧ ووقعت مشاجرة قتل فيها بأيدى اليهود، لكن الكاتب يوثق الواقعة على لسان د. محمد النشائى، الذى كان زميلا لعلى آنذاك، فيقول إنه توفى فى حادث سيارة اصطدمت به.وهذا لا ينفى أن لعنة الصراع على السلطة، أصابت أسرة نجيب بشكل غير عادى رغم أنهم لم يكن لهم فى العير ولا النفير، فالابن الأكبر لم يكمل تعليمه فى مجال السياحة والفنادق، أما الأصغر فقد تخرج فى أحد معاهد اللاسلكى، وعمل فى البداية فى إحدى الشركات، لكنه تشاجر مع أحد أقارب شمس بدران فأقيل من عمله. هكذا يقول المؤلف، ويبقى هذا الابن عاطلا لفترة ثم عمل سائقا بشركة المقاولون العرب وسائق تاكسى بعد الظهر، وقد تزوج أكثر من مرة، وتوفى عام ١٩٨٨، ولايزال أبناؤه يتوارثون المأساة. فقد تم رفض ابنه محمد نجيب الحفيد، فى الكلية الحربية، وعاشت نبوية تحلم بشقة من محافظة القاهرة تأويها هى وزوجها.وحتى تكتمل المأساة يموت نجيب فى أواخر أغسطس١٩٨٤ ويشيع فى جنازة عسكرية، ويحمل جثمانه على عربة مدفع، ويتقدم الرئيس مبارك جموع المشيعين، وفى المساء يقام سرادق عزاء عسكرى فى عمر مكرم، وفى الليلة ذاتها تقوم مجموعة من الشرطة العسكرية باقتحام فيلا ولى العهد بالحدائق، التى خصصها

الرئيس مبارك لنجيب بعد أن عادت فيلا المرج لورثة زينب الوكيل، قامت الشرطة بطرد أحفاد أول رئيس لجمهورية مصر العربية من الفيلا.نعم جرى إنكار وتجاهل لمحمد نجيب ودوره فى تاريخ مصر وظلت مناهج التاريخ فى التربية والتعليم تتجاهل كونه أول رئيس لمصر بعد الثورة، نعم نحن فى حاجة إلى إعادة كتابة تاريخنا، ولكن على نحو آخر غير ما فعله محمد ثروت فى كتابه عن محمد نجيب، الملىء بالمبالغات والانحيازات، وفى تلك اللحظة يثور سؤال: ما الذى منع الشعب المصرى من أن يرفع محمد نجيب إلى مصاف الأبطال، رغم التراجيديا العالية المتوافرة فى سيرته؟ هذا الشعب الذى جعل من أدهم الشرقاوى - قاطع الطريق - بطلا شعبيا، تتوارث الأجيال حكايته، وتمنحه أدوارا ليست له، فى حين تحرم نجيب من هذه البطولات وفى المقابل لماذا يظل عبدالناصر حتى تلك اللحظة هو الرجل الذى قاد مصر نحو التحرر، رغم أنه غادر الحياة منذ حوالى ٣٧ عاما؟!

ونحن نميل إلى رؤية الأستاذ عزمى، فنحن بحاجة فعلا إلى معرفة تاريخنا الحقيقى بعيد عن الرطانة، فقد يتحيز البعض لصالح محمد نجيب، إما كراهة فى عبد الناصر أو حبا فى نجيب نفسه أو للترويج لكتاباتهم وأفلامهم ومسلسلاتهم والوثائق التى وضعوا يدهم عليها أو لغيره من الأسباب.

وقد ترفض الاستبعاد الذى جرى لنجيب، أو تتمنى لو أنه كان قد استمر رئيسا، لكن علينا أن نعترف أن إبعاده ترتب عليه أن تتحول أسرته إلى أسرة مصرية عادية، قد ينجح هذا الابن أو يفشل ذلك، قد يموت هذا فى حادث أو يعمر ذلك ويرد إلى أرذل العمر، لكن التعامل مع كل خطوة خطوها باعتبارها مؤامرة من النظام وتجاهل من الحكومات المتعاقبة واغتيالات واعتقالات فهذا ينطوى على كثير من المبالغة.

مثلا لا تفسر لنا تلك الكتابات: لماذا اعتقلت الثورة فاروق ولم تعتقل شقيقه يوسف مثلا؟ وما الدليل على أنه تم تعذيبه فى سجن طره عقب المشاجرة الذى ذهب على إثرها خلف الأسوار؟ إذا كان فصل على ابن محمد نجيب جاء بناء على تربص الثورة به فلماذا تم تعيينه من الأصل؟ ألم يكن ناصر ديكتاتورا ولا يجرؤ أحد على معارضته فلماذا لم يستخدم سلطاته تلك للقضاء تماما على ذرية نجيب إذا كان هذا ما يسعى إليه.

من السهل أن تروى التاريخ وفقا لرؤية واحدة تفسر بها كل شىء أما الصعب فهو أن تجد الحقيقة، أو ما يشبهها.

■■■

9

أبناء الأخ العقيد

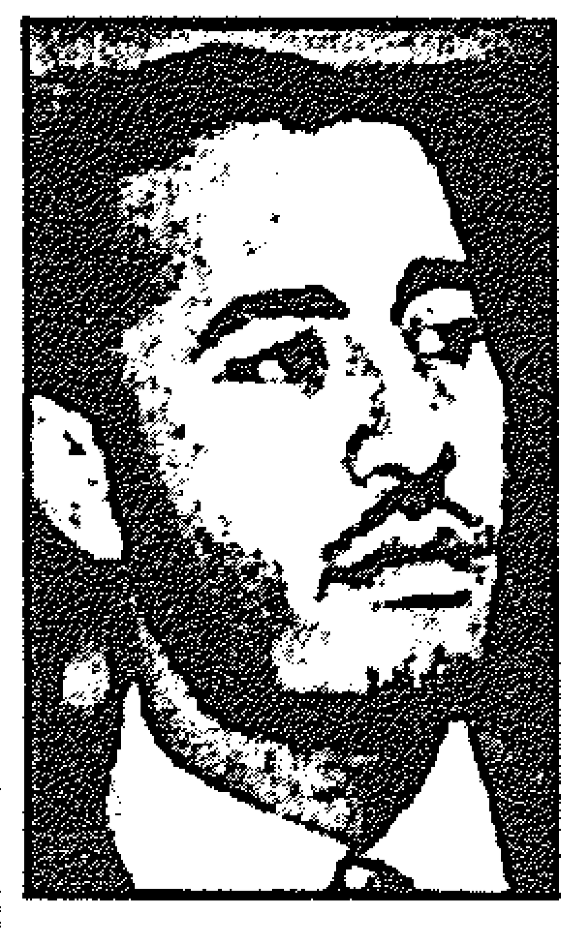
معمر القذافى

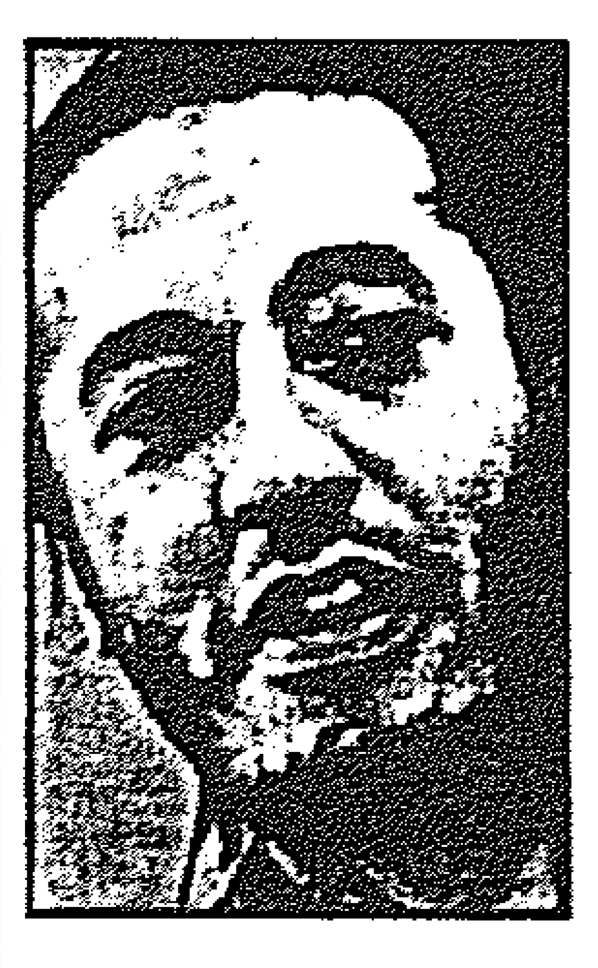
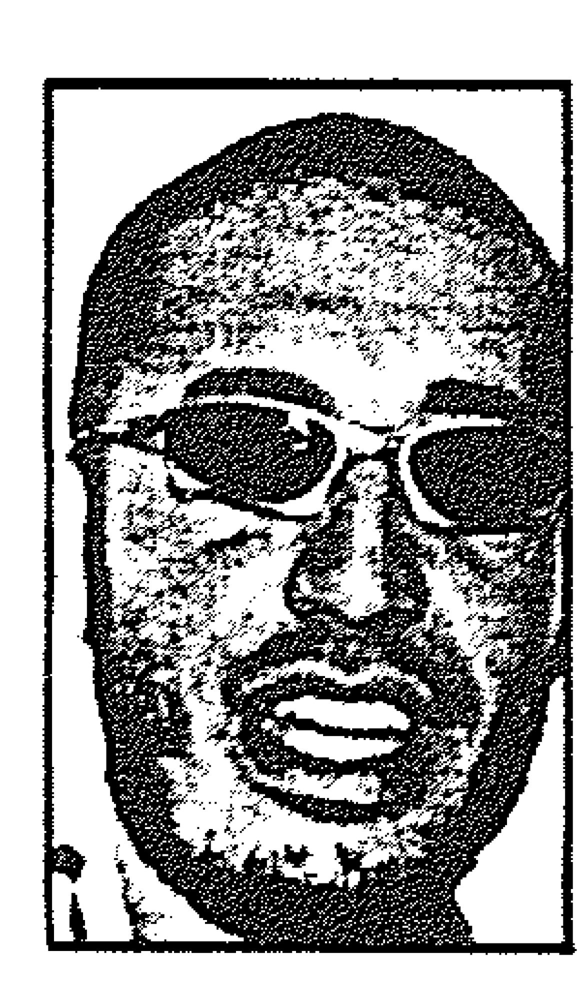


«من العبث إضاعة الوقت فى دراسة شىء لا وجود له»

عائشة القذافى حين قررت

إيقاف دراستها للقانون



■■

الأخ العقيد

فى عام ١٩٤١ ولد معمر القذافى فى بلدة سرت، وكانت أسرته تعمل فى الزراعة وتربية المواشى، التحق بالكلية الحربية فى بنغازى عام ١٩٦٣م وتخرج فيها عام ١٩٦٥م، ثم أوفد فى بعثة إلى بريطانيا حيث تخرج فى الأكاديمية الملكية العسكرية البريطانية فى ساند هرست.

وقد أشرف القذافى على تنظيم الضباط الوحدويين الأحرار الذى قام بثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩م، وأطاحت بعرش إدريس السنوسى الملكى، وأعلن عن قيام الجمهورية العربية الليبية. وبعد نجاح ثورة الفاتح رقى القذافى إلى رتبة العقيد وأصبح على رأس مجلس قيادة الثورة وعين فى الوقت نفسه رئيساً للوزراء بالإضافة إلى احتفاظه بمنصبه قائداً عاماً للقوات المسلحة. وكان منهج ثورة الفاتح السياسى قد بدت ملامحه بإعلان التضامن مع مصر والاقتراب من الوحدة العربية. وعملت الثورة منذ البداية على إقفال القواعد الأمريكية والإنجليزية فى ليبيا، وطرد الإيطاليين المقيمين فى ليبيا. ففى مارس ١٩٧٠م دخل فى مفاوضات مع المسئولين الأمريكيين والبريطانيين، كان من نتيجتها إزالة القواعد البريطانية من بنغازى، وقاعدة العظم وطبرق، كما سلم الأمريكيون قاعدة هويلس بعد ثلاثة شهور.

ظل القذافى رئيسا لمجلس قيادة الثورة حتى عام ١٩٧٧ حينما أعلن قيام الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاستراكية العظمى، فأصبح القذافى هو الأخ، بينما يحكم الشعب نفسه بنفسه وهو ما عبر عنه فى كتابه الشهير المعروف: الكتاب الأخضر.

تزوج الأخ العقيد معمر القذافى مرتين: الأولى عام ١٩٧٠، كان أحد الشاهدين على العقد هو الرئيس جمال عبد الناصر، والثانى هو الرئيس السودانى جعفر النميرى. وفى المرة

الثانية تزوج من ممرضة تدعى صفية فاركاش كانت تشرف على تمريضه عند إجرائه لجراحة الزائدة الدودية، وبشكل عام فإن القذافى حريص على عدم إظهار نسائه، والظهور أمام الكاميرات.

وقد أنجب القذافى سبعة أبناء هم محمد (من زوجته الأولى)، وسيف الإسلام، والساعدى وعائشة وخميس، والمعتصم وهانيبال (من زوجته الثانية).

محمد.. بعيداً عن الأضواء

هو الابن الأكبر للعقيد معمر القذافى درس الهندسة فى ليبيا ثم ذهب لاستكمال دراسته فى إنجلترا، ويعد حصوله على الدكتوراه هو أهم محطات حياته، ففى عام ٢٠٠٦ منحت جامعة ليفربول البريطانية درجة الدكتوراه فى الفلسفة للمهندس محمد معمر القذافى عن أطروحته حول البنية التحتية فى ليبيا: الإدارة والمخاطر. وقد منحت جامعة ليفربول شهادة الدكتوراه للمهندس محمد معمر القذافى فى ختام الموسم الدراسى ٢٠٠٥/٢٠٠٦ وذلك فى حفل نظمته الكلية لمنح العشرات من طلابها الشهادات العليا ودرجة الإجازة الدقيقة فى مختلف التخصصات العلمية. وخلال تسليم شهادات الدكتوراه لطلبة الجامعة دعا مشرف الدراسات العليا على رسائل الطلبة باسم مجلس الشيوخ بكلية دراسات البيئة الاجتماعية بالجامعة مستشارها العلمى بالإذن لمنح درجة الدكتوراه فى الفلسفة بهذه الجامعة لـ محمد معمر القذافى وأثناء تسليم شهادة الدكتوراه للمهندس محمد معمر القذافى أعلن مستشار الجامعة العلمى (إنه وفقا للصلاحيات الممنوحة لى أمنحك الإذن باستلام درجة الدكتوراه فى الفلسفة بهذه الجامعة). وأفاد المشرف العلمى بجامعة ليفربول على إعداد الدكتور محمد معمر القذافى أن الدكتور محمد ناقش فى أطروحته «درء المخاطر المتعلقة بإدارة مشروعات البنى التحتية فى ليبيا وكيفية التغلب» عليها وكان محل تقدير واحترام الأساتذة والمشرفين عليه خلال الدراسة. وأكد أحد زملاء الدكتور محمد معمر القذافى فى نفس الكلية بأنه كان مثلا للالتزام والاجتهاد وعرف بتواضعه بين أصدقائه وزملائه فى الكلية. وحضر حفل التخرج كل من الأخ أمين المكتب الشعبى الليبى والمستشار الأول والمستشار الثقافى وعدد من المسئولين بالشئون الثقافية بالمكتب.

ثم عاد محمد معمر القذافى بعدها إلى ليبيا ليتولى أمانة هيئة البريد فى الجماهيرية العربية الليبية. وقد فضل البقاء بعيدا الأضواء، والاكتفاء بالتوسع فى مجاله الأساسى وهو الاتصالات.

سيف الإسلام.. رجل الأمن

ولد سيف الإسلام معمر بومنيار قذاف الدم القحصى القذافى فى٥ يونيو١٩٧٢ فى معسكر باب العزيزية، وهو الابن الثانى للعقيد القذافى والأول من زوجته الثانية الممرضة صفية فركاش، وكما قلنا فإن السيدة صفية لم تكن تظهر فى السنوات الأولى فى الوسط السياسى أو الدبلوماسى إلا قليلا، ولكنها فى الفترة الأخيرة بدأت تشارك فى العديد من المناسبات الفنية والسياسية والثورية.درس سيف الهندسة المعمارية فى كلية الهندسة بطرابلس وتخرج فيها عام١٩٩٤ م ثم أعطى رتبة رائد. ارتبط سيف بعد تخرجه بمركز البحوث الصناعية فى طرابلس حيث أشرف على عدة صفقات مع شركات متعددة الجنسيات تقدر بعشرات الملايين من الدولارات. ثم التحق فى عام١٩٩٦ بمكتب استشارى برئاسة الدكتور على الشيبانى، حيث لعب دورا ملحوظا فى التأثير على السياسات الاقتصادية.تبنى سيف مبكرا أسلوب العمل من خلال الواجهات غير الرسمية لكى تمكنه من التحرك على عدة مستويات بصورة شبه رسمية دون القيود الرسمية والدبلوماسية والإدارية، فمن الناحية النظرية هو لا يشغل أى منصب سياسى أو رسمى فى الدولة، ولكن دوره فى الاتصال والتعاقد والتفاوض والتصريحات الإعلامية يفوق وزير الخارجية. ولذلك كان من الضرورى تبنى سياسة الواجهات الخيرية والإنسانية. من المؤسسات التى أقامها سيف فى داخل البلاد، مؤسسة خيرية تعنى بالتعامل مع ظاهرة إدمان الشباب على المخدرات فى المجتمع الليبى بالتعاون مع بعض العاملين فى المجال، كالسيد محمد المسورى، كان المركز الرئيسى للجمعية فى طرابلس يعرف باسم الإرادة، ولعل من أهم النشاطات التى أشرفت عليها الجمعية إقامة مباراة لكرة القدم بين فريق إيطالى مكون من لاعبى فريقى لاتسيو وانترناسينال والمنتخب الليبى لتجميع الدعم المالى. ومن الملفت للنظر أن الجمعية أصدرت مجلة بعنوان هانيبال وهو اسم أحد أشقاء سيف القذافى.اشتهر سيف فى الصحافة العالمية عندما قام بمقايضة مجموعة أبو سياف لإطلاق سراح الرهائن الألمان مقابل مبلغ قدره ٢٥ مليون دولار. وشارك فى المفاوضات التى دارت مع وفد وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فيما يتعلق برفع الحظر الأمريكى والدولى على ليبيا مقابل دفع تعويضات لوكيربى وغيرها من الأموال والتى تقدر بأكثر من٣٠ مليار دولار. يذكر أن الساعدى، ثالث أكبر انجال معمر القذافى، متزوج من السيدة كريمة، ابنة عضو مجلس قيادة الثورة اللواء الخويلدى الحميدى.

الساعدى.. الحريف

عرف الساعدى القذافى من خلال كرة القدم، فهو ليس فقط متابعًا ومهتمًا ومشجعًا، وإنما هو كذلك لاعب دولى محترف، لعب لصفوف نادى الاتحاد الليبى، ثم انتقل للعب فى الدورى الإيطالى حتى إنه انضم إلى نادى أودينيزى الذى كان يلعب له نجمنا المحبوب حازم إمام، عام ٢٠٠٥.

وذكرت وقتها صحيفة لا جازيتا ديللو سبورت الإيطالية أن كوزمى المدير الفنى لأودينيزى قد ضم الساعدى القذافى ابن الزعيم الليبى معمر القذافى إلى صفوف فريقه الجديد. بعد أن وقع كوزمى (٤٧ عاما) عقدا مع أودينيزى يمتد لمدة عامين وأنه سيكون لديه الساعدى القذافى الذى سبق له أن تدرب معه فى فريق بيروجيا عند وصوله إلى إيطاليا فى عام ٢٠٠٢ ولعب القذافى مباراة وحيدة فى دورى الدرجة الأولى الإيطالى مع بيروجيا فى موسم ٢٠٠٣/٢٠٠٤ قبل أن يتعرض للإيقاف بسبب ثبوت تناوله منشطات محظورة من مادة استرويد ناندرولون. وخاض القذافى مع بيروجيا الذى هبط إلى الدرجة الثانية فى الموسم الماضى مباراتين فقط فى مسابقة كأس إيطاليا. واعتبر بيترو ليوناردى المدير العالم لنادى أودينيزى أن انضمام القذافى إلى ناديه لمدة موسم واحد يجىء بهدف التسويق وليس لأهداف فنية. وقال ليوناردى: كما فعلت بعض الأندية وتعاقدت مع لاعبين يابانيين نسعى إلى توسيع رقعة الاهتمام بفريقنا فى المشهد الدولى. ومن المعروف أن عائلة العقيد الركن قد استثمرت الكثير من الأموال فى كرة القدم الايطالية برعاية نادى يوفنتوس من خلال شركة تامأويل للبترول. فحصل يوفنتوس على ١١٠ مليون دولار (١,٩٠ مليون يورو) خلال خمس سنوات. كما تملك عائلة القذافى ١٠ فى المئة من أسهم نادى تريستينا الذى يلعب فى دورى الدرجة الثانية وهناك اتصالات جارية بينهم وبين لوتشيانو جاوتشى رئيس نادى بيروجيا لشراء جزء من أسهم النادى.

وعندما اعتزل الساعدى اللعب، مواليد ١٩٧٣، عاد إلى ليبيا ليتولى رئاسة اتحاد الكرة الليبى.

ومن ناحية أخرى يعرف عن الساعدى علاقته الجيدة بعاهل الأردنى حتى إن العاهل الأردنى الملك عبدالله بن الحسين أصدر عام ٢٠٠٧ مرسوماً ملكياً يقضى بترقية الساعدى معمر القذافى نجل القائد الليبى معمر القذافى إلى رتبة عميد فى الجيش الأردنى. وأكد مكتب المهندس العميد الساعدى معمر القذافى فى طرابلس أن المرسوم الملكى الأردنى جاء

نتيجة الدور الكبير الذى لعبه الساعدى معمر القذافى فى تعزيز العلاقات الأردنية - الليبية خلال زيارة العاهل الأردنى الأخيرة إلى ليبيا وكان الساعدى معمر القذافى الذى يرأس أيضا القوات الليبية الخاصة ويدير مشروع المدن الليبية الحرة والذى تربطه علاقات صداقة قوية مع العاهل الأردنى الملك عبدالله بن الحسين منذ كان أميراً قد تسلم رتبة عقيد من العاهل الأردنى فى عام ٢٠٠١ والجدير بالذكر أن المهندس العميد الساعدى معمر القذافى يتطلع إلى جعل المدن الحرة الليبية أو المنطقة الحرة إلى واحدة من أكبر المعالم الحيوية والاقتصادية فى القارة السمراء، هذا بالإضافة إلى دوره الكبير فى الإصلاح السياسى الذى تشهده ليبيا منذ عام ٢٠٠٠.

عائشة.. بنت أبيها

ولدت عائشة القذافى عام ١٩٧٦ وتخصصت فى القانون أثناء تلقيها دراستها الجامعية، وكانت بصدد الحصول على دكتوراه فى القانون الدولى عام ٢٠٠٣ من جامعة السوربون بفرنسا حين قررت قطع رسالتها لأنها وجدت أنه من العبث إضاعة الوقت فى دراسة شىء لا وجود له، فى إشارة منها إلى الحرب الأميركية البريطانية على العراق.

ويشبه الكثيرون البنت بأبيها، نظرا للمواقف المثيرة للجدل التى اتخذتها عائشة نذكر منها مقالا نشر فى مجلة المجلة الصادرة فى لندن والذى كاد أن يوتر العلاقات بين الرياض وطرابلس وقدم رئيس تحريرها انذاك، عبد العزيز الخميس، ضحية لعودة الصفاء بين العاصمتين كما يسجل اعتلاؤها منبر الخطباء فى هايد بارك ببريطانيا ومهاجمة السياسات الأميركية والبريطانية فى أوج الأزمة الليبية الأميركية جراء قضية لوكربى التى انتهت بدفع ليبيا تعويضات للضحايا مقابل رفع الحصار الأميركى عنها، كما أثارت عائشة جدلا حين انضمت إلى فريق الدفاع عن الرئيس العراقى السابق صدام حسين مشبهة إياه بعمر المختار.

وتقول عائشة إنها رضعت الطبع الثورى مع الحليب، تربيت عليه منذ نعومة أظفارى كما تلقت تدريبا على استعمال المسدس والكلاشنيكوف والغدارة والرمانة، وهو الأمر الذى يعكسه مواقفها الجريئة وشخصيتها القوية، أما فى الشق الآخر من شخصيتها فهى تعترف أنها تحاول أن تكون ربة بيت ناجحة، وفشلت فى البداية محاولاتى، وأخيرا أصبت بعض النجاح، بفضل والدتى، وتعلمت إعداد أكلات معينة وتنظيم البيت. تحب الشعر ونظمه كما تحب الأغانى والشعر الخليجى.

والمتابع للشأن الليبى يعرف متانة العلاقة التى تربط عائشة بأبيها العقيد معمر تشبها بالمثل القائل وكل فتاة بأبيها معجبة، وهو ما أكدته عائشة فى تصريحات صحافية سابقة قالت فيها أبى يعطينا الكثير من الوقت، وعلاقتى به غريبة. أحيانا أشعر معه بدور الحاكم والمحكوم، وفى أحيان أخرى أشعر أنه صديقى العطوف. وفى كل الأحوال هو دوائى ضد أوجاعى وحصنى ضد أحزانى.

وفى عام ٢٠٠٦ ودعت عائشة القذافى عقدها الثانى بزفافها فى طرابلس وفق موقع إيلاف من مصادر مطلعة، والزوج أحمد القذافى القحصى ضابط شاب فى فرقة خاصة فى الجيش، ويدعى القحصى نسبة إلى فرع القحوص فى قبيلة القذاذفة، وهو الفرع أو بلغة القبائل.. الفخذ، الذى ينتمى اليه العقيد القذافى نفسه وأحمد قذاف الدم وشقيقه سيد. وشارك عدد كبير من زوجات الرؤساء والملوك والأمراء العرب الذين توجهوا تواليا إلى طرابلس الليلة الماضية للمشاركة فى الفرح الليبى فى الوقت الذى لم تشر وكالة الأنباء الليبية إلى الخبر بتاتا والذى يتزامن مع ذكرى مرور ٢٠ عاما على الغارات الأميركية على الجماهيرية التى أحيى ذكراها المغنى الأميركى ليونيل ريتشى ومغنية السوبرانو أوفيليا سالا ومغنى الأوبرا الاسبانى خوسى كاريراس، كما أن ريتشى أحيا حفل زفاف العروس الليبية.

سيرة ذاتية لعائشة

تحصلت الدكتورة عائشة معمر القذافى على ليسانس قانون من كلية القانون جامعة الفاتح فى سنة ١٩٩٨ .

وتحصلت على درجة الماجستير فى القانون الدولى سنة ٢٠٠٠ من قسم الدراسات العليا بجامعة الفاتح.

تقدمت لدراسة الدكتوراة فى القانون الدولى فى جامعة السوربون فى باريس ثم أوقفت استكمال رسالتها بسبب ما حدث من انتهاكات فى القانون الدولى فى العالم وقالت كلمتها المشهورة (من العبث وإضاعة الوقت أن أدرس شيئا لا وجود له).

وتقديرا لموقفها الشجاع منحت جامعة المرقب كلية القانون شهادة الدكتوراة الفخرية للأخت الدكتورة. عائشة معمر القذافى فى سنة ٢٠٠٣ وهى الآن بصدد مناقشة أطروحتها الجديدة (الدكتوراه فى علم النفس الجنائى).

والدكتورة عائشة معمر القذافى عضو فى العديد من المؤسسات المحلية والدولية منها :

الأمينة العامة لجمعية واعتصموا للأعمال الخيرية.

رئيس لجنة إدارة مشروع القذافى للشباب والطفل والمرأة الأفريقية.

الأمينة العامة لاتحاد الجمعيات الأهلية.

الرئيس الشرفى للمفوضية الأكاديمية العليا للقانون الدولى والحقوق المدنية فى العراق.

الأمينة العامة لمكتب الفتاة الجماهيرية.

الأمينة العامة الفخرية لاتحاد الناشرين الليبيين.

الأمينة الفخرية لاتحاد قانونى تجمع دول الساحل والصحراء.

الأمينة الفخرية للجمعية الليبية للطفولة الآمنة.

الأمينة الفخرية لمنظمة أطباء ((تجمع دول الساحل والصحراء)).

عضو بهيئة الدفاع عن الرئيس العراقى صدام حسين.

حصلت الدكتورة عائشة معمر القذافى على عدد من الأوسمة والدروع تقديرا لدورها فى تفعيل العمل الإنسانى التطوعى من :

جائزة الفتاة الليبية المتميزة ٢٠٠٧.

درع الإتحاد الوطنى للمرأة التونسية ٢٠٠٧.

درع الإتحاد العام للطلبة العرب ٢٠٠٧.

وسام ملك البحرين ٢٠٠٦.

درع المركز الإسلامى لعلوم القرآن ٢٠٠٦.

ميدالية الأكاديمية الذهبية من أكاديمية الطاقة بأذربيجان ٢٠٠٦.

وسام الشرف من الدرجة الأولى لجمهورية تشاد سنة ٢٠٠٥.

جائزة المرأة العربية المتميزة فى حقل المشاركة العامة مصر سنة ٢٠٠٥.

درع الصندوق الدولى للأطفال المتضررين من مفاعل تشرنوبيل سنة ٢٠٠٥.

درع الاتحاد النسائى للمرأة بأوكرانيا ٢٠٠٤.

درع جمعية النساء المسلمات بتايلاند سنة ٢٠٠٤.

درع الأمانة العامة لشؤون المرأة بالجماهيرية سنة ٢٠٠٤.

درع الملتقى العام للمنظمات الأهلية العربية والأفريقية سنة ٢٠٠٤.

وسام العطاء والتميز للاتحاد النوعى العام للجمعيات الأهلية لرعاية المعاقين سنة ٢٠٠٤.

درع وزارة الصحة بجمهورية النيجر سنة ٢٠٠٣ تقديرا لجهودها ومساهماتها فى القضاء على الإمراض المتوطنة بالجمهورية.

درع الاتحاد العام لقانونى تجمع دول الساحل والصحراء سنة ٢٠٠٣.

درع كلية الحقوق جامعة القاهرة سنة ٢٠٠٣.

شهادة شكر وتقدير من رئيس جمهورية البوسنة (د. سليمان هيتتش) تقديرا لمجهوداتها وما قدمته من مساعدات للنساء والأطفال خلال الحرب الأهلية فى يوغسلافيا السابقة.

المعتصم بالله.. العسكرى

فى الثالث من ديسمبر الماضى (٢٠٠٧) نشرت أخبار ليبيا خبرا مفاده أن الاستعدادات فى المملكة المغربية على قدم وساق هذه الأيام لإقامة حفل عيد ميلاد العقيد المعتصم معمر القذافى، المعروف بالدكتور، الذى يوافق اليوم التالى الرابع من ديسمبر.كان حفلا كبيرا وعلى مستوى يليق بالدكتور المعتصم، البالغ من العمر ٣٠ عاما، كأحد أبناء العائلة الحاكمة فى ليبيا. وتؤكد مصادر خاصة فى ليبيا أن المعتصم وصل المغرب قبل ثلاثة أيام من الحفل وأن حفل عيد ميلاده الثلاثين نفسه أقيم فى فندق بمدينة مراكش المغربية العريقة.

وكان من ضمن المدعوين للحفل ولى العهد المغربى مولاى رشيد، وصل كذلك الساعدى القذافى من ليبيا على متن طائرة خاصة مؤجرة خصيصا لهذه الرحلة.

وقد تولت شركة مغربية متخصصة فى ترتيب أعياد الميلاد تنظيم الحفل والإشراف عليه.

من هو الدكتور المعتصم بالله معمر القذافى؟

هو رابع أبناء الأخ العقيد معمر القذافى، ورغم صغر سنه فإنه من المولعين بالعسكرية والعمل العسكرى منذ نعومة أظفاره، وقد مكنه هذا من قيادة أحد كتائب الجيش وهو فى بدايات العقد الثانى من عمره. المعتصم معروف بحماسه الشديد، وحميته الجارفة، ربما

تسببت تلك الحماسة فى إعطاء فرصة لنسج قصص من الخيال، واتهامه بالاندفاع، وتخلط كثير من المصادر بينه وبين شقيقه الأصغر هانيبال.

والدكتور المعتصم بالله معروف بعلاقته الجديدة بالرئيس المصرى محمد حسنى مبارك، حتى إن الرئيس مبارك طلب من العقيد معمر القذافى الصفح عن ابنه فى أعقاب سوء تفاهم حدث بينه وبين والده عام ٢٠٠١، وبالفعل عاد الابن لأبيه وتولى منصبا رفيعا فى الجماهيرية.

وفى عام ٢٠٠٦ تقلد المعتصم منصب مستشار الأمن القومى فى الجماهيرية ليكون أول من يتقلد هذا المنصب فى ليبيا، وهو من الوجوه المعروفة لدى الغرب وبالأخص الولايات المتحدة الأمريكية، حتى إنه تمت دعوته رسميا إلى واشنطن أكثر من مرة.

ويعرف عن المعتصم إصراره الشديد، وحبه للحياة العسكرية.

خميس.. قائد الخميس

اختار الأخ العقيد معمر القذافى لابنه الخامس اسم خميس تيمنا بالشهيد خميس أبو منيار، وهو أحد الأبطال الليبيين.

وقد قضى خميس حياته فى الجيش، وفى العمل العسكرى، حتى تسلم فى ٢٠٠٤ قيادة أحد الجحافل (الكتائب) الليبية فى حفل يمكن وصفه بالكبير، حيث تم منح خميس معمر القذافى جحفلا عسكريا خاصا به.

ومن محاسن الصدف أن يكون الجيش باللغة العربية يعنى الخميس، وأن يكون الذى تم تسليم الجحفل لخميس هو يوم الخميس، واختيار يوم الخميس ليتسلم خميس القذافى رسميا جحفله العسكرى، لم يكن لتشابه الأسماء وإنما احتفالا بذكرى استشهاد شيخ الشهداء عمر المختار.

الاحتفال أحياه الفنان كاظم الساهر، وتم نقل الحفل مباشرة عبر قناتى التلفزيون الفضائية والأرضية، حتى يتمكن المواطنون من متابعة التسليم.

الجحفل الجديد الذى سُلِّم لخميس القذافى، يحمل اسم جحفل الشهيد خميس أبومنيار، وهو الذى تمت تسمية خميس على اسمه، وحضر حفل تأسيسه مجموعة من الضباط، ومنهم رفيعو الرتبة.

لم يتوقف الحفل بالطبع عند كاظم الساهر، حيث تم عرض شريط مرئى على جنود الجحفل احتوى على مقتطفات من البيان الأول للثورة على أنغام أغنية بشاير يا ليبى بشاير.

وشاركت كلية ضابطات الشرطة فى التسليم من خلال فرقتها الموسيقية، التى عزفت للجنود قبل وبعد فقرة كاظم الساهر. كما تمت إضاءة سماء المنطقة بأضواء صواريخ الزينة.

وفى هذا اليوم تقلد خميس درع الجحفل وقلادته.

وإذا كان الساعدى شقيق خميس الأكبر قد اتجه نحو الأردن، والمعتصم نحو مصر، فإن خميس معروف بعلاقته مع الجارة الجزائر. وقد قالت مصادر صحفية جزائرية بأن الرئيس الجزائرى عبد العزيز بوتفليقة قد استقبل يوم الثلاثاء ٢٠٠٨/٢/٢٥ النقيب ركن خميس معمر القذافى، قائد الفيلق ٣٢ المدرع للشعب المسلح فى ليبيا، الذى يقوم بزيارة للجزائر على رأس وفد عسكرى بدعوة من قائد أركان الجيش الوطنى الشعبى، الفريق أحمد قايد صالح.

وحسب جريدة الشرق الجزائرية فقد جرى اللقاء بإقامة جنان المفتى بحضور الوزير المنتدب لدى وزير الدفاع الوطنى، عبد المالك قنايزية، والفريق أحمد قايد صالح، رئيس أركان الجيش الوطنى الشعبى.

وأضافت الجريدة بأن النقيب ركن خميس معمر القذافى، كان قد حل بالجزائر، فى إطار مواصلة مسار تعزيز علاقات التعاون العسكرى بين البلدين وبحث المسائل ذات الاهتمام المشترك -حسب بيان وزارة الدفاع- بعد أشهر من الزيارة التى قام بها الفريق أحمد قايد صالح إلى ليبيا نهاية شهر ديسمبر الماضى، حيث حضر المناورات العسكرية المشتركة إيسين ٢٠٠٧، بين فيلق خميس أبو منيار القذافى ووحدة عسكرية تابعة للجيش الوطنى الشعبى. وحل النقيب الركن خميس معمر القذافى بالجزائر، فى زيارة جاءت متزامنة مع الجدل الإعلامى الذى خلفته حادثة اختطاف السائحين النمساويين من قبل عناصر تنظيم القاعدة فى المغرب الإسلامى، والمنحى الذى اتخذته الأحداث فى الآونة الأخيرة مع دخول عدة أطراف فى خط المفاوضات لإطلاق سراح الرهينتين وفى مقدمتها نجل العقيد القذافى.

هانيبال

هانيبال هو أصغر الأبناء وهو آخر العنقود كما يقولون درس فى فرنسا وفى الدانمارك، وهو يهوى السيارات والقيادة. غير أن إقامته فى أوروبا وزواجه من لبنانية وغير ذلك أعطى فرصة للتقول عليه فادعوا أنه محكوم عليه فى فرنسا وأنه ضرب صديقته وأنه هارب من العدالة وما إلى ذلك من حكايات بغرض التسلية، خاصة وأن هانيبال غير مرتبط بالحياة السياسية أو العامة فى ليبيا.

زوجة هانيبال روت حقيقة زواجها من هانيبال وكشفت عن أن ما يقال عن هانيبال هو محض أقاويل، اسمها إلين سكاف عمرها (٢٤) سنة من شمال لبنان بضيعة منجد عكار.. فجأة وجدت نفسها على صفحات المجلات والجرائد وبطلة لمعارك سياسية وتصفية حسابات بين دول هي في غنى عنها.. ألين سكاف أقامت الدنيا، ليس بجمالها ولكن لكونها أرتبطت بـ (هانيبال) ابن الأخ العقيد الليبي معمر القذافي.الارتباط في حد ذاته لم يكن أزمة وإنما ما أثير حول العلاقة هو الذي أعطى أبعادا أخرى لها.. فقد قيل أن هانيبال عشيقها وليس زوجها وأنه قام بضربها في باريس وأنه منحها هدية (٣) ملايين دولار لإنجابها (ولدا) خارج إطار الزواج..

تحملت ألين سكاف كل هذه السخافات.. صمتت قليلا لكنها انفجرت لتخرس الألسنة.. خرجت لتهدد كل من شوه سمعتها بأنه سيدفع الثمن غاليا لأن حياتها الخاصة ملكها وحدها فهي، وعلى حد تعبيرها، ليست فنانة ولا رقاصة ولا عارضة حتى تصبح سيرتها على كل لسان.. اندهشت ألين سكاف مما قيل عن أنها صديقة هانيبال.. فهي امرأة شرقية كيف تكون صديقته ولديها طفل منه.. لقد نشرت الصحف أنها صديقته لأنها لم تكن موجودة وقتها في لبنان ولم يكن أحد يعرف الحقيقة.. لم يكن أحد يعرف أنها تزوجت منه في ١٢ ديسمبر ٢٠٠٣ في كوبنهاجن وأقامت في باريس خلال فترة زواجها منه وانتقلت للإقامة في لبنان منذ شهر لكنها تسافر باريس وتعود كل فترة.. كان أقسى ما في حكاية ألين وهانيبال هو تعرضها للضرب وهو ما نفته تماما مؤكدة أن الخبر غير صحيح وأن تضخيم الأمر كان لأسباب سياسية.. كانت ألين سكاف تشير إلى دولة فرنسا وإن ما حدث كان عقابا لزوجها لمجرد أنه كسر الإشارة الحمراء فابن الرئيس الليبي كان يقود سيارته الفيراري في الشانزليزيه وتجاوز الإشارة الحمراء، فلاحقته الشرطة فتشاجروا فأكمل طريقه دون أن يرد عليهم أويعيرهم اهتماما فكبروا القصة.. وتؤكد ألين أيضا أنهم في فرنسا حاولوا التحرش بها من خلال مجموعة رسائل وصلتها من المحكمة.. سألوها عما إذا كان لديها شئ ضد هانيبال وهي مازالت تحتفظ بالأوراق لتستفيد منها في الدعوى القضائية التي رفعتها ضدهم.

تقول ألين سكاف لقد أخطأ هانيبال لكن الكل يخطئ.. بالتأكيد أنه لفت الأنظار إليه فأضمروا له الشر.. تعود إلين سكاف لواقعة الضرب تقول: لنفترض أن هانيبال ضربني في غرفتنا من سيعلم الأمر؟ (لقد وقعت حادثة معينة في مقهى الـ Gr.nd Hotel كنت وقتها

حاملا.. أغمى على.. فنقلنى هانيبال إلى المستشفى.. كان قلقا على وبقى بجوارى ونشرت الصحف الفرنسية ذلك.. فى اللحظة التى أغمى على فيها كان هانيبال يحمل سلاحا فضخموا الخبر وسحبوا السلاح منه.. تشاجر مع بعض الأشخاص فى الفندق لأنهم نظروا إلى وقاموا بحركات ونظرات استفزته فضربهم..

توقفت ألين سكاف فى حديثها عند حكاية منح هانيبال لها (٣) ملايين دولار لأنها أنجبت له ولدا، ضحكت بسخرية وقالت: أنها زوجته.. لا يقصر معى ويقوم بكل واجباته على أكمل وجه، فلم يغدق على المال مثل المطر؟!.. أنا أطلب منه كل ما أحتاج إليه.. يصرف على وعلى إبنه، ومن واجباته أن يلبسنى ويطعمنى.. لكن أن يطعمنى (٣) ملايين دولار لأننى أنجبت صبيا.. ليه؟.. وهل يملك أصلا هذا المبلغ؟!.. مصروفى على ثيابى وأناقتى لا يصل لهذا المبلغ والحمد لله عائلتى لا تحتاج لشىء صحيح إننى لا أملك منزلا فى لبنان وأعيش فى شاليه لكن أبحث حاليا عن منزل.

ثم تحكى ألين سكاف قائلة: أنا لست عارضة أزياء.. عرضت لفترة بشكل غير محترف.. كنت أعمل مع شركة الفردان للمجوهرات، أسافر معهم إلى الخارج حيث يقيمون المعارض وهانيبال قبطان بحرى أسافر معه دوما لكنه لا يسهر. عكس ما يقولون. يطارد النساء فى الملاهى الليلية ويرمى طفايات.. هو لا يرتادها أساسا ولا نسهر إلا سويا.. عيب هو ابن عائلة ورجل محترم، عيب أن يشيعوا عنه ذلك..

تمضى ألين فى حكيها: لا أتذكر بالتحديد متى تعرفت عليه.. فقط لم يكن مكان التعارف باريس.. وعلاقتنا تجنن وسوف نلتقى بعد أسبوعين، تقريبا ليس بالضرورة أن يكون اللقاء فى باريس لكن فى المكان الذى نقرر أن تقضى به الصيف.. ولدينا طفل اسمه هانيبال جونيور أنجبته فى باريس بالمستشفى الأمريكى فى ١٨ مارس ٢٠٠٥... لقد تزوجنا مدنيا... الزواج المدنى خارج لبنان ضرورى ثم من الأفضل لنا.. الارتباط بهذه الطريقة.

السؤال الذى كان يطارد إلين أيضا.. هل تزوجت من هانيبال لمصلحة؟

تقول ألين سكاف: لا أعرف لكن لو أردت الزواج بدافع المصلحة لكنت تزوجت رجلا لبنانيا وهم كثيرون، ثم لا ينقصنى شىء لا مال ولا جمال ولا حياة حلوة ولا سيارات ولا بيوت.. أملك كل شئ واخترته زوجا لى.. اخترته مش علشان هو لطيف وطمعت بأمواله.. أنا لست من اللواتى يخربن حياتهن ويجرين وراء شخص بدافع المصلحة.. أغنياء فى لبنان يتمنون الزواج

منى فأنا لست بشعة ولا مضطرة لعمل مشاكل لانتفع ماديا والكل يعرف طبيعة المشاكل بين الدولتين. نقصد لبنان وليبيا. لقد أحببته ولم أهتم وتضيف ألين: هانيبال عمره ٣١ سنة لم ينشر أحد عمره واسمه الحقيقيين وتعمدوا ذلك حتى يقال إنه غير كامل الشخصية ليختارني فنشروا ذلك بقصد أنه تزوجني عن طيش وأؤكد لكم أننا على اتفاق تام ولا توجد مشكلات بيننا ولم أفكر في والده ومركزه السياسي مع احترامي لوالده وكل الناس.. فلا دخل لأهلي أو أهله بعلاقتنا.

وهل زواج ألين. هانيبال تم بعد موافقة معمر القذافي؟..

سؤال أجابت عنه قائلة: بالتأكيد فزوجي هانيبال لن يرضى أن يكون ضد إرادة أهله ولو مش راضيين عنى لما كنت زوجته وأم ولده ونعيش في سلام ثم أن هانيبال ليس مثل أي إبن يعارض أهله ويمشي ضد إرادتهم ليتزوجني فهو لا يجرؤ على ذلك

ولكن إذا كان زواج إلين سكاف وهانيبال معمر القذافي قد تم برضاء العائلتين فلماذا تم سرا؟!..

تقول إلين: كان أهلي على علم بكل شئ والدي وشقيقي وزوجته حضروا زفافي.. أبقينا الزواج سرا حتى عرف الجميع لوحدهم.. لم نتعمد إبقاء الخبر طى الكتمان لكن لا دخل لأحد بخصوصياتي وأنا من البداية لا أصحاب لي.. كان جميع من في الفندق يعرفون أنني لست صديقته بل زوجته الحامل وهم لا يهتمون أصلا سواء كانت زوجته أو صديقته، وعندهم ابن فلان مثل ابن أقل موظف، وأحذر الناس جميعا من الاقتراب من حياتي فالحق بجانبي وأسير تحت سقف القانون.. أنا محترمة حالي، وقاعدة في بيتي وممنوع على أي أحد أن يأتي بسيرتي ليس لأنني زوجة هانيبال ابن القذافي بل لأنني أنا.

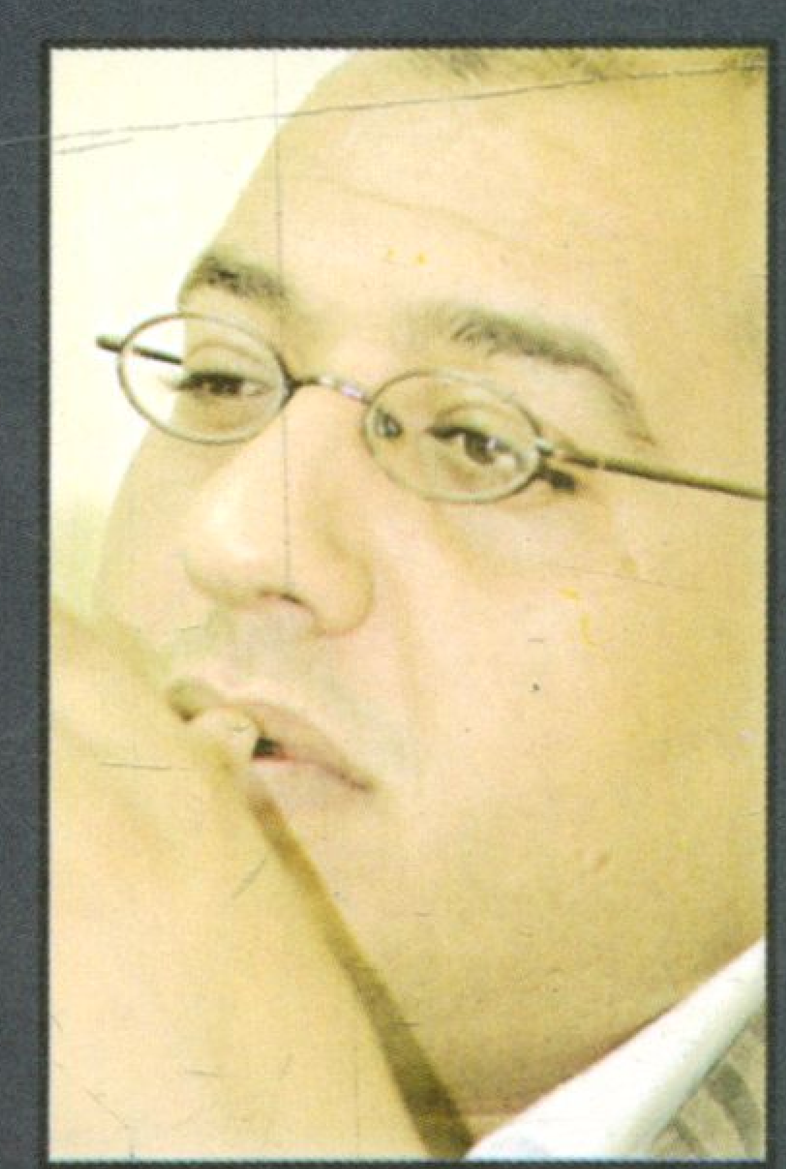
تنهى ألين سكاف حديثها بمعركة الفندق فتقول: هانيبال هو ابن رئيس دولة فمن الطبيعي توفير الحراسة له تلقائيا ومن الطبيعي أيضا أن يحمل سلاحا ويرافقه رجال أمن.. دخل حراسه الشخصيون في معركة مع رجال أمن الفندق وتأزمت الأوضاع لكن لم يحرر أي محضر ولم يصرح بشئ للصحافة ورفع دعوى على القضاء الفرنسي بتهمة التشهير به منذ أن تجاوز الإشارة الحمراء من وقتها.. وهم ينتظرون منه صدور أي شيء حتى يتهموه بالمشاغبة.. لم يسجن هانيبال في فرنسا ولم يدفع غرامة ولم تصدر ضده أحكام نهائية.

■■■

محتويات

أنجال الزعماء

أسرار الحب والمال في بيوت الحكام العرب



مؤمن المحمدى

لماذا يتعامل الناس في البلاد العربية مع ابن الرئيس باعتباره قمة السلطة والثروة والنفوذ؟ يظنون أن معنى أن تكون ابن الزعيم هو تخلصك من مشكلاتك مدى الحياة، أن تكون ابن الزعيم فهذا معناه أن تنفتح أمامك الأبواب، وتتمهد أمامك الطرق، وتختفي منها العقبات.

في أذهان الناس أن ابن الرئيس يتحول بمجرد تولي والده الحكم إلى صنف آخر من البشر مختلف عنا وعن طينتنا، صنف لا يعرف للألم مذاقا، ولا للأحزان لونا، ولا للخوف سبيلا.

لكن هل هذا صحيح؟

طبعا سيعتبر البعض هذا التساؤل من قبيل تساؤلات حسن الإمام في أفلامه الميلودرامية المأساوية القديمة، وسيعتبرون أنني ألمح إلى أن أبناء الرؤساء "غلابة" مساكين، لا يعيشون حياتهم الطبيعية ولا يمارسون حرياتهم كغيرهم من الأبناء، وأنه مكتوب عليه أن يتحمل ضريبة كونه ابنا لحاكم البلاد.

غير أن تساؤلي في الواقع هو تساؤل محض: كيف يعيش ابن الرئيس؟

قلت لنفسي: ولماذا لا أبحث عن الحقيقة؟ إذا كنت تمتلك فكرا وقدرة على البحث والكتابة، فلم لا تجد هذه الإجابة وتقدمها للقارئ الكريم؟

فبحثت عبر عدة شهور في حياة أبناء الزعماء العرب، حتى صورة ما، لن أدعي أنها الحقيقة. ولن أقول إنها الكلمة لكنني أعتبرها كلمة الافتتاح في هذا الحقل.

